

تاريخ فاتح العالم

جهان گشای

في تاريخ منكوقا آن، وهولاكو، والإسماعيلية

تأليف: علاء الدين عطا ملك الجويني
تحقيق وحواشي وتعليقات: محمد بن عبد الوهاب القزويني
نقله عن الفارسية وقدم له: محمد السعيد جمال الدين



المجلد الثالث

2176

يُعدّ علاء الدين عطا ملك الجويني- مؤلف كتاب "تاريخ جهانگشای" أى تاريخ فاتح العالم- واحداً من أبرز من كتبوا عن المغول وعن جنكيزخان.

وترجع أهمية الكتاب إلى سلامة المصادر التى اعتمد عليها، وإلى أن مؤلفه كان وثيق الصلة بالشخصيات التى وجّهت الأحداث، وبخاصة "هولاكو" الذى شارك المؤلف فى حملته على قلاع الإسماعيلية فى إيران، وخصّها بحديث مفصل فى هذا الجزء، ونقل فيه أيضاً تلخيصاً لكتاب نادر فى تاريخ الإسماعيلية عثر عليه فى قلاعهم التى دمرها هولاكو.

ويشتمل هذا الجزء أيضاً على ترجمة حواشي وتعليقات محقق الكتاب العلامة محمد بن عبد الوهّاب القزويني على بعض الموضوعات والشخصيات التى ذكرها المؤلف.

جهان گشای



تاريخ فاتح العالم جهان كشي

المجلد الثالث

في تاريخ منكوفا آن، وهو لكو، والإسماعيلية

المركز القومي للترجمة

تأسس في أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور

مدير المركز: أنور مغيث

- العدد: 2176
- تاريخ فاتح العالم (المجلد الثالث): في تاريخ منكوقا أن، وهولاكو، والإسماعيلية
- علاء الدين عطا ملك الجويني
- محمد بن عبد الوهاب القزويني
- محمد السعيد جمال الدين
- اللغة: الفارسية
- الطبعة الأولى 2015

هذه ترجمة كتاب:

TA'RÍKH-I-JAHÁN-GUSHÁ

BY : ALÁ'U D-DÍN 'ATÁ MALIK-I-JUWAYNÍ

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gczira, Cairo.

E-mail: nctegypt@nctegypt.org

Tel: 27354524

Fax: 27354554

تاريخ فاتح العالم

جهان كشاي

المجلد الثالث

في تاريخ منكوقا آن، و هولاكو، و الإسماعيلية

تأليف

علاء الدين عطا ملك الجويني

(في سنة ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م)

حقيقه وذيئه باخواشي والتعليقات

محمد بن عبد الوهاب القزويني

نقله عن الفارسية وقدم له وحرر بعض موامشه

محمد السعيد جمال الدين



2015

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الجويني، علاء الدين عطا ملك
تاريخ فاتح العالم جهان گشاي (المجلد الثالث) في تاريخ
منكوقا آن وهولاكو والإسماعيلية / تأليف: علاء الدين عطا
ملك الجويني، حققه وزيله بالحواشي والتعليقات: محمد بن عبد
الوهاب القزويني، نقله عن الفارسية وقدم له وحرر بعض

هوامشه: محمد السعيد جمال الدين

ط ١ - القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٥

٤٤٦ ص، ٢٤ سم

١ - العالم - تاريخ

(أ) (القزويني، محمد بن عبد الوهاب (محقق)

(ب) جمال الدين، محمد السعيد (ترجمة)

٩٠٩

العنوان

رقم الإيداع ٨٦٣٣ / ٢٠١٢

الترقيم الدولي: 9-070-216-977-978-I.S.B.N

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومي للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية
المختلفة للقارئ العربي وتعريفه بها، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات
أصحابها في ثقافتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المركز.

المحتويات

9	تقديم المترجم
21	كيفية نطق الحروف الفارسية المستعملة في هذا الكتاب
23	مقدمة المؤلف
25	تمهيد
25	ذكر أحوال ألغ نوين وسرقويتى بيكى
31	ذكر أحوال بجمن واستنصالة
33	ذكر جلوس منكوكا آن على عرش الخانية
87	لمحة من مآثر جلالة ملك العالم منكوكا آن بعد جلوسه على العرش
90	ذكر أركان الدولة
93	ذكر انطلاق ابن ملك العالم: هولاکو إلى البلاد الغربية
105	ذكر تقدم ملك العالم (هولاکو) لفتح قلاع الملاحدة
111	نسخة كتاب فتح قلعة الموت
133	ذكر تقرير مذاهب الباطنية والإسماعيلية وأحوالهم
147	ذكر خلافة المهدي الفاطمي والخلفاء الفاطميين
159	ذكر محضر المهدي المقدوح
163	ذكر جلوس المستنصر بن الظاهر
167	ذكر السبب في ذلك (يعني انقراض الخلافة الفاطمية) وما جرت عليه الحال فيه
170	ذكر الحسن بن الصباح وما أحدثه من تجديد ودعوة الملاحدة
192	ذكر سلطنة كيا بزرگ أمید
195	ذكر سلطنة محمد بن بزرگ أمید
197	ذكر ولادة الحسن بن محمد بن بزرگ أمید
209	ذكر سلطنة محمد بن الحسن بن محمد بن بزرگ أمید
211	ذكر سلطنة جلال الدين الحسن بن محمد
217	ذكر سلطنة علاء الدين محمد بن جلال الدين الحسن
226	ذكر أحوال ركن الدين خورشاه بعد وفاه أبيه
233	ذكر قلاع ركن الدين بعد نزوله
239	ذكر أحوال ركن الدين وانتهاء أمره

241	ترجمة حواشي وإضافات محقق الكتاب محمد بن عبد الوهاب القزويني
241	عبد الله بن معاوية
242	محمد الديباج
242	الداعي
245	وفاة إسماعيل بن جعفر الصادق
246	الفتح
247	سن موسى بن جعفر
249	عبد الله بن ميمون القداح
283	عبدان الكاتب
284	أبو الخطاب الأسدي
286	ظهور القرامطة
287	حمدان قرمط
288	مدة احتفاظ القرامطة بالحجر الأسود
288	أبو القاسم حوشب
290	أبو عبد الله الشيعي
293	تاريخ بناء المهدي
294	يوسف أخو عبد الله الشيعي
294	تاريخ جلوس المهدي الفاطمي
295	تاريخ انقراض بني الأغلب
296	المراد ببلاد المغرب وإفريقية
297	التطابق الكامل بين جهانگشای ودستور المنجمين في شأن الإسماعيلية
299	لقب الرضى
299	عبد الله بن سالم البصري
300	أبو يزيد الخارجي
302	تاريخ وفاة كافر الإخشيدي
302	ابن دواس
303	الرضي
303	أبو حامد الإسفراييني
303	أبو الحسن القدوري
304	أبو محمد بن الأكفاني
305	فإنها خطرات
306	لقب المستعلى

307	الحافظ
308	الظافر
308	عباس بن تميم الصنهاجي وأخوه
310	العاقد لدين الله
311	تاريخ دخول أسد الدين شيركوه مصر
314	شاهور (شاور) وزير العاقد
323	قدوم شيركوه إلى القاهرة
324	تاريخ قتل شاور
325	عبد الملك بن عطاش
326	فريم
328	شهريار كوه
329	جبال قارن
329	جبال شروين
330	أندجروود
331	ألموت
333	رودبار
335	الطالقان
338	طرز
339	جنائك
339	أبو مسلم الرازي
340	تطابق بين الجويني وابن اسفنديار
341	سحنه
343	على ذكره السلام
344	ناصر الدين منكلي
347	مظفر الدين وجه السبع
348	مظفر الدين كوكبوري
351	سيف الدين إيغلمش
355	كوتم
362	شيركوه (اسم قرية وواد)
362	سفاق
365	فسكر
367	شهر ك رودبار

368 مكتبة قلعة الموت
370 حاشية في شأن آل جستآن
372 أ - عاصمة الجستانیین
376 ب - تعداد ملوك هذه السلسلة
384 شجرة أنساب هذه الأسرة
385 السلاّمي
389 فهرست الأعلام
411 فهرست الأماكن والقبائل
423 الخرائط

تقديم المترجم

لا أحسب أننا في حاجة ملحة إلى التعريف في إسهاب بعلاء الدين عطا مَلِك الجويني، مؤلف كتاب «جهانگشاي» (فاتح العالم)، فقد وقَّاه العلامة الإيراني الأستاذ محمد بن عبد الوهَّاب القزويني حقَّه من الدراسة والبحث في مقدِّمة المجلد الأول من الكتاب^(١)، فتناول أسرته وحياته ومؤلفاته بالدراسة في دقَّة وتتبُّع وإتقان، مما جعل من تلك المقدِّمة مرجعاً أصيلاً وافياً لكل من أراد أن يتعرَّف بالتفصيل على شخصية الجويني وأعماله.

وحين كَلَّف المركز القومي للترجمة زميلي الأستاذ الدكتور السباعي محمد السباعي بنقل المجلد الأول من كتاب «جهانگشاي» إلى اللغة العربية عمد إلى ترجمة مقدمة القزويني بتصرف وإضافات، وصدر بها المجلد المذكور الذي تم نشره ضمن إصدارات المركز في سنة ٢٠٠٧ برقم ١١٦٤.

وقد سبق لي أن أسهمت بدوري بنصيب في التعريف بعلاء الدين وكتابه «جهانگشاي» حين نشرتُ كتابي «دولة الإسماعيلية في إيران» في سنة ١٩٧٥^(٢)، الذي اشتمل على ترجمة النصِّ الفارسي، الذي ورد عن تلك الدولة في كتاب «جهانگشاي»، وهو النصُّ الذي يقع بين صفحتي ١٣٧ و ٢٤٦ من هذا الكتاب الذي هو بين يدي القارئ الآن.

(١) نشر المجلد الأول في سلسلة «جب» التذكارية (التي تصدر في «لين» بهولندا) سنة ١٩١٣، بينما نشر المجلد الثالث والأخير في سنة ١٩٣٧، وقام الأستاذ محمد بن عبد الوهَّاب القزويني بتصحيح المجلدات الثلاثة.

(٢) نشرته مؤسسة «مجلَّ العرب» بالقاهرة لأول مرة في السنة المذكورة (١٩٧٥)، ثم أعادت «الدار الثقافية للنشر» طبعه في سنة ١٩٩٩.

كما صدر لي بالقاهرة في سنة ١٩٨٢ كتاب بعنوان: «علاء الدين عطا ملك الجويني - حاكم العراق - بعد انقضاء الخلافة العباسية في بغداد»، تناولت فيه شخصية الرجل باعتباره رجل دولة قبل أن يكون مؤلفاً لكتاب مهم في التاريخ العالمي الوسيط، معتمداً على رسالتين ألفهما علاء الدين باللغة الفارسية سجل فيهما الأحداث التي جرت له في العامين الأخيرين من حكمه للعراق^(١).

من أجل ذلك سأتناول هذه الشخصية في هذه المناسبة في أضيق الرسوم، مبتدئاً بالحديث عن المؤلف ثم عن كتابه وعن الجزء الثالث منه بشكل خاص.

(١) توجد كل واحدة من هاتين الرسالتين في ذيل إحدى النسخ الخطية لكتاب «جيانگشاي» المحفوظة بالمكتبة الأهلية في باريس، ففي ذيل النسخة *Supple. Pers 1556* تأتي الرسالة الأولى التي تسمى «تسليية الإخوان»، وفي ذيل النسخة *Supple. Pers 206* تأتي الرسالة الثانية الملحقة برسالة «تسليية الإخوان» دون أن يضع لها المؤلف عنواناً، وقد تم نشر الرسالتين في طبران في سنة ١٣٦١ هـ. ش/ ١٩٨٢ بتحقيق الدكتور عباس ماهيار، وقام بلمبذي الدكتور عثمان مهني بترجمتهما ضمن رسالته التي حصل بها على درجة الماجستير من جامعة عين شمس تحت إشرافي سنة ٢٠٠١، وكان عنوان أطروحته: أدب المحنة عند عطا ملك الجويني من خلال كتابه «تسليية الإخوان».

أولاً: المؤلف

هو علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد بن شمس الدين محمد بن بهاء الدين محمد الجويني، وينحدر علاء الدين من أسرة عريقة أسهم أعضاؤها -على مدى أكثر من قرنين- في إدارة الشؤون المالية والإدارية في بلادهم وغيرها من البلاد التي وقعت تحت حكم دول السلاجقة والخوارزميين والمغول، ومن أجل ذلك سُميت هذه الأسرة بـ«أسرة صاحب الديوان».

لم يكن قد مضى على غزو جنكيزخان لإيران أكثر من سبع سنوات حتى ولد عطا ملك في سنة ٦٢٣هـ / ١٢٢٦م.

كان اهتمام المغول منصباً على الشؤون العسكرية، ولم يكن لهم قبل بممارسة المهام المعقدة لشؤون الإدارة والحكم في بلاد عريقة مترامية الأطراف كبلاد الفرس التي دانت لهم خلال شهور قليلة، فاستعانوا بذوي الدراية والخبرة من أهلها، وكان من بين هؤلاء بهاء الدين محمد - أبو علاء الدين عطا ملك؛ فقد وقع اختيار المغول عليه؛ لكي يتولى وظيفة صاحب الديوان في إقليمي خراسان ومازندران (سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م).

وفي سنة ٦٤١هـ / ١٢٤٣م تولى الأمير «أرغون» حكم البلاد الفارسية من قبل أباطرة المغول، فأبقى على «بهاء الدين محمد» في منصبه وبسط رعايته على ابنه «عطا ملك» فضمنه -رغم حداثة سنّه- إلى زمرة الكتبة الخصوصيين للحاكم المغولي لإيران، وظل الأمير أرغون حاكماً لإيران أربعة عشر عاماً (٦٤١ - ٦٥٤هـ / ١٢٤٣ - ١٢٥٦) كان يسافر أثناءها بانتظام بحكم منصبه - إلى «قراقورم» عاصمة أباطرة المغول، وكان «علاء الدين عطا ملك» يصاحبه في تلك الأسفار؛ وفي إحدى

المرات بقي في العاصمة المغولية نحو سنة ونصف، فعاش القوم، واتصل بعدد من أمرائهم وأشرافهم، وشاهد العديد من الأحداث المهمة، فتيسرت له سبل جمع الحكايات والروايات المتعلقة بنشأة المغول وتاريخهم قبل جنكيزخان وبعده، مما دفعه إلى تأليف كتابه المعروف «تاريخ جهانگشاي»، فبدأ في تأليفه في سنة ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م وانتهى منه في سنة ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م.

يحدثنا علاء الدين أن فكرة البدء في تأليف الكتاب راودته بينما كان في «قراقورم» يتأهب للمشاركة في الاحتفال بتتصيب الإمبراطور منكوقا آن على عرش المغول (سنة ٦٥٠هـ / ١٢٥٩م).

ورجع عطا ملك من سفره هذا الأخير إلى إيران؛ ليستأنف عمله حتى أوائل سنة ٦٥٤هـ، ١٢٥٦م كواحد من كتّاب الأمير أرغون، الذي كان عليه أن يتتحي عن منصبه لهولاكو -أخي الإمبراطور منكوقا آن- وقد جاء على رأس جيش كبير قاصداً القضاء على الإسماعيلية في إيران أولاً، ثم الإطاحة بالخلافة العباسية في بغداد من بعد ذلك.

لكن الأمير أرغون أضاف -قبل أن يترك منصبه- فضلاً آخر إلى أفضاله على علاء الدين، فعينه عضواً في اللجنة الثلاثية^(١) التي كانت مهمتها إدارة الشؤون المالية والإدارية في البلاد حتى تستقر الأمور في يد «هولاكو»، ومنذ ذلك الحين أصبح علاء الدين من خواص الملازمين والكتّاب لهولاكو والمقربين إليه.

وحسب ما ورد في «جهانگشاي» يتضح أن علاء الدين ظلّ ملازماً لهولاكو منذ أن وطئت قدماه الأراضي الإيرانية في أوائل سنة ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م، وأنه رافقه

(١) ضمت هذه اللجنة إلى عضويتها أيضاً كلا من: «كراي ملك» ابن الأمير أرغون نفسه والأمير «أحمد بيتكجي».

طيلة حملته للقضاء على الإسماعيلية، وتلقى منه أمراً بكتابة بعض شروط التسليم والصلح التي فرضها هولاكو على المحاصرين ببعض القلاع الإسماعيلية المنيعه.

وحين استسلمت قلعة الموت -عاصمة دولة الإسماعيلية- خشي علاء الدين أن تتعرض مكتبته الذائعة الصيت للدمار، فيذهب ما بها من تراث قيم أدراج الرياح، فاستأذن هولاكو في الاطلاع على محتوياتها قبل أن تتعرض للغارة؛ لكي يستخرج منها ما يراه صالحاً؛ فأذن له.

كانت المكتبة تعدّ في الواقع مركزاً من أهم المراكز العلمية في ذلك الوقت، وكانت تشتمل على مرصد فلكي متقدم وأكاديمية للأبحاث الرياضية والتطبيقية، فضلاً عن مجموعتها القيمة من نفائس الكتب والآثار التي أمضى الإسماعيلية قرابة مائة وسبعين عاماً في جمعها واقتنائها، وقام علاء الدين بعد مراجعة مجموعات المكتبة ومحتوياتها باستخراج «المصاحف والكتب القيمة والآلات الخاصة بالمرصد الفلكي»، أما الكتب التي تتصل من قريب أو بعيد بأصول مذهب الإسماعيلية أو فروعه فيقرّ بأنه تركها؛ لكي تحرق عن آخرها. وكان من بين الكتب التي استخرجها علاء الدين من مكتبة الموت قبل نكبتها كتاب «سرگدشت سيندا» (أي سيرة سيندا) ويشتمل على سيرة كاملة للحسن بن الصباح ومذهبه الذي استحدثه بعد قدومه من «القاهرة» عاصمة مصر الفاطمية، ويعدّ هذا الكتاب النادر المصدر الأول الذي كتبه الإسماعيلية بأنفسهم عن تاريخهم وعلاقاتهم بالدول المجاورة لهم. وقد نقل علاء الدين كتاب «سرگدشت سيندا» مختصراً في الجزء الثالث من كتاب «جهانگشاي»، وهو الجزء الذي بين أيدينا الآن.

ولما فرغ هولاكو من القضاء على دولة الإسماعيلية أنجه بجيوشه نحو الجنوب الغربي للإطاحة بالخلافة العباسية في بغداد، وكان علاء الدين في زمرة أصحابه.

في سنة ٦٥٧هـ / ١٢٥٨م، وبعد مضي عام واحد على انقضاء الخلافة العباسية، عهد هولاكو إلى علاء الدين بحكومة بغداد والعراق، التي استمر في حكمها -نائبًا عن سلاطين المغول في إيران- أربعًا وعشرين سنة، صرف فيها كلَّ همه في تعمير ما كان المغول قد خربوه في هجومهم على البلاد، وأسقط عن كاهل الفلاحين مغارم كثيرة، وأنشأ العديد من القرى وحفر الأنهار وقنوات الري، ولم يلبث العراق حتى سار بخطى واسعة نحو العمران وتضاعف دخله وعمر سواده بعد الخراب الذي شمله على يد المغول، وقد بالغ بعض الناس فقال: «عمر صاحب الديوان - يعني علاء الدين عطا ملك الجويني- بغداد حتى كانت أجود من أيام الخلافة».

وقد بقي علاء الدين حاكمًا للعراق حتى توفي فجأة في سنة ٦٨١هـ / ١٢٨٢م بعد أن ساءه وأحزنه أن وشايات أعدائه وخصومه أثرت في السلطان المغولي فعزم من ثمَّ على عزله من منصبه.

وعقب وفاة علاء الدين تعرّضت أسرة «صاحب الديوان» لنكبة شملت أفرادها، فتم قتلهم جميعًا.

ثانيًا: الكتاب

حظى كتاب "تاريخ جهانگشاي" بشهرة واسعة واهتمام بالغ منذ أيام تأليفه، وذلك بالنظر إلى أهمية الموضوعات التي يشتمل عليها ودقة المعلومات الواردة فيه، وموقع المؤلف من الأحداث التي يرويها.

يقع الكتاب في ثلاثة مجلدات:

المجلد الأول: يشتمل على تاريخ القبائل المغولية وعاداتها ورسومها، والقوانين التي وضعها جنكيزخان وسُميت بالياسا، وانتقال سلطة البلاد المجاورة إليه، وأسباب النزاع الذي حدث بينه وبين السلطان محمد خوارزمشاه، واجتياح جنكيزخان لبلاد ما وراء النهر وإيران، وعودته إلى بلاده ووفاته، وتولي ابنه "أوكتاي قا آن" عرش المغول، ثم توراكيينا خاتون، وابنها كيوك خان.

أما المجلد الثاني: فيعرض لنشأة الدولة الخوارزمية، وتولي السلطان محمد خوارزمشاه عرشها وحروبه في الشرق والغرب، ويعرض للدول التي كانت قائمة في تركستان وبلاد ما وراء النهر والتي اجتاحتها المغول قبل هجومهم على الدولة الخوارزمية، ويتناول بعد ذلك السلطان جلال الدين منكبرتي، ابن السلطان محمد خوارزمشاه ومعاركه الضارية ضد المغول ومقتله في النهاية، وينتهي المجلد بذكر الحكام المغول الذين تولوا حكم إيران منذ عهد أوكتاي حتى وصول هولاكو قائدًا للحملة الثانية من هجوم المغول على الشرق الإسلامي في سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م.

المجلد الثالث: إذا كان عطا ملك قد اعتمد في المجلدين الأول والثاني من كتابه على مصادر وثيقة الصلة بالوثائق الرسمية، وقريبة من الأحداث كأمرء المغول الكبار الذين كان يجتمع بهم عطا ملك في أسفاره إلى بلادهم، بالإضافة إلى أبيه الذي عمل في خدمة سلاطين الخوارزميين وحكام المغول الذين تولوا إدارة الشؤون الإيرانية في الفترة التي أعقبت حملة جنكيزخان وحتى مقدم هولاكو، فقد اعتمد في المجلد الثالث على مشاهدته للأحداث التي سجلها في هذا المجلد؛ بل ومشاركته بنفسه في أغلب وقائعها التي وقعت بين سنتي ٦٥٠ و٦٥٨ هـ (١٢٥٢-١٢٦٠م)، وهي الفترة التي تم فيها تأليف الكتاب بمجلداته الثلاثة.

ويمكننا أن نقسم المجلد الثالث إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

القسم الأول: ويعرض لتتصيب منكوقا أن إمبراطورًا على المغول، وما سبق ذلك وما لحقه من أحداث، وقد شاهد عطا ملك أغلب هذه الأحداث بنفسه حين سافر في صحبة الأمير أرغون -حاكم إيران آنذاك- إبان تتصيب "منكوقا أن" فمكثا هناك في تلك المرة نحو سنة وخمسة أشهر.

القسم الثاني: ويعنى بالإعداد المكثف من جانب الحاكم المغولي لإيران وأركان دولته من أجل استقبال الحملة المغولية الثانية، وقد شمل هذا الإعداد تمهيد الطرق وإقامة القناطر والكباري على الأنهار، وتوفير المؤن على طول الطريق وترشيح كبار معاونين الذين يتعين عليهم إدارة شؤون البلاد في خدمة "هولاكو" والبقاء في معيته، وقد تم اختيار "عطا ملك"؛ لكي يكون واحدًا من هؤلاء معاونين في أوائل سنة ٦٥٢ هـ/١٢٥٦م، وظل مرافقًا لهولاكو طيلة المدة التي قضاها في استخلاص قلاع الإسماعيلية وشاهد كل تلك الأحداث وسجلها، ولما حاصر هولاكو قلعة "ميمون دز" -أمنع قلاع الإسماعيلية، ومقر ملوكهم- اضطر المقيمون بالقلعة

إلى التسليم فأصدر هولاكو أمره إلى عطا ملك بأن يدون الشروط التي يتم بمقتضاها تسليم القلعة للمغول.

القسم الثالث: وهو الخاص بتاريخ الإسماعيلية المنقول من كتاب من كتبهم - هو كتاب "سرگذشت سيدنا"، أو "سيرة سيدنا" الذي يُعبر به عن زعيمهم الحسن ابن الصباح - عثر عليه عطا ملك في مكتبة قلعة "الموت"، ونقل عنه خلاصة مختصرة تتضمن نشأة المذهب الإسماعيلي وتطوره وقيام الدولة الفاطمية في المغرب ومصر باعتبارها ثمرة من ثمار الحركة الإسماعيلية، ثم ينتقل المؤلف إلى ذكر سيرة الحسن بن الصباح ومذهبه الذي استحدثه بعد قدومه من مصر، ويتناول تاريخ ملوك الإسماعيلية الذين أتوا بعد الحسن وآخرهم ركن الدين خورشاه الذي قتله المغول وقضوا على أتباعه.

وترجع أهمية القسم الخاص بالإسماعيلية في هذا الجزء إلى أنه المصدر الأول الذي كتب عن الدولة التي أنشأها أتباع هذه الطائفة في إيران.

وكان العلامة الإيراني الأستاذ محمد بن عبد الوهاب القزويني (١٨٧٧-١٩٥٩م)، قد بدأ منذ سنة ١٩٠٦ في جمع النسخ الخطية الموجودة في أوروبا من هذا الكتاب، بتكليف من إدارة "سلسلة كيب" التذكارية للنشر Gibb Memorial Series، فوجد أن أفضل هذه النسخ محفوظة بالمكتبة الأهلية في باريس، فأقام القزويني بالعاصمة الفرنسية نحو ثمان سنوات تمكن خلالها من نشر الجزء الأول (سنة ١٩١٣م)، وإعداد الجزء الثاني للنشر، لكن قيام الحرب العالمية الأولى حال دون نشر بقية الكتاب، ولم يتسنّ للمجلد الثالث والأخير منه أن يصدر إلا سنة ١٩٣٧م، بعد أن عثر الأستاذ القزويني على مزيد من النسخ الخطية الأصيلة حتى بلغ عدد هذه النسخ التي استخدمها في تصحيح هذا المجلد ثلاث عشرة نسخة بعد إضافة سبع نسخ أخرى إلى النسخ الست التي اعتمد عليها القزويني في تصحيح

المجلدين السابقين: الأول والثاني، هذا مع حرص المصحح على إثبات الاختلافات بين النسخ في هوامش أسفل الصفحات؛ لكي يكون القارئ حُرًا تمامًا في اختيار النسخة البديلة التي تبدو في رأيه أصح وأرجح وفقًا لذوقه واجتهاده الشخصي.

وفضلاً عن هذا المنهج الفريد والمتكامل في التحقيق الذي التزم به المحقق التزاماً كاملاً وبذل فيه غاية الجهد والطاقة؛ فإنه رجع إلى مئات الكتب والمراجع بمختلف اللغات لتوضيح النص، فكان من نتيجة ذلك أن خرج الكتاب محققاً أفضل ما يكون التحقيق، وتم طبعه بمجلداته الثلاثة طبعة ممتازة في مطبعة "بريل" Brill في "ليدن" Leiden بهولندا، وهي المطبعة المتخصصة في طبع كتب التراث العربي والفارسي والتركي بعد تحقيقها.

ويتميز هذا المجلد أيضاً بما أضافه المحقق العلامة محمد القزويني من حواشٍ وإضافات في آخر الكتاب، علّق فيها على بعض ما ورد في المتن من أحداث وشخصيات وفق منهج قويم وقراءة مستوعبة واعية للمصادر نالت تقدير العلماء في الشرق والغرب، وقد رأيت أن أنقل هذه الحواشي أيضاً إلى العربية لعل القارئ العربي يجد فيها بعض الفوائد العلمية والمنهجية.

وكانت هيئة "اليونسكو" قد اختارت كتاب "تاريخ جهانگشاي" واحداً من مجموعة الأعمال النموذجية الكبرى "*Unesco Collection of Representative Works*"، وعهدت إلى البروفسور "جون أندرو بويل" John Andrew Boyle "أستاذ الدراسات الفارسية في جامعة "مانشستر" البريطانية بترجمة الكتاب إلى اللغة الإنجليزية، وصدرت الترجمة بعد أن قام بمراجعتها المستشرق الروسي فالديمير مينورسكي بناء على طلب اليونسكو في سنة ١٩٥٨م، ثم أعيد طبعها مرة أخرى في سنة ١٩٩٧م بمطبعة جامعة مانشستر.

وكان الدكتور محمد التونجي الأستاذ في جامعة حلب قد قام بترجمة "تاريخ جهانگشاي" إلى العربية ونشرته "دار الملاح للطباعة والنشر" في سوريا سنة ١٩٨٥م في مجلدين.

ويتعين عليّ أن أقرر أنني انتويت منذ البداية أن أستشير الترجمتين العربية والإنجليزية في المواضيع التي أجد صعوبة في ترجمتها، ولكني لم ألث طويلاً حتى نَحَيْت الترجمة العربية جانباً؛ لافتقارها إلى الدقة الواجبة في نقل مثل هذا النوع من النصوص، وانشصر جُلّ اعتمادي في ترجمة ما أُشكل عليّ ترجمته على الترجمة الإنجليزية التي تتمتع بتقدير واسع بين المتخصصين الغربيين في الدراسات الشرقية؛ بسبب حذق المترجم، وهو المستشرق الإنجليزي "بويل" وكذلك بسبب مكانة من قام بمراجعة الترجمة، وأعني به الأستاذ "مينورسكي" الذي يعد حُجّة في مجال الدراسات الإيرانية الوسيطة، وقد أشرت في هوامش أسفل الصفحات إلى المواضيع التي أفدت فيها من الترجمة الإنجليزية.

ومن حق المركز القومي للترجمة أن يتلقى من المشتغلين بالدراسات الفارسية كل الشكر والتقدير؛ وذلك على عنايته بنقل مثل هذا العمل الكبير وغيره من روائع المكتبة التاريخية الفارسية إلى العربية، وكان المركز قد عهد إليّ أنا وزميلي الأستاذ الدكتور السباعي محمد السباعي بنقل هذا الكتاب بمجلداته الثلاثة إلى العربية على أن يتولى الدكتور السباعي ترجمة المجلد الأول والقسم الأول من المجلد الثاني، وأن أتكفل بترجمة بقية المجلد الثاني والمجلد الثالث بأكمله، وقد صدرت ترجمة المجلد الأول في سنة ٢٠٠٧ (برقم ١١٦٤) وهذه هي ترجمة المجلد الثالث بين يدي القارئ العربي، ونسأل الله العون والتوفيق لإتمام العمل كله بإصدار المجلد الثاني في وقت قريب.

محمد السعيد جمال الدين

كيفية نطق الحروف الفارسية المستعملة في هذا الكتاب

١ - «پ» يُنطق مثل حرف «P» في اللغة الإنجليزية.

٢ - «چ» يُنطق مثل حرف «Ch» في اللغة الإنجليزية.

٣ - «ژ» يُنطق مثل حرف «J» في اللغة الإنجليزية.

٤ - «گ» يُنطق مثل حرف «G» في اللغة الإنجليزية.

في مثل كلمات *Big - Gum - Garden*.

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم
ربّ يسّر

الحمد والمئة لله، هو من بضياء نوره ومجده تتألق النجوم الساطعة، وبمشيئته وأمره يجرى الفلك الدوار، من هو بالعبادة خدير، المعطى الذى لا يحلو الرجاء إلا إليه، خالق الوجود من عدم، المغنى بعد الوجود، من أبدل عباده بالذل عزاً، من غنت له وجوه الجبابرة، به يزدان الملك، وتليق به الألوهية، انشد العلا والدعة عند أعتابه ليس إلا. من أعرض عن جنباه؛ بسبب الجهالة أصيب بالضرر لا محالة، به كل من له وسنم الوجود، به الخير والشر والنفع والضرر.

(بيت من الشعر الفارسي، ترجمته):

[٢] أنت للعالم علو ونزول، لست أدري ما أنت، فما الوجود كله إلا أنت.

والسلام على خاتم النبيين، إمام المرسلين السابقين هو من حل كل عقدة، هو معلّم كل حكمة، من هدى الضالة في الطريق، الرؤوف بمن أذنب ممن تبعه، المرسل إلى الإنس والجن، نذير يوم الدينونة، من مدح اسمه على كل لسان، ومن سمعت صوته كل الأذان.

ثمَّ السَّلام على صحابته الأخيار، وأهله الأبرار، طالما ظلَّ في الوجود فعلٌ
للريح والماء والتراب والنَّار^(١)، وطالما نمت الأزهارُ على الأغصان الغضة الخضراء
بين الأشواك.

(١) العناصر الأربعة التي تقوم بها الحياة عند القدماء.

تهيد

كنا قد ذكرنا في المجلد السابق (قدر ما علمنا) أحوال خروج "جنكيزخان" وسيطرته على البلدان، وجلس "قاآن" و"كيوك خان"، وما حدث في عهدهما من وقائع وأحداث (حسب ما تنهاى إلينا من معلومات) كما شرحنا أيضًا أحوال سلاطين خوارزم وغيرهم من الولاة (على قدر ما علمنا) منذ بدء أمر كل منهم حتى انتهاء مدته، وسوف نشرع الآن في هذا المجلد الثالث في ذكر جلوس ملك العالم: "منكوقاآن" على العرش، وما جرى ويجري في عهد "خانيته" من أمور وأحوال، كما نذكر انطلاق "أمير العالم" (هولاكو) صوب البلاد الغربية، وكيف كانت أحوال كل ملك من ملوك العصر وولاة الوقت من طاعة أو عصيان منذ البداية حتى النهاية.

وأستغفر الله ذا الجلال -في كل حال- من بادرات الأعمال وصادرات الأقوال، وأستقيله من غترات الأقلام وهفوات الكلام، طالبًا الصفح من فيض فضله العميم؛ فمن ذا الذي يجبر العاصين غيره.

[٣] ذكر أحوال ألغ نوين وسرقويتى بيكى

يقضى قانون المغول كما تقضى شريعتهم بأن يحل الابن الأصغر الذى تلده الخاتون (السيدة الكبرى) محل أبيه، وقد كان "تولى" - المعروف بـ "ألغ نوين" ^(١) - هو الابن الأصغر للخاتون الكبرى ^(٢).

(١) ألغ نوين (نويان) أى الأمير الكبير، وهو لقب "تولى" الابن الرابع لجنكيزخان (القزوينى).

(٢) الخاتون الكبرى، وأحب زوجات "جنكيز خان" إلى قلبه، وهى سنوجين بيگى، وهى أم أولاده.

الأربعة المذكورين في الحاشية التالية.

غير أن "جنكيز خان" أمر بأن يكون "أوكتاي" هو الخان [من بعده]، ومن ثم أذن "تولي" لوصية أبيه^(١)، وأخذ يبذل كل ما في وسعه للتمهيد لجلوس أوكتاي "قا أن"^(٢) على العرش، ويبذل ما في الوسع من جد واجتهاد؛ لكي يوطئ له أكتاف الملك، وكانت بين الإخوة جميعا -سيما بينه وبين أوكتاي قا أن- من المودة والمحبة ما يفوق درجة الأخوة.

تَجَاوَزَتِ الْقُرْبَى الْمَوَدَّةَ بَيْنَنَا وَأَصْبَحَ أَدْنَى مَا يُعَدُّ الْمُنَاسِبُ

صحب "تولي" القا أن في حملته التي شنّها ضد الخطأ، وأدى تلك المهمة بعزم وكفاية وإصرار، كما سبق ذكره^(٣)، فما كان من تلك الولايات الشرقية إلا أن خضعت وانقادت. فلما رجع موقفاً منصوراً [٤] والدنيا له مُدْعَنَة، والفلك الدُّوَار له صاغر، أصابه مرض -بسبب الإفراط والانهماك في تناول كنوس الراح من الصباح إلى الزواح- لم يمهله أكثر من ثلاثة أيام، ثم ما لبث أن وافاه الأجل.

(بيت فارسي، ترجمته):

هي عادة الفلك الداكن دوماً: إن رأى صفاء من الغم سارع بمحوه.

ولهذا استبد الحزن بالقا أن، وأصابه الضجر والقلق الشديد، وأمضى وقت صحوه في ذكر أخيه الراحل وشوقه إلى لقائه والأنس به.

(١) كان جنكيز خان قد أمر في حياته بأن يخلفه على العرش ابنه "أوكتاي" وهو الثالث من بين أبنائه الأربعة: "جوجي" (توشي) الذي توفي في حياة أبيه، "وجغتاي" و"أوكتاي"، ثم "تولي" الأصغر، الذي كان يتعين أن يتولى الحكم ويحكم شرائع المغول، لكنه كان أكثر إخوته إصراراً على تنفيذ وصية أبيه جنكيز خان بتولية أخيه أوكتاي.

(٢) "قا أن" أو الـ "خان": لقب لإمبراطور المغول.

(٣) انظر الجزء الثاني من الكتاب، وهو السابق على هذا الجزء، ص ١٥٠ وما بعدها من الأصل الفارسي.

فلما تَفَرَّقْنَا كَانِي وَمَالِكَا لِطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا^(١)

وكان القا أن إذا سَكَرَ وسَرَى الخمر في عروقه في الصَّبَوح وفي الغُيُوق
أَجْهَشَ بالبكاء، وقال: إن الباعث على إدمان الخمر إنما هو غلبة الأسي للفراق
المؤلم، وأنا ما أَلْجَأ إلى السُّكْرِ إلا لاجتياح الأسي قلبي حين أفيق ولو بُرْهَة.

(بيت فارسي ترجمته):

السُّكْر خَيْرٌ لَّأَنَّهُ يَبَاعِدُ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي، وَإِلَّا فَكَيْفَ يَسْتَسْلِمُ الْعَقْلُ طَوْعًا
لِلذَّهُولِ.

وظلَّ القا أن حتى آخر عمره محزونًا متَحَزِّقُ الفؤاد على هذا النحو.

ويعد حدوث [٥] الوفاة أمر القا أن بأن يُعَهد إلى زوجة تُولى (الخاتون
سرقويتى بيكى) بتدبير شؤون الدولة.

وسرقويتى بيكى هى ابنة أخي "أونك خان"^(٢)، وهى التى أنجبت لتولى كبار
أبنائه: منكوقا آن، قُبْلا، هولوكو، أريغ بوكا.

(١) لمتمم بن نويرة في رثاء أخيه مالك من جملة أبيات مشهورة جدًا، انظر الأغاني ١٤: ٦٦؛
وطبقات الشعراء لابن قتيبة ص ١٩٣؛ والكامل للمبرّد ص ٧٢٥، ٧٥٧؛ وابن خُلْكان في
ترجمة وثيمة الوشاء، وخزانة الأدب لعبد القادر البغدادي ٣: ٤٩٨؛ وشواهد المغنى للسيوطي
في شواهد اللام (القزويني).

(٢) أونك خان: آخر: ملوك قبائل "كرائيت"، الذين انضموا مع غيرهم تحت راية "جنكيز خان" عندما
أعلن نفسه "خان" المغول، وكانت هذه القبائل تعيش في الواحات الداخلة في صحراء "جوبى"
وجنوب بحيرة بايكال حتى سور الصين، وظلوا طوال القرنين الخامس والسادس الهجريين،
الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، أقوى قبائل المغول، ودانوا بالنصراية منذ أواخر القرن
الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، (راجع عباس إقبال، تاريخ مغول ٦-٧).

وتقرّر أن يكون الأبناء المذكورون والجيش والشعب، والكبير والصغير رهن
حلّها وعقدها، وتحت أمرها ونهيها، فلا يعصى لها أحد أمراً، فوضعت "بيكى" أساساً
لتنشئة الأبناء جميعاً، وتربيتهم، وضبط الدولة، وتحقيق المكانة والهيبة، وتدبير المهام
بحسن الرأى والذراية، ومهدت قاعدة لإرساء هذه المبادئ بشكل لم يكن بوسع أحد أن
يسير الأمور على هذا النحو المتقن الرائع.

وكان "القا آن" لا يبرم أمراً من أمور البلاد أو ينظر في شأن من شئون
الجيش دون أن يستشيرها، ولم يكن يُسمح بإجراء تغيير أو تبديل لما تقوله أو تشير
به، وكانت الرّسل والوفود تقدّم لها مزيداً من الاحترام والتوقير، [٦] أما أتباعها
ورعاياها المنتشرون في أقاصى وأدانى الشرق والغرب، فقد كانوا يتميزون عن أتباع
سائر الأمراء ورعاياهم لمتعتهم بما تُضفيه عليهم من أمن وحماية، وكانوا - شرقاً
وغرباً - مرفّهين منعمين؛ بسبب مبالغتها في الاهتمام بهم، وبذلها كلّ الوسع في
رعايتهم.

وأخذ الولاة والشحنة والجند يلتزمون طريقة النُصفة مع الرعايا؛ خوفاً من عقابها
وضبطها، فإذا أزعج موعِد "القوريلتاي" وحان وقت اجتماع الأمراء، تميّزت بالحسن
والزينة بين أمثالها وأترابها، كما تفوّقت من حيث عدد الحرس والخدم على كل
الرؤساء والأمراء.

ويلغ من حرصها على أمن الرعية خلال عهد "قا آن" أن جماعة من الملوك
كانوا قد دخلوا في نقاش مع بعض رعاياها المقربين بشأن الضرائب والزسوم، وقاموا
بزيادتها (من تلقاء أنفسهم دون أمر منها)، فأرسلت الرّسل لإحضار هؤلاء الملوك؛
لكي يمثلوا أمامها، ويعد إثبات الحجج والبراهين قضت بمعاقتهم بالموت.

وكان من مميّزاتها ضبط أبنائها والأخذ بقيادهم، مع أن كل واحد منهم "خان" (ملك عظيم) وشخصية مُعْتَدّة بنفسها واثقة بسلامة رأيها، وهم يُفَضِّلون سائر الأمراء بالدهاء والذكاء.

[٧] وحين تُوفي الإمبراطور، ويقوا مدّة ينتظرون إجلّاس خان جديد، ظلت طيلة الوقت لا تسمح لأولادها -على الرّغم مما كانوا يتمتّعون به من صلاحية- بإجراء أى تغيير في القوانين القديمة (الياسا)، وهذا ما حدث عندما دُفع "كيوك خان" لتولى منصب الخانية (منصب الإمبراطور)، وأخذوا في البحث والتفتيش عن من انحرف من الأمراء عن الياسا (القانون) والقاعدة المستمرة وأعطى "بايزه" ^(١) و"يرليغ" ^(٢) دون مشورة واتفاق.

فأقر «كيوك خان» بأن يُلغى كل "مثال" ^(٣) و"بايزه"، منذ وفاة "قا آن"، وفي الاجتماع الكبير "الغوريلتاي" وفي حضور الجميع عرضت على الأمراء أغلب الأوامر التي كانت قد صدرت بشأن إطلاق أموال وتولية ولاية وعزلهم، فانتابهم الخجل جميعاً إلا "بيكي" وأبناءها الذين لم يخرجوا على القانون ولو قيد شعرة، فإنهم لم يأبهوا أو تطرف لهم عين؛ وذلك لكمال عقلها وقدرتها على ضبط النفس، وتفكرها في عواقب الأمور، وهو ما يغفل عنه رجال عقلاء مجربون.

فلو كان النّساء كمثّل هذى لفضّلت النّساء على الرّجال ^(٤)

(١) بايزه: كلمة مغولية تعنى لوحة مربعة من الذهب أو الفضة أو النحاس (حسب تفاوت درجة المنصب) منقوش عليها اسم الإمبراطور، تعطى للمسؤولين الكبار، وتُزَع منهم عند عزلهم (لغتنامه دهخدا، وفرهنگ معین).

(٢) يرليغ: كلمة مغولية تعنى المرسوم (القلقشندى، صبح الأعشى ٤: ٤٢٣).

(٣) مثال: الأمر، التعليمات الصادرة من سلطنة عليا.

(٤) للمتنبى من قصيدة يرثى بها والده سيف الدولة. والبيت في قصيدة المتنبى هكذا:

ولو كان النّساء كمن فقدنا لفضّلت النّساء على الرّجال

وقد حدث الشيء نفسه عند جلوس "منكوقا أن" على كرسي "الخانية"، فعقب وفاة كيوك خان، أمر كل واحد بأوامر وأحكام، أما بيكي فقد بذلت منذ أن [٨] توفي زوجها "ألغ نوبين" جهدًا خارقًا في إمالة الجوانب وتأليف القلوب بإرسال التحف والهدايا إلى الأهل والأقارب والأجانب حتى جعلتهم جميعًا منقادين لها متابعين لإرادتها، ونقشت محبتها والولاء لها في ضمائر الناس جميعًا ونفوسهم، ومن ثم، فحين وافت المنية "كيوك خان" أجمعت الغالبية العظمى من الناس على تفويض مفاتيح "الخانية" لابنها "منكوقا أن"، واجتمعت آراؤهم على ذلك إقرارًا بما لها من عقل وذكاء، وبالشهرة التي نالها رأبها ودهاؤها في كل الأقطار؛ ولم يكن أحد يملك لقولها ردًا، وقد وضعت لترتيب البيت ودخول كبار المسؤولين والأجانب عليها، وخروجهم من عندها قواعد يعجز عنها أباطرة العالم.

وظلت على هذا النحو حتى وضع الله تعالى عروس الملك في جُز رعاية "منكوقا أن" بفضل ما لديه من خبرة ودراية، فكانت يدها على الدوام طليقة بالبذل والإحسان. وعلى الرغم من أنها كانت من أتباع المسيحية، ومن العاملين على دعمها، فإنها كانت تتفق الكثير من الصدقات والعطايا لأئمة الإسلام ومشايخ المسلمين، كما كانت تبذل ما في الوسع في إحياء الشعائر التي سنتها شريعة دين محمد - صلى الله عليه وسلم؛ والدليل على [٩] صدق هذا الكلام أنها أمرت بإنفاق ألف "بالش"^(١) من الفضة لإنشاء مدرسة في "بخارى"، وبأن يكون شيخ الإسلام "سيف الدين البخارزي" هو المسئول عن تنفيذ هذا الأمر والقائم عليه، كما أمرت بشراء العديد من القرى وأوقفها على المدرسة، وعيّنت المدرسين وطلبة العلم، وكانت تبعث على الدوام بالصدقات إلى مختلف النواحي والأطراف، وتخص بها مساكن المسلمين ونظراءهم، وظلت على هذا النحو حتى ناداها هادم اللذات بنداء الرحيل في ذي الحجة سنة تسع وأربعين وثمانمائة/ سنة إحدى وخمسين ومائتين وألف ميلادية.

(١) البالش من الفضة: يعادل ثمانية دراهم ومثقالين ويساوي مائتي دينار. (فرهنگ معین).

[١٠] ذِكْرُ أَحْوَالِ بَجْمَنُ وَاسْتِنصَالِهِ

حين أرسل القا أن^(١) كلا من "منكوقا أن" و"باتو" وغيرهما من الأمراء لغزو بلاد البلغار وآس^(٢) والروس وقبائل القفجاق وآلان وغيرها من القبائل، خلت تلك البقاع من المفسدين وخضعت رقاب كل من نجا من السيف وأذعنت بالطاعة.

غير أن واحداً من متهتكى أمراء القفجاق - يُدعى بَجْمَنُ - نهض في جماعة من محاربي القفجاق وانضم إليه جماعة من الفازين. ولما لم يكن له ملجأ ومكمن يلوذ به ويحتمى فيه اتخذ لنفسه كل نهار موضعاً وكل ليلة مكاناً، ولفرط ما جُبِلَ عليه من شراسة أخذ يثب على ناحية كالذئب الضارى ثم ينصرف عنها بعد أن يسلب شيئاً، وأخذ شره يستطير يوماً بعد يوم ويزداد ما يثيره من فتن ومفاسد، وكلما اقتفى الجيش أثره لم يظفر به إذ كان يتنقل من مكان إلى آخر ويعفو ما وراءه من أثر.

وكانت أغلب الأماكن التي يلجأ إليها ويختبئ بها تقع على سواحل نهر "إيثيل"^(٣)، حيث كان يتوارى ويختفى في الغابات والأدغال التي تكتنف النهر، ويخرج فجأة كابن آوى، ويسطو على شيء ثم يعود إلى الاختفاء.

فأمر الملك "منكو قا أن" بأن يُصنع ٢٠٠ قارب وأن يُسحن في كل واحد منها ١٠٠ مغولى تامّ السلاح، وأبحر هو وأخوه "بوجك"^(٤) فأخذوا يقومان بجولة على

(١) يعنى: أوكتاي قا أن.

(٢) يفصل المؤلف بين "آس" و"آلان" وهما شعب واحد (فالديمير مينورسكى في تعليقاته على الترجمة الإنجليزية للكتاب ص ٥٥٣).

(٣) إيثيل، أو إئل: هو نهر الفولجا.

(٤) آخر "منكو" لأبيه.

جانبى النهر حتى وصلا إلى دغلة من دغلات نهر "إيثيل"، فعثرا على آثار حوافر جياذ بدا وكأنها ارتحلت لتوها عند الصّباح، وكانت قد تناثرت في الساحة مركبات محطمة وبعض [١١] ما تخلف حديثاً من رَوْثٍ وفَرْثٍ، وبين هذه البقايا لمحا امرأة عجوزا مريضة، فسألاها عما حدث، ومن هم الفرسان، وأين هم، وما خطبهم؟

فاكتشفا أن "بجمن" قد ارتحل لتوه ولجأ إلى جزيرة وسط النهر، وأن كل ما كان قد سلبه من دوابٍ وثياب طيلة فترة تمرّده إنما يوجد بأجمعه في تلك الجزيرة.

ولما لم يكن معهما قوارب والنّهر يموج كالبحر، كان من المستحيل على أحد أن يسبح فيه، فما بالك بركوب الخيل والخوض بها فيه. وفجأة هبّت ريح عاصفة أزاحت الماء جانبا عن ممَر الجزيرة فأنكشف القاع، فأمر "منكوكا أن" القوات بالتقدم دون إبطاء، وبلغت "بجمن" بالقبض عليه، وتم تدمير جيشه في ساعة واحدة، إذ ألقي بعضهم في النهر وقُتل الباقون بأسرهم، وساق المغول نساءهم وأطفالهم أسرى، وظفروا بغنائم وفيرة من نعمة ومال، ثم ما لبثوا أن عادوا. وبدأ الماء في الحركة فما إن عبرت القوّات حتى عاد الماء إلى ما كان عليه دون أن يصاب أى جندي منهم بأذى من الماء.

وحين أتوا ببجمن لكى يمثل أمام "منكوكا أن" التمس أن يكون قتله بيد "منكو"، لكنه أمر أخاه الأصغر "بوچك" بشقّه نصفين.

وهذه العلامات والبشارات إنّما تدل على أن انتقال السلطة ومفتاح الإمبراطورية إلى ملك العالم منكوكا أن لا يحتاج إلى مزيد من بيّنة.

[١٢] ذكر جلوس سلطان الأقاليم السبعة الملك العادل منكوقا آن
على عرش الخانية وبسطه بساط العدل الأنوشيروانى، وإحياء مراسم
الهيمنة، وإرساء تقاليد الملك.

إذا أراد الحق -جل وعلا- أن يقيم واحداً من عبادہ رئيساً ويضع على رأسه
تاج الملك وقلنسوة الحكم، لى يصبح العالمُ الحربُ بإنصافه وعدله معمرًا، ويغدو
نصيب ساكنى الزرع المسكون وقاطنيه بفيض مرحمته موفورًا، زين لباس وجوده
بطرار السعادة منذ البداية بفطرة: خلق الأرواح قبل الأجساد، وأنار روحه بأنوار
الحصافة، فإن هبط من العالم العلوى إلى المقام السفلى رتب طبعه في مهاد العقل
والكياسة، ووضع صدر مربية اللحم والزمانة في فم وعيه الداخلى، وألهمه الأفعال
والأعمال الرشيدة والأقوال السديدة، وكبح جماحه في الموارد والمصادر [١٣] بلجام
الفعل، حتى يترقى يومًا بعد يوم في مراتب المعالى، فيتلقى ساعة بعد ساعة التعاليم
من الإقبال والسعادة (أبيات فارسية، ترجمتها:)

-حين تريد السعادة أن ترتى وردة، تُظهرها ومن ثم يريد لها رجل.

-يحبك الإقبال قلنسوة في البداية، ومن ثم يضعها على رأس ملك.

-والغواص يستخرج الدرر من البحر، فلا تلبث إلا قليلاً حتى تحظى بموضع
على أروع الشجان.

ومن ثم، فحين يأتى وقت تجلى الحكمة والقدرة من مطلع شمس العزة
والجلال، تنتفس تباشير إسفار صباح السعادة، فمن البداية، ويمقتضى ما قيل:

ويضدها تتبين الأشياء^(١).

يمتلئ العالم -بحكم القضاء المبرم- بظلمات الظلم والعدوان، وتغدو حلوة الحياة ولذة العيش في مرارة المزم^(٢) في مذاق الروح، حتى إذا ما انتقلت السعادة من القوة إلى الفعل ومن العدم إلى الوجود عرف العباد قدر هذه الموهبة الجسيمة وأدوا شكر هذه النعمة العظيمة.

ومصدق هذه الدعوى وبرهان هذا المعنى أن أمور العالم قد انحرفت عن النهج السديد بعد وفاة "قا آن"، وانعطف عنان المعاملة وتحزى المجاملة والإحسان بعيداً عن ناحية الصدق والصواب، وتراكمت ظلمات الظلم بعضها فوق بعض وتلاطمت أمواج بحار الأحداث، وسحق الناس وداستهم الأقدام على يد كبار المسؤولين وتركوا -كثرة الظلم- بغير مال [١٤] ومتاع؛ وصار كأس العالم مُمزغاً بشراب الجور، ونزل المبعوثون على أقطار الأرض كقطرات المطر، وانطلق المحصلون لتحصيل الضرائب الجائرة كما ينطلق السهم من القوس، والناس حيارى موزعون بين هذا وذاك، لم يكن بوسعهم الاستقرار ولا يعرفون مكاناً للقرار. (بيت فارسي، ترجمته):

بلغ جفاء القبة الدوارة درجة لا يتصور أن تعلو عليها درجة

(١) صدره: ونديهم وبهم عرفنا فضلَه، للمتنبى من قصيدة مطلعها:

أمن ازيارِك في الدجى الرُقباء إذ حيث كُنْتُ من الظلام ضياء
(٢) المزم: صمغ شجرة له مذاق مز ورائحة حلوة (بالفرنسية myrrh)، والمراد هنا مرارته لا رائحته الحلوة.

غير أن الحيف والظلم حين بلغ الغاية ووصل الغشَم والفساد إلى الذروة تحقّق الحديث: "اشتدّى أزمة تنفرجى"^(١)، وصدقت الآية: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ﴾ [الشرح].
وفُتحت أبواب ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ...﴾ [فاطر]،
وتنهيات أسباب:

إذا تضايق أمرٌ فانتظر فرجاً فاضيقُ الأمرُ أدناه من الفرَج
(أبيات فارسية، ترجمتها):

- جاء الطرب بعد الحزن مثلما، وصل نسيم كوكبة لطف الربيع وقت
الخريف.

- وتعالّت من الحفل ضرياتُ الطبول وصوتُ النّاي وأنيئُ الصنّج، حتى بلغت
الفلك الأخضر من الكون.

[١٥] والطرفة التي يمكن أن تنتج عن هذا كله هي: وصل إلينا مدد من
لطف الخلاق.

أعنى أن مفاتيح مملكة: ﴿... إِنَّكَ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ...﴾ [الأعراف]. قد سلّمت إلى مقدرة الشاهنشاه الأعظم ملك بني آدم
خان خانات العرب والعجم، فليظل عمره باقياً إلى انقراض العالم، فأخذت الأرض

(١) في الأصل، اشتدّى تنفرجى، وقد جعل أحد العلماء هذا الحديث موضوعاً لقصيدة عُرفت
بالقصيدة المنفرجة ومطلعها:

اشتدّى أزمة تنفرجى قد آذن ليلىك بالنّج
ولمزيد من التفصيل راجع "حاجى خليفة" تحت "القصيدة المنفرجة". (القروينى).

زخرفها وازينت من جديد؛ وازدهرت أحوال الناس عامة وراج سوق أهل الإسلام وانتعش، وهو ما سوف نتبين كیفيته من خلال وصف الأحداث وما سوف تُدرك حقيقته من ثنايا الفصول التي سيتم تحريرها، وعلى فضل ربنا التكلان، إنه هو المستعان.

انطلق "باتو" من معسكره في بلاد "البُلغار" و"سُسين" عاقدا العزم على المبادرة إلى الالتحاق بحضرة "كيوك خان" فوصل إلى "آلا - قَماق"، والتي تبعد مسافة سبعة أيام عن مدينة "قيالينغ"، وهناك سمع [١٦] نبأ وفاة "كيوك خان"، فتوقف هناك وأرسل الرسل وأتبعهم برسل آخرين إلى أقاربه وعشيرته للإعلان عن وصوله، وطلب حضورهم إليه بأنفسهم.

وانطلق "منكوقا أن" من إقليم قراقورم، أما "سيرامون" وغيره من أحفاد القا آن ونسائه ممن كانوا في ذلك الإقليم فقد أرسلوا قنقور بقای نُوين" - أمير قراقورم - لکی یحل محلهم؛ وكتبوا إقرارا أقروا فيه بخطهم أن: باتو هو "سيد" لكل الأمراء، وأنه إن أمر بأمر فهو نافذ، وكلنا به راضون، ولن نرفض أى شيء يشير به ويراه صوابا.

أما الأمراء الآخرون، أبناء "كيوك خان"، ممن كانوا موجودين في المناطق المجاورة فقد وفدوا على "باتو" وهم يتقدمون الجميع، وبقوا يوما أو يومين، ثم عادوا أدرأجهم إلى معسكرهم دون أن يُسمح لهم بذلك بحجة أن مجموعة الأطباء العاملين بعلم "قام"^(١) لم يأذنوا لهم بمزيد من البقاء، وتركوا تيمور نوين؛ لکی یقوم مقامهم في خدمة "باتو"، وزودوا تيمور نوين بتعليمات تقضى بأن يوافق [بالنيابة عنهم] على

(١) قام: كلمة مغولية معناها الساحر أو من يأخذ الفأل، جمعيا: قَامَات؛ وتعنى جماعة من الأويغور أو من أهل الصين يزعمون أنهم قادرين على أخذ الفأل أو الزجر عن طريق النظر إلى أكتاف الأغنام. (دهخدا).

كل ما يتفق عليه "آقا" و "إيني" وذلك حين ينتظم عقد الاجتماع ويتم التشاور، ومن ثم أتى الأمراء من كل جانب؛ فمن أبناء "قا آن" جاء "قدغان أوغول" ومن أبناء "جغتاي" وأحفاده [١٧] وصل "قراهورلاكو" ^(١) و"موچی" ^(٢)، [كما جاء أيضا] "منكوقا آن" مع أخويه "موكا" و"أريغ بوكا"، ومن الأمراء "أوهتاي" و"تيسو بوقا"، بينما قدم من مختلف النواحي الأمراء و"النوينان" ^(٣) وغيرهم من أبناء الملوك وأبناء إخوة "باتو"، فعقدوا اجتماعا كبيرا، وبعد أن احتفلوا أياما عدة شرعوا في التشاور في أمر تفويض "الخانية" لمن هو أهل لها قد خبر الحسَّ والقبح والخير والشر، وذاق الحلو والمر وقاد الجيوش إلى الأقاصى والأداني، وكان في السُّلم علما وفي الحرب مظفرا، وظلوا يتدبرون ويفكرون مليا ليألي وأياما في هذا الأمر: من من الأبناء والأحفاد من نسل وذرية جنكيز خان يمكنه بالرأى الصائب والفكر الثاقب ضبط البلاد والممالك وحراسة الطرق والمسالك؛ لأن شئون الإمبراطورية لو ظلت مهمة على هذا النحو الذي هي عليه لاختلت قاعدة الأمور والمصالح العامة وانحلت عقود الإدارة حيث لن يكون رتقها وفثقها ميسرا بيد العقل والحكمة أو بيد التدبير والسياسة وسوف يكون من المستحيل إصلاحها [١٨] بإمعان الفكر:

وليس يهلك منا سيّد أبدا إلا افتلينا غلاما سيّدا فينا ^(٤)

(١) المراد به قراهورلاكو بن ماتيكاز بن جغتاي بن جنكيز خان، ويشار إليه في هذا الكتاب أحيانا بـ

"قرا أوغول" أو "قرا" فقط، (انظر فهرست ج ١، ٢ من هذا الكتاب). (القزويني).

(٢) هو الابن البكر لـ "جغتاي"، وأبو تكودار أوغول الذي قدم مع هولاكو إلى إيران... (القزويني).

(٣) جمع "نوين"، وهو القائد الكبير.

(٤) من جملة أبيات لبشامة بن خزن النهرشلي، وقد تقدم بيت منها في ج ١ ص ١٤٣ من صفحات

الأصل، انظر شرح الحماسة للتبريزي، طبع بولاق ج ١ ص ٥٣، والكامل للمبرد ص ٦٤ - ٦٥،

وطبقات الشعراء لابن قتيبة ص ٤٠٥، وخزانة الأدب ج ٣ ص ٥١٠ - ٥١١ (القزويني).

وأخيرًا، وبعد طول تدبّر وتفكّر توصّل كل من حضر ذلك الاجتماع من أبناء الملوك والأمراء والنوّينان - إلى قرار؛ وهو أن "باتو" هو الأكبر سنًا من بين الأمراء، وهو القائد فيهم وهو أدري من غيره بمواطن الصلاح والفساد في أمور المملكة، والأمر راجع إليه في أن يصبح هو نفسه "الخان" أو يقترح تنصيب شخص آخر.

ولما اتفقوا جميعًا على هذا القرار، أعطوا تعهّداً مكتوبةً بأننا لن نرجع عن ما قلناه بأى وجه من الوجوه ولن نخالف أمر "باتو".

وما إن انتهوا إلى هذه النتيجة واختتموا النقاش في ذلك اليوم حتى بدعوا في شرب الخمر وإقامة الاحتفالات، والأفراح.

وفى اليوم التالى حين نشر النّهار لواء النّور وانزاح حجاب الظّلام انتظم عِقد اجتماع الأمراء -كأنه الثّريا- وفقًا لما كان قد تقرّر بالأمس: (بيتان من الشعر الفارسى ترجمتهما):

-يوم أن أضاء المصباح المنير للعالم،

استتارت العين بنوره

-تنفّس صباحه من الجنّة

جرّبت نسماؤه نفس المسيح (فأحييت الموتى)

وقد التزم "باتو" بما كان قد قيل من قبل، ولم يزد عليه شيئًا إلا أنه قال: إن السيطرة على مملكة ضخمة كهذه المملكة وإدارة مثل هذا العمل الحساس أمر لا يتاح إلا لمن [١٩] يستطيع أن يخلّص نفسه من مآزق ومضايق المداخل والمخارج، يكون عارفاً بـ "ياسا" (دمستور) جنكيز خان وبالأعراف والرسوم التي جرى عليها "قا أن"، ويحرز قصب السبق في حلّبات الحكمة ومِضمّار الرّجولة على كلّ ندٍ وقرين،

شخصٍ باشر بنفسه الأمور المهمة يتصدى لعظائم الأمور ويظهر البراهين المعجزة في تذليل الصعاب وإذلال الرقاب.

إن "منكوقا آن" - من نسل جنكيز خان - موصوف ومذكور بالدهاء والشجاعة كما أنه معروف ومشهور بالفطنة والحسم، إن شئون "الخانية" لا بد أن تستقر وتتظم بحسن رأيه الذي يزين العالم، ومصالح البلاد ورفاهية العباد إنما تترسخ بيمين عزمه وتتدعم بتدبيره الذي يحل كل عقدة.

(بيت شعر بالفارسية، ترجمته):

في هذا العالم يظهر الله على الدوام عملاً لكل رجل ورجلاً لكل عمل

"ولكل عمل رجال . وكلّ مُيسر لما خلق له".

سوف أودع عنان هذا الأمر في كفّ كفاءته، وأضع خاتم الإمبراطورية في إصبع عزمته وخبرته؛ لأن هذا الحصان الجامح - أعنى الزمان - إنما يتم ترويضه تحت قياد سياسته وحنكته، وسيف حماية جمهور الرعية وحماية الحدود والتغور إنما ينسل من غمد عزمه وجسارته.

سمع الحاضرون هذه الكلمات بأذن العقل والوعي فأيقنوا أن تبعات هذا الأمر وفوائده إنما تعود على الجنس البشري بعامّة وعليهم بخاصّة وكل ما يتجاوز هذا الحد فهو زائد عن الحاجة: فإنك إن تعذبت الاستقامة فتمّ التواء، وقالوا بأجمعهم:

"أعطيت القوس باريها وأسكنت الدار [٢٠] بانيها"^(١)، وليس وراء هذه المرحلة معتبر وليس هناك من طريق بعد، "وليس وراء عبّادان قرية"^(٢)، وكان كل منهم يقول حقيقة على سبيل التمثيل.

(١) من المقامة السادسة من مقامات الحريري (القزويني).

(٢) مجمع الأمثال في باب اللام في أمثال المولدين بلا تفسير (القزويني) "عبّادان": كانت تقع على شاطئ البحر مباشرة، راجع: لوسترينج، بلدان الخلافة الشرقية.

(بيت فارسي، ترجمته):

إن أنا قطعْتُ قلبي منك وصرفْتُ الحُبَّ عنك، فعلى مَنْ ألقى ذلك الحُبَّ وإلى
أين أحمل ذلك القلب^(١).

وكل جوهرة تستريح حين تجد موضعها المناسب.

غير أن "منكوقا أن" لم يكن راضيا بذلك، وظلَّ على رفضه لعدة أيام، فلم يكن
ليتحمل هذه المهمة الجسيمة أو يتقبل هذه الأمانة الثقيلة. ولما تجاوز إلحاحه وإصراره
(على الرفض) كل الحدود نهض أخوه "موكا أغول" - وكان يتمتع بزيانة العقل
والوقار - على قدميه ثم قال: لقد أعطينا كلنا مواثيقنا كتابة في الاجتماع ووعدنا فيه
بالأ تعرض عن أمر "باتو قا أن"، وألا نعهد إلى إحداث تغيير وتبديل في قراره، وألا
نتطلع إلى ما يزيد على قوله، ولكن طالما أن "منكوقا أن" يرغب الآن في العدول عن
مشورة الـ "آقا" والانصراف عما أمر به، فلن يكون هناك مجال لاعتراض إذا ما أقدم
"آقا" و"إيني" على إعلان الاحتجاج على أي أمر من الأمور، أو يبقى مجال
للمساءلة.

واستمرَّ في الحديث على هذا المنوال ونظم بِمَاسِ اللسان دُرَّر هذا الأمر. لقد
كانت الحُجَّة قاطعة وكان البرهان ساطعا، وأنتى "باتو" على ما قال وأشاد بـ "موكا"،
فما لبث أن رَضِيَ "منكوقا أن" والتزم.

ولما [٢١] كان بديعُ صنَّع الله قد جعل غصنَ المُلْكِ أصله ثابت وفرعه في
السماء عند نهر "وجعلناكم ملوكا"، فإن "باتو" نهض قائما كما هي عادة المغول -

(١) البيت من غزل للشاعر الفارسي كمال الدين إسماعيل.

وسجد له كل الأمراء و"النوينان". فأخذ "باتو" الكأس وأقرّ "الخانية" في مكانها المناسب، ووافقه على ذلك كل الخطّاب والطلّاب^(١):

أَتَتْكَ الإِمَارَةُ مُنْقَادَةً إِلَيْكَ تُجَرَّرُ أَذْيَالُهَا
وَلَمْ تَكُ تَصْلُحْ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكُ يَصْلُحْ إِلَّا لَهَا
وَلَوْ رَامَهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ لَزُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زَلْزَالَهَا^(٢)

فتبّعهم كلُّ من كان حاضراً في ذلك الاجتماع وبايعوا، واستقر رأيهم على عقد اجتماع كبير في السّنة الجديدة في "أَنان كِلْزَن"^(٣)، وعلى هذا العزم رجع كل واحد منهم إلى معسكره.

وقد انتشرت هذه الأنباء في أطراف الدنيا وسرت في أكناف العالم، وبدأت "سرقويتى بيكى" في الاهتمام الخاص بالأجانب وبذل كل أنواع التلطّف والمودّة لهم كما أخذت في استمالة العشائر والأقارب بكل أنواع الرّقق واللّين.

أما بالنسبة إلى من أخذوا يتحدّثون من أجل صدّ هذا الباب [٢٢] وتأجيل النظر في الأمر، فقد شرعوا في تليق القصاص وتأليف الحكايات بالمكر والحيلة وأخذوا يحتجّون بأن الخانية يجب أن تبقى في دُرّة "قا آن" أو "كيوك خان"، ناسين الحكمة القائلة: ﴿... تَوَقَّ الْمُلُوكَ مَنْ تَشَاءُ ...﴾ (آل عمران)، ومن ثم أرسلوا الرّسل تلو الرّسل إلى كل النواحي كما أرسلوا رسائل إلى "باتو"؛ لكي يقولوا: نحن بعيّدون عن هذا الاتّفاق ولسنا راضين بهذه المبايعة والميثاق.

(١) يعنى -فيما يبدو- الشيوخ والشباب، وربما كانت إشارة إلى رجال الدين البوذيين، انظر "بويل"، الترجمة الإنجليزيّة جيهانگشاي p.561, f.n.24.

(٢) من قصيدة لأبى العتاهية يمدح بها الخليفة المهدي العباسي، انظر الأغاني ج ٣ ص ١٤٢ وابن خلّكان في "إسماعيل". (القزويني)

(٣) اسم نهرين يقعان في شمال منغوليا (القزويني)، ولعله يريد الأراضي الواقعة بينهما.

وكان "باتو" يردّ عليهم بقول: "لقد قرّرنا هذا الأمر بموافقة "آقا" و"إبنى" وقد انتهى النقاش في الموضوع ﴿... قُضِيَ الْأَمْرُ إِلَيْهِ فِيهِ تَسْفِيَتَانِ﴾ [يوسف] ومن المستحيل نقضه، وإذا لم يسر الأمر على هذا النحو وإذا تمّ ترشيح شخص آخر غير "منكوقا أن"، فسوف ينحلّ نظام الأمور ويتطرق الخلل إلى قوانين البلاد ومصالح الرعيّة بشكل يصبح تداركه وتلافيه مستحيلاً، لو قُيِّض لكم أن تنظروا في الأمر نظرة تفكر وتتمعّن واستشراف للمستقبل فسوف يتبيّن لكم أن مصلحة أبناء "قا أن" وأحفاده قد تمت مراعاتها بالفعل، لأن إدارة إمبراطوريّة كبيرة كهذه - قد اتسعت من أقصى المشرق إلى منتهى المغرب - أمر لا تقدر عليه سواعد الصّبيان ولا تستوعبه معارفهم ومداركهم.

ولم تلبث السنّة -التي تمّ تحديدها- أن انتهت في هذا القيل والقال، وانتصفت السنّة التي تلتها ولم تبدّ لهذا الأمر نهاية، بينما أخذت أمور العالم تزداد سوءاً في كل عام يمرّ، وأخذ رداء العيش الذي يلبسه الناس يزداد تمرّقاً مع كل شهر يمضى.

وأرسل "باتو" أخويه "بركه" و"تقَاتيمور" نيابة عنه [٢٣] وتوجّه "قَدْغان" أيضاً، كما فعل ذلك أيضاً "قراهُولاكو"، وبدأ الأمراء الآخرون ممن كانوا على رأى واحد في التّحرّك والمسير.

ومن "ألغ - إف" - معسكر "جنكيز خان" - جاء أمراء آخرون^(١).

(١) "ألغ - إف" أى البيت الكبير، لم يكن معسكر جنكيز خان، بل كان معسكر ابنه جغتاي. وربما كان الاسم يُطلق على معسكرات أخرى، على أنه من غير الممكن أن يكون "معسكر جغتاي" هو المقصود لأنّ خليفته قرا - هولاكو قد ورد اسمه بالفعل وكأنه قادم من مكان آخر. راجع القزويني، هامش ٣ ص ٢٢، والترجمة الإنجليزية لبويل، ص ٥٦٢.

وفى تلك الأثناء أرسل "منكو قا آن" و"سرقويتى بيكى" إلى الطائفة التي لم تُدْعن أو ترض، سالكين في ذلك طريق المراعاة والموالة والنصح بهدف تذكيرهم بالمثل العربى: "الإيناسُ قَبْلَ الإيناس" ^(١)، لكن المواعظ والنصائح لم يكن لها أثر فيهم [٢٤] ولم يبد أن هناك دليلاً يدل على أى تغيير في موقفهم، وأخذوا يُرسلان إليهم الرسائل تُلَوِّ الرسائل تارة باللطف وتارة أخرى بالشدة والزجر والتَّهديد؛ وهكذا لزمهم الحُجَّة لعَلَّهم يرتدعون بالرفق والمداراة وينتبهون من نوم الغرور والغفلة، لقد قالت الحكمة بما لها من بُعد نظر:

يا عَاذِلَ العاشقين دَغَ فِتْنَةً أَضَلَّهَا اللهُ كَيْفَ تُرْشِدُهَا
لَيْسَ يُحِيكَ المُلَامُ فِي هِمَمٍ أَقْرَبُهَا مِنْكَ عَنْكَ أَبْعَدُهَا ^(٢)

(بيت شعر بالفارسية، ترجمته)

التَّعَسُّ لا يعمل عملاً امْتِثَالاً لقول عاقل،

ولا يغدو التَّعَسُّ بالحيلة فائزًا أبداً

حين آذنت تلك السَّنة بالانتهاء ^(٣)، وأخذت بشائر الربيع يتوالى وصولها، بدأ ملك النجوم يسارع في الصعود بالتدرج من منازل الهبوط والوبال إلى أوج درجات العز والجلال، وصَحَّ عزمه على الانطلاق صوب منزل الشرف والمجد، مثل خسرو پرويز ^(٤) المنتصر حين يَمُّ وجهه -الذى ينير العالم- صوب مستقرِّ الملك والسلطة، وعندما وضع جملُ الملك على محمل بُرج "الخَمَلُ" أخذت الرياح اللواحق تحرك فروع الرياح وكأنها في اعتدالها تشبه نسيم الشمال يهب من مخدع الورود، فتتحرك هذه

(١) انظر مجمع الأمثال للميداني، طبع مصر، ج ١ ص ٣٩.

(٢) البيتان للمنتبى.

(٣) يعنى بيا - دون شك - السنة الفارسية التي تنتهى بنهاية الشتاء، وتبدأ السنة الجديدة بالربيع.

(٤) آخر أباطرة الساسانيين العظام (٥٩٠ - ٦٢٨ م).

الفروع بهبوبها ذات اليمين واليسار. والبرك المتجمدة التي ظلت أسيرة لبرد شهر
"ذئ"^(١) وبقيت [٢٥] كالثلج في قيد "تهمن"^(٢) غدت بفعل ريح الصبا منشرجة القلب
منطلقة لا يمسكها عنان.

(بيت فارسي، ترجمته):

يسغي ريح الصبا ظهرت على سطح الماء آلاف التموجات، ومن كل موجة
تصعد ألف نافجة من المسك العطر

لقد أصبحت تربة الأرض دافئة معتدلة المزاج، وأخذت قوى الطبيعة تهتز
اهتزازًا بالنشوء والنماء، وصدحت الطيور في المروج والزياض.

(شعر فارسي، ترجمته):

-وَجِب علينا الآن شرب الخمر الفراح، فريح المسك تهب من الغدير.

-والبستان كله مغشى بأوراق الورود، والجبل بأجمعه مملوء بشقائق النعمان

والأقحوان.

انطلق ماء الغضارة والنضارة يجرى ويتدفق في روح العالم، ورفعت أغصان
الشجر رقابها في السماء وأطلت برعوسها الخضراء، أما البساتين -شأنها شأن
الخواتين المتأنقات المفعمات بالحيوية والنشاط- فقد أخذت تنمو وتزدهر يومًا بعد يوم
فتبدو على النحو الذي تهواه القلوب.

وبراعم الزهر والنيلوفر بدت -في تنوعها وتعدد أشكالها- فائنة تأخذ بالألباب،
وسلب الأرجوان اللون من الوجنات والخدود، واستعار الأقحوان البريق والصفاء من
أسنان الحبيب.

(١) يعادل شهرى ديسمبر - يناير من السنة الميلادية .

(٢) يعادل شهرى يناير - فبراير من السنة الميلادية.

ومن ذؤابة الشعر المسكية طابت رائحة البنفسج وانطوى على نفسه كؤجه
العشاق.

كانت الورود - وهي في براعمها - تبدو كالحسنات ذات الدلال والنعيم المقيم،
ولفت الياسمين في الروض الأنظار، وزان النسرين الأرض كما يزين النسران^(١)
السماء، وأضاءت زهور النرجس البستان فبدت كأن الأتراك يحملون كنانة السهام
شامخي الرعوس، وفم زهرة "شقيقة النعمان" يشبه فم قدح يجد لذة ومتعة في
(ارتشاف) الخمر [٢٦] ويخيل إليك أن الأنهار الجارية صحائف (سيوف) هندية
تبرق قد زينتها الأحجار الكريمة؛ بسبب إيثار الأزهار وما تنتثره عليها من بثر.

وصدحت البلابل بصوتها الشجي تنترم بألاف الأنغام في مدح المروج
والرياض، بينما يترنم المطربون معها بلحن العندليب.

وفيما يلي قطعة شعر في فن "الملمع"^(٢) قالها صاحب ديوان الممالك - مد الله
في عمره مداً^(٣) - كان قد نظمها في عنفوان الصبا فبدت وكأنها أنفاس نسيم الصبا
وقام بالتفريق بينها فصارت وزدا لنغمات القيثارة والأرغن ليل نهار:

لقد ناحت على العود القمارى وفاح الروض كالعود القمارى

(بيت فارسي من الملمع، ترجمته):

تعطر الجو كأنه مضمخ بالمسك جدير بك أن تحيي الليل في خلوة مع الحبيب

أدر يا صاحبي الكاسات تطرب على وجه الخزامى والبهار

(١) النسران: هما مجموعة من النجوم اللامعة تسمى العقاب والنسر الواقع.

(٢) الملمع: الذي يتألف من بيت عربي وآخر فارسي، في المعنى نفسه.

(٣) المؤلف يعنى بصاحب الممالك أباه: بهاء الدين محمد.

(بيت فارسی من الملمع، ترجمته):

أما وقد تهيأت أسباب اللّهُو والحبور، ألا يرضيك أن تسعى لوصولنا هذه
الليلة وحدها".

اعتدل الجوّ وفق المُراد كاعتدال أيام الوصال مع فتاة حسناء ذات خال،
وتبدّل سقم السنّة فصار صحّة وعافية، وصارت الدنّيا روضة والموسم مثلاًفاً:
هذا الربيع وهذه أنواره طابت لياليه وطاب نهاره^(١)

فاجتمع أغلب الأمراء في "كلران". وأرسلوا "شيلامون بيتكجي" [٢٧] إلى
"أوغول - غايمش" وابنيها "خواجه" و"ناقو"، كما أرسلوا "عَلَم دار"^(٢) بيتكجي إلى "ييسو
- منكو" بالرسالة التالية: "لقد جمعت غالبية أفراد عائلة جنكيز خان وتعلّ عمل
الاجتماع الكبير (القوريلتاي) حتى الآن انتظاراً لقدمكم، ولم تبق مهلة للاعتذار
والتباطؤ، فإن كنتم تزمعون الإجماع والوحدة فعليكم المبادرة بالحضور في التّو إلى
الاجتماع الكبير حتى يتم تدبير مصالح البلاد بالاتّفاق وينزاح نقاب شوائب النّفور
والفرقة عن وجه الوفاق".

وكان "سيرامون" قد بعث -فيما سبق- بالرسل إلى "خواجه" و"ناقو"، وحدث
بينهم تألف ومصافاة، فقد قيل:

عند الشّدائد تذهبُ الأحقاد^(٣)

(١) من جملة أبيات لأبي الغنائم بن حمدان الموصلي، ذكرها الثعالبي في تشمة البيتية في محاسن
أهل الشام والجزيرة. (القرويني).

(٢) رجل مغولي تسمى باسم فارسي (عَلَم دار) أي حامل العلم، راجع جامع التواريخ، طبع بلوشيه،
ص ٣٨٣ (بول).

(٣) غجّر بيت لعويف القوافي، انظر شرح الحماسة للتبريزي، طبع بولاق ١: ١٣٩-١٤٠
(القرويني).

وحين أيقنوا أن لا فائدة من وراء الخلاف انطلق "تاقو أغول"، كما انطلق "قدائق ثوين" وعدد من أمراء بلاط "كيوك خان"، كذلك وصل [٢٨] "تيسون - توكا أغول" أخو "قرا- هولاكو" قادمًا من مقره، وقد استقر رأيهم على موافقتهم، حيث انضم إلى "سيرامون" وتجمع الثلاثة في موضع واحد، وقد أشيع أنهم يدبرون أمراً ضد المسلمين.

ومن ثم، بدأ "خواجه" يتحرك بدوره متمهلاً، وأخذ يقول: "اليوم" و"غدا"، تاركاً الوقت يمر بـ "عل" و"عسى"، وقد ظلوا جميعاً يظنون أن: عمل "القوريلتاي" لا يمكن أن يمضي قدماً أو يتحقق له النجاح إلا بحضورنا، وأن مسألة [انعقاد الاجتماع] لا يمكن أن تكون كافية [دون وجودنا].

ونظرًا لأن "سيرامون" و"تاقو" كانا هما الأكثر قربًا، فإن أبناء الملوك والأمراء "والنوينان" (كبار القادة) الموجودين في معية "منكوقا أن" أرسلوا رسالة موحدة إليهما قائلين فيها: "إن كنتم ترمعون التأخر والإبطاء في الانضمام إلى الاجتماع فسوف نعد نحن إلى رفع "منكوقا أن" إلى "الخانية"، ولأنهم أيقنوا أن التأخر والمماطلة لن تُفضي إلى تحقيق المقاصد والأغراض فقد وعدوا بالوصول إلى الاجتماع في الوقت الفلاني، وساروا مثل ثوابت الكواكب وأخذوا يتحركون ببطء بالخيول والفرسان والعساكر والكثائب [٢٩] بالإبل المحملة بالأثقال ويأعداد لا حصر لها من العربات: ما للجِمالِ مشيهاً ونيداً أجندلاً يحملن أم حديدًا

أم الرجال جثماً قعوداً^(١)

(١) من أبيات منسوبة إلى الزبَاء ملكة الجزيرة في قصتها مع خذيمة الأبرش ملك الحيرة، والقصة مشهورة.. انظر: الأغاني ١٤: ٧٥، ومجمع الأمثال باب الخاء في "خطب يسير في خطب كبير" ١: ١٥٧، وخزانة الأدب ٣: ٢٧٢، ومشيهـا زوى بالرفع والجر، والتفصيل في معنى اللبيب في الجهة السادسة من الباب الخامس (القرويني).

وحين انتهى الموعد المحدد وحدث تراخ تام في الوصول، وجاوز تأخرهم ومماطلتهم حد الاعتدال، وقع اختيار جماعة من الحكماء والمنجمين الموجودين حينذاك على يوم التاسع من ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وستمائة (٦٤٩ هـ/ أول يوليو ١٢٥١)، وذلك بالنظر إلى أن سعود طالعه يجنى السعادة، ويسعى المشتري لشراء آثاره، وتستضىء الزهرة بأنواره.

ومن بين دلائل السعادة المتزايدة على الدوام أن السحب قد تراكمت في تلك الأيام القليلة ونزل المطر منسجماً واختفى وجه الشمس في نقاب السحاب وحجاب الضباب، فلما حانت الساعة التي تم اختيارها وشرع المنجمون في انتظارها استمرت ظلمات الغمام تحول دون نفاذ أشعة الشمس وعجز المنجمون عن مباشرة "الارتفاع"، وفجأة أزاحت الشمس في الوقت المحدد النقاب عن وجهها الجميل، كعروس تجلت لعريسها بعد تردد وتباعد وتمنع، وانكشف من السماء ما يساوى مقدار جرم الشمس وانزلحت عنها بقايا السحب النقال، وما إن بدأ [٣٠] المنجمون في أخذ الارتفاع حتى عم الضياء والنور العالم وخلا وجه الأرض من الظلمة والعممة.

وحين علم وتبين من حركة الفلك طلوع درجات السعد الأكبر^(١)، وتم إدراك ومعاينة قوة أوتاد الطالع وسقوط النحوسات والدرجات المظلمة عن الطالع المبارك، وصار النير الأعظم^(٢) مستقيماً في الأوج العاشر وأقامت القواطع في الثاني عشر، وكان جمع الحاضرين عبارة عن: أبناء الملوك مثل "بركه أغل" وأخيه "تقائيمور"، وعمهما "إيلجيتاي" الكبير، وأبناء أوتكين وكوتين وكولجين، والأمراء والنوينا وكبار الشخصيات في معسكر جنكيز خان وكذلك غيرهم من القادة الذين كانوا في الجوار، مع كتائب لا عدد لها ولا حصر - رفع أبناء الملوك قلنسواتهم في داخل المعسكر،

(١) يعنى: المشتري.

(٢) يعنى: الشمس.

وعلقوا أحزمتهم فوق أكتافهم، وحملوا "منكو" فوق الأعناق وأجلسوه على سرير الحُكم
وعرش المُلك، وأطلقوا عليه اسم "منكوقا أن"، ومن صرير السَّمَاوَات كان هذا النداء
يتناهى -كأنه قال- إلى أذن ضمير الزَّوج:

(رباعية، ترجمتها):

[٣١] أَيُّهَا الْمَلِكِ ابْقَ أَلْفَ عَامٍ فِي مُلْكِكَ

وَمِنْ ثَمَّ افْتَخَرْ بِالْعِزِّ أَلْفَ عَامٍ

السَّنَةُ أَلْفُ شَهْرٍ وَالشَّهْرُ مِائَةُ أَلْفِ يَوْمٍ

الْيَوْمُ أَلْفُ سَاعَةٍ وَالسَّاعَةُ أَلْفُ عَامٍ

أما الأمراء والكتائب التي اصطفت خارج المعسكر وكان عددهم يربو على
ألف من رجال العمل والمحاربين المشهورين - الذين هم في الحقيقة أسود الوغى
وقت الثَّأر وحين يحمى الوطيس:

خَيْلٌ كَلِيلٌ دَامِسٍ وَصَفَانِجٌ لَأَحْتُ كَصُبْحِ اللَّيْلَةِ الطَّحْنَاءِ

ومتلما فعل أبناء الملوك ممن كانوا بداخل المعسكر سجد هؤلاء جميعا ثلاث
مرات.

وحين جلس ملك العالم شبيه الشمس -وهي في أوج التمكن- بالبشر واليُمن
على عرش الإمبراطورية، اقتضت همته العالية أن يجعل كل أنواع الأحياء وأجناس
الجماد تتمتع بالراحة والدعة، فأصدر قانونا (ياسا) يقضى بأن يتمتع كل مخلوق في
هذا اليوم الميمون عن أن يطأ طريق الشَّحناء والجدال؛ فلا يتخاصم الناس وينازع
بعضهم بعضا وإنما عليهم إسعاد أنفسهم وإدخال البهجة والسرور عليها، فإن حظى
النَّاس بمختلف أنواعهم بنصيبهم من الدُّنْيَا بالاستمتاع والارتياح فلا يجدر أن تبقى
أنواع الحيوانات محرومة من المشاركة في هذا الحق، ومن ثَمَّ لا يُسمح بأن تتعرض
الحيوانات المستأنسة -التي تُستخدم في الرُّكوب والحمل- لمشاقَّ الحمل، والقيد

والشَّكَّال، والأغلال، والأطواق، [٣٢] وأما ما يُذبح من أجل لحمه، وفقا لشرعية العدل، فلا بد أن تبقى دماؤها في أمان ولا تُراق؛ لكي تعيش في أمان واطمئنان ولو ليوم واحد، وكذلك المخلوقات الوحشية الطائرة أو الزاحفة على الأرض وفي الماء لا بد أن تكون بمنأى عن هجمات المهاجمين وسهام الصيادين، وأن تضرب بأجنحتها حسب ما تشاء في رياض الأمن:

خَلَا لَكَ الْجَوُّ فَيُضِي وَاصْفَرَى وَنَقَرَى مَا شِئْتَ أَنْ تُنْقَرَى

قد زحل الصيادُ عنكَ فأبشُر^(١)

وإن كانت المخلوقات الحية بأسرها قد جنت فائدة من سعادته المتزايدة، فإن الجمادات بدورها -وهي أيضا من خلق الباري، عز وجل، وفي كل ذرة من ذرات خلقه سرٌّ ومعنى يتعلق بها ﴿... مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ...﴾ (آل عمران)- ما كان ينبغي لها أن تُحرم من هذه الرحمة بدليل: ﴿...وَأَنْ يَنْشَأَ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ...﴾ (الإسراء)؛ ومن ثم فلا يجب أن يُصدع دماغ الأرض بالآلام الناجمة عن دق الأوتاد وأعمال الحفر، ولا تلوث روح الماء باستعمال النجاسات.

سبحان الله، لهذا الكائن الذي يجعله الله تعالى مصدرا [٣٣] للرحمة، ومجمعا للعدل بدرجة تفيض فيها خيراته على كل ما يقع عليه اسم "شيء" من الأحياء غير العاقلة والجمادات.

نعم، لو أن رجلاً ذا بصيرة تأمل في هذه الأمور الدقيقة على سبيل الاستنتاج، واستخرج منها النتائج، ودقق وتحقق بالشكل الواجب في معاني هذه الأحوال، التي ستبقى صورتها مرتسمة على وجه الزمان بمرور الشهور والسنين، فسوف يعلم ويتيقن مدى الغاية وعلو الدرجة التي بلغها حسن التفات خاطره الملكي

(١) صدرها: يالك من قبرة بمغمز، من جملة أبيات لطرفة بن العبد أو لكيب بن ربيعة التغلبي، انظر: مجمع الأمثال في باب الخاء (طبع مصر: ١٦١) ولسان العرب في مادة ق ب ر (القزويني).

لإصلاح أحوال الضّعفاء والفقراء وفرط اهتمامه بنشر العدل والرأفة العامة بين الخاص والعامة، فليهبه الله -جلّ جلاله- التمتع والسعادة بالملك والسيادة لسنوات غير متناهية.

وعلى هذا النحو قضوا النهار حتى حلّ الليل، وعند المساء ذهب كل منهم إلى مقرّه، وفي اليوم التّالي حين ولّت جيوش الليل ذات الزيّ الأسود ظهرها لطلائع تباشير الصّباح، وطلع ملك النّجوم مؤيّدًا موفّقًا فوق الأفق شرع أبناء الملوك في اللّهو والطّرب ومثّوا بساط المرح، وبدا وكأنّهم جعلوا هذا الشعر وردًا يردّدونه على الدوام:

(شعر فارسي، ترجمته):

يزيحون طرّة الليل عن خدّ النهار

فالوقت مناسب لكى يستأنف السكارى الطرب من جديد

والسّقاء يجلبون بحماس خمرا وريّة، عطرها مأخوذ من أنفاس المجر

الرائعة^(١)

وفى ذلك اليوم تم الاحتفال في الخيمة التي كان الصّاحب الأعظم^(٢) يلّواج - ثبت الله قواعد [٣٤] حكومته- قد أمر بأن تقام بأفخر أنواع الأقمشة المنسوجة على هيئة القبة الخضراء وبحيث تبدو نموذجًا للقبة الأعلى، فتظهر أشكالها من كثرة الرّسوم وجمال التلوين وكأنها سماء مضيئة بمصابيح أنوار الكواكب، أو بستان قد انتشرت فيه الأزهار والبراعم كأنها الدّرر، وغطّيت أرضية الخيمة بأبسطة تبدو باختلاف ألوانها وكأنها خميّة مملوءة بأنواع الرياحين كالبنفسج والأرجوان والنّسرين،

(١) من قصيدة للسيد حسن بن ناصر الغزنوي. (القزويني)

(٢) أى الوزير الكبير .

ولم يُقَيِّضْ لأحد من قبل أن ينصب خيمة كهذه ويجعلها في الشكل والصنعة سرادقاً رائعاً على هذا النحو، كانت من الداخل أشبه بجَنَّةٍ "إِرم" ومن الخارج آية في الروعة والبهجة، وحين التأم شمل المجلس من جديد وتجاوز أنسهم كل جديد، تعالت هذه الأغنية من كل صوب.

(شعر فارسي، ترجمته):

ويحك يا صورة المنصورية^(١) من حديقة وقصر

أو جَنَّةٍ أرسلك الله إلى الدنيا.

لا، بل لن أدعوك دُنْيَوِيَّةً، فلست من الدنيا

فالدنيا تقصر العمر، وأنت على عكس الدنيا تُطِيلُ العمر^(٢)

وها هو ذا إمبراطور البلاد، يشبه "خُسْرُو" الذي يمشى وحده^(٣) في منزل الشرف، قد جلس مَتَمَكِّناً على عرش المجد وسرير السيادة، متكئاً على مسند القوة، ووقف فوق سُلَّمِ الجلالة والهيبة، قد وضع قدمه على مركز السعادة والتَّوْفِيقِ، وامتطى صهوة [٣٥] جواد العزِّ والرفعة، وتجمَّع أبناء الملوك كالثُّريا عن يمينه، وهناك وقف إخوته السبعة، وكان كل واحد منهم بَدْرًا مكتملاً في سماء الملك: قُبْلَاي، وهولاكو، وأريغ بوكا، وموكا، وبوچك وسوجيتو^(٤)، وسوبيتاي، كالعروش السبعة^(٥).

(١) بستان في "طوس"، راجع بويل ٦١٦.

(٢) من ديوان الأنورى (القروينى).

(٣) يعنى: الشمس.

(٤) يقول رشيد الدين في "جامع التواريخ" (طبع بلوشيه ٢٠٢، ٢١١): إن هذا الأمير كان الابن

التاسع لـ"تولى"؛ وقد ورد هنا "جهانگشای": سيكر، وهو تصنيف، راجع بويل ٥٧١ هامش

٦٠، والقروينى ٣: ٣٥، هامش ٧.

(٥) يعنى: المجموعة الفلكية المعروفة بالذنب الأكبر.

ومن الناحية اليسرى وقفت الخواتين مثل [٣٦] البساتين، كل واحدة منهن تفوق في الحسن والجمال الشمس والقمر^(١)، قد جلسن ﴿عَلَى سُرُرٍ مَّوْشَوْنَ﴾ ﴿١٥﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَلِّبِينَ﴾ [الواقعة]، وأخذ السقاة الذين يشبهون حور الجنة بجمال طالعهن، والذين سَطَرَت سورة الحسن على صفحة وجوههم يصنّون كنوس "القميز" والنبيز بالأباريق والأكواب كأسا وراء كأس، ويستأصلون من جنبات القلوب أشواك الخوف والحزن.

(شعر فارسي، ترجمته):

بماذا وكيف أصف هؤلاء السقاة يارب

الذين ينتزعون القمر الوردى اللون من الفخ المعنبر.

المزيخ يصبح قطرة من الدم بخنجرهم يوم النصر

حين يمسكون قبضة الخنجر بمرح وابتهاج

والزهرة ترقص في أقداحهم كالحياب

ساعة المرح حين يُمسكون حافة القدح

وحين وضعت المقادير المخالفة أقدامها في الطريق الصحيح فلا جزم أن عزف الصنج لحنًا [عذبًا]، واختارت زهرة الإقبال مطلعًا من قصيدة تناسب المقام فأخذت تلقى بلسان السعد قولاً في فم العالم، ومن ثم بدأت تغنى:

بُشْرَى فَقَدْ أَنْجَزَ الْإِقْبَالُ مَا وَعَدَا

وَالدَّهْرُ ذُو نَدَمٍ مِمَّا جَفَا وَعَدَا^(٢)

(١) راجع الترجمة الإنجليزية لبويل، ص ٥٧١، هامش ٦٢.

(٢) المصراع الأخير: وكوكبُ المجد في أفق الغلا صنيذاً، مطلع قصيدة لأبي محمد الخازن من شعراء صاحب بن عباد المعروفين، والقصيدة في يتيمة الدهر ج ٣ ص ٧٤ (القزويني).

وبالقصيد الغزلية التالية التي ناسبت المقام شرع الفلك الدائر في الرقص وهو
ينظر بعين الرضا والقبول.

(شعر فارسي، ترجمته):

[٣٧] أيها الملك فليطبب الملك لك

ولتسلم الدنيا قيادها لك

بفضلك تخربت بلاد عامرة بالظلم

فليكن أساس العدل بك محكما

ثم لم يلبثوا أن ترنموا بهذه الأنشودة التي تتناسب المقام، حين أمنوا الضربة
الجارحة لقيثارة الزمان:

غسل جذك صفحة الزمان ومحا منها الظلم^(١)

وجؤد عمك أصلح كل، ما كان قد انكسر^(٢)

يا من يناسبك رداء الخانية

أخسبن، فإن نوبة السعادة نوبتك^(٣)

(١) يعني بجده: جنكيزخان.

(٢) يعني بعمه: أوكغتاي قا آن.

(٣) للشاعر والناقد الفارسي رشيد الدين الطواط مع بعض التصرف الذي أجراه المؤلف لكي يناسب

المقام. (القزويني)

ووقف كبار القادة والأمراء برفقة رؤسائهم، يرأسهم "منكسار نوين" صفًا صفًا في مكان حاملي السيوف، بينما اتخذ المبعوثون والوزراء والحكام يتقدمهم ويرأسهم بلغاي آقا، وجلس بقية الأمراء والحشم خارج السرايق فيما يزيد عن مائة درجة وأسلحتهم في غمدها.

قَوْمٌ إِذَا قُوِيلُوا كَانُوا مِلَانِكَةَ حُسْنًا وَإِنْ هُمْ قُوْتِلُوا كَانُوا عِفَارِيئًا^(١)

(شعر فارسي، ترجمته):

التَّركَ مِلَانِكَةَ عَقْلَاءَ مِهْرَةٍ

إِنْهُمْ حُورٌ سَوْدُ الشَّعْرِ أَبَالِيسُ تَدَرَّعُوا بِالْحَدِيدِ

أَبَالِيسُ حِينَ يَرْتَدُونَ الْحَدِيدَ وَقْتُ الْقِتَالِ

حُورٌ حِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ

وعلى هذا النحو والشاكلة أمضوا أسبوعا يحتفلون بمختلف أنواع الحبور والسرور، فقد ابتعد عن صفحة صدورهم كل فكر وضعيفة، وفي كل يوم [٣٨] كانوا يلبسون ثيابا تناسب كسوة ملك العالم ويتناولون الكاسات والأقداح، وبلغ المعدل اليومي للخمر والطعام ألفي حمل عربية من "القميز" وأنواع النبيذ، وثلاثمائة حصان أو ثور وثلاثة آلاف من الأغنام. ولما كان "بركه" حاضرا تم الامتثال لحكم ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾... (الأنعام)^(٢).

وأثناء إقامة هذه الاحتفالات وصل "قدغان أوغول" وابن أخيه "ملك أوغول" و"قرا هولوكو"، وقدموا مراسم التهنئة وفروض الطاعة، وفي المقابل عدّ "منكوقا أن" المبالغة والإطالة في إبداء أنواع الإعزاز والملاطفة واصطناع المكرمة بالنسبة إليهم

(١) من قصيدة للغزى يمدح بها الترك. (القزويني)

(٢) إشارة إلى اعتناق "بركه" الإسلام.

فرضاً واجباً عليه وحثماً مقضياً، ومع وصولهم ظلّوا ينتظرون الأمراء الآخرين الذين يصلون بعدهم، وواصلوا ما كانوا فيه من إفراط في المرح والابتهاج، وبدأ من جانبهم التفریط في شأن الحزم والتقيُّظ لأن أحداً منهم [٣٩] لم يكن يتصور أن "ياسا" ملك العالم جنكيز خان يمكن تبديلها وتغييرها، أو يتصور أن يوجد فيما بينهم خلاف، ولا يكون هناك شيء لا يتفق وتقاليد المغول وعاداتهم، فلم يجل ذلك بخاطرهم أو يرسم في تصوّرهم، ومن ثمّ أهملوا جانب الاحتياط.

وفجأة، وبمحض الصدفة الحسنة، بل بمخايل الإقبال وتنمّة للطف ذى الجلال، فقد صيّد يدعى "كشك" ناقته التي تشبه ناقّة النبيّ صالح -عليه السلام- إذ كانت مدعاة لنجاة المؤمنين وسببا لهلاك الظالمين، ولم يدخر الصياد وسعاً في البحث عن ضالّته، وأخذ يجرى من اليمين إلى اليسار في ذلك الإقليم وارتحل لمدة يومين أو ثلاثة، وفجأة وجد نفسه وسط جيش "سيرامون" و"تاقو" فرأى حشداً هائلاً من الجند، وعربات مثقلة بالأحمال وقناطير مقنطرة من المأكولات والمشروبات، كل ذلك بعلة إقامة مراسم التهينة والتزام [٤٠] الطاعة.

كان "كشك" غافلاً عن الغرض من وراء ذلك ومضى يسأل كل من يقابله عن ضالّته وفجأة، وبينما هو يشتدّ في البحث إذا به يصادف عربة من العربات محطّمة ويجوارها صبيّ جالس، فطلب الصبيّ من "كشك" أن يعينه على إصلاح العربة ظلّا منه أنه واحد من فرسانهم، فنزل كشك من فوق حصانه وشرع في المساعدة والإصلاح، فوقع نظره على أسلحة ومعدات حربية قد رُبِطت وتمّ تجميعها في حزم، فسأل الصبيّ: "ما هذه الأسلحة؟"

أجاب: "هو من نوع ما تحمله سائر العربات".

فتصنع "كشك الداهية" عند ذاك عدم المبالاة، فلما انتهى مما كان فيه لحق
بشخص آخر وتعرف إليه على نحو ما، فاكتشف بالتدريج ما يجري، وحين تعرف
على ما يُسرّون في الحقيقة زال عنده كل شك وانحلت عنه كل شبهة "فقد أبدى
الصريح عن الرغوة"^(١).

وتيقن "كشك" أن هؤلاء الناس يضمرون المكر والنفاق ونقض الميثاق ونقص
الوفاق، عازمين على الخطو خارج حريم الحرمة في أثناء الحفل الذي سيُعَدُّ
لاستقبالهم، فحين تذهب الخمر يعقل العقول وتُغَلُّ أيدي الشباب والكهول ينجزون ما
تأمروا عليه في الحال [٤١] ﴿...وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَمْلِهِ...﴾ [فاطر].

فلم يعول "كشك" على شيء، وأخذ يردد المثل القائل "حبك على غارك"^(٢)،
وهو ينطلق بناقته مسرعا فطوى مسافة تستغرق ثلاثة أيام في يوم واحد حتى بلغ
المعسكر قبيل صلاة العشاء، ودخل دون إذن وخوف أو تردد وارتباك وشرع في
الكلام بجنان ثابت وشجاعة، فكان مما قال: "لقد فرستم بساط اللّهُ ونسيتم أحزان
الدنيا ومتاعبها بالسرور والطرب، بينما خصومكم يستنون الزّماح في المكامن
ويتحينون الفرصة وقد استعدوا للأمر وتشمروا له:
وإن لم تلج بابها مُسرعا أتاك عدوك من بابها"^(٣)

فبين هذا المعنى مشافهة، محرضا إياهم على الاحتشاد، ورعاية مصالحهم
وحثهم على التعجيل، غير أن مثل هذه الأفكار لم تكن معهودة قط في تقاليد المغول
ورسومهم، خاصة في عهد نسل جنكيز خان، فقد لبثوا فترة لا يصدقون هذا الأمر

(١) انظر مجمع الأمثال في باب الباء، (طبع مصر ١ : ٦٨) (القزويني).

(٢) انظر مجمع الأمثال في باب الحاء، (طبع مصر، ١ : ١٣٢) (القزويني).

(٣) من قصيدة لابن المعتز: أَلَا مَنْ لَغِينٍ وَشُكَايَا تَشْكَى الْقُدَى وَبُكَامَا بِهَا.

ويستبدونهم، وجعلوه يكرر ما قاله ويعيده مرّات ومرّات، فكان في كل مرة يعيد ما سبق أن ذكره ويردّد ما كان قد قاله لأول وهلة عن طبيعة سيرتهم^(١).

هذه الكلمات لم تلق أذنًا صاغية من "الخان" ولم يعرها أى اهتمام. وواصل "كشك" التأكيد على دعواه، وبدأ منه الأسى والقلق [٤٢] لكنّ سكّون الخان بقي على ما كان عليه، فما كان من أبناء الملوك وكبار القادة - ممن كانوا حاضرين في الخدمة - إلا أن عبّروا عن استنكارهم لهذا الثبات والهدوء قائلين: "نعوذ بالله من سوء الطالع فقد ينتهى الأمر بالندم والحسرة".

فإياك والأمر الذى إن توسّعت مداخِلُه ضاقت عليك المصادر^(٢)

وقبل أن تمسك يد التدارك بعنق المراد ويصبح طريق المعالجة مسدودًا ووجه المصلحة مكثّرًا، ويصبح الأمر مثل الشعرة في دقّتها ويصيب الكلال عين العقل البصيرة، ويتسلط أتباع العدو الحقيق فإن من المحتمّ على الرجل الأريب ألا يهمل المبالغة في الحزم والاحتياط وألا يتهاون في أمر العدو مهما كان ضعيفًا، فإن كان ظنه صحيحًا أمن مضايقته وغارته، وإن لم يكن لهذا الظن أصل أو سند فلن تحدث مضرة ومفسدة ولن ينال شرّها أحدًا:

ولا تَجْعُرْ عَزِيمَةً مُسْتَكِينٍ فَإِنِ الْجَزْلُ يُشْعَلُ بِالْدُّقَاقِ

وعن طريق الكياسة والدّهاء لا بد من مواجهة هذا الأمر بالرّفق والمدارة، لعل نار هذه الفتنة أن تتطفئ قبل الاستعلاء وتخدم عاصفة النكبة النكباء قبل أن تذهب بتراب الأمن والسلم من فوق سطح الأرض، ويبقى ماء الحياء - الذى [٤٣] هو حياة الخلائق - حيًّا في عين الزمان مزججًا فيما بينهم.

(١) يعنى سيرامون ونوقا.

(٢) ذكره في الحماسة مع بيت آخر بعده، ولم يسم قائلهما، وفيها إياك مكان فإياك وموارده مكان مداخله (شرح الحماسة للتبريزي، طبع بولاق ٣: ٨٩) (القزويني).

(بيت فارسي ترجمته):

لا تنفع شدة ولا قسوة، إنما يخرج الثعبان من جُخْرِهِ باللفظ

فإن لم يكن بالإمكان تحقيق شيء بهذا الأسلوب وأخضع هؤلاء الناس الرقاب
بالمواساة والمجاملة فإن بمقدورنا حينذاك تحقيق المثل القائل: "آخر الدواء الكي"
ونقصم ظهر مقاومتهم.

(شعر فارسي، ترجمته):

أمامك جيش متأهب شديد البأس

كالرمح والسنان عند الوعى ولحظة الانتقام

كل واحد منهم هو خسرو صاحب الكأس في العقل

بل هو رستم حين يمتطى صهوه "رخش"^(١).

ولما استقرت التدابير والآراء على هذا كان كل واحد من الأفراد يريد أن ينطلق

في هذا الطريق ويمضى بنفسه؛ لكي يفحص ويتأكد مما يجري ويُنجز المقصود -إما
باللطف أو العنف- حسب ما تتطلبه الظروف.

(أبيات فارسية ترجمتها):

وبإلهام من الإقبال وحسن الطالع

جاءت المشورة بمثابة مفتاح للنصر

فالمشورة الحديدية هي المفتاح الذهبي

إن مشورة قوية أفضل من مائة ضارب بالسيف

(١) رستم: هو البطل الإيراني الأسطوري المعروف. و"رخش" هو: حصانه القوى الذكي السريع.

والتاج الملكى أفضل من مائة قالب

[٤٤] بمشورة واحدة يمكن كسر ظهر جيش

ويسيف واحد يمكن قتل من واحد إلى مائة^(١)

ومن ثم عدل الأمراء عن تحمّل تلك المشقة، واتّفقوا على ضرورة ذهاب
"منغسر نوين" - وكان قائد أمراء البلاط والركن الأكبر بين زمرة أركان الدولة -
للتحقّق من الأمر وتدارك الموقف، ومن ثم يدلى برأيه فيما يراه مناسباً.

وامتثالاً للإشارة امتطى صهوة جواده ورافقه نحو ألفين أو ثلاثة من كُماة
الأتراك والشجعان^(٢) من الترك:

جَنُّ عَلَى جَنٍّ وَإِنْ كَانُوا بَشَرٌ كَأَنَّهُمْ خِيطُوا عَلَيْهَا بِالْإِبْرِ^(٣)

وعند طلوع الصّبح، وحين شن جمشيد السماء (الشمس) غارة على جيش الليل
اقترب "منغسر" - ذلك القائد الكبير - من خيام تلك القوات.

وينحو مائة فارس أو يزيد تقدّم إلى مشارف خيامهم [٤٥]، وما لبثت الأفواج أن
سارعت من الأمام والخلف واليمين واليسار واتّخذت مواقعها على شكل محيط الدائرة.

ومن مكانه فوق ظهر حصانه صاح "نوین" بأعلى صوته قائلاً: "قيلت فيكم
حكاية بلغت سمع "الخان" فإن كانت تلك الأقوال قد نضحت من إناء الكذب وقول

(١) من خسرو وشيرين لنظامى گنجوى، طبع طهران، ص ٨٤.

(٢) في الأصل: ناباك: الأقدار، وربما أبدلت الباء الثقيلة بالباء الخفيفة، ناباك: الشجعان،
الجسورون، راجع حواشى القزوينى، ص ٤٤، حاشية ١١.

(٣) ذكر ابن الأثير في المثل السائر ص ٤٩٨ أن هذا البيت من أرجوزة لأبى نواس يصف فيها
اللعب بالكرة والصولجان، ولم أظفر به في ديوان أبى نواس المطبوع بمصر، وإن كانت توجد
فيه أرجوزة بهذا الروى. (القزوينى).

الزور وكانت بهتاناً، فإن علامة الصدق وليل الإخلاص هي أن تبادروا دون إبطاء وطمأنينة تامة بالتَّوجُّه لتقديم الولاء، ولا تتشبَّثوا بالأعداء الجوفاء، وبمساء المسارعة والتعجيل تغسلوا تراب هذه الوصمة عن وجوه الوفاء وجباه الوفاق".

وما إن سمعوا هذه الكلمات المتزنة العاقلة حتى خرجوا من خيامهم، وكلما أجالوا النظر رأوا أفواجا بلا عدد وحدّ أو حصر ومُرّ تحيط بهم إحاطة الدائرة بالنقطة؛ هذا بينما كان أصحابهم وأتباعهم وخيلهم ورجلهم قابعين في مخابئهم هناك، قد خرج عنان التمالك والتماسك من يد قوتهم وفكرهم، وأوثقت قيود الاضطراب والخوف أقدام الحيلة والتدبير، فصاروا يائسين حيارى.

وحين صار لسان الاعتذار أبكم وصارت قدّم التقديم والتأخير عرجاء تيقنوا أنه لا أمل في المسير ولا عذر في التخلف والتقاعد.

لم يكن لهم سند يسندون إليه ظهريهم، ولم يكن لهم ساعد يمكنهم من المقاومة، ولا كيد [٤٦] ولا طاقة على التمرّد، وفي هذا الخضم لا يترأى لهم شاطئ فينادون: "من نجا برأسه فقط ربح"^(١). ويجدون لأنفسهم مخرجاً، ويلقون عن عاتقهم تبعات هذا العمل، وفي النهاية وضعوا أعناقهم في ريقه القدر "وسحبوا أقدامهم من قوّة دخان التدبير"^(٢).

وابن اللبّون إذا ما لُرّ في قرن

لم يستطع صولة البزل القناعيس^(٣)

(١) انظر مجمع الأمثال في باب الميم ج ٢ ص ١٦٩. (القزويني).

(٢) كذا الترجمة الحرفية للعبارة، وهي غريبة دون شك.

(٣) من قصيدة لجريز، انظر الأغاني ج ٨ ص ١٧٩، وشواهد المغنى للسيوطي في شواهد (ال)،

طبع مصر ص ٦١.

ومضوا -مضطرين اضطرارًا لا مختارين- مع "توين"، يرافقيهم عدد قليل من الفرسان، إلى حضرة إمبراطور وجه الأرض، وحين اقتربوا من المعسكر، تم منع الجانب الأكبر من مرافقيهم، وأخذت أسلحتهم وأمر بالأمراء الأشرار الآثمين أن يودوا حيث كانوا -دون كنانة سهام أو قوس- مراسم الـ "تكشميشي"^(١) برفقة أبناء الملوك تسعًا تسعًا، ومن ثم دخلوا المعسكر.

وظلوا يومًا أو يومين لا يسأل عنهم أحد، فقد تم الإبقاء على سجل التحري والتحقيق مطويًا، وفي اليوم الثالث حين طلعت الشمس مبتهجة من قبل المشرق آل نهار دولة المتمردين إلى مغرب الإخفاق، كما مال ربيع عمر المخالفين إلى الخريف.

وما لبث أن عقد الاجتماع [٤٧] والتأم الشمل، وتكلم "منكوقا آن" قائلاً: "هذا هو ما قيل خاصًا بكم، وهو أمر لا يُصدق ولا يُعقل ولا يمكن سماعه بأذن العقل ولا قبوله بروح الحكمة، ولما كانت مثل هذه التخييلات -التي وقرت في الذهن- ليست بالأمر الهين، والشائعات عن مثل هذه الأقوال تتردد على ألسنة الناس ليست عبثًا، فإن التحري والتحقيق منها يقتضي [منا] بفضل طبيب طبيعتنا وطهارة اعتقادنا أن يتم تطهير وجه اليقين من غبار الشبهة، وينزاح حجاب الشك عن طالع شمس الصدق والحق، فإن كان هناك افتراء وبهتان نال الكذاب والمفتري جزاءه على صفحات الحوادث وتلقى الناس درسًا وعبرة".

ومن ثم أمر بمنع دخول المعسكر أو الخروج منه، ثم إنه أمر باحتجاز جماعة من الأمراء و"النوينان" مثل إيلجتاي نوين، وتونال، وقاتا كورين^(٢) وچنكي،

(١) تكشميشي: السجود تعظيمًا وسلامًا لحضرة الإمبراطور، (انظر: على أكبر دехدا، لغت نامه).

(٢) في الأصل تاتا كورين، وقراها رشيد الدين فضل الله في جامع التواريخ (ص ٢٤٤) قاتا كورين.

(راجع القزويني ص ٤٧ هامش (٩). وكذلك قراها بويل في ترجمته الإنجليزية، قاتا كورين،

ص ٥٨٠).

وقلچقای^(١)، وسرغان، وتونال الصغير، وطغان، ويسور، وكل واحد منهم يتصور نفسه [٤٨] في مكانة ومنزلة لا يمكن للفلک الأعلى أن ينالها وألا تنفطر حبات اللؤلؤ من عقدهم الذى انتظمت فيه بدوران الأيام والليالى، فلعلهم لم يكونوا يعلمون [ما يعنيه الشاعر بقوله]: (شعر فارسى، ترجمته):

أية شجرة سَروِ تلك التى أعطاه [الله] الرفعة والعلو

ثم لم تتكسر بعدُ من المحن والخطوب

أيمكنك استساعة كل جرعة تزدردها من السُّكر؟!

لا بدّ من تجرّعها صافيةً حيناً ومليئةً بالشُّوب والكدر حيناً آخر.

وقد كان هناك عدد آخر من أمراء "التومان"^(٢) من بين قادة المتمردين [قد تم احتجازهم أيضاً] يطول بنا المقام لو ذكرنا أسماءهم واحداً واحداً، ثم بدأ البحث والتحقيق.

كان منكسر نوين هو رئيس الـ "يرغوچى" (هيئة المحكمة) فأخذ هو وعدد آخر من الأمراء والرؤساء في البحث والتحقيق في الدقائق والغوامض على مدى أيام عديدة، وكانوا يفضلون الأخذ بالحيلة في الأمر، ولما وقع التناقض في أقوال القوم بعضهم وبعض لم يبق أى شك في كونهم مننيين، وأخذ كل واحد منهم - بفعل ما يشعر به من خجل وندم - يقول بلسان الحال: ﴿... يَلَيْتَنِي كُنتُ رُبّاً ۞﴾ [النبا] وقد أقرّوا واعترفوا بالذنب.

(١) راجع في صحة هذا الاسم: بويل، ٥٨٠ - ٥٨١.

(٢) أمير التومان: قائد عشرة آلاف جندي.

وأراد "منكوقاً أن" -وفقاً لعادته المحمودة- أن يغض الطرف ويتغاضى عن الأمر "فالعفو عند المقدرة من مواجب الكرام"، غير أن أبناء الملوك والقادة من الأمراء قالوا: "إن الغفلة عن حال أى خصم [٤٩] والاستخفاف به أمر بعيد عن منهج الصواب والحكمة":

ووضع الندى في موضع السيف بالعلی

مُضِرٌّ كوضع السيف في موضع الندى^(١)

(بيت فارسی، ترجمته):

حيثما يتعين عليك أن تحدث جرحاً

فلن يجدي أن تضع مرهماً

فإذا وجد رجل صاحب رأى فرصة في عدو حقود وأجاز تأجيل معاقبته كان ذلك أبعد ما يكون عن كمال الحزم ويُعد النظر، الأمر الذى يؤدي في النهاية إلى الحيرة والندم.

إذا أمكنت فرصة في العدو فلا تُبدِ شُغْلَكَ إلا بها^(٢)

على أن الشفقة لا تؤثر في الأشرار، شأن البذرة إذا زرعت في التربة المالحة لا تثمر أبداً، وتأتى السحب يتبع بعضها بعضاً فلا يكون لذلك من أثر ولا ينبت شئاً.

(أبيات فارسية ترجمتها):

الشجرة التي طبعها مُرٌّ لو أنك زرعتها في حديقة الجنة

(١) البيت للمتنبي.

(٢) من قصيدة لابن المعتز مع اختلاف يسير، (القزويني).

ثم رويت جذورها من نهر الخلد بالعسل المصقى والمسك الأذفر
فسوف يتكشف جوهرها في النهاية وتثمر نفس الثمار المرة^(١)

فإن كان العقاب غير ضرورى وتغاضى عنه الملوك العظام والحكام الجبابرة لما
تنزلت آية" الحديد والسيف" ولما جرت الإشارة إلى القصاص، وهو سبب البقاء والتناسل
والتوالد ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَكُونُ إِلَى الْآلِيبِ...﴾ ﴿١٧﴾ [البقرة].

(أبيات فارسية، ترجمتها):

[٥٠] تخرج الشجرة زهرا حين تشق طرْف كل غصن طرِي

أيها المليك لا بد من الاحتشاد للانتقام من خصم الملك.

ولا بد من تعلم هذا القانون من الشمس،

فالشَّمْس إن لم تضرب بسيفها بعيدا عنها^(٢)

لما أضاء العالم بنورها

وحين علم "منكوقا أن" أن مثل هذه الأقوال إنما تصدر عن إخلاص لا عن
غرض ونفاق، أمر بطائفة من أمراء السوء، ممن سبق ذكرهم، وكذلك من ساقوهم
وراءهم من أبناء الملوك ووزطوهم في هذه الجرائم فقطعت أعناقهم امتثالاً لأمر البارئ
- عز اسمه - ﴿... أَغْرِقُوا فَأَذِلُّوا نَارًا...﴾ ﴿١٥﴾ [نوح]، وقد بدئ بـ "إيلچتاي" فقطعت
رأسه ورجلاه، هذا بينما ديس "تونال" بالأقدام، أما "قائاكورين" فقد اختار أن يعامل

(١) الأبيات للفردوسى من الشاهنامه.

(٢) يعنى ما لم تظهر أشعتها الأولى في الأفق.

بالمثل القائل: "بيدي لا بيد عمرو"^(١) إذ انتكفأ ببطنه على سيف قلقي حقه، وتبعهم الآخرون الواحد تلو الآخر على المنوال نفسه فتركوا هذه الحياة: ﴿...يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِينُونَ﴾ [الأنعام] [٥١].

وحين وصلت هذه الأنباء إلى "تيسون توكا" حفيد "جغتاي" ترك جيشه كله واصطحب ٣٠ فارساً، وجاء برجليه [وهو مُدْعَن]؛ فتم إرساله للتحفظ عليه في الحبس الذي يضم سيرامون وناقو.

جملة القول: إن كل من كان يُضمر في نفسه معارضة أو خلافاً أخذت الأقدار تشدّ على عنق تأمره حبلاً وتطيح به يمنة ويسره بعنف وشدة.

في الوقت الذي كان فيه الطالع الميمون (لمنكوقا آن) والسعادة المتزايدة لدولته يدفع بالجبابة وطواغيت المتكبرين دفعا إلى قبضة الطاعة والتسليم ويرغمهم على الانقياد والإذعان، بدا وكأن لسان حال كل واحد منهم. يقول: (بيت فارسي، ترجمته):

لا يمكن لأحد إدراك ما يتمناه، ومن ثم سوف آتي وأذعن^(٢)

وكانوا يرسلون إلى بعضهم رسلاً للإتيان بهم مثلما حدث لـ "قداق نوين"، فلم يكن قد قدم بعد، فهو عندما سيق "سيرامون" و"ناقو" كان يعلم أنه هو سبب هذا النفور ومنشأ هذه الكراهية وأنه هو الذي أثار غبار هذه الفتنة وهو الذي أضرم نار الاضطراب في العالم؛ ومن ثم فلن يتأتى الإصلاح على يديه هو:

(١) مثل قالته الزبّاء في قصتها المشهورة، انظر الأغاني ١٤: ٧٥، وجمهرة الأمثال بياض مجمع

الأمثال ١: ١٦٠، ١٦٧ وذكره الميداني في باب الخاء تحت "خطب يسير في خطب

كبير هكذا: بيدي لا بيد ابن عدّ" (القرويني).

(٢) من رباعية لنصرة الدين كبود جامه (الشاعر الفارسي)، (القرويني).

[٥٢] وكتيبه لبستها بكيبية حتى إذا التبت نفضت لها يدي^(١)

وكأنه أراد - بعد خراب البصرة^(٢) - أن يتصل من الأمر، وأن يتشبث بالتخفى والآنزواء ويسند ظهره إلى جبل العافية والزاحة، وأن يخفى وجهه، لعله يبقى على رأسه سالمًا فوق رقبته، وعلى روحه في جسده. وحاول إنضاج هذا التصور السقيم في قدر دماغه فوق نار الطمع، وهو يغنى قائلا:

(بيت فارسي، ترجمته):

اجهد لكي تصل إلى مكان آمن بسلام،

فالطريق مخوف للغاية والمنزل جد بعيد

واستولت عليه هذه الفكرة بالليل والنهار، وأخذ يفكر في فرجة تتيح له فرجًا وخلصًا ومخرجًا يمنحه أمانًا ونجاة، كل ذلك والقدر يضحك من مشاعره المملوءة بالحسرة والضجر، ومن بكائه ونحيبه، ويقول بلغة المجاز، (بيت فارسي، ترجمته):

إن كان لسانك كتومًا للأسرار،

فما شأن السيف إذن برأسك؟

وفجأة وصل رجال أمن الإمبراطور كأنهم "مالك" وقبضة الأرواح، فقال:

مضى أصحاب كلهم، والدور عليك الآن، (بيت فارسي، ترجمته):

يا أيها الخيام، قوض الخيمة، فقد غادر "الحادي" المنزل^(٣).

(١) من أبيات الفرار السلمي يعتذر فيها عن الفرار، انظر شرح الحماسة للتبريزي ج ١ ص ٩٩،

والحماسة البحرية، طبع ليدن ص ٦٥ - ٦٦.

(٢) أي: بعد فوات الأوان.

(٣) مطلع قصيدة للشاعر الفارسي منوچيري الدامغانى.

أخرجوه من خيمته وأتوا به على عربة إلى منطقة متاخمة لـ "قراقورم"، ومع أنه تظاهر بشدة المرض فإنهم رأوا أنه يتعين عليهم الانطلاق به من هناك والإتيان به. وعند وصوله إلى البلاد حمله الموكلون على أن يجثو على قدميه أمام الإمبراطور، كانت جريمته أكثر شهرة من كفر إبليس، وبعد الإقرار والاعتراف (بجرائمه) لم يلبث أن ألحق بأصحابه وشركائه، [٥٣] وورد مورد ﴿... فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيَخْسَ الْوَرْدُ الْمَرْدُودُ﴾ [هود]، فشرب منه حتى ارتوى.

كان بعضهم في أماكن أخرى ولم يصلوا بعد، ومن ثم لم يكن [الأمراء] يشعرون بالأمان من شرّ خبيثهم وسوء طويّتهم، فبعثوا "برنكوتاي نوين" ^(١) بقوة قوامها عشرة "تومانان" ^(٢) من الشباب الشجعان والأترّك الأشداء إلى إقليم "أولوغ - طاق" و"قاناغاي" ^(٣)، و"قوم سينجير" ^(٤) الذي يقع بين "بيش باليغ" و"قراقورم"؛ وذلك لكي تلتئم هذه القوة بقوات "قونغوران أغول" [٥٤] بالقرب من "قيالغ" - وكان قد بسط نفوذه حتى "أترار" كما أرسل "يكة نوين" إلى ناحية "قرغيز" و"كميتشيهد" ^(٥) بـ "تومانين" من الرجال.

وحتى ذلك الحين، لم تكن "أغول غايمش" وابنها "خوجه أغول" قد وصلا بعد، فتوجّه الرسل لكل من الأم وابنها حاملين الرسالة التالية:

(١) راجع ضبط هذه الكلمة في "جامع التواريخ" لرشيد الدين فضل الله، طبع بلوشيه، ص ٢٣٩، ٢٩٩. ويفضل "بويل" في ترجمته الإنجليزية ضبطها على هذا النحو: "بريلغيتاي"، ص ٥٨٥.

(٢) التومان: عشرة آلاف.

(٣) تصحيح من بويل، وفي الأصل "مونغاي".

(٤) أيضاً، تصحيح من بويل، والأصل: بورليك.

(٥) أيضاً، تصحيح من بويل، وفي الأصل: كم جهود، ويضبطها رشيد الدين "كم كمجيون" (جامع التواريخ، طبع برزين ج ١ ص ١٦٨ - ١٦٩) ويطلق اللفظ على منطقة تتصل بقرغيز، كما يطلق على نهر يصل طرفه إلى منغوليا.

"إن لم تكوني مشاركة مع تلك الجماعة فيما عزموا عليه وخططوا له ولم تكوني موافقة لهم ومساعدة، فمن الضروري لتحقيق السعادة لنفسك - وهو ما سيعدّ دليلاً على براءتك - المبادرة بالتوجه نحو "البلاط" [٥٥] بأقصى سرعة".

وحين انتهت "شيلامون بينكجي"، وهو الرسول الذي أرسل إلى "خوجه" من أداء الرسالة، لم يعر "خوجه" كلامه اهتماماً وأوشك على التهجم عليه والحق أذى به. لكن إحدى زوجات "خوجه" - وكانت أقل منزلة من زوجاته الأخريات غير أنها أكثر عقلاً وفطنة - وقفت حائلاً دون تنفيذ هذا القصد، وقالت: "ما على الرسول إلا إبلاغ الرسالة"، ولم يحدث في أي زمن من الأزمان أن تعرض رسول للإساءة حتى ولو كان رسولاً لمتهمين، فكيف برسول يأتي من جانب "منكوقا أن"، أيمن أن تتعرض حياته لأي تهديد؟ ويا له من ضرر ووهن يصيب مملكته بقتل نفس واحدة، فضلاً عن المفساد الجمة التي ستتولد عن هذا العمل؛ ستموج بحار الفتن وتضطرب الدنيا، وتشتعل جنوة البلاء، ولا ينفع الندم حين تستعصى السيطرة على الأمر، إن "منكوقا أن" أخ كبير، وهو في منزلة الأب، ومن ثم لا بد من المسارعة إليه، ومن الانقياد والإذعان لأمره أيما كان".

ونظراً لأن الحظ كان حليف "خوجه" فقد فكر ملياً في هذه الكلمات وأعاد التفكير في وخامة عاقبة الأمور وندامة نهاية الأعمال، فأصغى إلى نصيححتها بأذن الرضا والقبول، وأظهر الإعزاز والإكرام "شيلامون"، وانطلق هو وامراته من المكان الذي كانوا فيه مسرعين إلى البلاط.

كما توجه "تكشي أغول"^(١) - وكان قد سبق له أن قدم في صحبة أخيه الأكبر "هولاكو" - [٥٦] إلى "بورى"^(٢)

(١) تكشي بن موجي بن جغتاي، وهو ليس الأخ الأصغر لقرا هولاكو، بل ابن عمته، ومن ثم فإطلاق الأخ الأكبر على قرا هولاكو، هو من قبيل المجاز. لمكانته عند تكشي أغول.

(٢) هو بورى بن ماتيكان بن جغتاي.

وقد أرسل "تركمان بيتكجي" إلى "ييسو منكو"^(١) وزوجته "تقاشى" وأمراء وقادة
"ألغ إيف"^(٢)، وبعد أن قام بإخبارهم بما جرى لتلك الجماعة^(٣) التي تعلقت أقدامهم
بفتح أفعالهم قال "تركمان بيتكجي":

إن لم تكونوا قد دعمتم هؤلاء في تمردهم، فلماذا تتباطئون - دون داع - في
القدوم إلينا، وما السبب في هذا التراخي والتباطؤ والتقصير؟ فإن لم يكن لتلك الفكرة
وجود في أعماق نفوسكم فعليكم بالتحرك دون تريث، وإلا فعليكم أن تحدّدوا موضعاً
للقاتل وتجهّزوا السلاح للحرب "ومن أنذر فقد أعذر"^(٤).

حين سمعوا هذا الكلام استولى عليهم الخوف والرعب من الإمبراطور [٥٧]،
وأنكروا هذه المعاني وتصلّوا منها كليّة.

وبعد أن أذى الرسل^(٥) الرسالة عادوا على الفور دون توقّف حتى لتناول
طعام، ولم يلبث "بورى" و"ييسو" و"طغاشى"^(٦) أن شرعوا في التحرك.

أما من سيق من هذه الجماعة - من إقليم "إيميل وقيايغ" - فإنه ما إن كان
يصل أحدهم إلى جيش "بوريلغيتاي"^(٧)، حتى يرسله أعزل من السلاح في صحبة
أمراء، ويتعامل مع بقيّتهم بما يراه مناسباً^(٨)، وقد قام بالمهمة على أكمل وجه.

(١) ييسو منكو: الابن الخامس لـ "جغتاي".

(٢) ألغ إيف: لفظ يُطلق على معسكر جغتاي.

(٣) يعنى جماعة الأمراء المتمردين الذين جرى القبض عليهم.

(٤) أصل المثل: "أعذر من أنذر"، انظر مجمع الأمثال، في باب العين ج ١ ص ٣٢٠، واللسان في
نذر.

(٥) يعنى تركمان بيتكجي ورفاقه.

(٦) طغاشى: إملاء آخر لـ "تقاشى".

(٧) تصحيح من "بول"، وفي الأصل: برينكوتاي.

(٨) بما يراه مناسباً من قتل وحبس وتعذيب وغيره (القزويني).

وبمجرد أن وصل "خوجه" إلى البلاط تم إرساله للانضمام إلى [٥٨] "سيرامون" والأمراء الآخرين، أما جماعة الأمراء الذين كانوا معه مثل "بوغاتاي"^(١) "قورچی" و"أرغاسون" ابن "إيلچيكتاي" وغيرهم فقد تمت محاكمتهم جميعاً وسيقوا إلى الطريق نفسه الذي كان قد سلكه من هم على شاكلتهم.

كما وصل "جينقاي" بدوره، فأوكل أمره إلى "دانشمند الحاجب" في رمضان سنة ٦٥٠ [نوفمبر - ديسمبر ١٢٥٢]، وقد قمت بتدوين سيرته في فصل مستقل^(٢).

وبعد هؤلاء جميعاً وصلت "غايمش خاتون"، فتم إرسالها مع "قداقاج" أم سیرامون إلى معسكر "بيكي" [٥٩] حيث ذهبت "منكسار نوين"، وباعتراف أبناء هؤلاء النسوة أنهن كن أصل الفتنة تمت محاكمتهن حيث أقررن ولنلن جزاء فعلتهن.

كذلك وصل "ييسو" وزوجته "تقاشي" و"بوري"، وجمع من الأمراء وكبار القادة مثل "ميران" و"بيتكجي" و"سومان قورچی" و"أباجي" وغيرهم من رؤساء التومانات، فتناقشوا في أمرهم في حضور الخان، فمن كان منهم أميراً قُتل، بينما أرسل "ييسو" و"بوري" إلى بلاط "باتو"^(٣)، وأما "توقاشي خاتون" فقد حاكمها "قراولاكو" في حضور "ييسو"، وأمر بأن تُركل أعضاؤها وتسحق حتى يُشفى ما أكلته في قلبها [٦٠] من حقد دفين.

وفي "بیش بالیغ" كان "إیدی قوت" -زعيم المشركين وعبدة الأصنام (يعني البوذيين)- قد توصل إلى اتفاق مع عصابة من المتمردين يتم بمقتضاه تحويل النهار

(١) تصحيح من "بويل"، وفي الأصل: "قوريقاي".

(٢) لم يف المصنف بوعده هذا فلم نجد في النسخ التي بين أيدينا فصلاً مستقلاً عن دانشمند الحاجب (القزويني).

(٣) لكي يقتض "باتو" منهما، فقد كانت بينه وبينهما خصومة وبغضاء، راجع بويل، هامش ص

النير إلى ليل أسود على جماعة المسلمين في مسجد الجمعة، ومن ثم يشهدون نصف الليل في وضح النهار^(١)، فيطفأ نور الإسلام بظلام الكفر، ويفرقون جمعهم **يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ وَآفَاقَهُمْ وَيَأْتِ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنَزِّلَ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** [التوبة]، فأظهرت معجزة الدين المحمدية ما أضمره، وكشف نور الشريعة الأحمدية ما خطوه في صحائفهم المظلمة، فقد كان بينهم عبدٌ -واقفٌ على عُجْرهم وبُجْرهم- قد قبل الإسلام ديناً، فأخذ يفشى سرهم وألصق التهمة بهم.

أما "إيدى قوت" فقد أوتى به مع عدد آخر منهم إلى المعسكر وجرت محاكمتهم واعترفوا بتلك التهم [٦١] فصدر الأمر بنقله إلى "بيش باليغ"، حيث تجمع الناس بمختلف طوائفهم في الصحراء من أهل الإسلام وعبدة الأصنام. وفي يوم الجمعة -عقب الصلاة، تم تسليمه -في حضور الناس- إلى زبانية (جهنم)، وشكر المسلمون الله على هذا الفتح الذي نالوا به حياة جديدة.

فَتَحَ تَفْتَحُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ لَهُ

وَتَبَرَّرُ الْأَرْضُ فِي أَبْرَادِهَا الْقَشْبُ^(٢)

وأدى هذا الجزاء والعقاب إلى مزيد من الدعاء والثواب للإمبراطور الغازي منكوقا أن. فليُنق الله تعالى على ملكه ويديم سطوته مكافأة له على هذا الإحسان،

(١) يعنى قتلهم ساعة إقامة صلاة الجمعة.

(٢) لأبى تمام من قصيدة شهيرة في مدح المعتصم بالله في ذكر فتحه عمورية، مطلعها السيف أصدق أنباء من الكتب. وفي ديوان أبى تمام: أثوابها مكان أبرادها. (القزويني).

وكنا قد تناولنا هذا الموضوع بمزيد من التفصيل في الفصل الخاص بـ "إيدي قوت"^(١).

كان "إيلچيكتاي" في هذا الوقت في العراق، فمضى "غشقان قورچی" للانضمام إلى "باتو"، ثم انطلقوا مع الخدم للقبض عليه، فلما وصلوا إلى العراق انطلق "إيلچيكتاي" على عجل وتوجّه إلى "بادغيس"، حيث أمسك به الرّسل وحملوه إلى "باتو" مع جماعة [٦٢] من خواصّه والمقرّبين إليه، فانتهى أمره على المنوال نفسه^(٢)، (شعر بالفارسية، ترجمته):

أخذ يحسب بضع لحظات ثم أصبح لا شيء، قالت الدنيا ساخرة: ذهب هو أيضاً.

ويمكن الاطلاع على تفاصيل هذه القضية في الفصل الذي سنخصصه للحديث عن إيلچيكتاي^(٣).

استغرق القبض على من بقي في الجحور من أصحاب الفتن وظلّ منزويًا في زاوية مزيدًا من الوقت، وتم إرسال "بالا يارغوجی" مع الخدم إلى قوّات "بيسو"؛ لكي يتمّ التّحقيق والتحرّی في أمر من شايعه وشابيه، وتمّ قتل كل من شارك في هذا التآمر، وهناك أمير آخر تمّ إرساله إلى بلاد "الخطا" مكلفًا بهذه المهمة نفسها.

(١) انظر الجزء الأول من تاريخ جيانگشای، ص ٣٤ - ٣٩.

(٢) یعنی لقی مصیر الآخرين نفسه.

(٣) يشير الأستاذ القزوينی إلى أن المؤلف لم يكتب هذا الفصل الذي عزم على كتابته عن إيلچيكتاي.

هذه الفتن التي كاد العالم أن يشتعل نازًا؛ بسبب تطاير شرها قد تبددت الآن وزال همها من خواطر الناس.

وأبناء الملوك الذين سبق ذكرهم كانوا مغرورين منحرفين بعيدين عن جادة المصلحة وقبول النصيحة بقبولهم توجيهات معلمين أشرار، وسماعهم لمقترحات أمراء سيئى الطوية، ومثل جليس السوء كمثل النار إن لم يضرك حرها لم يفتك [٦٣] دكانها.

ولما اقتضى حسن سيرة الإمبراطور الشاب ونقاء سريرته أن يجعل رعاية جانب القرابة والصلة فرض غين بإقالة العثرة والتزام جانب القول المأثور "مَلَكْتُ فَأَسْنِجُ"^(١) فقد بسط جناح الرحمة والرفقة كأنه طائر "الهما"^(٢) وقد أطلّ رعوسهم بظله في وقت المجد والجاه وفاء بالقرض والدين:

وأدّ زكاة الجاه واعلم بأنه كمثّل زكاة المال تمّ نصابها

وغطى بذيل العفو والتجاوز على زلات وهفوات كلّ منهم:

ولا يحملُ الحقّد القديم عليهم

وليس رئيسُ القوم من يحملُ الحقدا^(٣)

وعلى سبيل التّأديب لا على وجه التهذيب أصدر أمرًا بموجب الحديث المشهور "سافروا تَغْنَمُوا"^(٤) يقضى بأن عليهم أن يضعوا أقدامهم في طريق الاغتراب لمدة من الزمن، فالقمر يتكبّد عناء السفر لكى يصبح بدرًا [٦٤] ويتعين عليهم في

(١) انظر: مجمع الأمثال، ١ : ١١٥، ٢ : ١٥٨ (القزويني).

(٢) هما: طائر أسطوري ضخم إذا استظل أحد بظل جناحيه ظفر بالسعادة.

(٣) من أبيات للمفتح الكندي، انظر شرح الحماسة للتبريزي ج ٣ ص ١٠٠ - ١٠١.

(٤) انظر الجامع الصغير للسيوطي، حرف السين.

عناء المعارك والملاحم إظهار أصالة الرجال وكفاءة ذوى الهمة والفضل، فجلالة الأخطار في الأخطار^(١)، وذلك لكى يغسلوا وسخ الأوزار ورسخها بغرق العناء والمقاساة ومكابدة الأخطار، وينزهوا العرق ويطهروه من وصمة الخيانة ومنقصة الجناية.

فمن المؤكد أن النار تجعل عيار الذهب نقيا صافيا، وكلّ ولد لم يصبح مؤدبا ومشدبا بتهذيب أقرائه المحبين له المشفقين عليه لا بد أن يغدو مجزبا ومهدبا بتأديب الزمن القاسى العشوم.

من لم يؤدبه والداه أدبه الليل والنهار

ومن ثم أصدر أوامره بأن يتوجه "سيرامون" و"ناقو" و"يسنبوقا" إلى مختلف نواحي [٦٥] "منزى"^(٢)، وأن يكون سيرامون في صحبة "قويبلای أغول"، و"ناقو" بصحبة "جفانوين" بينما يوجه "يسنبوقا" إلى مكان آخر^(٣).

أما "خواجه" فقد أمر الإمبراطور بإعفائه من المشاركة في أية بعثة وفاء بحق زوجته، وحدد مكان إقامته في "سولنكاي"^(٤) بالقرب من "قراقورم".

قلله هذه الفعال الذى طرز ديباجة الكرم وغبّر في مساعى ملوك الأمم.

(١) صدره: والهنون في ظلّ الهونينا كامن، من قصيدة مشهورة للنهامي مطلعها:

حكم المنيّة في البريّة جارٍ ما هذه الدنيا بدارٍ قرارٍ

(٢) منزى: نواحي الصين الجنوبية.

(٣) يبدو أن منكوقا أن أمر بأن يذهب سيرامون وناقو ويسنبوقا - وهم من الأمراء المعارضين - إلى ولايات مختلفة في "منزى" متفرقين لا مجتمعين، ولا يلتقون جميعا في مكان واحد بل يتوجه سيرامون في صحبة قبلاى أغول، وناقو في صحبة جفانوين ويسنبوقا إلى موضع آخر من "منزى" (القزوينى).

(٤) أى SOLANGA، وتعنى كوريا الشمالية (بويل).

لله أفعاله اللواتي حَسُنَ مَرَاىَ وَطَبْنِ نَشْرًا
أودَعْنَ كُلَّ النفوسِ وَدَا أَخْلَصْنَ سِرًّا لَهُ وَجَهْرًا

وتدل الألفاظ النبوية التي تُمطر الذرر على هذا المعنى: "صلوا أرحامكم"، و"صلة الرّحم تطيل العمر"، وهذه إشارة لا تُحصى أمة بعينها بل [٦٦] تشترك فيها كل الأمم، وهذا المعنى يقزّر ببديهية العقل أن صلة الرّحم امتزاج واشتباك، فإن أخذت الحديث على ظاهر معناه كان مناقضاً للآية الكريمة: ﴿... فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقِيمُونَ﴾ [الأعراف]، ولما كانت الروايات تؤكد الآيات، والأحاديث السديدة توافق الكلام الرشيد والقرآن المجيد، فإن من المحقق ومما لا مراء فيه أن إطالة العمر بواسطة صلة الرحم يمكن أن تأتي على وجهين:

الأول: عن طريق الزواج والتأهل، فبه يتوالد الناس ويتناسلون ويأتي الأقباب وأخلاف الصدق بطنًا عن بطنٍ وقرنًا بعد قرن من عالم العدم إلى صحن الوجود، ومن خفاء بيت الكتم إلى صحراء الظهور، ويظل ذكر الآباء والأجداد من تشبّه الأبناء بمناهج الآباء باقيًا على وجه الزمان، وهدف الحياة بالنسبة إلى الرجل العاقل الشهرة والاسم الحسن يشيع ويذيع في أطراف العالم ويبقى مخلدًا بعده، ووجود كل خلف كريم - ليس بلئيم - إنما هو حياة لأسلافه.

والثاني: بالموافقة والموالة مع العشائر والأقارب وبالمواساة مع غير الأقارب والأجانب، فبمعاونة الواحد للآخر يُكتب لهم النص -حتى وإن كانوا ضعفاء- على العديد من الأعداء الأقوياء [٦٧] كالأوتار والأشعار إذا ساند بعضها بعضًا عجز الفيل عن قطعها.

(بيت فارسي، ترجمته):

والخيظ حين يكون وحيدًا، قد يُقطع بقوة امرأة عجوز، فإن صار مزدوجًا عجز عنه زال زر^(١).

(١) زال زر: زال الذهبى. أبو رستم البطل الأسطوري الإيراني.

وببركات الموافقة والمساندة تُكتب لهم النجاة من الورطات حين ينقطع الأمل في الفرج، ولا يمكن لأحد أن ينظر إليهم نظرة تتطوى على إهانة أو إذلال، ويقضون حياتهم بين الناس وهم يتمتعون بالرفاهية والاحترام والتمكين والإكرام، ويبقى الطريق مغلقاً أمام تمكّن الخصوم منهم، وعند صاحب الهمة تبدو الحياة ولو ليوم واحد في ميابة ووقار أفضل في الحقيقة من سنة بأكملها في إحباط ومذلة.

وَلَمَمُوتٌ خَيْرٌ، لِّلْفَتَى مِنْ قُعُودِهِ عَدِيمًا، وَمِنْ مَوْلَى تَدِبُّ عَقَّارُهُ^(١)

وعلى هذا النهج غلب "جنكيزخان" وذريته على الجانب الأعظم من الدنيا، بينما يقنع بقيتها بالطاعة والإذعان ويقبلون دفع المال (الضرائب) والخراج، ذات يوم، في بدء أمره وظهور بأسه وقوته، شرع في بذل نصيحة لأبنائه وإعطاء كل واحد منهم التعاليم، [٦٨] ومثل لهم بنبل سلّه من كنانته، وأعطاهم إياه، ووضح أن كسره لا يحتاج إلى قوة كبيرة، فأعاد الكرة باثنين ثم واصل حتى بلغ العدد أربع عشرة، فعجز عن كسرها الأقوياء، فقال: "هذا الحكم نفسه يسرى على أولادى، فطالما رعى كل واحد منهم جانب الآخر أمنوا غوائل الأحداث، فيتمتعون بملكهم وينعمون، والعكس بالعكس".

ولو كان سلاطين الإسلام قد أرسوا هذه القواعد في حفظ الأقارب وحماية الأجانب وشيدوا هذا الأساس وبسطوا حمايتهم على اللاجئين إليهم، ورأوا أن التآمر على الأقارب أمر مهجور في مذهب المروءة والفتوة، وشأن محظور في شريعة الشفقة والرأفة، لما كان من الممكن استئصالهم.

ومن توالد أولاد ذرية جنكيزخان -ممن هم ينعمون الآن بنعيم الملك والنعمة- نجد الآن ما يربو على عشرين ألفاً، ولن أقول أكثر من هذا، بل إننى سأتجنب

(١) من جملة أبيات لأبى النشاش (من لصوص بنى تميم)، انظر شرح الحماسة، ج ١، ص ١٦٧، والأغانى، ج ١، ص ٤٥، وفيه: أبو النشاش، وهو تصحيف وقع في الطبع.

(الكلام في هذا الموضوع)؛ لكى لا يتهم قراء هذا التاريخ محرز هذه الكلمات بالمبالغة وتجاوز الحد [٦٩] ويتساءلون كيف يكون من صُلب رجل واحد مثل هذا العدد من الأحفاد في زمن قريب.

جملة القول: إن الخاطر المبارك (لمنكوقا آن) قد استراح حين فرغ من كل الميام وأذن لحشد أبناء الملوك في الانصراف والعودة، وقد حظوا بصنوف من الودّ والتكريم وفنون من البزّ والمرحمة، ومنعِد كل واحد منهم على حدة بنوع آخر مخصوص.

ولما كان يتعين على "بركه أوغل" و"تقَاتيمور" - وقد قدما من قِبَل "باتو" قطع مسافة طويلة للذهاب، وقد طال غيابهم فقد صرفهم أولاً (وبذل لهم) كل أنواع المكرمات والصلّات وأساليب الميزات التي يضيق المجال عن ذكرها، وبعث معهم إلى "باتو" من الهدايا والتّحف مثلما يُبعث من ملك العالم إلى ملك عظيم ذى شأن، فالشمس تضيئ من النور ما يليق بها على الكواكب السيّارة والثّوابت، والبحر الممتلئ بالماء العذب ينثر الدرّ والماء على حسب هِمّة المغترف والغوّاص، وأعطى لكل من "قدعان أغول" و"ملك [٧٠] أغول" معسكرًا من معسكرات "قا آن" ومنازله، كما وهب كل واحد منهما سيّدات المعسكرات، وأعطاهما قريبًا من "تومان" ^(١) من قادة جيش "قا آن" وجنده، وهدايا قيمة يضرّ الذّهر بمثلها، كما أمر بأن يحدد لكل منهما ضياغا يُلقيان فيها عصا الإقامة وينصبان عليها خيام المقام.

ثم إنه صرف بعدهما "قرا هولكو" بإعزاز وإكرام تام، ومنحه مكان جدّه الذي كان عمّه قد استولى عليه، فرجع بالغبطة والظفر، فلما وصل إلى "التاي" لم يتحقق ما كان يصبو إليه إذ لم يستطع أن يتقدم خطوة أخرى حتى نفذ حكم الله (ففاضت روحه).

(بيت فارسي، ترجمته):

(١) التومان: عشرة آلاف.

لم يحصل على الزاد من ياقوتة شفتك،
 ولا هو جنى سنابله من حقل الرغبة
 وكذلك غيرهم من أبناء الملوك وقادة الجيوش والأمراء، فقد صرف كل واحد
 منهم، وفقاً لمستوى رتبته ووفق ما تملّيه همته:
 فعادوا فأتوا بالذى كان أهله
 وإن سكتوا أثنت عليه الحقائب^(١)

أما "كشك" فقد جعله "ترخانا"^(٢)، وأمر بإعطائه مالا كثيرا حتى صار غنيا
 [٧١] وارتفع قدره وامتنعت ساحته.

وما إن غادر أبناء الملوك وتم إنجاز مهامهم حتى اتجه إلى ضبط مصالح
 الملك وتقويم المعوج وإصلاح الفاسد، وزجر المعتدين وقمع المفسدين، فلما انصرفت
 همته الملكية إلى تذليل صعاب المتمردين وإلانة رقاب البغاة والتفت فكره العالى إلى
 تخفيف محن البرايا وتيسير مؤن الرعايا أثر كماله العقلى أن يختار الجد على الهزل،
 فتخلّى عن مواصلة شرب الخمر، واصطاد حبات محبات قلوبهم بحبائل إفاضة العدل
 وحبات الإحسان^(٣).

فبدأ باختيار الجيوش لأقاصى الشرق والغرب، لبلاد العرب والعجم فعهد
 ببلاد الشرق وولايات [٧٢] "خناى" و"منزى، وسلنكاى، وتكوت" إلى قوبيلاي أغول

(١) من أبيات لنصيب بن رباح يمدح بها سليمان بن عبد الملك، انظر الأغاني ١ : ١٣٤، وطبقات
 الشعراء لابن قتيبة، ص ٢٤٣، وابن خلكان في ترجمة الفرزدق، وأصل البيت هكذا:
 فعاجوا فأتوا بالذى أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب
 (٢) أى أنه: أمر بإعطائه وورثته من ضرائب ورسوم، والسماح له بالدخول على الإمبراطور في أى
 وقت شاء.

(٣) يبدو أن المؤلف يشير إلى بيت لأبى الفتح البُستى، هو:
 كذلك لا يصطاد ذو الرأى والجحى محبات حبات القلوب بلا حُب
 (تاريخ اليميني: ١ : ٣٥٦) "القروينى".

الذى يتميز بالعقل والذكاء والفتنة والدهاء، وعيّن لمرافقته قادة عسكريين كبارًا ووضع تحت قيادته كل الأمراء الذين كانوا قد استوطنوا تلك النواحي يمينًا ويسارًا^(١)، وعهد بالبلاد الغربية إلى أخيه الآخر "هولاكو أغول" الذى عُرف بالثبات والوقار والحزم والحيطة والنجدة والغيرة، وكلف أضعافًا مضاعفة من الجنود لمرافقته، فتحرّك في المقدمة "كيدبوقا باورجى"^(٢) في أواسط جمادى الأولى سنة خمسين وثمانئة (يوليو ١٢٥٢) للبدء في التعامل مع الملاحدة. (بيت فارسى، ترجمته):

- بأمرك النافذ دعهم يذهبون بالليل والنهار، تارة من الصين صوب بلاد الروم، وتارة من الروم إلى الصين.

ومن أجل تحديد الأموال [الضرائب] وتسجيل أسماء الرجال، عيّن الحكّام، والشحنة، والكتاب [٧٣]، فما كان من بلاد شرقية ابتداءً من الإقليم الخامس من شاطئ نهر "جيحون" إلى نهاية حدود "ختاى"، وهو الإقليم الأول -فقد أقره- كالسابق - للصاحب المعظم (الوزير الكبير) محمود يلواج، وخلف الصّدق له: مسعود بك، فقد خصّ محمود يلواج -الذى اقترنت خدماته السابقة بدلائل محبّته اللاحقة، فهو الذى وصل قبل الجلوس المبارك للإمبراطور على العرش- خصّه بإقليم "ختاى"، بينما خصّ مسعود بك -الذى كان قد قدم خائفًا وجلًا وعابن الأخطار؛ بسبب إخلاصه وموالاته لجلالة الإمبراطور، حتى انتهى به الأمر بعد أن اجتاز هذه الورطة فأصبح يتمتع بالنفوذ الكبير والقوة- بمنطقة ما وراء النهر كلّها، وتركستان وأترار وبلاد الأويغور، والختن، وكاشغر وجند وخوارزم وفرغانة، ولما كان وصولهما إلى البلاط قد سبق عقد "القوريلتاي" فقد صرفهما مبكرًا [٧٤]، وحظي كل من كان في صحبتها بأنواع من الإنعام الخاص.

(١) يعنى: شرقًا وغربًا (بويل).

(٢) باورجى: الطباخ، (القزوينى)، وانظر "بويل" أيضًا.

وبعد أن غادرا، وصل إلى البلاط الأمير الكبير "أرغون" الذي قطع مسافة جد بعيدة تكتنفها الأخطار والمخاوف والوعيد، في العشرين من صفر سنة خمسين وستمائة (٢ من مايو ١٢٥٢)، بعدما تفرق "القوريلتاي"، ومضى كل واحد من أبناء الملوك إلى وطنه.

ولما كانت العناية الأزلية والقدرة الأبدية تؤازره، فكان قد سبق له أن وضع نفسه في المقدمة من الحض على مشايعة الدولة ومتابعة الميل إلى الإخلاص للبيت الملكي بذرائع متينة ووسائل مبينة.

وعند الصبح يحضد القوم السرى^(١).

وكان قد امتاز بنجاح الآمال وإدراك المقاصد، فوضع (الإمبراطور) في كفه حكم بلاد خراسان ومازندران، والهند والعراق، وفارس، وكرمان، واللور، وأزن، وأذربايجان، وجورجيا، والموصل وحلب، أما من كان في صحبته من الملوك والأمراء والكتبة فقد حظوا بالتكريم وفقاً لرؤيته هو وعنايته، وفي العشرين من رمضان من السنة المذكورة (٢٤ من نوفمبر ١٢٥٢م) انطلقوا عائدين؛ ولكن عدداً منهم كان ما زال لديهم عدد من الأعمال لإنجازها، فتخلفوا بضعة أيام، ومن ثم غادروا في أعقابهِ (يعنى أرغون) سعداء مسرورين^(٢).

وعين الإمبراطور "خُذْماً" لمصاحبة هؤلاء [٧٥] الحكام المذكورين وأمرهم بالقيام بإحصاء لعدد سكان الولايات وتحديد الضرائب؛ فإذا ما فرغوا من ذلك عادوا أدراجهم وقَدَّموا تقاريرهم إلى البلاط، وقد تلقى كل واحد منهم أمراً بالقيام ببحث

(١) انظر مجمع الأمثال في باب العين، طبع مصر ١٣٠٣.

(٢) لعل المؤلف يريد بذلك أن يشير إلى تخلف سراج الدين شجاعى عن الركب بضعة أيام في قراقورم، وكان قد أشار إلى ذلك من قبل، (بويل).

الأحوال السابقة وفحصها على أفضل نحو فلن يستطيع أحد منهم التوصل من صعوبات المهمة "وعفا الله عما سلف"، فقد كان الإمبراطور معنياً بالترفيه عن أحوال الرعايا، لا تكديس الأموال والثروات في الخزائن، كما أصدر أمراً بتخفيف المؤن عن الرعية، ونصّه محفوظ بدور المحفوظات، ومنه يتبين مدى اهتمامه وعنايته بشئون بنى البشر وصيانة مصالحهم.

وبعد وفاة "كيوك خان" كان أبناء الملوك [٧٦] قد درجوا على أن يُصدر كل واحد منهم أوامر بكثرة بالغة وانشغلوا في أعمال تجارية ودفعوا بالرسل إلى كل أرجاء العالم، وتمسك كل شريف ووضع بالحماية لكونه تاجراً وتتصلت الرعية من ضخامة العبء^(١).

فأصدر الإمبراطور الأمر بأن يردّ كل واحد منهم -ممن ذكرناهم- الأوامر ولوحات التكريم التي يحتفظ بها في الولاية الخاصة به منذ عهد "جنكيز خان" وقا أن "كيوك خان"، وأن يُعيد سائر الأمراء ما قد يكون لديه، وأن يتمتع الأمراء من الآن فصاعداً عن إعطاء أو كتابة الأوامر والتعليمات المتعلقة بأى أمر يخص الإدارة المالية في الولايات دون استشارة مندوبى البلاط، وألا يزيد ما يمتطيه كبار الرسل والمبعوثين عن أربعة عشر بغلاً، وأن ينتقلوا من محطة إلى محطة، ولا يدخلوا قرية أو مدينة ليس لهم فيها عمل محدد، وألا يتزوّدوا من المؤونة بما يزيد على ما يتقوّت به فرد واحد من الرجال.

[٧٧] ولما كان الظلم والجور قد بلغ عنان السماء (وجاوز كل الحدود) وتعرض الفلاحون -بوجه خاص- للذلّ وديسوا بالأقدام، بسبب الضرائب المفروضة؛ لدرجة أن إنتاج محاصيلهم لم يف بنصف المبالغ التي تقرر تحصيلها منهم، أمر بأن يلتزم الشريف

(١) هكذا ترجمها "توبل" بالإنجليزية 598 P، وقد أقرّ المحقق -الأستاذ القزويني- بأن الجملة مضطربة.

والوضع من التجار وكذلك المسؤولون عن الشؤون المالية والإدارية بضبط النفس في معاملاتهم مع الناس، وأن على كل إنسان -وفقاً لظروفه وقدرته- أن يدفع المبلغ المفروض عليه بناء على ما تقرّر عليه دفعه، عدا من تم إعفاؤهم من المشاقّ والمؤن بناء على المرسوم الصادر من "جنكيز خان" و"قاآن"، ويعنى بذلك السادات الكبار والأئمة الأخيار من المسلمين، ومن النصارى ممن يقال لهم "أركون" والزهبان والأخبار، ومن عبدة الأصنام القساوسة الذين يقال لهم "توين"، [٧٨] ومشاهير التّوئينان، ومن بين طبقات الناس ممّن كبر سنّه وعجز عن الكسب، أمّا اليهود فقد سمعوا بهذا المرسوم فحسبوا ولم يكونوا من بين هذه الزّمرة ولم يدخلوا في هذا الحصر، ومن ثم اغتاطوا للغاية وتضايقوا، وأصابتهم الدهشة والحيرة وأمسكوا بلحاهم حزناً وغماً، مثل قال "ظهير" (الفاريابي) في وصف أحد الرّعاظ:

(بيتان بالفارسية، ترجمتهما):

-كان رجلٌ أحمرّ اللّحية حاضراً، ضرب يده في لحيته حين سمع ذلك

-وقال: أرى أننا لسنا في الحُسبان، ولا نعدّ شيئاً في كلا العالمين

وحتى لا يتمكن كل مسئول من تقسيم الدخل [حسب مزاجه] أمر بإقرار خطّة سنوية [٧٩] يدفع الرجل صاحب الثروة الكبيرة بمقتضاها في بلاد "ختاي" أحد عشر ديناراً ضريبة تتناقص نسبتهما حتى يدفع الفقير ديناراً واحداً، ومثل ذلك في بلاد ما وراء النهر، وفي خراسان يدفع الغنى عشرة دينارات والفقير ديناراً واحداً، كما أمر ألا يتّبع الحكّام والكتبة الهوى والمداهنة، وعليهم ألا يتقاضوا الرّشوة، وألا يجعلوا الحقّ باطلاً والباطل حقاً، وفي مراعى الحيوانات -التي يطلقون عليها اسم "قويجور"- إن كان أحد يمتلك مائة رأس من نوع خاص من أنواع الحيوانات فعليه أن يقدّم منها رأساً واحداً، أما إن كان لديه أقلّ من ذلك فلا يقدّم شيئاً، وحيثما وجدت متأخّرات على الضرائب، أو كان قد بقي على أحد من الرعايا ذنن، فلا يحقّ لهم أخذه منه، أما التّجار ورجال

الأعمال الذين أقاموا صفقات تجارية مع "كيوك خان" وزوجته وأولادها فقد أمرهم أن يسددوها من الدّخل الجديد.

ومن بين كلّ الطوائف والملل أبدى المزيد من الإكرام والاحترام للمسلمين خاصة، فكان إغداقه عليهم بالمال والصدقات أكثر شمولاً فتمتعوا بأعظم الحقوق، وللبهرنة على ذلك ما حدث في عيد الفطر سنة خمسين وستمائة (الخامس من ديسمبر ١٢٥٢)، إذ تجّمع الناس في حضرة الإمبراطور عند بوابة المعسكر مع قاضى القضاة جمال الملة والدين مقتدى [٨٠] العلماء محمود الخجندى (يديم الله فضله)، وأمّ قاضى القضاة النّاس، ثم خطب فيهم وطرز الخطبة ووّشّحها بذكر الخلفاء الراشدين وأمير المؤمنين، فلما فرغوا من أداء صلاة العيد - التي ترجح أداء ألفى ركعة في الكعبة بمقتضى الحديث النبوى - دخل قاضى القضاة المعسكر، ودعا (للإمبراطور) بقوله: (بيتان بالفارسية، ترجمتهما)

فَلْيَكُنْ طُلُوعُ كَوْكَبَةِ نَجُومِ الْعِيدِ يُمَنَّا عَلَيْكَ

فَطَالَعُكَ عَلَى النَّاسِ جَمِيعًا مَيِّمُونَ

مُخَالَفُكَ فِي تَنَاقُصٍ وَاضْمِحْلَالٍ كَالْبَدْرِ

لَكَنْ سَعْدُكَ كَالْهَلَالِ يَزْدَادُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ^(١)

وهو ما لفت نظر الإمبراطور وأثار اهتمامه وتلطفه مع قاضى القضاة، وأشار إليه بإعادة الدعاء كزات ومرات وأهداه عربات مملوءة بالذهب والفضة وأنواع الثياب القيّمة هدية بمناسبة العيد، وكان لمعظم الناس نصيب من ذلك، مع أن نواله للعباد وفير ولا حصر له في غير الأعياد أيضًا.

(١) مطلع قصيدة للأبيوردى، ديوان أبيوردى، طبع بيروت، سنة ١٣١٧، ص ١١٥.

[٨١] لنا في كُلِّ يومٍ من صلاتك عيد

فكيف يبينُ العيدُ يومَ يعودُ

وفى أرجاء البلاد الخاضعة لسلطانه، فإن كان مجرمًا أو سجينًا في ذلِّ القيد، أمر الإمبراطور بإطلاق سراحه ومنحه أمانًا من الذلَّة ومَحَن العيش، وقد أثبتَّ هذه الأبيات التالية، وإن لم تكن مناسبة للمقام، فلعلَّها تكون مقبولة عند أصحاب الذوق والحقيقة:

مَنْ أَنَا عِنْدَ اللَّهِ حَتَّى إِذَا أَذْنَبْتُ لَا يَعْفُو عَن ذَنْبِي
العُفُو يُرْجَى مِنْ بَنَى آدَمَ فَكَيْفَ لَا يُرْجَى مِنَ الرَّبِّ

وكم من قلوب راودها الأمل في الحياة حين بقيت الرقاب على الأبدان والدرهم والدينار في الصُّرر والأكياس؛ وبهذه المهمة تم إرسال المبعوثين وإطلاق الرسل إلى كل أرجاء البلاد (بيت فارسي، ترجمته):

دَعِ الْمُلُوكَ الَّذِينَ يَبْذُلُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ يَتَعَلَّمُونَ

تَقْلِيدَ بَذْلِ الرُّوحِ مِنْ سُلْطَانِنَا "بِهْرَا مِشَاه" (١).

كَالشَّمْسِ فِي كَبَدِ السَّمَاءِ وَضَوْءُهَا

يَغْشَى الْبِلَادَ مِشَارِقًا وَمَغَارِبًا (٢)

ولو بدأنا في شرح الأمور التي تصدر عن شخصه يومًا بيوم وخضنا في تقرير أفعال الخير التي تتجلى بذاتها لاستغرق ذلك منا كتابة مجلدات كاملة، فقليل

(١) لعله يعنى "بهرامشاه الغزنوي" (١١١٨ - ٥٢) (بويل).

(٢) للمتنبى من قصيدة مطلعها: بأبى الشَّمْسِ الجَانِحَاتِ غَوَارِيَا.

من كثير وقطرة من بحر وذرة من شمس قد بلغ وسيبلغ أسماع المستفيدين والمهتمين
"والقليل منها على الكثير دليل".

ولما كانت شهرة عدله وإنصافه شائعة [٨٢]، وفائضة في الأقطار والأطراف -
فإن القريب والبعيد يلجئون إلى حماه برغبة صادقة، حيث يجدون الأمان من بأسه، أما
الآخرون -الذين هم بمنأى عنه- فإن لديهم الرجاء نفسه، ويأتى السفراء والرسل من بلاد
الفرنج، ومن منتهى الشام، ودار السلام (بغداد)، ويجلب السلاطين ويرسلون التحف
والهدايا الكثيرة من الخيول والمطايا المقللة بالأحمال إلى حضرته.
(بيت فارسي، وترجمته):

من هذه المدن يرسلون الجزية والخراج
إذ لا قدرة ولا طاقة لهم على محاربتة^(١).

فيعودون وقد قضوا حوائجهم وأدركوا مباغيهم، وسوف نكتب عن كل واحد
منهم -على حدة- فصلاً^(٢)، وقد جرى ذكر هذا على سبيل الاختصار، وعلينا أن
نحشد أنفسنا ونقصر هممتنا على الدعاء من أجل تحقيق السعادة المتزايدة بمرور
الأيام (للإمبراطور)، (رباعى فارسي، ترجمته):

أيها الملك، أدام الله ملكك وعمرك،

وازدهى وجه سغديك بالورود

فسغديك هو مركز الشمس

فليخرجها الله من مدار الزوال^(٣)

(١) بيت من شاهنامه الفردوسي.

(٢) لم ترد هذه الفصول في الكتاب.

(٣) لظهير الدين الفاريابي، الشاعر الفارسي.

[٨٣] لمحة من مآثر جلالة ملك العالم "منكوقا آن"

بعد جلوسه على العرش

فى مقدّمة هذا الكتاب تمت الإشارة إلى مكارم أخلاقه وأفعاله على سبيل الإجمال، وفى الفصل الخاص بجلوسه المبارك (على العرش) وردت كذلك بعض الإشارات التفصيلية، ولكن لتأكيد ما سبق ذكره فإننا نورد حكاية تتركز فيها وتتجمع [خصال] العدل والجود؛ لكى يعلم الناس ويتبين لهم أن الإشارة إلى تلك الخصال إنما هى منزّهة عن قصد التكلف ومبرّأة عن وصمة التعسف.

عندما سارع التجار قادمين من جميع الأقطار إلى حضرة "كيوك خان"، عقدوا صفقات ضخمة على أن يتم سداد قيمتها بمقتضى صكوك ضخمة فُرِضت على بلاد الشرق والغرب، ولكن نظرًا لأنه لم يبق في الملك مدة طويلة^(١) بقى الجانب الأعظم من تلك الأموال غير مُسَدّد ولم يتم لأولئك التجار تحصيله.

وبعد وفاته، أخذت زوجاته وأبنائه [٨٤] وأبناء إخوته في عقد صفقات أكبر مما كان في عهده، وكتبوا صكوكًا بالطريقة نفسها، وكانت أفواج من التجار الآخرين تتوالى ويأتى بعضها في إثر بعض وهى تحمل الحوالات معها.

فلما تغيّر وضع تلك الفئة^(٢) وذهب رُيحها، كان هناك من بين التجار من لم يحصل على مقدار عُشر الحوالات السابقة، وبعضهم لم يكن قد وصل إلى موضع الحوالة (لصرف قيمتها من هناك).

(١) "وكانت مدة ملكه سنة واحدة" (جامع التواريخ ٢٥٠). (القزويني).

(٢) يعنى أسرة "كيوك خان" وأنصاره، فقد قتل معظمهم وتم نفيهم وسجنهم؛ بسبب ما كانوا يدبرونه من غدر "بمنكوقا آن" (القزويني).

وبعضهم كان قد سَلَمَ السلعة ولم يتم تحديد الثمن، بينما لم يتلقَ البعض الآخر الصك أصلاً.

فلما استراح ملكُ العالم "منكوقا أن" باليمن على عرش التوفيق، وانتظمت حبات عقود العدل والإنصاف، جاء إلى حضرته جماعة من أصحاب هذه الصفقات على سبيل الاختبار والامتحان وهم بين الرجاء في أن يحظوا بعدله والياس من (الاستجابة) لالتماسهم الخاص (باسترداد) أموال هذه الصفقة؛ وعرضوا قضيتهم على سمعه المبارك، وعلى الرغم من أن كل موظفي البلاط وأركان الدولة أجمعوا على أنه لا يلزم سداد قيمة هذه الصفقة من خزانة الإمبراطور وأنه ليس هناك مخلوق يمكنه أن يوجه اعتراضاً أو لوماً (إذا تم رفض سداد القيمة)، فإن ما ورد في هذا الشعر؛ (بيتان بالفارسية، ترجمتهما):

- ما الذي يمكن أن يتأتى من مُلْكنا المؤسس على الحق؟

إلا أن يصبح الخراب عُمراناً!!

- لقد وسع سخاء السحاب العالم كله،

لأنه يعطى اللبن لأطفال الغُشب.

فقد بسط جناح الرحمة عليهم جميعاً وأصدر الأوامر بدفع المبلغ كله [٨٥] من أموال إمبراطوريته، وقد بلغ أكثر من ٥٠٠.٠٠٠ خمسمائة ألف "بالش فضة"^(١)، ولو كان حبسها ما كان بوسع أحد أن يعترض.

بهذه الموهبة سلب المجد من الملوك ذوى الخصال الحاتمية^(٢) وبهذه العدالة ذرّ التراب في عيون الأباطرة المتشبهين بأنوشيروان^(٣)، ففى أى كتاب من كتب التاريخ قرئ أو سُمع من الرواة أن ملكاً سدد دينَ ملك آخر؟

(١) البالش الفضة نحو مائتى دينار.

(٢) نسبة إلى كُرم "حاتم الطائي" وجوده.

(٣) إشارة إلى عدل كسرى أنو شيروان.

فما من مخلوق تحمّل سداد دين أعدائه، هذا مشهد من عاداته وأخلاقه الملكية التي يمكن الاستدلال بها على مواقفه في أمور آخر، وكلّ الصيد في جوف الفزاء^(١)، (بيت شعر فارسي، ترجمته):

أمام قدره تبدو السماوات التسع الطباق،

مثل خرابة ذات جدران أربع

إن مثل هذا الإمبراطور في نفاذ أمره ونهيه، لا يمكن إلا أن يكون ممكناً طويل العمر، وذلك بمقتضى الكلام الرياني: ﴿... وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكِّنْ فِي الْأَرْضِ...﴾ [الرعد].

فليهبه الله عمراً غير متناهٍ في السيادة والسلطة.

(١) انظر مجمع الأمثال، باب الكاف ٢: ٥٤، واللسان والتاج في ف ر ع .

ذكر أركان الدولة

حين انتظمت شئون العالم بفضل عدله، وتم حسم المواد التي تسببت في تشويش عقول الناس، وسكنت الفتن المثارة بيمن جلوسه على العرش [٨٦] غُلّت يد الظلم والفساد، وانطلقت الجيوش متوجهة إلى أطراف الأرض وأكنافها، وأحنى المعاندون رؤوسهم طائعين، وتوجه أصحاب الحاجات وأرباب المُلتمسات ومتقلدو الأعمال والمكلفون بأداء الأشغال صوب حضرته، ويمموا من قريب وبعيد وجوههم شطر بلاطه، الذى هو ملجأ أهل العالم جميعاً ومنجى الخائفين، كان عدد الناس كبير ومطالب كل واحد منهم لا حصر لها وحوائجهم مختلفة ومتنوعة، وكانت إقامتهم تطول (فى البلاط)، كما كانت كفاءة الكتبة والموظفين وقدراتهم تتفاوت، مما أدى إلى أن بعض (أصحاب الحاجات) كان يصيب نجاحاً وبُوفيقاً وبعضهم يبقى محروماً محبطاً.

وكانت العناية السابقة للإمبراطور المشفق وتعاطفه ووفرة اهتمامه ورحمته تقتضى أن ينال كل واحد من الرعايا نصيبه من رأفته، كلٌ على حسب حصته المقدرة له؛ إذ أمر بأن يتولى الأمير "منكسار نوين" مع عدد آخر من الأمراء المجزيين القيام بكل ما يتعلق بتفحص الأمور ودعاوى الجمهور، وعليه أن يعمل على إرساء أسس العدل.

كما أمر "بُلغاي آقا" - وكانت له حقوق ثابتة؛ بسبب سوابق خدماته - بأن يتولى رئاسة الكُتّاب وقيادتهم وأن يصبح وزيراً لهم، فيكون هو من يعرض حاجة كل واحد ممن يتقدمون بالتماسات، شأنه في ذلك شأن الحاجب، وهو الذى عليه أن يكتب ويدون الأوامر الرسمية [٨٧] والمناشير^(١).

(١) كذا فى الأصل بالعربية، جمع منشور.

ومن بين الكُتّاب المسلمين أمر الإمبراطور الأمير "عماد الملك"، الذي شغل المنصب نفسه في بلاط كل من "قا آن" و"كيوك خان"، والأمير فخر الملك -الذي كان مقدّمًا ومفضّلًا على غيره من المقرّبين للبلاط؛ بسبب طول مدة خدمته مع جماعة آخرين من المغول؛ لكي يكونوا مساعدين للأمير "بلغاي"، وحدّد لكل فئة منهم مهمة منفصلة يتولونها على حدة، يتمّ لهم بمقتضاها - بعد استشارة الأمير بلغاي وبعد الحصول على إذن منه - تقديم تقاريرهم للعرض على رأى الإمبراطور الذي يحلّ العُدّ، أما ما كان من شئون الديوان؛ كفرض الضرائب وتقليد الأشغال والمهام، فقد حُصّ بها أيضًا الأمير "بلغاي" مع شخصين آخرين.

وهناك جماعة تهتمّ بشئون التّجار، والتّجار عدّة طوائف: فمنهم من تلقّى من الخزّانة "بالش" وتقرّر أن يسدّد للخزّانة قدرًا معيّنًا كل عام، ومنهم من أصبح تاجرًا في الفترة الأخيرة.

وفي العهد السابق قبل الجلوس المبارك للإمبراطور على العرش كانت تُعطى لكبار التّجار مراسم ملكية (برليغ) ولوحات شرف (بايزه)، ولم يكن أى صنف منهم يتمتع بالاحترام والهيبة. وكان للبعض منهم بغال ويعفون من الضرائب، ولكن حين أصبح هو ملكًا ووضِع مفتاح الملك في كف سياسته وعدله صدرت الأوامر بالآلا تعطى لوائح شرف إلى التّجار، ومن ثم يتمّ التمييز بينهم وبين من يتقلّدون وظائف رسمية؛ [٨٨] فاستخدام التّجار للبالغ أمر فيه إسفاف وتجاوز لحدود العدل، وهم بذلك يرهقون الرعيّة^(١)، ونظرًا لانشغالهم الدائم بتحقيق المكاسب الخاصة لأنفسهم فعلى

(١) تبدو الفقرة المعادلة لهذه الفقرة في كتاب جامع التواريخ، لرشيد الدين فضل الله أكثر صراحة ووضوحًا (ص ٣١٢) وهي: "قى عهد قا آن" كان معهودًا أن يأتي التّجار راكبين البالغ إلى ولاية "مغولستان" فقال "منكوقا آن" مُنكرًا: ما معنى أن يتحرك التّجار جيئةً وذهابًا؛ لكسب المال وهم راكبين البالغ، وأمر أن يتحركوا على دوابهم الخاصة.

كل منهم -في المكان الذي ورد اسمه فيه في الإحصاء- أن يتحمل نصيبه في المؤونة، شأنه في ذلك شأن بقية أتباع الإمبراطور، وألا يتناول أو يتعالى عليهم.

وهناك آخرون أتوا بأمّعة وبضائع لبيعها لخزانة الإمبراطور، وهؤلاء بدورهم عدة أصناف:

فمنهم من يبيع^(١) الجواهر، ومنهم من يبيع الثياب، وعدد منهم يبيع الحيوانات، وهكذا.

وهناك قوم^(٢) يستردّون الثياب المقررة للأقاليم المختلفة ويحافظون عليها، وهناك آخرون يفعلون الشيء نفسه مع "القرويات"^(٣)، واثنان أو ثلاثة مع النقود ذهبًا كانت أو فضة.

وهناك أيضًا أفراد مستقلّون للصق "التمغا"، وتقديم "لوائح الشرف"، والإشراف على ترسانة السلاح.

وكثيرون [٨٩] مهمتهم صيد الطيور والحيوانات المفترسة والحفاظ عليها.

[وأخيرًا] هناك شخصان أو ثلاثة يدبّرون أمور الأئمة والسادات والفقراء والنصارى وأخبار كلّ ملة من الملل.

وكل هؤلاء المسؤولين أمروا أن يرتدعوا ويحترسوا عن شائبة الزبا والمبالغة في الطمع ولا يدخل في صلاحياتهم إلقاء القبض على أحد، وعليهم توجيه نظر الإمبراطور ودون أي إبطاء إلى حالة كل إنسان.

(١) في الأصل: يُثَمَّن (قيمت كُنُتْد).

(٢) يبدو المؤلف هنا وكأنه انتهى من بيان أصناف التجار وبدأ يتحدث مجدّدًا عن موظفي البلاط.

(٣) كذا في الأصل، والمقصود فيما يبدو أنواع جلود حيوانات السجّاب والفاقم والسّمور ونحوها، والكلمة مأخوذة من الفرو، ولا تردّ "القرويات" بهذه الهيئة في كتب اللغة. (القزويني).

ويلازمهم كُتِبَ من كلِّ صنف، فهناك كُتَابٌ للفارسية والأويغورية والختائية والتبتية والتتوكوت وغيرها، فإذا كتبوا مرسومًا إلى أى موضع صدر بِلُغة القوم وخطهم.

ذكر انطلاق ابن ملك العالم: هولأكو إلى البلاد الغربية

إنه هو من اجتمع له الحلم والوقار إلى جانب الحظّ اليقظ والسعادة المتزايدة بمرور الأيام فضلاً عن مزِيَّة العقل الرشيد، (ليس للشمس زواء^(١)) مع رأيه الذى يزدان به العالم [٩٠] ولا للسحاب قدرة على السخاء مع وجود جوده، أين هم "خانات" الصين و"الماجين" فيتعلموا قواعد الملك، وكيف هم السلاطين السابقون لكى يروا القدرة الإلهية، فلو كان قياصرة الروم قد سعدوا بشرف إدراك الدخول في خدمته لكانوا قد لُقِنوا دروسًا في وسائل حكم العالم، ولكن أكاسرة الفرس وفراعنة مصر قد استوعبوا من آرائه ومبادراته أسباب الغلبة على العالم)، إنه سيّد وجه البسيطة "منكوقا" أن الذى رأى في شمائل أخيه "هولأكو" مخايل السُلطة وعلاماتها وتفرّس في همته مراسم الغلبة؛ فعمد في القوريلتاي الكبير بعد ما تمكّن من عرش الخانية وارتاح باله من تدابير المغرضين والحساد -إلى صرف همته لاستخلاص أقاصى شرق العالم وغربه، فسير- في البداية -أخاه "قوبلاى" إلى النواحي التي تقع إلى الشرق من "ختاي"، ومن ثمّ شرع في شهور سنة خمسين وستمئة (١٢٥٢م) بغزو الجانب الغربى، وعلى غرار ما فعل مع بعثة "قبلاى" - حدّد له اثنين من كل عشرة من أفراد الجيوش الشرقية والغربية، ومن أبناء الملوك اختار أخاه الأصغر "سبتاي أغول" لمصاحبته [٩١]، وسنير ممثلين من جانب "باتو": "بلغاي" ابن "شيبقا" و"توتار أغول" و"قولى" مع قوات من قبل "باتو"، ومن قبل "جغتاي" "تكودار أغول" ابن "موچى"

(١) كذا في الأصل، رواء، والزواء بالصم خسن المنظر في البهاء والخسن (اللسان).

أغول"، ومن [٩٢] جانب "جيجكان بيكي" "بوقاتيمور" مع جيش من قبائل "الأويرات"، ومن الأصهار والأمراء وكبار القادة بعث من كل طرف جماعة من الرؤساء يحتاج ذكر أسمائهم إلى إطالة بالغة.

كما أرسل رسلاً إلى "ختاي" في طلب خبراء للمنجنيق ورماة للنفط، فاحضروا من "ختاي" [٩٣] ١٠٠٠ بيت من رجال المنجنيق الختائيين، ممن كان بوسعهم أن يجعلوا للجمل منفذاً من ثقب الإبرة بقذائف الحجارة، ويثبتون قذائف المنجنيق بإحكام الوتر والغراء حتى لا ترتد إذا انطلقت من الحضيض إلى الأوج.

وفي الطليعة أرسل الرسل للحفاظ على المراعى والمروح التي تقع على الطريق الذي من المفترض أن تمر منه عساكر ملك العالم^(١) ابتداءً من جبال "قنغاي"^(٢) بين "قراقورم" و"بيش باليغ"، ومنعت الدواب من الرعى هناك خشية أن يتضاءل المرعى أو تصاب الأودية بضرر، وأمر بعدم الاقتراب من الجبال والوديان -التي تشبه الحدائق والبساتين- وحيل بين أسنان الدواب والمواشي وبين رعيها. هذا بينما انطبق حكم ﴿... وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ...﴾ (البقرة: ٢٥) على كل الحشائش في بلاد "تركستان" وحتى "خراسان" وأقاصى "بلاد الروم" وجورجيا، لدرجة أن كل من كان يُطعم ورقة من الحشائش لدوابه كان يُرغم على التخلي عن تلك الدواب، ومن ثم أصبح العشب (غياه) جناية "كناه" وتحوّلت الخُصرة (سبزي) إلى شبع وتخمّة (سيري)^(٣).

(١) يعنى بملك العالم "هولاكو".

(٢) في الأصل: تيعاب، وقد صححها "بويل".

(٣) المؤلف يتلاعب بالألفاظ لكي يبين مهارته في الكتابة طبقاً للأساليب البلاغية الشائعة في

وانطلق الرسل لكي يشكّلوا من أنفسهم جيشاً وهم يعبرون المروج والمراعى ويتخذون لأنفسهم مواقع في الأماكن التي لن تمرّ بها مواكب الملك، وهكذا أمر "تايجو" ^(١) و[٩٤] قوات "جورماغون" بالتوجه إلى "الروم".

ولإمداد القوات والحشم بالمؤن صدر الأمر لكل البلاد بأن يقدّم لكل فرد تغار ^(٢) واحد (أى ١٠٠ من) من الدقيق و ٥٠ منّا (أى قرية واحدة) من الخمر، أما الأمراء وحكام الأقاليم فقد شغلوا -حيثما كانوا- بإعداد المؤن والطعام والشراب والنزل، فكانوا يضعون ذلك كله في كل مرحلة من مراحل [تقدّم الجيش]، وفي الوقت نفسه كان أمراء المغول والمسلمين يأتون بقطعان أنثى الخيل وكانوا يعدّون الخمر ويقدمونها إلى القوات فوجاً فوجاً إلى أن يبلغوا بهم أميراً آخر، ثم إنهم كانوا يقومون بتنظيف الممر الذى كان من المفترض أن يمرّ به ملك العالم فرسخاً بفرسخ من الأشواك والحجارة والصخور، وقيموا الجسور على الأنهار والجداول، وجهّزوا السفن في المعابر.

ومن ذبوع نبا تحرّكه غادر السكون والهدوء العالم، فلم يكن يواتى المتمردون -حيثما كانوا- النوم خوفاً من بأسه وصولته بينما لم يتوان الأتباع ^(٣) عن إعداد القوات والأسلحة والمؤن.

(١) وردت في جامع التواريخ (طبع كاتمر ص ١١٨، ١٢٨، ١٣٦ وغيرها في جميع المواضع "تايجو"، انظر: حاشية كاتمر ص ١٢٢ حاشية ٥؛ ومختصر الدول لابن العبري ص ٤٦٢، ٤٦٦، ٤٦٧، في كل المواضع أيضاً: تايجو (القزويني).

(٢) معيار يستخدم للمواد الجافة يعادل ٦٧٥ رطلاً، انظر:

(بول) *Minorsky, A Soyürghül of Qasim b. Jahangir Aq - qoyunlu 948*

(٣) في الأصل: ايل، ويرى "بول" أنها كلمة مغولية تعنى "التابع، أو "المولى"، ومعناها يناقض معنى المتمرد.

وحين تمّ تعيين أبناء الملوك وكبار القادة، وتم اختيار القوات من بين الآلاف والمئات، أرسل "كيد بوقا" -الذى كان يتولى منصب الطبّاخ- في المقدمة [٩٥]، وفي شهور سنة خمسين وستمائة (١٢٥٣ - ١٢٥٤م) تفتّح الربيع من براعم الشتاء وتحوّل وجه الأرض إلى ما يشبه ذيل الطاووس من كثرة الألوان، وغدا الزمان من فرط السعادة روضة من الأزهار، وتجددت الرياض وتبسّمت من شدّة الطراوة والنضارة، وارتوت الحياض بعد الإمساك والعطش فأطلقت العنان، فالأزهار متألّنة والسحب تنثر الدّرر البرّاقة، والبلابل تمدح وتثني على مائدة الرّوضة، والشيوخ عادوا شباباً من استنشاق روائح الزهر وعبيره.

وأعدّ [هولاكو] الاحتفالات بمناسبة الوداع، وتوجه إلى معسكر إمبراطور العالم، بينما وصل "أريغ بوقا" من الاتجاه المقابل، وتجمّع أبناء الملوك والأقارب -الذين كانوا في المناطق المجاورة - كلهم سويّاً كالثرثرا في بلاط قراقورم"، وأخذ كل واحد منهم يقيم بدوره حفلاً وظلّوا يقترعون بإلقاء زهر الهوى على رقعة المتعة^(١)، ويتجرعون الكنوس (جامها) ويرتدون ثياباً (جامها)^(٢) من لون واحد دون أن يغفلوا - وهم في غمرة ذلك - عن الشئون المهمة.

وفي نهاية الأسبوع، وحين قرر العودة إلى معسكره الخاص، أمر الإمبراطور الحاكم للعالم بمقتضى علوّ همّته الشبيهة بالسماء - بتوزيع خزائن الجواهر، والنقود والثياب، واختيار المطايا ودوابّ الحمل^(٣) دون الإناث منها، وأرسل خصيصاً لهولاكو [٩٦] ونسائه وأبنائه - كلّ بحسب نصيبه - ما تنوء الأرض بحمله وتصبح الدنيا

(١) في الأصل: رُقعه، كلمة عربية الأصل، وتعنى رقعة الشطرنج.

(٢) يتلاعب المؤلف بلفظي "جام" وتعنى الكأس و"جامه" وتعنى الثوب، بعد إضافة أداة الجمع "ها" إليهما.

(٣) في الأصل: حُمولات، كلمة عربية الأصل، والحُمولة الإبل وكل ما احتمل عليه الحيّ من بعير وحمار أو غير ذلك (السان).

خفيفة [أمامه]، كما شرف الإمبراطور كذلك بالهدايا والتشريفات الأمراء وكبار القادة الذين كانوا في صحبته، فضلاً عن كل من حضر معه من القوات والعساكر .

ومن يوم السبت ثانى ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وستمائة (٢ من مايو ١٢٥٣م) ركب [هولاكو] مطية العز والاقتدار ولوى العنان راجعاً.

وحين نزل في معسكره الخاص توقف برهة لترتيب أحواله والنظر في شئون رجاله ريثما تهدأ حراره الجو، وخلال هذه الفترة كان أبناء الملوك يقدمون لوداعه ويحضرون الأطعمة، وكان الأمير "هولاكو" يصرف كل واحد منهم بالمبرات والصلات على قدر منزلته، وأخيراً وفي الرابع والعشرين من شعبان سنة إحدى وخمسين وستمائة (١٩ من أكتوبر ١٢٥٣) بطالع كان للسعادة مشرقاً أقبل معسكره الخاص من مركز السعد، والظفر أمامه يصيح قائلاً "طرّقوا"، والنصر يجرى عن اليمين واليسار والفتح يركض من وراء، ونصب "جومغار أغول"^(١) - بسبب [٩٧] أمه التي كانت أكبر من الزوجات الأخريات [فحازت بذلك رتبة التقدم] قائماً مقامه، وجعله على رأس المعسكر والجيش واختار من كبار أبنائه أبقا^(٢) ويشموت لمصاحبته، وتحركت الجيوش -حيثما وجدت- من أماكنها، فبدأت الجبال ترتج وقلوب الملوك ترتعد من هيبة تلك الأخبار، وأخذ الملك يتقدم ببطء وتؤدة.

وكان كل من الأمير "بلغاي" و"توتار" يمضى في المقدمة، بينما يسارع الآخرون عن اليمين واليسار، فسافروا بالتناوب والتعاقب ماضين في طريق يتناوب فيه الصيف والشتاء .

(١) يقول رشيد الدين (جامع التواريخ- طبع كاتمر ص ٩٨): إن جومغار أغول هو الابن الثانى

لهولاكو. (الغزوينى) .

(٢) هو أكبر أبناء هولاكو وخليفته في الحكم.

ولما وصلوا إقليم "ألمالينغ" خرجت نساء "ألغ إيف" و"أورقينه خاتون"^(١) لاستقبالهم وأقمن الاحتفالات (بمناسبة قدومهم).

وما إن عبرت الرّيات الملكية ذلك الإقليم حتى سارع إلى خدمتهم صاحب الأعظم (الوزير الكبير) مسعود بك وأمراء ما وراء النهر، وأقاموا في مراعي "بايلاغ" الجبلية طيلة شهور سنة اثنتين وخمسين وستمئة (١٢٥٤م)، فلما سكنت سؤرة حرارة [٩٨] الشمس تحركوا، وعسكروا في شعبان سنة ثلاث وخمسين وستمئة (سبتمبر - أكتوبر ١٢٥٥) في مروج "كان گل" على أبواب سمرقند، ونصب الصّاحب "مسعود بك" خيمة نسج غطاؤها من اللباد الأبيض، ويقوا في جوار تلك المنطقة نحو أربعين يوماً يمارسون الطّرب واللّهو في انضباط، وأثناء ذلك، وكما هي عادة الفلك القاسي تُوفي أخوه "سبتاي أغول"، كما ورد من هناك خبر موت أخيه الآخر، فتأثر (هولاكو) للغاية بهذين الحدثين الجللين واستبد به الحزن الشديد.

فلما انقضى ذلك الشهر - وكان شهر رمضان (أكتوبر - نوفمبر)، أقاموا في غرة شوال (٣ من نوفمبر) حفلاً للسعادة والمرح، وفقاً لعاداتهم، وبدءوا في العريضة والابتهاج، وفي هذا الوقت تقدّم "محمد بن مقدرات"^(٢) للترحيب والحفاوة [بالمملك] سابقاً [٩٩] كل الأقران والأكفاء، فامتاز بين الأنام بأنواع العاطفة والإكرام.

ولما ارتحلوا من هناك لم يرخوا العنان إلا حين وصلوا أطراف "كش"، وفي تلك المرحلة وصل الأمير "أرغون" وأكثر أكابر خراسان وقدموا الهدايا، وأقاموا هناك مدة شهر ثم دقوا طبول الرحيل بعزم عبور [نهر جيحون].

(١) هذا واحد من الشواهد الصريحة التي تدل على أن ألغ إيف كان معسكر "جغتاي"؛ لأن أورقينه خاتون كانت زوجة قرا هولاكو بن ماتيكان بن جغتاي (القزويني).

(٢) كذا في الأصل دون تنقيط للقف والتاء، ويبدو أنه إشارة إلى "شمس الدين كرت" (٦٤٣ -

٦٧٦) من ملوك هراة، فهو الذي بادر - كما يقول رشيد الدين في جامع التواريخ طبع كاترمر،

ص ١٤٨ - إلى خدمة هولاكو سابقاً غيره من الملوك والأمراء، راجع القزويني هامش ٩ ص

وعندما تحركت المواكب الميمونة من المراعى الصيفية كان الأمر قد صدر
باحتنجاز القوارب بملاحيها وأن تُبنى جسور من القوارب، حتى إذا ما حان وقت
وصول الموكب الملكى عبرت القوات دون أية صعوبة، فأخذت الشفقة الملك لحالهم
ومنحهم الرسوم التي كانت تؤخذ من القوارب في العبور، فلما وضعت عنهم الرسوم
رفع عن قلوب كل عابري [النهر] عبء ثقيل. [١٠٠].

وحين عبر الجيش النهر ركب الملك في جولة استكشافية على شاطئ النهر،
فكانت هناك في الغابة نمور^(١) كثيرة، فأمر بأن تقف القوات في دائرة ويشكلوا حلقة،
فانتاب الخيول الدعر من النمر، فركبوا جمالاً ثملة، وصاد نمور المعارك عشرة من
نمور المروج والغابات، وجعلوا قصة السلطان مسعود بن محمود^(٢) مجرد خرافة،
حيث يقول الشاعر:

مَنْ كَانَ يَصْطَادُ فِي رَكْضِ ثَمَانِيَّةٍ

مِنَ الضَّرَاعِمِ هَانَتْ عِنْدَهُ الْبَشَرُ^(٣)

وفي اليوم التالي ارتحلوا من هناك وعسكروا في مروج "شفورقان"^(٤) عازمين
على عدم البقاء طويلا، لكن الثلوج بدأت في التهاطل يوم عيد الأضحى، ولم ينقشع
الغمام سبعة أيام بليلاتها عن تلك البقاع. وطالت أيام ذلك الشتاء وبلغت برودة الجو
في شدتها حداً جعل كل الأقاليم تبدو وكأنها "بلاد الثلج"، وهلكت الكثير من الدواب

(١) في الاصل بالفارسية: شيران، وتعنى عند المؤلف كلاً من الأسود والنمور (بويل)، وحتى في
القرن التاسع عشر وجد الروس نموزاً على طول ضفة نهر جيحون* (فيلاديمير مينورسكى) ص
٦١٣ هامش ٣١ من الترجمة الإنجليزية لبويل.

(٢) يعنى السلطان مسعود الغزنوى (٤٢١-٤٣٢هـ/١٠٣٠-١٠٤٠م) (بويل).

(٣) من جملة أبيات لأبى سهل الزوزنى يمدح بها السلطان مسعود بن محمود الغزنوى ويصف قتله
ثمانية أسود في يوم واحد، انظر تاريخ البيهقي، طبع طهران، ص ١٢٢. (القزويني).

(٤) شفورقان، أو شورغان، تقع حالياً شمال أفغانستان (٥٣ ميلاً غرب بلخ) (بويل).

من شدة البرد، وكنت قد كتبت بيتين أو ثلاثة إلى أبي (طاب ثراه) من المعسكر الكبير في "قراقورم" تناسب هذا الحال:

والريح قد ضربت من فوق هامتنا خيام تلج بلا حبل ولا عمد
سهاؤها نافذات عن ملابسنا نفوذ سهم لقد يرميه ذو حسد
[١٠١] ولو تعاق ذات الخال مختلس تراهما واحداً من شدة البرد
والريق قد كان في الأفواه منجمداً لولا حرارة نار الشوق في الكبد

وأقام الأمير "أرعون" في مكان التوقف هذا خيمة كبيرة من الثيل المنقوش بنقوش لطيفة^(١)، ووضع من أواني الذهب والفضة ما كان ملائماً للمجلس، وقدم العديد من الخدمات، وامتنالاً لأمر الملك اتجه إلى بلاط "منكوقا أن"، وذلك بعد تنصيب ابنه "كرای ملك" وأحمد بيتكجي" ومحزر هذه المقالات لإدارة شؤون "خراسان" و"العراق" في خدمة الملك.

وحين انبلج فجر يوم الربيع عن ليل الشتاء الدامس، وأينعت خضرة البراعم، وانبتقت الأزهار من شفاء العشب في الصحراء، وزين الربيع الرباع، وارتدت الدنيا الديباج الملون بالألوان السبعة، وارتضع البستان ثدى الغمام، وأصبحت هذه الرباعية -التي كانت قد نُظمت في عهد ربيع الشباب- مناسبة للحال (رباعية فارسية، ترجمتها):

منذ أن أعد الربيع حفلاً للحسن،

سلك البلبل الطريق إلى رفيقه في سعادة وحبور

[١٠٢] اظهر، يا شروق الشمس، وانشر البهجة اليوم،

(١) لعله يعنى بالنقوش هنا الصُّور، راجع بويل.

تحت ظل صفصافة الشمس الخمرية^(١).

وانتعثت الدواب؛ صدرت الأوامر بعقد الرايات والبندود (على الرماح)، واحتشاد الجنود بهدف الجهاد وقلع قلاع الإلحاد، واستعدت كل القوات التي كانت في تلك النواحي - سواء من الترك أو التاجيك. لم تكن مدينة "تون"^(٢) قد تحولت بعد عن مظاهر السفالة والضعفة وظلت مقيمة على ضلالها القديم، ومن ثم تقدم "هولاكو" إليها أولاً، وفي أوائل ربيع الأول (مارس - أبريل ١٢٥٦) حمل خيول الفتح والظفر أحمال مراده.

وحين بلغ حدود "زاوه" و"خواف" ألقى السحاب الثقيل بظلاله، فكلف "كوكا إيلكاي" و"كيدبوقا" والأمراء الآخرين [بمعالجة الأمر]، فلما وصلوا هناك أبدت الحشود في ذلك المكان بعض المقاومة حتى تسلل الجيش في اليوم السابع إلى داخل المدينة وأطاح بأسوارها فسواها بالأرض، وسبق الرجال والنساء جميعاً إلى الصحراء، فأفنوا من كان عمره عشر سنوات فأكثر بالسهم [١٠٣] عدا الشابات من النساء فقد أبقوا عليهن أحياء. وعادوا من هناك ظافرين إلى حضرة ملك العالم. ومن ثم انطلقوا إلى "طوس".

(١) "لا نعرف كيف يمكن تصحيح البيت الثاني أو المقصود به تماماً" (القزويني)، وقد استعنت في الترجمة بالترجمة الإنجليزية لبويل، الذي اعتمد في قراءة البيت على نسخة من النسخ الخطية التي استعان بها القزويني في تحقيق الكتاب، وهي "ج"، انظر بويل، ص ٦١٥، هامش ٤٠.

(٢) تُعرف الآن باسم قردوس.

وفي ربيع الآخر (أبريل - مايو) نصبوا خيمة من النسيج في "جَنح الفقراء" بالقرب من "طوس"، على مدخل حديقة كان الأمير "أرغون" قد أنشأها، فأصبح "جَنح الفقراء" مجمع الأمراء.

كانت تلك الخيمة هي التي أمر ملك العالم "منكوقا آن" الأمير "أرغون" بإعدادها لأخيه [هولاكو]، واستجابة لأمر الإمبراطور جمع (أرغون) أساتذة مصانع النسيج واستشارهم، وفي النهاية تقرر أن تصنع الخيمة من قطعة واحدة من القماش ذات وجهين، وبالتوفيق بين النسيج والصبغة جعلوا منها نسخة من صنعة صنّاع "صنّعاء" [١٠٤]، فكان ظهرها وبطنها متشابهًا وداخلها وخارجها متساويًا من تطابق النقوش والألوان بعضها مع بعض مثل أصحاب القلوب الطيبة، تعجز أسنان القوارض عن قطعها، تلك القبة المذهبة والخيمة التي تشبه السماء، وقرص الشمس فقد بريقه وانكشف نوره؛ بسبب الغيرة من القرص الخشبي^(١) لهذه الخيمة، وانخسف البدر المنير من تدويرها. وقضوا بضعة أيام في احتفال وابتهاج هناك، وبدأ وفود المسرّات والبهجة على صدورهم أمرا لا يمكن حصره.

ثم ارتحل الملك راغبًا في إراحة خيوله. بحديقة المنصورية - التي كان الأمير "أرغون" قد جدّد عمارتها بعد اندراس وانطماس، فصارت الآن في غاية الرّوعة حتى أثارت غيرة جنان الدنيا، وعن هذه البقعة قال الأنثوري [الشاعر]:

(بيت فارسي، ترجمته):

ويحك يا صورة المنصورية، يا لك من بستان وقصر

بل لعلك جنة بعثها الله إلى الدنيا

(١) في الأصل: كماج، وهو الخشبة المدوّرة العريضة التي توضع وسط السقف الذي يُثبّت فيه رأس عمود الخيمة. (القزويني).

وفى ذلك اليوم أقامت زوجات الأمير "أرغون" والوزير (الصاحب) "عز الدين طاهر" وليمة ونظّموا احتفالاً، وفى اليوم التالى ارتحلوا وأقاموا في مرج "زادكان" بعض الوقت أيضاً، وكانت الخمر تتدفق كالماء [قادمة] من كل الولايات البعيدة والقريبة من "مرو" [١٠٥] "ويازر" و"دهستان" كما كانت الإمدادات تتوالى وتوضع بغير حساب عند كل مرحلة [طيلة الطريق].

وما إن ارتحلوا من هناك حتى بلغوا "خبوشان"^(١)، وهى مدينة كانت قد ظلت معطلة وخربة منذ أول خروج جيش "المغول" حتى هذه السنة، وصارت مبانيها وأماكنها يباباً كما صارت كل قنواتها خالية من الماء، بينما لم يبق جدار قائم من بين الجدران الخارجية للمسجد الجامع.

وكنّت قد اشترت من قبل ربع تلك المدينة من سكانها ورعاياها. وبملاحظة شغل الملك ومثله إلى تعمير الخرائب عَزُضَتْ عليه قضية تلك المدينة، فأصغى الملك إلى ما قلت وأصدر أمراً بإصلاح القنوات و[إعادة] تشييد المباني، ونصب الأسواق، وخفض عيش الرعايا وجمعهم [من جديد في المدينة] وقد تكبّد نفقات إعلاء البناء نفداً من خزانته حتى لا تقع أية أعباء على كاهل الرعية، فتدققت المياه جارية في قنواتها من جديد بعد انقطاع، وعاد السكان بعد جلائهم عنها سنين عديدة، وقد أتوا بفلاحين وخُفّاراً للقنوات من "قُهستان" وجعلوهم يستقرون هناك، وأمر [الملك] ببناء المصانع وأنشأ حديقة متصلة بالمسجد الجامع، كان الجامع والمقبرة قد تخربا، فقدم الوزير الكبير (الصاحب الأعظم) سيف الدين آقا ثلاثة آلاف دينار ذهباً ومن ثم بدأ العمل في إعادة بنائها وإحيائها من جديد.

(١) تعرف حالياً باسم قوشان.

توقف [هولاكو] شهزا في [١٠٦] "أستو"، فلما نصب العلف من الجبال والوادی ارتحل.

وفي تلك الأثناء أرسل "ركن الدين خورشاه" أخاه "شهنشاه" وكبار المسؤولين في دولته لإعلان خضوعه وطاعته والاستظهار بالمتابعة والولاء لبلائه، وحين بلغت هذه الكلمات السمع الملكي، أمر الملك بأن تتم معاملتهم بإعزاز وإكرام، وعين رسلاً للتوجه إلى "ركن الدين"، كما أرسل واحداً من رجالهم مع الرسل وأصر بقوة على وجوب حضور "ركن الدين" بنفسه وعلى تخريب القلاع، فلما وصل ذلك الأمر إلى ركن الدين ردّ بجواب مشحون بالكذب والبهتان انطلاقاً من جنونه ورعونته.

وأصبح واضحاً للملك أن حظه قد تراجع وأن من المتعذر معالجة أمره باللين والرفق، فمضى نحوه من "خرقان" ^(١) عازماً الغزو.

(١) خرقان: كانت تقع على بعد أربعة فراسخ من "بيستم" على طريق "إستراباد"، انظر، لوسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ٣٦٦.

ذكر تَقْلَمُ ملك العالم "هولاكو"

لفتح قلاع الملاحدة

لم يأخذ ركن الدين حذره من تردد السفراء والرسل واختلافهم إليه، ولتنفيذ رغبة الملك أخلى نحو خمس قلاع [١٠٧] لم يكن بها أية مخازن ولم تكن محصنة بدرجة كافية، ونزع بوابات قلاع آخر وأزاح منها المقاتلين^(١)، ظناً منه بأنه قد يستطيع بالمكر والكيد. بهذه الأباطيل من الكذب والزور دفع الكائن المقدور، ولكن: ﴿هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ ﴿٢﴾ [المؤمنون].

[فانطلق الملك] مرتحلاً من "خَرْقَان" منتصف شعبان (سبتمبر ١٢٥٦) واستعد للهجوم على قلاعه واستنصاح رباعه، وأرسلت التعليمات إلى الجيوش التي كانت في العراق وغيره من الأطراف فتجمعت واستعدت، وتقدمت الميمنة [بقيادة] "بوقاتيغور" و"كوكا إيلكاي" من طريق مازندران، والميسرة بقيادة "تكودار أغول" و"كيدبوقا" من طريق "خوار" و"سَمْنَان"، بينما سار الأميران "بُلْغَاي" و"توتار" و"جيش العراق من اتجاه، أما الملك نفسه فتقدم [في القلب] مع رجال يرون في البؤس شراباً هنيئاً ولا يلقون إلى البأس بالاً.

(بيت فارسي، ترجمته):

غادروا فاسود وجه الدنيا

وانبهرت السماوات [برؤية] "سُهراب"^(٢)

(١) "سرنووار پايدار" كذا في الأصل ولا معنى لها، وفي النسخة الخطية ب "سر ديوار بينداخت"، ويبدو أنه الأصوب، وقد اختارها نيريل في ترجمته الإنجليزية كما اخترناها في هذه الترجمة.

(٢) من "الشاهنامه" في وصف سُهراب البطل الإيراني القديم.

ومرة أخرى أرسل في الطليعة رسلاً بأنه عزم [١٠٨] على الوثوب وانتوى النّدم إلى الأمام مهاجماً "ركن الدين"، الذى أضاف إلى جرائمه الماضية أعداءاً جوفاء وعللاً واهية، لكنه لو جعل قلبه سليماً وتقدم لاستقبال الملك لكنّا قد قرأنا درس: "مضى ما مضى" على جرائمه، وألقينا نظرة عفو وإغماض على هفواته، ولافتّر ثغزنا وبسبنا في وجه ملتمساته مسارعين في تليبيتها.

وحين عبرت المظلة الضاربة في عنان السماء لابن الملك الفاتح للعالم بجوار "قيروزكوه"^(١)، أعادوا رسل [هولاكو] وأخذوا هم أنفسهم في تخريب جدران القلاع وأسوارها.

وبرفقة الرّسل جاء الوزير المزور والمُذَبّر المُذَبّر "كيقباد" بأنواع التزويرات والمكائد. وتعيّد بتخريب القلاع والزّباع، والتّمس إعفاء ركن الدين من مغادرة القلعة لمدة سنة واحدة، وأن تسلّم القلاع الثلاثة: أَلْمُوتَ ولمَسَرَ ولال سَوى منازلهم القديمة - من التّخريب، وسوف يُسلّم "ركن الدين" باقى القلاع وسوف ينفذ - على أى حال - الأمر الذى يتم التوصل إليه، وأرسل رخصة لحاكم "گردكوه" وحاكم قلاع "قَهستان" [١٠٩] لكى يمثّلوا في حضرة الملك.

كان ركن الدين يتصور أن بإمكانه بهذا الخداع والغرور أن يدفع القدر، وأن يقلب الوزير بهذا التزوير - القدر المُبْزَم رأساً على عقب.

وحين وصلت قوات الملك إلى إقليم "قَصْران"^(٢) جرى حصار قلعة "سَاهِز" - التي كانت تقع في طريق تحرّكهم [بواسطة قوات تابعة] "لكيد بوقا" فالتفّوا حولها من جميع الجهات وفتحوا ذلك الحصن في غضون يوم أو يومين قهراً وقسراً، كما استولوا أيضاً على قلعتين أو ثلاثاً آخر من المنطقة المجاورة.

(١) إحدى قلاع الإسماعيلية.

(٢) قصران، كان أحد الأقاليم القريبة من الرى، (بويل).

ومرة أخرى أرسل الملك الرّسل وأمره^(١) بالالتزام بتعهده بالنزول. فأعاد الرّسل من جديد بأعذار، راعبًا في التعويق والتسويق والانتظار حتى سقوط تلّوج الخريف.

وطلب ضمائنا بألا يحاصر الجيش القلاع وألا يكون هناك قتال ونهب وغارة، ووافق على إرسال ابنه مع ثلاثمائة من الرجال في معيته، وأن يدمر كل القلاع، فقبل الملك رجاءه وتوقّف في «عباس آباد» القريبة من «الري»؛ انتظارًا لتنفيذ تعهده، ورفعت القوات الحصار عن القلاع التي كانت تحاصرها^(٢). وفي الموعد المحدّد أرسل «ركن الدين» طفلًا في السابعة أو الثامنة [١١٠] من عمره قائلاً: «هذا ولدي»، بصحبة عدد من الأكابر والمسؤولين عنده، ولصدق فراسة الملك وقطنته أدرك أن الولد زائف^(٣)، وطلب اليئنة على إثبات بُنوة الطفل، فسأل «شهينشاه» ووزراء ركن الدين - الذين كان بعث بهم من قبل، لكن أولئك الذين غشيت قلوبهم بظلمات الإلحاد لم يبيحوا بالحقيقة، غير أن الملك عرف الوضع بذكائه وحده، وتظاهر بالجهل وخصّ الطفل بالإعزاز والتلطّف وسمح له بالعودة، ثم إنه ارتحل من «عباس آباد» وعسكر في «بيشكيل - دره»^(٤)، وأخذ ركن الدين [١١١] يتشفع يومًا بعد يوم في إعادة أخيه والوزير والآخرين، وأتباعه من قرناء السوء [ممن دفعوا به بعيدًا] عن طريق الخضوع القويم وألقوا به في وهدة الضلالة والعناد.

(١) أى أمر ركن الدين.

(٢) يبدو أن المقصود هو أن القوات قد تم صرفها عن محاصرة القلاع بأمر هولاكو لكي يتبينوا ما إذا كان الملاحدة سيوفون بعهدهم أم لا. (القزويني).

(٣) يرى جامع التواريخ (طبع كاتمر ٢٠٤) أن الحقيقة هي أنه كان ابنا لركن الدين بالفعل ولم يكن هناك كذب أو خداع في الأمر. (القزويني).

(٤) في الأصل «بيسكله دز»، والتصحيح الموجود في المتن يعتمد على ما ورد في النسخة الخطية (ب) وقد اعتمده بيول في ترجمته الإنجليزية. و«بيشكيل - دره» إقليم يقع إلى الجنوب الغربي بين «طالقان» إلى الشرق من قزوين. راجع أيضًا القزويني، ٤٢٨/٣-٤٢٩.

وحين رجع الابن المزور إلى أبيه المُدبر، أرسل أخاه الآخر «شيرانشاه» وفي معيته ثلاثمائة رجل في الموعد الذي كان قد تم الاتفاق على إرسالهم فيه بعد استعادة هذا الملعون لابنه المزور، على أمل أن تسفر هذه الذريعة والباطل عن حثّ جيش الملك على الرجوع، وظل يلتمس إعادة أخيه وجماعة الوزراء الذين سبق إرسالهم وأخذ يلتمس الأعذار من عدم الخروج بنفسه حتى ينصرم فصل الشتاء ويحلّ فصل الربيع ويذهب عنه ما يعتريه من خوف ورعب.

فأعاد الملك «شهنشاه» أخا ركن الدين، وأبلغه الأمر بأن عليه تقوية قلاعهِ وإحكامها استعداداً للقتال، وحين عاد الرسول أتى معه العذر المبتذل نفسه، فتحقق الملك أن في رأس ركن الدين شرّاً وأن في دخيلته مكيدة، فصمم على استئصاله، وصدر الأمر للجيوش المرابطة حول ركن الدين بأن يتقدم كل منهم من موضعه في خط متواز.

وفي العاشر من شوال سنة أربع وخمسين وستمائة [٣ من أكتوبر ١٢٥٦] انطلق الملك من «بيشكيل دره» [١١٢]، فأصدر في البداية أمراً بإلقاء أولئك الملاعين والجنود^(١) والمسؤولين -الذين كانوا محتجزين في «جمالاباد» بالقرب من قزوين- في الجحيم خفية، ومنذ ذلك الوقت ذاع بين أهل قزوين منلّ يقال لكل من يُقتل: «أرسل إلى جمالاباد».

وقد غادر رسل متوجّهين إلى كلّ البلاد لتدبير وإرسال إمدادات الجيش من أكياس^(٢) القمح وكذلك الكثير من الدواب الصالحة للدّبح أو الركوب، ولما كان نقل الإمدادات [يتم عبر منطقة ممتدة] من «أرمينيا» إلى «يزد» ومن ولاية الأكراد إلى

(١) ربما كان المؤلف يعني بهم الثلاثمائة رجل المرافقين لابن ركن الدين، انظر الصفحة السابقة.

(٢) في الأصل: تغارها، و«تغار» وحدة تعادل عشرة كيلو جرامات عند المغول الإيلخانيين. انظر فرهنك معين.

«جرجان» والدواب الخاصة بالديوان لا تكفي للوفاء بالغرض، صدر الأمر بأن تُصادر دواب كل إنسان أيًا كان، سواء كان وضيغًا أو شريفًا، تركيًا أو تازيكيا، لحساب الإسطنبول، حتى يتم عند ذاك إرسال الأكياس المعبأة بالإمدادات.

وفي الثامن عشر من هذا الشهر [١٨ من نوفمبر ١٢٥٦] أشرفت المظلة الضاربة في عنان السماء فوق قلعة الجبل المواجه [لقلعة] «ميمون دز» بارزة من جهة الشمال، وفي اليوم التالي طاف الملك على جوانب القلعة وحولها لبحث واختبار النقاط التي يمكن شن الهجوم منها، وكانت «ميمون دز» قلعة تشبه ما ذكره أبو العلاء^(١) بقوله: [١١٣]

فلا تَبْلُغُ الأَزْوَى شِمَارِيحُهَا العُلَى ولا الطيرُ حَتَّى نَسْرُهَا وَعُقَابُهَا
ولا طَمَعَتْ فِيهَا أَمَانِي طَالِبٍ ولا نَبَحَتْ إِلَّا النَجُومُ كَلَابِهَا

وهنا تشاور الملك مع الأمراء وكبار القادة وأركان الدولة حول ضرب حصار حول القلعة أو التراجع انتظارًا للعام المقبل، ولأن الفصل شتاء وكان من الصعوبة الحصول على المؤن ومن المحال تدبير العلف، والدواب هزيلة ضامرة؛ فقد كان أغلب الأمراء يفضلون الرجوع، وتكلم من الأقارب «بوقا تيمور» ومن الوزراء الأمير سيف الدين - كان هو الزكن الأقوى - ومن الأمراء «كيدبوقا» و«طاير» فقصروا كلامهم على [ضرورة] المحاصرة، ومن ثم بدوا وكأنهم تكلموا بما في ضمير الملك الذي أصر على هذا الرأي وحده وأمر كل الجيش بالاستعداد للحصار والتجهز للقتال.

(١) أخطأ المؤلف في نسبة هذين البيتين إلى أبي العلاء فهما من جملة أبيات لكعب بن معدان الأنشقرى، من شعراء العصر الأموي في وصف قلعة «نيزك» في «بادغيس» بالقرب من هراة، والتي تم فتحها على يدي اليزيد بن مهنب سنة ٥٨٤ / ٧٠٣ - ٧٠٤ م. راجع حواشي وإضافات القزويني، جيهانگشاي ٣: ٣٠٢-٣٠٣.

فلما رأى "ركن الدين" هذا أذعن للطاعة ونزل من الغلا إلى الحضيض. وإلا كانت أقاليم مملكته قد نُضِبَت جزاء نقل كل ما فيها من المؤن والمأكول والمشروب.

ولما كان المزيد من أخبار «ركن الدين» قد تم تدوينه في «كتاب الفتح» الذي يتلو هذا الفصل، فإن تكراره هنا سيكون من باب الإطالة؛ ومن ثم رأينا أن نقصر على هذا القدر.

[١١٤] نسخة كتاب فتح قلعة الموت

الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده،
والصلاة والسلام على النبي الذي لا نبي بعده.

منذ أن سبق الحكم المحكم ﴿...كُنْ فَيَكُونُ﴾ (البقرة)، وضع [الله تعالى] مفاتيح ممالك الريع المسكون في كف قدرة سلاطين العصر والخواقين الكبار الواحد تلو الآخر، وفي كل عصر، ووفقاً لما يقتضيه الحكم وتمليه الإرادة، أظهر من عالم الغيب سيّداً، وطرز كسوة حياة كل واحد منهم بانتصارات وفتوح في المشارق والمغارب عطّرت نفحاتها مشام الخلائق - على النحو المسطور في بطون الكتب والمذكور على أعواد المنابر، إلى أن حل يومنا هذا فازدان وجه البسيطة بالعدل الشامل والعقل الكامل لخان الخانات، مصدر نعمة الأمن والأمان، حاكم الأرض والزمان، من زفّعه الرحمن ببديع صنعه وقدرته^(١): منكوكا أن، فتجلّت أنوار العاطفة والرافة من أفق النصفة والعدل، ولم يصل إلى سمع أحد وما رأى أحد رأي العين مثل هذا الفتح المبين. إنه في الحق عنوان لـ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ (الفتح). قد يسره الباري - جل جلاله وعم نواله - بفضل تحرك الملك المبارك العادل هولاءكو وتصميمه، فبتدبيره حل عقدتها.

(بيت بالفارسية، ترجمته):

- هو من يحفظ سيفه الدين قويا، هو من له عظمة وشمائل أحد الأباطرة

(١) في الأصل: صنع قدرة الرحمن، والتصحيح من النسخة الخطية ج، وهي إحدى النسخ التي اعتمد عليها المحقق في تحقيق الكتاب. انظر هامش ٤، ص ١١٤ من الأصل الفارسي.

- بُرَاقُ هَمَّتْهُ الْعَالِيَةُ يَلْمَسُ فَرْقَ الثَّرِيَا، بَيْنَمَا بَرَقَ عَزْمُهُ الْأَكِيدَ يَسْحَقُ وَجْهَ
الْأَرْضِ [١١٥].

وَنَظَرَا لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ...﴾ [٧] [المائدة].
فَإِنَّ الْعَبْدَ الْمَخْلُصَ لِسَعَادَتِهِ الْمَتَزَايِدَةِ عَطَا مَلِكُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجَوْنِيَّ الْمُسْتَوْفَى، يَرِيدُ
إِرْسَالَ هَذِهِ الْبَشَارَةِ إِلَى أَقَالِيمِ الْعَالَمِ -الْبَعِيدِ مِنْهَا وَالْقَرِيبِ- وَيُبْعَثُ بِنْدَاءٍ أَرْسَلَهُ لِسَانُ
الْإِيمَانِ؛ لِكَيْ يَصِلَ إِلَى أَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُوَحِّدِينَ، هُوَ:

ظَهَرَ الْحَقُّ ثَابِتَ الْأَرْكَانِ صَاعِدَ النُّجْمِ عَالِي الْبَيَانِ
وَهَوَى لِلرَّزْدَى ذَوُو النُّقْضِ وَالْبَغْـيِ وَأَهْلِي الضَّلَالِ وَالطُّغْيَانِ

وَسَوْفَ يَسْجَلُ سَطْرًا وَيَقِيدُ بِالتَّحْرِيرِ سَطْرًا مِنْ تَفَاصِيلِ مَا حَدَثَ وَكَيْفِيَةِ وَقُوعِهِ
-عَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ- مِمَّا سَيُظَلُّ بَاقِيًا عَلَى صَفَحَاتِ السَّنِينَ، لِكَيْ يَبْلُغَ مَسَامِعَ
الْخَاصِّ وَالْعَامِّ وَالْكِبَارِ وَالْكَرَامِ مِنْ بَدَايَةِ الْمَشْرِقِ حَتَّى مُنْتَهَى بِلَادِ الشَّامِ -أَسْمَعُهَا اللَّهُ
بِالْبَشَارَاتِ- أَنْ عِنَقَاءَ الْمِظْلَةِ الضَّارِبَةِ فِي عَنَانِ السَّمَاءِ لِلْمَلِكِ فَاتِحِ الْعَالَمِ هَوَالِكُو قَدْ
أَلْقَتْ بِظِلَالِ الْجَلَالِ عَلَى هَذِهِ الدِّيَارِ، وَأَنَّ الرَّايَاتِ الْمَعْلَنَةَ بِالنَّصْرِ قَدْ نُشِرَتْ فِي هَذِهِ
الْبِقَاعِ وَالزَّبَاعِ [١١٦] وَاتَّبَاعًا لِلسَّنَةِ الْإِلَهِيَّةِ ﴿... وَمَا كَأَمَلُ الَّذِينَ حَقَّقَ نَبْعَتَ رَسُولَا
﴿١٥﴾ [الإسراء]. أَرْسَلَ الْمَلِكُ الرِّسْلَ تَبَاعًا إِلَى رُكْنِ الدِّينِ بِشِيرَا وَنَذِيرَا تَأْمِيلًا وَتَحْذِيرَا
لَعَلَّهُ يَبَادِرُ بِالْقُدُومِ مَدَارَةَ وَمَجَامِلَةَ وَيَجْعَلُ الْإِنْقِيَادَ وَالطَّاعَةَ مَلَذًّا لَهُ مِنْ تَصَارِيفِ
الزَّمَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ فِي كُلِّ نُوبَةٍ سَبَبٌ شَبَابِهِ وَحِدَاثَةِ سِنِّهِ- كَانَ يَرْسِلُ جَوَابًا بَعِيدًا عَنْ
هَدَفِ الصَّدَقِ هَاجِرًا جَانِبَ الصَّوَابِ، ظَاهِرُهُ مُخَالَفٌ لِبَاطِنِهِ وَقَوْلُهُ مُجَانِفٌ لِفَعْلِهِ، وَمِنْ
ثُمَّ اسْتَقَرَّ رَأْيُ الْمَلِكِ -الَّذِي يَشَعُّ كَالشَّمْسِ، كَمَا أَنَّهُ مَرَاةٌ لِمَاهِيَةِ الْأَشْيَاءِ وَإِكْسِيرٌ لِلْعَقْلِ
وَالْحِكْمَةِ- عَلَى تَذَلُّلِ قَلَاعِ رُكْنِ الدِّينِ (الَّتِي كَانَتْ تَنْطَحُ «قَرْنَ الثَّوْرِ» وَتَمْسِكُ بِيَدِهَا
-لَفَرَطَ غُلُوقِهَا- بَوْسَطَ «الْجُوزَاءِ»، وَتَسَامَتْ إِيوَانُ رُحْلِ بَرَجَالِ هُمْ «نَجُومُ قَوَاطِعِ» مِنْ

النقار والجدال، لو أقدمت الشمس على مصاحبتهم لآثرت السير ليلاً كالقمر، وإذا تعرض المريخ لسياهم لأصبح «مشتري» للسلامة مثل «الزهرة»، لكسر ظهر تلك الطائفة [١١٧] التي امتنعت - لغفلتها - بالجبل، فيجعل أوج جلال ركن الدين خضيضاً ذلّه، وينزل بدرجة شرفه إلى حد الهبوط، كما يجعل من بيته الموروث - الذي ظل يغتر بأن فيه عزّة، أي «ميمون دز» - وبالاً عليه.

وبتلقين النصر والإقبال أرسل الرسل في منتصف شوال سنة أربع وخمسين وستمائة [نوفمبر ١٢٥٦] إلى الأمراء وكبار القادة الذين كانوا قد اتخذوا مواقعهم من بعيد حول القلاع مثل حزام أحاط بوسط دُبُور، وأمر بأن يتقدّم كل منهم بمحاذاة الآخرين. وأرسل «سقنجاق نوين» و«تمغا» في المقدمة مع جيش من أبناء التّرك ممّن تركوا النّوم والراحة وجعلوا من السيوف اللامعة قوّاً يقتاتون به. وخلفهم تحرّك الملك -مبارك القدم والرأي، ملك الملوك المؤيد بتأييد الله- بجيش مهيب من الكثرة بحيث نتوه في خضمّه يأجوج ومأجوج. جناحاه مملوءان عن آخرهما بشباب مولع بالحرب يجعل الشمال طعمة السّمّاك البحر في الليالي الظلماء بطعن السّنان، كما يجعل السّرطان قوّاً لأسد الفلك:

القائلين إذا هم بالقنا خرجوا

من غمرة الموت في حوّناتها عودوا^(١)

[١١٨] إنهم رماة للسهام، سهم كل واحد منهم يجعل «كوكبة القوس والرامي» دمازاً ووبالاً لـ«عطار» ويحيل أبناء السّرج والحصان إلى بنات النعش، وقد زين الملك قلب الجيش برجال ذوي خبرة وتجربة ممّن ذاقوا حلاوة الحياة ومرارتها، رجالاً

(١) لعمرو القنا من شعراء الخوارج من جملة أبيات، انظر الحماسة ج ٢ ص ١٠٨. (القزويني).

يعدّون يوم المصافّ ليلة زفاف، ويضيفون حدود البيض (السيوف اللامعة) إلى حدود النساء (البيض)، ويحسبون جراح الزّماح لثمّ البلاح.

وانطلقوا من طريق «الطالقان» بسرعة الرّيح كالسّيل في انحداره ولسان النّار في صعوده، بينما حوافر خيولهم تلقى الغبار في عين الزّمان.

وفي اليوم نفسه الذي تحركوا فيه اعترض طريقهم كبش جبلي، وفي الحال أطاح به بعض الشّباب ممن يشاققون إلى الشّجرة، بسهامهم، فعذّ الملك ذلك فألا (حسنًا) وعلم أن الكبش النّطّاح سوف يكوّن ضحيّة في التّنور، وأن مذهب الحسن بن الصباح سيكون بلا أتباع.

وحين عسكرت قوّات ملك العالم في ذلك اليوم [١١٩] في إقليم طالقان أمر عساكر كرمان ويزد بمحاصرة القلاع المحليّة هناك مثل «أله نشين» و«منصورية» وبضعة قلاع أخرى، وعزز من قوّة هذه العساكر بقوّات المغول - التي كان المغول عليها.

وفي اليوم التّالي، حين رفعت الشمس قرصها المنير من ياقة الأفق ضربوا طبول الرّحيل ومن ثمّ تقدّموا في طريق «هزار جام»^(١)، التي كانت ملتقّة ألفافًا كطيّات طرر الغيد الحسان، بل ضيقة كصراط يوم القيامة، مظلمة ظلمة الطّريق إلى جهنم، لا مكان فيها للأقدام فما بالك بالإنّقاد؟ ولا يتيسر للوعول فيها الاحتفاظ بتوازنها فما بالك ببني البشر؟ ليس من السهل الخطو في سهلها، ولا يتأتّى في حرّنها

(١) هزار - جام، ممز معروف في سلسلة جبال «ألبرز» يقع على بعد حوالي ٨٠-٩٠ ميلًا من الشمال الغربي لطهران، بين إقليم طالقان في الغرب و«كلاردشت» و«كوجور» في الشرق و«شكابين» في الشمال. (القرويني).

إلا الحُزن [١٢٠]، ولقد مز الملك، وأثر اختيار المشقة والعناء على سلوك طريق الراحة واليسر، وغنى لسان الزمان هذه الأغنية.

(بيت فارسي، ترجمته):

بَدَتِ المِظْلَةُ والسَّمَاءُ أَسْفَلَ مِنْهَا

بَدَتِ سَنَابَا يَظِلُّ الشَّمْسُ

وذلك حين فتحت [تلك المظلة] فوق قلة جبل في مقابلة القلعة^(١).

ومن اتجاه «أستوندار»، التي تقع إلى اليمين، جاء «يوقا تيمور» و«كوكا إيلكاي» بقوات كلها نار وغضب سالكين طرقاً كلها مرتفعة وملتوية كعبود الأشرار [١٢١] قلالها مملوءة بالشعاب، ومن ناحية «ألموت»، التي تقع إلى اليسار، جاء الأمراء: "بلغاي"، و"توتار" بعدد كبير من الرجال، كلهم طالب ثار، ومن خلفهم قدم «كيدبوقا نوين» بحشد كأنه جبل من الحديد، فأخذت الأودية والجبال تموج بأفواج ضخمة من الرجال، أما الجبال التي كانت تتعالى برءوسها وتظهر رباطة الجأش [١٢٢] والتجأ فقد صارت الآن مطأطئة الرأس من وطأت الخيول والجمال وموطناً للأقدام، وصممت آذان العالم من هزير^(٢) هدير الجمال وأصوات الأبواق والطبول، بينما عميت قلوب الخصوم وعيونهم من صهيل الخيول وبريق السنان، ... وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾ [الأحزاب].

وفي أحد الأيام انضمت قوات بلا عد أو حصر بعضها إلى بعض على هيئة دائرة حول القلعة المذكورة التي هي حاضرة الإلحاد والفجور تشتمل (الدائرة) على كل صغير وكبير.

(١) يعني قلعة «ميمون دز».

(٢) هزير: صوت الرعد.

وفي ذلك الزمان عندما كانت تلك الطائفة في أوج قوتها واستعلاء أمرها، كان أبوه^(١) «علاء الدين» قد أصدر أمراً لكبار المسؤولين والوزراء - على شاكلة [قول فرعون] (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَكُنْ ابْنُ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ) (٢٦) [عافر]. لدراسة قلال تلك الجبال وتلالها [١٢٣] لمدة اثنتي عشرة سنة، حتى اختاروا ذلك الجبل الشاهق الذي يسرُّ بالأسرار إلى «العيوق»^(٢) وعلى قمته (التي كان بها عين ماء فوق الفوهة، فضلاً عن نبعين أو ثلاثة ينابيع أخرى في وسط القمة) بدءوا في بناء قلعة «ميمون دز»، وأقاموا أسوارها الواقية وجدرانها من الجص والحصى. وعلى بعد فرسخ منها حفروا جدولاً مثل جدول «أرزيز»^(٣)، وجعلوا الماء يتدفق في داخل القلعة، ويستحيل على الحيوانات - بسبب شدة البرد - أن تجد لها مأوى أو تعيش في ذلك الموضع منذ بداية الخريف حتى الربيع.

ومن ثم، ظنَّ ركن الدين أنه يستحيل على بشر أن يجتاز ويمر إلى القلعة أو يبادر بحصارها، فجبالها كان بعضها يتلوى على بعض؛ حتى إن طائر العقاب ينكل على عقبه فيأبى العبور، بينما كانت الفرائس وحيوانات الصيد تبحث عن مهرب لها بين أساساتها. وبسبب الارتفاع الشاهق لذلك المكان «العلّي» انطبق عليه قول «علي»^(٤): «يتخذز غني السيل ولا يرقى إلى الطير».

(١) يعني أبا ركن الدين.

(٢) العيوق: نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا.

(٣) أرزيز: نهر مشهور ملوث بالرصاص. انظر: بارتولدا، تركستان، ص ٨٥، ٨٩، ٤١٣.

(٤) يعني «علي بن أبي طالب» - كرم الله وجهه - فقد قال ذلك في بداية خطبته «الشهيقية» المشهورة (شرح نيج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٥٠). ويلاحظ الأستاذ القزويني أن المؤلف قد أفرط في استعمال الألفاظ المتجانسة المتشابهة في هذا الفصل المسمى «كتاب الفتح» بشكل مبالغ فيه، أما المترجم فقد عانى أشد المعاناة في ترجمته.

ولما رأى المقيمون بالقلعة أن القوم عددهم كعدد النمل، وهم مثل الثعبان، قد ضربوا حولها [١٢٤] سبع حلقات، وتحايلا بسرعة حتى أقاموا مواقع لهم على الحجر الصلد، وتضامت صفوفهم كما يحدث في «بنجه»^(١)، وأمسكت أكف بعضهم ببعض، كان أهل القلعة إذا نظروا إليهم في وضح النهار رأوا رجالاً وأعلاماً وإذا نظروا في الليل حسبوا أن الأرض أصبحت لكثرة النيران سماء مليئة بالنجوم، [أو] أصبحت عالماً مملوئاً بالسيوف والخناجر، ولم يكن يبدو للعيان وسط ولا حافة. ولشدة الأسى أقام كل واحد منهم ممن كانوا على الأبراج والأسوار مأتماً في قلبه وقت الابتهاج والاحتفال، ﴿... هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس].

أراد الملك الحاذق، على الرغم من ثقته في قوته واقتداره، أن يستدرجهم إلى الفخ بأحسن الوجوه دون أن يجعل جيشه يتكبد عناء، فأرسل رسولاً إلى ركن الدين ليعلن عن وصول أعلامه، وكان لا يزال على قناعته باستمالة جانب ركن الدين وقومه قائلاً: إذا كان صلاح أمر ركن الدين قد ظل حتى الآن بالنسبة إليه غامضاً؛ بسبب كثرة وساوس جماعة من القردة والنسانيس، ونظرًا لصغر سنه فإن عين عقله لا تنتبه من نعاس الغفلة، ومن ثم عليه الآن، وقبل أن يتعرض قومه -الذين يشبهون النمل ممن لا نظر لهم ولا رأي- لشدة وطأة ﴿... لَا يَمْلِكُنَّكُمْ شَيْئٌ وَهُمْ مُعْرِضُونَ...﴾ [النمل]. أن يستبدل حكم آية ﴿... ادْخُلُوا مَسْكِنَكُم...﴾ [النمل]. بـ «أخرجوا من أماكنكم» ويعكس وصية الحسن بن الصباح: عليكم بالقلع، فيجعلها: عليكم [١٢٥] بالانقلاع عنها، فينزل من القلعة ولا يلقي بنفسه إلى التهلكة؛ بسبب تدابير عصابة المدابير^(٢) وأكاذيبهم التي لا طائل من ورائها، وأن يسارع -بوازع من الحظ- [بالفرار] من ورطات

(١) نوع من الرقص. (بويل).

(٢) كذا في الأصل، وهي جمع مديور، بمعنى سيق الحظ، والكلمة ليست بفصيحة، ولا يرد لها ذكر في كتب اللغة المشهورة، ولكنها وردت في قاموس «دوزي». (القرويني)

البلّيات إلى ساحل النجاة، فالوعد التي بُذلت للإبقاء عليه هو وقومه وأهله لا تزال قائمة بل هناك المزيد منها، فلقد أرادت هممتنا العالية [الاستمتاع] في كل الأحوال بلذة العفو والصفح.

فأرسل^(١) من القلعة ردًا يقول فيه: «الضّبع ليس في الجُحر، كما يقولون، ولن يستطيع فعل شيء حتى يتلقّى خبرًا»؛ يعني أن ركن الدين غائب، وليس بوسعنا الخروج دون إذنه وإجازته.

وفي اليوم التالي عاد الرّسول، وحين ارتضعت تباشير الصبح اللّبن من ثدي الليل واضطربت الدنيا من صرخات الرجال التي تشبه الرّعد وزئير الأسود، تقدّم الملك من الطريق الأيسر إلى الدّرة العليا، لفحص مداخلها ومخارجها ومشاهدة مراقبيها ومعارجها، ثم عاد ليلاً من طريق آخر إلى مقرّه السعيد، وفي اليوم التالي -حين سلّ حُرّاس الشّمس سيوفهم البراقة من غمد الأفق فأنزلت اليزيمة بجيش ظلام الليل- عزف [جند المغول] على قيّارة الحرب بينما كانوا يشربون «الصّبح» [١٢٦] ويهدف هناك ستر خصومهم المساكين أعدوا العدة لمعركة بالمنجنيق والحجارة، فقطعوا الأشجار التي كان [الملاحدة] قد ربّوها ورووها على مدى سنين طويلة مضت، غير عارفين بالغرض الذي سوف تستخدم من أجله، وبما ستنتج من ثمار في النهاية، فقد هذبها [جند المغول] واستخدموها قذائف للمنجنيق:

أَعْلَمُهُ الرَّمَايَةُ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا اشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي^(٢)

(١) الفاعل هنا - فيما يبدو - هو حاكم القلعة.

(٢) لمعن بن أوس، أو لمالك بن فهم الأردني، أو لعقيل بن عُلقَة على اختلاف في قائله، انظر اللسان في سدد.

وفي تلك الأيام حشدوا عند كل مسافة -تبلغ جزءًا واحدًا من أربعة وعشرين جزءًا من الفرسخ الواحد^(١)- مجموعة من الرياضيين؛ لكي ينقلوا دعائم وعمد المجانيق الثقيلة جدًا إلى القمة.

وفي اليوم التالي، حين رُفع غطاء الليل عن ثور الأرض وبرز قرص الشمس من معدة الليل، أمر الملك حرسه الخاص بالصعود إلى الذروة وأن ينصبوا مخيمه الخاص هناك.

[١٢٧]

عَلَوْنَا دُوشْنَا . بِأَشَدَّ مِنْهُ وَأَثْبَتَ عِنْدَ مُشْتَجَرِ الرَّمَا ح^(٢)
بِجَيْشٍ جَاشٍ بِالْفُرْسَانِ حَتَّى طَنَنْتُ الْبِرَّ بَحْرًا مِنْ سِلَاح^(٣)

هذا بينما أعد أصحاب القلعة -أثناء الليل- عدتهم للقتال، وعهدوا ببروج القلعة الشامخة في السماء إلى علوجهم فشرعوا في القتال، ونصبوا قوائم المجانيق، وفي منتصف شوال [نوفمبر ١٢٥٦] استهلوا عمليات الإطلاق السريع للحجارة.

(بيت فارسي، ترجمته):

شددت العنان وأخذت تلعبُ بجِرة

خسن، لعل العنان لا يفلت في النهاية

(١) في الأصل: أماج، ويساوي ١ إلى ٢٤ جزءًا من الفرسخ. (القزويني).

(٢) دوشن، اسم جبل. (القزويني).

(٣) من أبيات لأبي فراس الحمداني يمدح بها ابن عمه سيف الدولة. انظر بقيمة الدهر، ج ١، ص ٤٩. (القزويني).

ومن هذا الجانب أيضا كان الشبان يفلقون الرؤوس بسهامهم الشبيهة بالزماح، وهم^(١) لا يجدون مهربا من الحجارة والسهام، لقد أطلقوا سهامًا^(٢) بدت وكأنها سهم من الأجل، فأثخنّت أولئك المدابير بالجراح بضرب ملك الموت، حين أخذت تتساقط كتساقط البزد من مناخل الغمام.

(بيت فارسي، ترجمته):

[١٢٨] مرق السهم عبر الدروع، كما تمرق رياح السحر عبر أوراق الورود

وحين دفعت الشمس درع الظل أمامها توقفوا عن القتال، وفي اليوم الرابع - الذي كان أزمة مرضهم وبرهاننا شاهداً على الحق - عند تبشير إسفار الصباح ارتفع الصياح والنفير والصراخ والزئير، وسلك الجانبان طريق البدء في القتال، فانطلقت من بروج القوس نجومّ السهام السريعة الرائشة^(٣)، واستعملوا «قوس الثور»^(٤)، الذي كان الحرفيون الماهرة الخطائيون قد صنعوه ويبلغ مداه ٢٥٠٠ خطوة؛ لكي يتم إطلاقه على أولئك المفضوحين، وذلك حين لم يجدوا علاجاً غيره، وقتل الكثيرون من جند الملاحدة الأبالسة بنصال مثل الشيب، كما كانت الحجارة تسقط من القلعة كالأوراق، لكن لم يصب أحدٌ بجروح إلا واحد فقط أسفل القلعة.

فلما عاينوا في ذلك اليوم قوة قبضة المغول توقفوا عن القتال، وقرع أرباب القلعة باب الصلح بعد [أن اكتتوا] بحمي الحرب، فأرسل ركن الدين رسولا برسالة مؤداها: «لقد أخفيت نفسي حتى الآن؛ لأنني لم أكن متأكداً من وصول جلالكم،

(١) يعني الملاحدة.

(٢) يعني المغول.

(٣) أي ذات الريش.

(٤) في الأصل «كمان گاو» (قوس الثور) ويبدو أنه كان نوعاً من المجانيق أو هو نشاب ضخ لا يقذف الحجارة بل يقذف الحديد». (بويل).

سوف يتوقف الجيش الآن عن القتال وينصرف عن الحرب، سأخرج اليوم أو غدا وأجعل تراب البلاط «توتياء»^(١) لعيني».

بهذه الحيلة والخداع ألقى ذلك المخائل المخادع الماء على النار حتى أقلعوا عن القتال في ذلك اليوم، [١٢٩] ثم إنهم كفوا في اليوم التالي عن الخصام والنقار؛ انتظارا لنزوله وانحداره [من القلعة]، وفي آخر النهار أرسل رسولا آخر والتمس إصدار أمر ملكي لمنحه أمانا لشخصه، فصدر الأمر لمبشر هذه البشارات^(٢) بأن يكتب أمرا ملكيا استجابة لطلبهم، ولما كان نص هذا الأمر لا يتناسب مع إدراجة هنا فقد تم إثباته مع أحداث أخرى في «تاريخ جهانگشاي» للجويني^(٣)، وتم إرساله إلى ركن الدين، وقرئ على ملا من الناس منهم فابتهج أولئك الذين كانت بهم مسكة من عقل وإيثار لأموالهم وأنفسهم.

وحين بلغ النهار نهايته وحل الليل فتبدل الظلام بالضياء وعدوا بأن سينزل في اليوم التالي، فلما ولد الغد من ظلمة الليل الدامسة واستعد للنزول، بلغ جماعة من غلاة الفدائيين الغاية في الاعتراض ولم يرضوا بنزوله، لدرجة أنهم عزموا على التخلص من أولئك الذين كانوا يحرضونه على اتخاذ قرار النزول.

فلم يلبث ركن الدين أن أرسل مرة أخرى - شخصا برسالة يقول فيها: «كنت قد أعددت الهدايا [لتقديمها إليكم] [١٣٠] قبل المبادرة بحضوري، لكن أغلب أتباعي قد استبد بهم الغضب وصمموا على التخلص مني قبل تنفيذ هذه الخطّة، ومن ثم فقد أحبط عزمي».

(١) التوتياء: حجر يُكْتَلُّ بمسحوقه (معزّية)، المعجم الوسيط.

(٢) يعني نفسه؛ أي علاء الدين عطا ملك الجويني، مؤلف الكتاب.

(٣) نص هذا الأمر ليس موجودا في نسخ الكتاب التي بين أيدينا، ويبدو أن المؤلف نسي أن يفي بوعده. (الفرويني).

وحين أبلغ الرسول هذا الكلام إلى سمع «الإيلخان» المبارك، لم تظهر على ملامحه أية بادرة تدل على استياء في داخله، قلّ أو كثر، وقال: لأولى بركن الدين أن يحافظ على حياته، ثم صرف الرسول.

وخلال مجيء الرّسل وذهابهم تمّ العثور على مواقع مناسبة لنصب المجانيق، حيث تمّ نقل أجزائها وتجميعها وتركيبها بسهولة، وفي اليوم التالي: (بيت بالفارسية، ترجمته):

حين شَقَّت الشَّمْسُ الحجابَ الملونَ بالقار

ثمّ خرجت من ورائه:

[١٣١] صدر الأمر بأن على كلّ شخص على مدار القلعة أن يلتزم [بالعدو] الذي أمامه وأن على كلّ شخص -حيثما كان- أن يتحرّك إلى الأمام ويسعى للاشتباك بالخصوم، فتعالت صيحة القتال وتجاوب معها الصّدى من مدار القلعة، على مسافة فرسخ أو أكثر، وتملّكت الرّعدة أوصال الجبال وأعضاءها من دحرجة الصّخور التي يدفعونها من أعلى، وأخذ قلب الحجر الأصمّ يتحوّل إلى تراب؛ بسبب تصادم الصّخور [المندفعة من عل] ^(١)، وتمزّق جيب الفلك الأعلى من تكاثر الصّوالات، أما مقاليع المجانيق - التي تمّ نصبها خلال ذلك اليوم، فكانت حجارتها قد صنعت من أخشاب أشجار الصنوبر التي بلغ عمرها مائة عام وكانت ثمارها (كقول الله تعالى): ﴿طَلْمَهَا كَأَنَّهَ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ ^(٢)، فمن أول حجر أطلق منها تحطّم منجنيق العدو، وسحق كثيرون تحته، وغلب الرّعب والفرع عليهم من السّهام التي كانت تغشاهم من كلّ جانب، فتفرّقوا جميعاً، واتخذ كل واحد منهم ملاذاً من الحجر كدرع واق في ركن من الأركان، هذا بينما أخذ بعض من يقفون على أحد الأبراج يزحفون من هول الموقف كما يزحف الفأر داخل الجحور أو كما تهرب

(١) في الأصل: صخرات صخرات، كذا! وصخرات، لا معنى لها. (القزويني).

السحالي إلى [١٣٢] داخل جُحر كل جُحر، وُجرح بعضهم ولقي بعضهم حتفه، وطيلة ذلك اليوم أبدوا مقاومة لكنها عاجزة وتحركاً كتحرك النساء. وحين أزاحت السماء قلنسوة الشمس عن رأسها ورفعت الأرض حجاب الليل من الثرى إلى الثريا، أمسكوا عن القتال.

وما إن أطل ملك الضياء من جيب المشرق حتى شرع الصفوة من جنود جيش الملك في العمل، وأخرجوا أيديهم من كُم الجهاد مسندين ظهر الثبات إلى جبل المقاومة.

لقد رأى ركن الدين أنه لن ينال إلا الحسرة، وأنه ظل طيلة هذه المدة يزجي الوقت بسوف ولعل، ويعيد الزسل بمعاذير غير مقبولة، وما زال حتى الآن يماطل على المنوال نفسه على أمل أن يجعل نذافو قطن الشتاء جيش الملك نذافاً ومزقاً متفرقة، إلا أنه رأى أن انتظار الشتاء والتلوج وهم، فبفضل الحق -عز شأنه، وميامن الحظ المتزايد للملك- لم يند يوم من تلك الأيام وجهاً عابساً، ولم تحجب الشمس سحب الغمام، وطيلة شهر «دي»^(١) كان «الأمس» أكثر برودة بالقياس إلى «اليوم»، و«غداً» أكثر لطفاً من اليوم، وكلّ التلوج التي كانت قد سقطت [١٣٣] في أول فصل الخريف - أي قبل وصول كل هؤلاء الخصوم - قد توقفت، ولا يتذكر أي واحد من الرجال المسنين ممن بلغوا من العمر مائة عام أنه كان بإمكان أحد أن يدخل هذه البقاع، أو يخرج منها منذ بدء حلول الشمس في أول نقطة الميزان، وذلك بسبب برودة الجو، وسقوط الندى وكثرة التلوج، وفي ضوء هذه الظروف لم ير ركن الدين ملجأ وملأداً إلا في الاستسلام والالتياذ بظل الاسترحام، ولجأ إلى التضرع والتشفع من شدة البأس والخوف والرعب. (بيت فارسي، ترجمته):

(١) شهر «دي» يمثل أكثر شهور شتاء السنة الإيرانية برودة (٢٢ من ديسمبر من السنة الشمسية - ٢١ من يناير). والمؤلف هنا يتلاعب بالألفاظ فلفظ دي، يعني الشهر المذكور كما يعني أيضاً أمس أو البارحة.

إذا دفع قَهْرُكَ طلائغه إلى البحر، لتحوّلت

الدُّرَّةُ إلى حَبَّةِ رُمان في أعماق حلق الصدف

فبعث برسل، والتمس المغفرة والعفو عن جرائمه الماضية. وهنا سَطَرَت
العاطفة الإمبراطورية العامة والرَّحمة الملكية التَّامة -بقلم القدرة- آية ﴿... فَأَصْفَحْ
أَلَصَّفَحَ الْجَبِيلَ﴾ [الحجر]، على صفحات أعماله وأعمال قومه.

وبدأ ركن الدين في إخراج أغلب الأعيان والوزراء بصحبة ابنه، وفي اليوم
التَّالي نزل بنفسه بعد أن حظي بوعد بالمعاملة بالإحسان.

كان ذلك اليوم المبارك هو سلخ شهر شوال من هذا العام [١٩ من نوفمبر
١٢٥٦م] وهو من ثمَّ سلخ إقبال أصحاب الجبال بل كان غُرَّةً تباشير لطف ذي
الجلال.

جملة القول: إن ركن الدين نزل من تلك الدُّرَّةِ العالية والمكمن الرفيع الذي
كان يظن نفسه وهو في أعلاه (بيت فارسي ترجمته):

كاني على جبل «جلنباد» المنيع، فَعَفُور على عرشه ويور على سريرهِ^(١)

نزل وهو يتعثّر من الحيرة والدَّهول ﴿... كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ
حَمْرَاءَ...﴾ [الأنعام]. [١٣٤] وودَّع ذلك المقام المألوف والوطن المعروف بألاف
الآلام والحسرات وداعاً لم يكن يتصور معه العود إليه مرَّةً أخرى. وهل تثبت كثرة
القلاع واستحكامات الحصون أمام سابقة حُكْم الأزل، ومتى كانت بنات الأفكار
وثبات العقول مساعداً ومعيناً عند انقضاء الدُّول؟ إن إشارة واحدة من القَدَر تبطل

(١) من جملة أبيات لمظفر خج من الكتبة في عهد السلطان سنجر السلجوقي، وفغفور لقب
إمبراطور الصين، ويور لقب الإسكندر الأكبر عند الهنود.

مئات الآلاف من التدابير المموّهة، كما أن نصف إيماءة من القضاء تجعل الملايين من تلبّسات البشر هباءً منثوراً:

الدَّهْرُ يَلْعَبُ بِالْوَرَى لَعِبَ الصَّوَالِجُ بِالْكُرَى
وَالدَّهْرُ قَنَاصٌ وَمَا الِإِنْسَانُ إِلَّا قُنْبَرَةٌ^(١)

وما إن سارع ركن الدين إلى النزول مع أهله وقومه حتى وجد الملاذ؛ بسبب تشرفه بتقبيل عتبة بلاط ملك العالم، واعترف بالجرائم والآثام التي كان قد اقترفها في الأيام الماضية والشهور السالفة وهو في حالة من الخجل والنّدم، غير أن لطائف العواطف الإمبراطورية وروائع الصنائع الملكية أحالت ما كان يشعر به ركن الدين من استيحاء واستنفار^(٢) إلى استئناس واستبشار، وبعثت إلى روحه بشرى الحياة له ولقومه بعد أن ظنّوا أنهم موتى.

وفي اليوم التالي أنزل كل إخوته وأبنائه وأهل بيته وعائلته ونقائه وسكان القلعة إلى الوادي [١٣٥] فخرج كل من كان هناك من الجند ببضائعه وأمتعته، ودخل جيش المغول فأخذ في هدم الأبنية، وكنسوا ترابها بمكنسة الفناء^(٣).

وفجأة وثب جماعة من غلاة الفدائيين مضحين بأرواحهم في سبيل الضلالة والجهالة - باحثين عن هلاكهم برغبة قلوبهم باسطين أجنحتهم كالنمل حتى ارتقوا القبة المشيدة للقصر، والتي كانت مجلساً لحكام المملكة ومُدبري أمرها بل لمُدبري الدين

(١) من أبيات للقاضي أبي الفضل أحمد بن محمد الرشيد اللوكري. (القزويني).

(٢) كذا في الأصل بالعربية، ويعني به النفور.

(٣) الفناء، إضافة من إحدى نسخ الكتاب الخطية ج، انظر هامش ١ من الأصل.

والدنيا، ولو أراد الله بالنملة صلاحاً لما أنبت لها جناحاً^(١)، وبسطوا أيديهم للقتال، ومن جانب الجيش المظفر تم توجيه المجانيق نحو أولئك الزنادقة غمي الأبصار مغوّجي الأفئدة، فبدأ الإطلاق السريع للحجارة والسيّام الطائرة المباغته وكأنه اللعنات المنصبة على إبليس.

وطيلة ثلاثة أيام بلياليها واصلوا المقاومة، وفي اليوم الرابع صعد شجعان الجيش -الذين هم أشبه ما يكونون بالشجاع^(٢) والنباسل الأشداء- فوق تلك القبة الشامخة السامقة وسحقوا أولئك الضلال صلال^(٣) الفعل، ومزقوا أعضاء أولئك الثعساء وأجزاءهم إربا.

وبصرف النظر عما كان في خزائن "ميمون دز"، فإن ركن الدين لم يكن يملك شيئاً جديراً بأن يُقدّم كهدية للملك [١٣٦] ذلك لأن كل ما كان يملكه ركن الدين قد تفرّق ووُزِعَ أثناء تحرّك القوّات جيئة وذهاباً، فلم يبق بيده شيء ووزعها الملك كلّها بسخاء، وجاد بها على أركان الدولة وفيالق المملكة.

ثم أرسل إلى القلاع الأخرى التي كانت تقع في ذلك الوادي^(٤) رسله وضباطه مع رسل الإيلخان بتعليمات لتدميرها، ورجع الملك موقفاً مظفراً.

(١) منسوب إلى عبد الحميد بن يحيى الكاتب المشهور، كتبه عن مروان بن الحكم إلى أبي مسلم الخراساني، انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٣١٣، ٤: ٣٧، انظر أيضاً مجمع الأمثال ١: ٥٧.

(٢) الشجاع: الثعبان.

(٣) صلال: كذا في الأصل كلمة عربية، وتعني الثعبان الذي لا دواء لسمه.

(٤) في الأصل: رودخانه: ضفتا النهر.

وتوجه أحد الرسل إلى حاكم «الموت»؛ لكي يدعو للإذعان والطاعة بدوره وأن يلحق بسيدّه في الخضوع والولاء، فلبث متردداً في النزول على الفور، فانتدب الأمير «بلغاي» مع قوة كبيرة من الرجال لحصار القلعة، فقاد «بلغاي» الجيش حتى بلغ أسفل «الموت» وفرض حصاراً حولها من كل جانب.

وحين أمعن سكان القلعة النظر في عواقب الأمر وتصاريق القدر أرسلوا رسولاً بطلب الأمان وسؤال المعاملة بالإحسان، وتوسط ركن الدين من جانبه حتى قبل الملك الصّفح عن جرائم القوم.

وفي أواخر ذي القعدة من السنة المذكورة [أوائل ديسمبر ١٢٥٦] نزل كل سكان تلك البؤرة -التي هي بدعة الطغيان وعش الشيطان- بكل بضائعهم وأمتعتهم إلى الوادي.

وخلال ثلاثة أيام لباليها وثب الجيش إلى القلعة واستولى على ما عجز القوم عن حمله، ثم أضرم الجند النار على الفور في مختلف أنواع الأبنية والمنازل، ونثروا ترابها بمكنسة الدمار في الريح وسوّوها بالأصل [١٣٧] (بيتان بالفارسية، ترجمتهما):

- مَخَافَةُ الْمَوْتِ لَا تَلِيْقُ فِي يَوْمَيْنِ: يَوْمٌ

يَحُلُّ فِيهِ الْقَضَاءُ وَيَوْمٌ لَا يَحُلُّ فِيهِ الْقَضَاءُ

- فَيَوْمٌ يَحُلُّ الْقَضَاءُ لَا يَنْفَعُ دَفْعُهُ، وَيَوْمٌ لَا

يَحُلُّ الْقَضَاءُ لَا يَلِيْقُ الْخَوْفُ فِيهِ

ذات ليلة حين حلّ القضاء انطبق على ذلك كله حُكْمُ قَالَ قَمَالٍ: ﴿...جَعَلْنَا عَلَيْهَا مَكَافَلَهَا...﴾ (هود) عند انبلاج الصّبح، ويوم لم يحلّ القضاء حين حاصر

محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان قلعة الموت هذه نفسها أيام الحسن بن الصباح لمدة أحد عشر عاما ولمزات عديدة مع قلعة ما فيها من غدٍ وذخيرة (وهي قصة يتعين مطالعتها من كتب التاريخ) لم يُجد ذلك كله شيئا.

ومن المقرر والمؤكد عند الرجل البصير هو أن لكل بداية نهاية ولكل كمال نقصان، فإذا ما حان الحين لا يمكن لشيء أن يحول دونه، وقال رسول الله ﷺ: «حق على الله أن لا يرفع شيئا إلا ويضعه».

وفي هذا الأسبوع نفسه وصل شمس الدين حاكم قلاع قهستان، وطلب مرسوماً من الملك، ثم إنه اصطحب ثقة ركن الدين من أجل تخريب كل القلاع بدءاً بـ «گردكوه»، وكان عددها أكثر من خمسين، بقيت في إقليم قهستان ترفع أيديها في مواجهة السماوات وتطاول الكواكب؛ لكي يُحيلوا بذلك خمر تصوراتهم [١٣٨] إلى سراب.

وجاء من نواحي «ديلمان»^(١) و«أشكوز»^(٢) و«طارم» و«خركام»^(٣) محافظون للقلاع انخرطوا في زمرة العبيد المطيعين للملك وحصلوا على مراسيم ملكية، ثم خربوا القلاع.

وفي أول ذي الحجة من الحجة المذكورة [٢١ من ديسمبر ١٢٥٦] لوى الملك -أدامه الله شمساً ساطعة- عنان الانصراف صوب المعسكر، ووزع كل ما كان قد غنم من غنائم على الشريف والوضيع من قوات الترك والتآزيك، وبعث بركن الدين -

(١) ديلم أو ديلمان موطن الديالمة، المعروفين بآل بويه الذين حكموا جنوب إيران والعراق (٣٢٥-٤٤٨ / ٩٣٢-١٠٥٥) وتقع ديلمان حالياً في شرق جيلان وغرب مازندران. انظر مينورسكي، حدود العالم، ص ٣٨٥، ٣٨٧، ٣٨٨ (بويل).

(٢) منطقة قروية تحفها الجبال في غرب جيلان. (فرهنگ معین).

(٣) اسم قرية من قرى منطقة «هزار جريب» إقليم مازندران، راجع رحلة رابينو *Mazandran and Astrabad* ص ١٢٤. (بويل، لغت نامه دهخدا).

وبصحبته كل أقاربه من بنين وبنات - إلى قزوين وحدد إقامتهم هناك، ونزل الملك - أباه الله حتى نفخ الصور - مؤيداً مظفراً بالمعسكر حتى آخر هذا الشهر المذكور، فحل هناك كما حل الشمس بمنزل الشرف.

(بيت بالفارسية، ترجمته):

في سماء حضرته قدم شمس الملوك، موفقاً مظفراً من رحلة صيد ملكية
فمن ذا الذي رأى رأي العين كيف حلت السكينة بالعالم بركضة واحدة، وأي
حكيم ذاك الذي سمعت أذنه أن الجصان الجامح قد تم ترويضه كالجمل المنيف
بحركة واحدة؟

بهذا الفتح الذي يتساوى مع فتح «خنير» (فالعيان يغني عن الخبر والمشاهدة
تكفي عن الحكاية) اتضح السر الإلهي في خروج جنكيزخان وبانت المصلحة في
انتقال الملك إلى ملك الدنيا «منكوقا أن». [١٣٩] فبهذا النصر المبين استقرت
مفاتيح ممالك العالم في يد قوة [المغول]، وفتحت مغاليق بقايا بلاد الأقاليم التي ظلت
مستعصية على الفتح؛ بسبب ضيقة الزمان.

سماء الصالحون «فتح الفتوح» بينما لُعبه الطالحن بمصباح الصبوح^(١)، بهذه
البشارة أخذت النسائم تواصل هبوبها، وطيور الجوّ تواصل تحليقها، ويهني الأولياء
أرواح الأنبياء، ويبعث الأحياء البشري للأموات:

فَتَحْ تَفْتَحْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ لَهُ

وَتُبْرِرْ الْأَرْضُ فِي أَبْرَادِهَا الْقُسْبِ^(٢)

(١) أي أن كل امرئ رأى هذا الفتح من وجهة نظره، لكن الجملة يمكن أن تكون مثلاً يضرب
للشمس كأن يقال: هامي ذي الشمس (مينورسكي، حاشية ٨١ ص ٦٣٨ من الترجمة
الإنجليزية للكتاب).

(٢) البيت لأبي تمام في مدح المعتصم.

يا له من علاج ظَهَرَ في هذا العالم: عالم الكون والفساد، ويا له من سرور
وارتياح بدا في الدنيا التي هي وكر الغم والحزن.

أما أراه اليوم يا رب في الصُّحُو أم في المنام^(١).

لم يبق للفئة الصَّبَاحِيَّة البَاغِيَّة والطَّائِفَةُ الطَّاعِيَّة المُبَاحِيَّة خَجَر مَبْنِيٍّ على
خَجَر في موطن الإلحاد بمنطقة «رودبار الموت»^(٢).

فقد كتب نَقَاشُ الأزل بقلم القهر على مدخل دار كل إنسان في الوكر العامر
بالبدعة «فتلك بيوتهم خاوية»، ونادى مؤذِن القضاء صارخًا على الأركان الأربعة
لمملكة أولئك المخاذيل بنداء «قُبْعْدًا للقوم الظالمين» وذهب حريمهم المشنوم وحرَمهم
كَمْذِهِبهم الباطل بَدْذًا، وأصبح ذهب أولئك الحمقى المخادعين المزورين - والذي بدا
وكأنه إبريز خالص - [١٤٠] رصاصًا حقيرًا.

واليوم، وبفضل يُمن الملك الذي يشع نوره على العالم، لو وجد أحد الفداوية^(٣)
في ركن لوجدته مؤثرًا أن يفعل فعل النساء^(٤)، وحيثما وجدت داعيًا^(٥) رأيتُه ناعيًا، وقد
صار كل رفيق^(٦) رقيقًا^(٧)، وغدا كل واحد من أصحاب الدعوة الإسماعيلية ذبيحًا

(١) للشاعر الفارسي أوحد الدين الأنوري، الديوان، طبع تبريز ص ١٢. (القزويني).

(٢) انظر فيما يلي حواشي الأستاذ محمد بن عبد الوهاب القزويني، ص ٣٤٣ فيما يلي.

(٣) في الأصل «كارد زن» الضارب بالخنجر، ويعني بهم جماعة الفداوية أو الانتحاريين الذين
يضربون بالخنجر غير مباشرين بالموت، ويطلق عليهم أيضًا «الحشاشون».

(٤) أي يتخفى عن الأنظار كما تفعل النساء؛ حفاظًا على حياته. (القزويني).

(٥) داعي، من اصطلاحات الباطنية، ويمثل درجة من بين درجاتهم وألقابهم ورتبهم كالمأذون
والحجة والإمام والأساس والناطق، راجع كتاب دولة الإسماعيلية في إيران، للمترجم، طبعة
الدار الثقافية بمصر سنة ١٩٩٩، ص ٣٩.

(٦) رفيق، من اصطلاحات الباطنية في إيران، ويبدو أنه كان يطلق فيما بينهم على كل من يتبع
مذهبهم. (القزويني).

(٧) رقيق، بمعنى العبد.

لضاربي السيف الأحمدي^(١)، وصار «مولانا» الذي يقولون له: اللهم مولانا^(٢) -
 فاها بفيهم^(٣) - [١٤١] عبداً لأولاد الزنا^(٤) (من جند المغول)، أما إمامهم العالم
 الحكيم، بل سيدهم^(٥) في هذا العالم - وهو من كانوا يعتقدون فيه أنه «... كُلُّ يَوْمٍ هُوَ
 فِي شَأْنٍ ⑨ [الرحمن]. فقد وقع كالفريسة في فخ القدر، وأما السادة فيهم^(٦) فقد غدوا
 بغير قُوَّة وجِسْمَة، كما غدا أصحاب العزَّة^(٧) فيهم بغير عَزَّة وحُزْمَة، وكل من كان
 فيهم شريقاً صار كالكلب مهيناً، كما صار صاحب كل حصن أهلاً لأن يُقَمَّ إلى
 المشنقة، وفقد كل رئيس لقلعة من قلاعهم رأسه وصولجانه، نعم، صاروا بين الخلاق أذلاء

-
- (١) لعله يريد بالسيف الأحمدي سيف الإسلام، كما فسر بويل المترجم الإنجليزي للكتاب.
- (٢) يتضح من كتب التواريخ أن خلفاء الإسماعيلية وملوكهم كان أتباعهم في كل من مصر وإيران
 يخاطبونهم بـ «مولانا» و«مولى» ولكن يتبين مما نقرأ هنا أنهم كانوا يطلقون عليهم أيضاً:
 «اللهم مولانا»، مما يدل على نوع اعتقاد بالوحيته (هذا إن لم يكن ما يقوله المؤلف محض
 اتهام). (القزويني)
- (٣) فاها بفيهم، كذا في الأصل، جملة دعائية في العربية، قال في اللسان: «هو من أمثالهم في باب
 الدعاء على الرجل.. إنما يريد فا الذاهية، وقيل: معناه الخيبة لك، وحكي فاها بفيك منوناً أي
 ألصق الله فاك بالأرض».
- (٤) في الأصل: مولى مولان، ومولى: العبد، ومولان جمع مول وتعني بالفارسية ولد الزنا وابن
 الحرام، ويطلق على جند المغول، وينطوي على سباب فاحش لجند المغول، وله نظائر في هذا
 الكتاب. (القزويني).
- (٥) في الأصل «خداوند»، واللفظ على التحقيق هو: خواند وخوند وخُند، وكان من الألقاب الخاصة
 بملوك الإسماعيلية في إيران منذ الحسن بن محمد بن بزرك أمير ومن أتى بعده... (القزويني).
- (٦) في الأصل: محتشمان، جمع محتشم، وهو كبير الفاطمية.
- (٧) في الأصل: كيا، بمعنى حكام القرى وملوك الأراضي وحراس الحدود ومن في حكمهم.

كاليهود، وكالشوارع ترأنا تكوسه الأقدام، قال تعالى: ﴿...وَمُزِيَّتْ عَلَيْهِمُ الدِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ...﴾ [البقرة]، ﴿...أُزْلِكَ لِمَنْ أَلَمَنَهُ...﴾ [٤٥] ﴿[الرد]﴾^(١).

ها هم أولاء اليوم ملوك الروم والفرنج ينعمون بنوم هادئ هنيء وهم الذين ظلت وجوههم شاحبة؛ خوفاً من أولئك الملاعين فكانوا يدفعون لهم الجزية ولم يكن ينتابهم خجل من تلك الجزية.

لقد استراح الناس جميعاً -وبخاصة أهل الإيمان- من شر مكيدتهم وخبث عقيدتهم، بل إن كل الأنام من خاصّ وعامّ كرام ولئام قد عمّتهم الغبطة وشملهم السرور، وأصبحت حكاية رستم بن دستان^(٢) إذا قورنت بهذه الأحداث ضرباً من أساطير الأولين.

إن إدراك البصائر إنما يتحقّق من خلال هذا الفتح المبين، ونور النهار الذي يضيء العالم إنما يزهر ويزدان بهذا الأمر، ﴿فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَكَلِمَةُ الْوَرَبِ الْمَلَكَيْنِ﴾ [٤٥] ﴿[الأنعام]﴾.

(١) آيتان من سورتين لا آية واحدة كما يتوهم في بادئ الأمر ﴿... وَمُزِيَّتْ عَلَيْهِمُ الدِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ...﴾ [البقرة]، ﴿... أُولَئِكَ لِمَنْ أَلَمَنَهُ...﴾ [٤٥] ﴿[الرد]﴾.

(٢) رستم بن دستان: البطل الأنصوريّ عند الفرس.

ذكر تقرير

مذاهب الباطنية والإسماعيلية وأحوالهم^(١)

في صدر الإسلام بعد أيام الخلفاء الراشدين صلوات الله عليهم أجمعين- ظهر من بين المسلمين جماعة لم تأتلف ضمائرهم مع دين الإسلام؛ فقد رسخت عصبية المجوس في قلوب هذه الطائفة. [١٤٣] ولكي يشيعوا بين الناس الشك والضلال أذاعوا أقوالاً مؤداها أن لظاهر الشريعة باطنا ستر عن أكثر الناس، ودعموا هذه الأباطيل بالأقوال التي وصلت إليهم عن فلاسفة اليونان، كما اقتبسوا بعض المبادئ من مذاهب المجوس. ولكي لا يشنع عليهم أهل الإسلام، بل لكي يشيعوهم^(٢) كانوا ينكرون على طوائف فرق المؤمنين أنهم لم ينصروا آل بيت الرسول صلوات الله عليهم- خاصة عندما جهر بظلمهم يزيد^(٣) وأتباعه -عليهم ما يستحقون- فلم ينتقم لهم أحد من بين هؤلاء الأمراء وأهل الحل والعقد، ورضوا بخلافة آل يزيد.

(١) هوامش هذا القسم كلها كتبها محقق الكتاب الأستاذ محمد بن عبد الوهاب القزويني، عدا الهوامش التي تم التنبيه فيها على أنها للمترجم.

(٢) تشيعه على رأيه تابعه وقواه، وفلان يشيعه على ذلك أي يقويه (لسان العرب).

(٣) يعني يزيد بن معاوية الخليفة الأموي الثاني. (المترجم).

ولما انفصل الكيسانية^(١) عن باقى الشيعة، وتبعوا محمد بن الحنفية انضم أولئك إلى الكيسانية ونسبوا إليه^(٢) تقرير العلوم الباطنية، إلى أن خرج زيد بن علي، ورفضه شيعة محمد^(٣) بن علي بن الحسين -صلوات الله عليهم- ورضوانه، فقيل: رفضوا زيّداً. وقد ظل اسم الرافضة^(٤) يطلق عليهم منذ ذلك الحين، ولما أصيب الكيسانية بالوَهْن؛ بسبب نقص عددهم وعُدَّتْهم انضم هؤلاء القوم إلى الروافض.

وكان من بينهم شخص من أعقاب [١٤٤] جعفر الطيار^(٥) يقال له: عبد الله

(١) الكيسانية فرقة من فرق الشيعة. يقول الشهرستاني (الملل والنحل ج ١ ص ٢٨٠): إنهم أصحاب كيسان مولى علي بن أبي طالب. بينما ينسبها النويختي (فرق الشيعة ص ٢٣) والقمي (المقالات والفرق ص ٢١) إلى المختار بن أبي عبد الله النقي وكان لقبه كيسان. وهم الذين قالوا بإمامة محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية. (انظر أيضا مقالات الإسلاميين للأشعري ج ١ ص ١٦ - ٢١، الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٧ - ٣٤، الفصل في الملل والنحل لابن حزم ج ٤ ص ١٧٩ - ١٨٠). (المترجم).

(٢) يعنى: إلى محمد بن الحنفية.

(٣) يعنى: الإمام محمد الباقر.

(٤) إلى مثل هذا رأى في سبب تسميتهم بالرافضة أو الروافض يذهب الفخر الرازى (اعتقادات فرق المسلمين والمشرىكين ص ٥٢) فيقول: "وإنما سُمُوا بالرافضة لأن زيد بن علي بن الحسين خرج على هشام بن عبد الملك فطعن عسكره في أبي بكر فمنعهم من ذلك فرفضوه فقال لهم: رفضتموني؟ قالوا: نعم. فبقى عليهم هذا الاسم". ولكن الأشعري يقول في مقالات الإسلاميين ج ١ ص ١٥: "وإنما سُمُوا بالرافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر". وانظر وجهاً آخر في سبب هذه التسمية لدى كل من النويختي (فرق الشيعة ص ٦٣) والقمي (المقالات والفرق من ص ٧٧). وانظر أيضا البغدادى (الفرق بين الفرق ص ٢٥)، ابن الجوزى (تلبيس ص ١٠٣)، الإسفرايينى (التبصير في الدين ص ٧٥). (المترجم).

(٥) في سبب تسمية جعفر بالطيار انظر عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، طبع بومباي ص ١٨ - ١٩.

ابن معاوية^(١) قبل دعوة الروافض، وتبحر في ذلك المذهب، ووضع المؤلفات في توطيده، ومن جملة مؤلفاته أنه اخترع جدولاً^(٢) في تعيين أوائل الشهور العربية، وقال بعدم الحاجة إلى رؤية الهلال، وقد نسب وضع الجدول - وهو بحر الضلال - إلى أئمة أهل البيت -رضوان الله عليهم- وقال: إن الإمام يستطيع رؤية الهلال، ولا يمكن لأحد غيره أن يشعر به، فأوائل الشهور تقع قبل التمكن من رؤية الهلال. فأنكر ذلك عليه روافض الشيعة ودب بينهم الخلاف، فأطلق جماعة الجدولين على أنفسهم اسم "أهل العلم الباطن" وأطلقوا على باقي الشيعة اسم "أهل الظاهر".

[وظل الأمر على ما كان عليه] حتى جاء عصر جعفر الصادق رضى الله عنه، وكان له أربعة أولاد أكبرهم إسماعيل الذى كان حفيذاً للحسن من جهة أمه^(٣)،

(١) هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب خرج على بنى أمية في أواخر أيام دولتهم واستولى على فارس وإصفهان وكرمان، لكنه قتل في النهاية على يد أبى مسلم الخراسانى في سنة ١٣٠هـ، انظر الطبرى ٢: ١٨٧٩ - ١٨٨٧، ١٩٧٦ - ١٩٨٠ وابن الأثير في حوادث سنتى ١٢٧ و ١٢٩. (المترجم).

(٢) أبو الريحان في الآثار الباقية ص ٦٤ - ٦٨ وأبو منصور البغدادى في الفرق بين الفرق ص ٢٥٦ ينسب أن وضع هذا الجدول إلى عبد الكريم بن أبى العوجاء الزنديق المعروف. ولم أعثر في أى مرجع من المراجع المتعلقة بترجمة حال عبد الله بن معاوية أو الخاصة بشرح مذهبه وطريقته على ما يثبت نسبة وضع هذا الجدول إليه كما يزعم الجوينى.

(٣) أم إسماعيل هى فاطمة بنت الحسين الأثرم بن الحسن بن على بن أبى طالب: "قول جعفر بن محمد إسماعيل الأعرج وعبد الله وأم فروة أمهم فاطمة ابنة الحسين الأثرم بن الحسين بن على بن أبى طالب" (الطبرى القسم الرابع، ص ٢٠٥٩). وأما إسماعيل بن جعفر الصادق ويكنى أبا محمد وأمهم فاطمة بنت الحسين الأثرم بن الحسن بن على بن أبى طالب، وكان أكبر ولد أبيه ويعرف بإسماعيل الأعرج "عمدة الطالب في أنساب آل أبى طالب، ورقة ١٤٣). ومكث الصادق خمساً وعشرين سنة لا ولد له إلا إسماعيل وعبد الله وأم فروة وأمهم فاطمة بنت الحسين بن الحسن" (ستور المنجمين ورقة ٣٣٣، نسخة المكتبة الأهلية بباريس رقم *Arabe* 5968).

والثاني: موسى وكانت أمه أم ولد، [١٤٥] والثالث: محمد الديباج^(١) وهو مدفون بظاهر جرجان^(٢) بجانب قبر الداعي^(٣)، والرابع: عبد الله المعروف بالأفطح^(٤)، قال الشيعة: إن جعفرًا إمام معصوم، وقد نصَّ على ابنه إسماعيل، غير أن إسماعيل كان يعاقر الخمر فأنكر جعفر الصادق عليه ذلك، وقد روى عنه أنه قال: "إن إسماعيل

(١) "محمد الديباج بن جعفر الصادق لقَّب بذلك لحسن وجهه" (عمدة الطالب طبع بومباي ص ٢١٨). (المترجم).

(٢) "ومن مزار الأكابر (في جرجان) قبر محمد بن جعفر الصادق، وهذا المزار مشهور باسم القبر الأحمر" (نزهة القلوب ص ١٥٩).

(٣) المراد بالداعي هو: "محمد بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ملك طبرستان بعد أخيه الحسن بن زيد الداعي الكبير وأقام سبع عشرة سنة وسبعة أشهر، ثم حاربه محمد بن هارون السرجيني صاحب إسماعيل بن أحمد الساماني فقتله وحمل رأسه إلى بخارى ودفن ببنه بجرجان، عند قبر الديباج محمد بن الصادق عليهما السلام" (عمدة الطالب ص ٧٠ طبع بومباي باختصار). ومحمد بن زيد هذا هو أحد السادات العلوية الذين حكموا طبرستان منذ سنة ٢٥٠هـ، واستمر حكمهم لها حتى سنة ٣١٦هـ عندما استولى أسفار بن شيرويه الذلمي عليها. ومحمد بن زيد يعد واحدًا من الأربعة الكبار الذين حكموا تلك البلاد وكانوا يتمتعون بالاستقلال عن من سواهم، أولهم: الحسن بن زيد المعروف بالداعي الكبير (٢٥٠ - ٢٧٠هـ)، وثانيهم: محمد بن زيد المذكور وهو معروف بالداعي على إطلاقها (٢٧٠ - ٢٨٧هـ)، وثالثهم: الحسن بن علي الحسيني المعروف بناصر الحق والناصر الكبير الذي كان له الفضل في إدخال الديالمة والجيل في الإسلام (٣٠١ - ٣٠٤) والرابع: هو الحسن بن القاسم الحسني المعروف بالداعي الصغير (٣٠٤ - ٣١٦هـ)، وفي السنة الأخيرة قتل علي يد أسفار بن شيرويه، فانقرضت بموته تلك الدولة. (انظر الطبري القسم الثالث في مواضع عديدة وابن الأثير تحت السنوات المذكورة، وتاريخ طبرستان لسيد ظهير الدين ص ٢٨٢ وما بعدها، وانظر فيما يلي ص ٢٢٤ وما بعدها). (المترجم).

(٤) الأفطح لقب عبد الله وكان أكبر أولاد الإمام جعفر الصادق سنًا بعد إسماعيل سُمي به "لأن عبد الله بن جعفر كان أفطح الرأس، وقد قيل: إنه كان أفطح الرجلين". (رجال الكشي ص ٢٤٥)، انظر أيضًا خطط المقرئ، ج ١ ص ١٧٤، والأنساب للسمعاني ص ٤٢٩ والشيرواني ص ١٢٦.

ليس ابني لكنه شيطان ظهر في صورته، ونقلوا عنه أيضا أنه قال: بُدَا^(١) لله في أمر إسماعيل". فنصّ على ابنه الآخر موسى.

أما الطائفة التي انتقلت من الكيسانية إلى الزوافض فقد انضمت إلى إسماعيل وانفصلت عن الزوافض، وقالوا: إن الأصل هو النصّ الأول، ولا يجوز البدء على الله، وكلّ من يعرف باطن الشريعة لا يعاقب إذا ما أغفل الظاهر، وكلّ ما يأتيه الإمام من قول أو فعل فهو حقّ إذ لم يتطرق خلل أو نقصان إلى إسماعيل من جرّاء شرب الخمر. [١٤٦] فسموا الإسماعيلية وتميّزوا بهذا الاسم عن باقي الشيعة.

وقبل وفاة جعفر الصادق رضى الله عنه^(٢) - توفي إسماعيل سنة خمس وأربعين ومائة [٧٦٢-٣م] في قرية عريض (وهي تبعد أربعة فراسخ عن المدينة)، فأدخل المدينة محمولاً على أكتاف الرجال، فأحضر جعفر الصادق - رضى الله عنه - والى المدينة - وكان يحكمها من قبل الخلفاء العباسيين رضوان الله عليهم - وجماعة من مشاهير المدينة ومشايخها وكشف لهم عن [جثته]، وحرّر محضراً لإثبات وفاته موثقاً بتوقيعات جماعة الحاضرين، ثم دفنه في البقيع.

(١) معنى البدء: "أن الله تعالى يريد الشيء ويعزم عليه ثم يبدو له فلا يفعله" (ابن حزم ج ٤ ص ١٨٢)، وانظر البدء عند الشيعة أصل الشيعة وأصولها للشيخ محمد حنين آل كاشف الغطاء ص ١٠٩. (المترجم).

(٢) تقع وفاة الإمام جعفر الصادق على أشهر الروايات في سنة ١٤٨ هـ (انظر أصول الكافي، تهنيب الشيخ الطوسي، تاريخ ابن واضح يعقوبي ج ٣ ص ٥٨؛ (= ج ٣ ص ١٥٠ طبع النجف)، ومروج الذهب في أوائل خلافة المنصور، وابن الأثير في حوادث سنة ١٤٨، وابن خلّكان في "جعفر"، وعمدة الطالب ورقة ١١٨ (= ورقة ٩٠ أ من نسخة دار الكتب المصرية، ص ١٧٣ طبع بومباي) وغيرها. ويقول ضعيف في سنة ١٤٧ (عمدة الطالب أيضاً، في إحدى روايته) أو سنة ١٤٦ (المعارف لابن قتيبة ص ٧٣)، وكانت وفاة إسماعيل بتصريح المصنّف سنة ١٤٥ وذلك تكون وفاة إسماعيل سابقة على وفاة أبيه بثلاثة أعوام أو بعامين أو بعام واحد وليس بخمسة أعوام على أى تقدير (كما تقول إحدى نسخ جهانگشای الخطية).

قال القوم الذين كانوا ينتسبون إلى إسماعيل: إن إسماعيل لم يكن قد مات، ولكنهم أعلنوا موته على سبيل التعمية على الناس حتى لا يُقصد هو وأتباعه بالقتل، وقال باقي الشيعة: لقد كان غرض جعفر هو إظهار بطلان مقالة تلك الطائفة التي انتسبت إلى إسماعيل، وواقع الأمر أن هذين الرأيين [١٤٧] باطلان كلاهما؛ فقد فسر كل من الجماعتين هذا الفعل وفق هواه، ولقد كان هدف جعفر هو إبراء ساحته من حوالة دعوى الإمامة التي نسبوها إليه من حيث إن نصه على أولاده معناه إنكاره هو وشيعته للخلفاء.

مجمل القول: إنه لما تُوفي جعفر -رضي الله عنه- تابع جمهور الشيعة موسى. وقال عدد يسير بإمامة محمد الديباج فسموا^(١)، وقالت فرقة ضنيلة بإمامة عبد الله الأفطح فسموها الفطحية^(٢).

وبعد مدة أرسل الخلفاء إلى المدينة وأحضروا موسى على سبيل الأشخاص إلى بغداد حيث حبسوه وتوفي في السجن، وقال الشيعة: إنه سُم. ولقد نُقل إلى حافة الجسر وأُخرج لأهل بغداد حتى يروا أن ليس بجثته جروح. ودُفن بمقابر^(٣) قريش.

(١) يبدو أن التصحيح بديباجي وديباجية من تصرفات النساخ أنفسهم بمناسبة كلمة 'ديباج' ولم نر في موضع آخر تسمية لهذه الفرقة باسم 'الديباجية' فالشهرستاني في موضع واحد من الملل والنحل ص ١٦ يسمى أتباع محمد الديباج العمارية: "فمنهم من قال بإمامة محمد وهم العامرية" وفي موضع آخر ص ١٢٦ يسميهم الشميطة.

(٢) نسبة إلى عبد الله الأفطح بن جعفر الصادق. (المترجم).

(٣) لا توجد كلمة قريش في أية نسخة من النسخ الخطية وواضح أنه من دونها تصبح العبارة لغوا ومن قبيل النار حارة، وصريح أقوال المؤرخين أن مدفن الإمام موسى الكاظم كان بمقابر قريش ببغداد: "ودفن بمقابر قريش" (عمدة الطالب ورقة ١١٨ = ص ١٧٥ طبع بومباي)، "ودفن في مقابر قريش ببغداد" (الشهرستاني ص ١٢٧)، "مقابر قريش ببغداد وهي مقبرة مشهورة، هي التي فيها قبر موسى الكاظم" (ياقوت في باب الميم).

[١٤٨] وقد بقي ابنه علي بن موسى الرضا بالمدينة حتى نقله المأمون إلى خراسان، وله قصة مشهورة، وتوفي بطوس، وقالوا: مات مسموماً، وقد دفن بها.

ولما كان الخلفاء يتعقبون هذه الجماعة لادّعائهم الإمامة، فقد توارى أولاد إسماعيل، وتفرّقوا عن المدينة إلى العراق وخراسان وتوجّه بعضهم إلى المغرب.

وقال الإسماعيلية: إن إسماعيل كان لا يزال حياً بعد وفاة جعفر بخمسة أعوام؛ فقد رُئي في سوق البصرة، يسأله مُقعد، فأخذ إسماعيل بيده فبرئ، ووقف على قدميه وسار معه، كما دعا أيضاً لأعمى فأبصر.

ولما مات إسماعيل توجه ابنه محمد، الذي كان شاباً يافعاً في عصر جعفر كما كان أكبر سنّاً من موسى (بن جعفر) ^(١)، توجه إلى الجبال ^(٢) ثم قدم إلى الرّي ومنها إلى قرية سمله ^(٣)، "ومحمد آباد" بالرّي منسوبة إليه، وكان له أولاد تواروا في خراسان، ثم توجّهوا إلى قندهار ^(٤) من أعمال ولاية السند واستوطنوها.

(١) كانت ولادة موسى الكاظم في سنة ١٢٨ هـ، ولادة محمد بن إسماعيل بتصريح دستور المنجمين ورقة ٣٣٤ في سنة ١٢١ هـ يتضح إذن أن محمد بن إسماعيل كان أكبر من عمه موسى الكاظم بسبعة أعوام.

(٢) يعنى: الرّي وإصفهان وهمدان وتوابعها، وكان يطلق عليها فيها مضى اسم "العراق العجمي". (المترجم).

(٣) يحتمل أن تكون هذه الكلمة تصحيف شلمبه التي كانت قصبة دماوند (انظر ياقوت في باب الشين وابن خردادبة ص ١١٨). المترجم: وجاء في رسالة القضاء والقدر للشيخ الرئيس ابن سينا (ص ٤٤): "إنه لما تيسر عودي من شلمبه راكبا جدد إصفهان عرست ببعض القلاع المعقودة على الجادة" (نقلا عن حواشي "دانش بزوه" على جامع التواريخ الجزء الخاص بالإسماعيلية ص ٢٠٠). (المترجم).

(٤) ليس المقصود بها قندهار الموجودة في الجنوب الشرقي من أفغانستان، ولكن المقصود بها كندهارا المملكة الهندية وعاصمتها فايهند التي تقع بين أندوس ونهر كابل. انظر: Minorsky, *Hudud el Aalam*, pp. 254 - 255. (المترجم).

وقد تدفق دعاة الإسماعيلية في داخل الولايات ودعوا الناس إلى مذهبهم، فقبل دعوتهم خلق كثير.

[١٤٩] توجه على بن إسماعيل من تلك الناحية إلى الشام والمغرب مناديا: "من نجا برأسه^(١)". ولما لم يكن طالب إمامة كما أن أحدا لم يتبعه - ظهر هناك وظهر أعقابهم من بعده وما زالوا ظاهرين حتى الآن.

وبرز لجماعة الإسماعيلية رؤساء شرحوا مقالاتهم وفصلوها فقالوا: لم يخل العالم من إمام قط ولن يخلو من إمام، وكل من كان إماما لا بد أن يكون أبوه إماما وأبو أبيه وهلم جرا حتى آدم عليه السلام، بل حتى الأزل، كما يذهب بعضهم لأنهم يقولون بقديم العالم، كما لا بد من أن يكون ابن الإمام إماما وابن ابنه، وهلم جرا إلى الأبد، ولا يمكن أن يموت الإمام إلا بعد أن يكون ابنه الذي سوف يتولى الإمامة من بعده قد ولد أو انفصل عن صلبه، ويقولون: إن هذا هو معنى الآية ﴿ذُرِّيَّةٌ بِمَا كُنْتُمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ...﴾ [آل عمران]، والآية ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ...﴾ [الزخرف]. ولما احتج عليهم الشيعة بالحسن بن علي - وكان إماما باتفاق الشيعة أجمعين - بينما لم يكن ابنه إماما، أجابوا بأن إمامته مستودعة؛ أي لم تكن ثابتة، فكانت إمامته عارية، بينما كانت إمامة الحسين مستقرة، والآية ﴿فَسَتَرْتُ وَمُتَوَعِّجٌ﴾ [الأنعام] تشير إلى ذلك.

ويقولون: إن الإمام لا يكون ظاهرا على الدوام؛ فهو أحيانا يظهر وأحيانا يستتر؛ مثله في ذلك مثل الليل والنهار متعاقبان، فإذا كان الإمام ظاهرا يجوز أن تكون دعوته [١٥٠] مستورة، وأما إذا كان الإمام مستورا فلا بد أن تكون دعوته ظاهرة^(٢) وأن يعين دعائه بين الناس، حتى لا يكون للناس على الله حجة.

(١) مجمع الأمثال في باب الميم ج ٢ ص ١٦٩.

(٢) عبارة الجويني هي تقريبا عبارة الشهرستاني نفسها: قالوا: ولن تخلو الأرض أبدا من إمام حي قاهر إما ظاهر مكشوف وإما باطن مستور، فإذا كان الإمام ظاهرا يجوز أن يكون حجته ودعائه ظاهرين (الشهرستاني ص ١٤٦ = ج ١ ص ٤٢٥ طبع الأزهر).

فالرسل أصحاب التنزيل والأئمة أصحاب التأويل، ولا يخلو عهد قطّ ولا عهد
أى رسول من إمام، وقد جاء بعد إبراهيم شخص ورد ذكره في التوراة فقالت^(١): إنه
كان في ذلك الوقت ملك يسمى في التوراة باللغة السريانية والعبرية ملخيزداق ملخ
شوليم^(٢) ومعناه باللغة العربية ملك الصّدق وملك السّلام، وقالت^(٣): إنه لما وصل
إليه إبراهيم صلوات الله عليه- أعطاه عشرة حيوانات، والخضر الذى أراد أن يعلم
موسى العلم الدنى كان إماماً أو مختاراً لكي يكون إماماً^(٤).

[١٥١] وكانت فترة ما قبل الإسلام دور ستر فكان الأئمة مستترين، وقد
ظهرت الإمامة في عصر على-رضى الله عنه- وكان على (بن أبى طالب) إمام
ذلك الدّور، ومنذ عهده ظهر الأئمة حتّى إسماعيل ومحمد بن إسماعيل الذى كان
سابع الأئمة^(٥).

ثم بدأ السّتر بإسماعيل ومحمد الذى كان آخر دور الظهور، فقد استتر تماماً
وبقي الأئمة من بعده مستترين إلى أن ظهوروا.

(١) يعنى قالت التوراة.

(٢) التوراة في تراجمها المختلفة، طبع والتون، سفر التكوين فصل ١٤ آية ١٨.

(٣) يعنى التوراة.

(٤) كذا في الأصل: "إمام بود نامزد إمام". وقد اعتمدت على رأي المحقق (القزويني) في ترجمة
الجملة. (المترجم).

(٥) كذا في جميع النسخ، وفي دستور المنجمين ورقة ٣٣٤ يطلق عليه أيضاً "السابع التام" وما
زالت هذه المسألة -وهى أن الإسماعيلية يعدون محمد بن إسماعيل السابع لا الثامن في عداد
الأئمة- خافية على كاتب هذه السطور. انظر خطط المقرئ ج ٢ ص ٢٢٩، ٢٣١ وانظر
ترجمة كازانوفيا لهذا الفصل من الخطط في الرسالة المسماة "التعاليم الخفية لفاطمي مصر"
ص ١٣٧ حاشية ٢، ص ١٤٠ حاشية ١، ٤.

وقالوا: إن موسى بن جعفر فدى إسماعيل بنفسه كما فدى على بن موسى الرضا بنفسه محمد بن إسماعيل^(١)، وقصة إبراهيم الذبيح ﴿وَقَدَّيْنَاهُ بِذَبِيحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٥٢] تشير إلى ما يشاكل ذلك. ومجمل القول: إنهم أقرّوا خرافات كثيرة وظهر من بينهم دعاة، منهم ميمون القداح وابنه عبد الله بن ميمون^(٢) الذي يعد من كبار علماء هذه الطائفة، وحسن شيخ عبدان^(٣)، وظهر منهم في زمن جعفر

(١) النسخة الخطية ح: "وقالوا فدى موسى بن جعفر محمد بن إسماعيل" ولو أن هذا مخالف لباقي النسخ إلا أنه مطابق تمامًا لدستور المنجمين ورقة ٣٣٤: "قد روى أنه (أى موسى الكاظم) فدى ابن أخيه محمد بن إسماعيل لما طلبه العباسية، والاحتمال قوى في أن النسخة (ح) هي وحدها الصواب؛ لأنه فضلاً عن مطابقتها لدستور المنجمين وهي نسخة قديمة ذات قيمة بالغة عن الإسماعيلية النزارية، وقد بقي أصل النسخة منذ عهدهم - فإن موسى بن جعفر كان معاصراً طيلة حياته تقريباً لمحمد بن إسماعيل وليس لإسماعيل.

(٢) كتب الأستاذ القزويني بحثاً واسعاً عن ميمون القداح وابنه عبد الله في حواشي الجزء الثالث من جهانگشای ص ٣١٢ - ٣٤٣، وقد قمنا بترجمته إلى العربية فيما يلي، ص ٢٥٥ وما بعدها وقد استند برنارد لويس في كتابه *The Origins of Ismailism* الذي نشر في سنة ١٩٤٠م على بحث الأستاذ القزويني. أما إيفانوف فقد رجع لمناقشة الآراء المتعلقة بشخصيتهما إلى مراجع إسماعيلية خالصة في كتابه *Ismaili Tradition Concerning The Rise of The Fatimids*. المنشور في سنة ١٩٤٢م، ثم عاد إيفانوف ونشر في سنة ١٩٤٦م كتاباً مستقلاً عن صلة هذين الشخصين بالإسماعيلية بعنوان: *The Alleged Founder of Ismailism* ناقش فيه بالتفصيل النصوص المتعلقة بهما وانتهى إلى الآراء نفسها التي أجملها في كتابه السالف الذكر. (المترجم).

(٣) يريد به عبدان الكاتب، من كبار دعاة الإسماعيلية وصير حمدان بن الأشعث المعروف بقرمط رئيس القرامطة المشهور. ويورد النديم في الفهرست ص ١٨٩ أسماء بعض مؤلفات عبدان. وقد قتل عبدان في حدود سنة ٢٨٠ هـ. ويعرف سائر المؤرخين هذا الداعي باسم "عبدان" لا حسن شيخ عبدان كما ورد في المتن. (انظر الفهرست ص ١٨٧ - ١٨٩، والتبتيه والإشراف للمسعودي ص ٣٧٤، واتعاظ الحنفا للمقريزي ص ٢٠٩، ٢١٤ - ٢١٥). (المترجم).

الصادق -رضوان الله عليه- أبو الخطاب^(١) الذي ادّعى ألوهية جعفر، وهذا ما يقوله كل من الاتحادية والحلولية، وقد قال جعفر عنه: "ملعون هو وأصحابه". وأمثال هؤلاء كثيرون، نجد إشارات عنهم في كتب التواريخ والمقالات.

خلاصة القول: إن هذه المذاهب وتلك المقالات قد انتشرت، وظهر في أكثر بلاد الإسلام من المغرب والمشرق قوم، بعضهم مستترون وبعضهم ظاهرون، كلهم متفقون على أن الزمان لا يخلو من إمام يمكن عن طريقه معرفة الله، ولا سبيل إلى معرفة الله دون معرفة الإمام، وإلى هذا الإمام أشار الرسل في كافة العصور، كما أن للشيعة باطنا وظاهرا، الأصل هو الباطن، فإذا كان الناس عالمين بباطن الشرع [١٥٣] فلا بأس إن هم استهانوا بالظاهر. وعلى هذا الأساس تُعدّ مقالاتهم من مقالات أصحاب المذاهب؛ بمعنى أنها خارجة عن الملة.

حتى كان ظهور القرامطة في عصر الخليفة المعتمد سنة ثمان وسبعين ومائتين، وتفصيل ذلك وارد في التواريخ، وكان أولهم حمدان قرمط^(٢)، خرج في سواد الكوفة لما التف حوله جماعة من الناس، فأعملوا أيديهم في قتل المسلمين ونهب الأموال وسبى الذراري، وكان يهاجم مدن العراق والشام، ثم يختفي في البادية،

(١) المراد هو أبو الخطاب محمد بن أبي زينب مقلص الأسدي الأجدع الذي تنسب إليه الفرقة المعروفة بالخطابية من غلاة الشيعة. (المترجم).

(٢) المقصود هو حمدان بن الأشعث الملقب بقرمط الذي اشتق اسم القرامطة من لقبه على أشهر الأقوال. وتاريخ وفاته ليس معروفا، ولكن النويري في نهاية الأرب يشير إلى أن أثره قد فقد كليته قبل سنة ست وثمانين ومائتين بقليل، ولم يقف له أحد على أثر، ولم يعلم ماذا كانت نهايته. (انظر نهاية الأرب، النسخة المصورة بدار الكتب المصرية جزء ٢٤ ورقة ١١٦). (المترجم).

واستفحلت فتنتهم وعجز الخلفاء عن التصدى لهم، وقد استولوا على البحرين^(١)، وتوجهوا بعد ذلك إلى مكة، فقتلوا الحبيج، وملئوا بئر زمزم بجثث القتلى، وقطعوا الحجر الأسود^(٢) واحتفظوا به خمسا وعشرين سنة^(٣)، [١٥٤] وقد طلب ملوك الإسلام أن يستردوه بمائة ألف دينار^(٤)، إلا أنهم رفضوا بيعه، وفي نهاية الخمس والعشرين سنة أحضروه إلى الكوفة وألقوا به في جامع الكوفة ووضعوا معه ورقة كتب

(١) ليس المقصود بها الجزر الموجودة حالياً بهذا الاسم في الخليج، بل في الجهة المقابلة لها في شبه الجزيرة العربية، وهي المنطقة التي يطلق عليها الآن اسم "الحسا" أو "الإحساء". (انظر كتاب الخليج العربي للدكتور جمال زكريا قاسم ص ٢٧). (المترجم).

(٢) كذا في بعض النسخ الخطية، وتقول النسخة (ج) وجامع التواريخ ورقة ١١ = ص ١٧ من طبعة طهران: "قطعه نصفين" - وقد بحثت عجلاً فلم أعثر في أى موضع على ما يفيد بأن القرامطة قطعوا الحجر الأسود نصفين كما تقرر إحدى النسخ وجامع التواريخ، بل قال بعض المؤرخين، ومن بينهم المقرئ في اتعاظ (ص ١٢٩ = ٢٤٥ طبع الدكتور الشيال): "شقوقاً حدث فيه بعد انفلاعه"، وقال الأزرقى وابن جبیر: إن الحجر الأسود قطع إلى عدة قطع، وسكت البعض الآخر، ومن بينهم ابن الأثير عن هذه الفقرة كلية. انظر قرامطة ديخويه ص ١٤٧.

(٣) تبلغ المدة الحقيقة التي احتفظ فيها القرامطة بالحجر الأسود اثنين وعشرين عاماً لا خمسة وعشرين. (انظر ابن الأثير ج ٨ ص ١٩٢ في حوادث سنة ٣٣٩، وتاريخ أبي الفدا في حوادث السنة نفسها، واتعاظ الحنفا للمقرئ ص ٢٤٣، ٢٤٦ طبع مصر). (المترجم).

(٤) كذا في جميع النسخ الخطية، وكافة المؤرخين يذكرون خمسين ألفاً، انظر قرامطة ديخويه ص ١٤٥.

فيها: "أخذنا هذا الحجر بأمر ورددناه بأمر"، وقد حمل أهل الإسلام^(١) الحجر إلى مكة ووضعوه في مقعره.

وفي أثناء فتنة القرامطة قدم إلى ولاية الكوفة والعراق أحد دعاة الإسماعيلية، من أعقاب عبد الله بن ميمون القداح، وكان معه طفل وقال: "إنني داعي الإمام وظهور الإمام وشيك"، وأرسل شخصاً يسمى بلقاسم بن حوشب^(٢) إلى اليمن؛ لكي يتولى أمر الدعوة بها، وكلفه بأن يرسل الدعاة إلى الأطراف، وقد تحسنت الأمور لأبي القاسم هذا ودخل جماعة في [١٥٥] دعوته، وممن أرسلهم أبو القاسم رجل يقال له أبو عبد الله^(٣) الصوفي المحتسب^(٤) من قبيلة كتامة^(٥) بالمغرب - وكان قد دخل في دعوة بلقاسم - ليتولى أمر الدعوة بها، وقد قبل أناس مذهبه، فكتب إلى ذلك

(١) وهذا أيضاً مخالف لأقوال عامة المؤرخين؛ إذ يقولون: إن القرامطة بعد أن علقوا الحجر مدة في جامع الكوفة حملوه إلى مكة، وأعادوه إلى مكانه السابق. انظر اتعاظ ص ١٢٩ (ص ٢٤٦ طبع مصر)، ودى خويه ص ١٤٥.

(٢) يريد به أبا القاسم رستم بن الحسين بن فرج بن حوشب بن زاذان النجار الكوفي الملقب بالمنصور، من مشاهير دعاة الإسماعيلية في اليمن.

(٣) هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا المعروف بأبي عبد الله الشيعي.
(٤) لم أعثر بين كتب التواريخ على من يلقب أبا عبد الله الشيعي بلقب "الصوفي" إلا في جامع التواريخ ورقة ١٣ = ص ٢٠ طبع طهران، حيث يسمى صاحب الترجمة (أبو عبد الله الصوفي الشيعي المشرقى)، ولكن نظراً لأن رشيد الدين قد استنسخ هذه الفصول بنفس عبارة جهانگشاى في الغالب الأعم لذا لا يمكن اعتبار جامع التواريخ سنداً مستقلاً بذاته.

المترجم: غير أن المسعودى في مروج الذهب ج ١ ص ٣٧١ وذيل الطبرى لعريب ص ٥٢ يسميانه: "أبو عبد الله المحتسب الصوفي".

(٥) كان أبو عبد الله الشيعي بإجماع المؤرخين من أهل المشرق، وانتهى بعضهم إلى اعتباره من أهل الكوفة، واعتبره البعض الآخر من راميرمز، وعده آخرون من صنعاء اليمن، فالمقرضى يرى في اتعاظ الحنفا (ص ٨٦ طبع الدكتور الشيال) أن أبا عبد الله كان أصله من الكوفة.. من راميرمز بينما يرى ابن الأثير (ج ٨ ص ١٢ طبع لينن) أنه كان من أهل صنعاء وكذلك يرى الفلقشندى في صبح الأعشى (ج ١٣ ص ٢٤٠)، ويعتبره صاحب البيان المغرب (ج ١ ص ١٥٢) أنه كان رجلاً من أهل المشرق". (المترجم).

الشخص الذي كان من أعقاب عبد الله بن ميمون، وأرسل إليه الرسائل؛ لأنه أقرب إلى الإمام من بلقاسم بن حوشب، [١٥٦] وكان ذلك الشخص يحرضه على الدعوة، فلما عظم أمر أبي عبد الله واستولى على بعض بلاد المغرب وحدود القيروان وسجلماسة توجه ذلك الشخص الذي كان من أعقاب عبد الله بن ميمون إلى تلك النواحي ومعه الطفل، ولدى وصولهما إلى سجلماسة استقبله أبو عبد الله الكتامي^(١) وقام على خدمته وقال له: "إنني كنت أقوم بحكم هذه الولايات بصفتي نائباً عنك، أما وقد وصلت الآن فأنت أولى". قال: "إنني كنت أقول من قبل إنني داعي الإمام حسب ما اقتضته المصلحة؛ حيث إن وقت ظهور الإمام لم يكن قد حان، أما الآن فقد حان وقت الظهور، وأنا أقول: إنني الإمام وأنا من [١٥٧] أبناء إسماعيل بن جعفر". وسمى نفسه عبد الله^(٢) المهدي، كما أطلق على الطفل اسم القائم بأمر الله محمد، ونصب نفسه إماماً وخليفة، واجتمع عليه المغاربة وبخاصة بنو كتامة. وبني مدينة المهديّة في أرض القيروان^(٣) سنة ثمان وخمسين ومائتين^(٤) (صح: ثمان وثلاثمائة).

(١) هذا سهو واضح؛ لأن المؤرخين يجمعون على أن المهدي وابنه كانا قد وقعا في قبضة اليسع ابن مدرار والي سجلماسة قبل أن يقدم أبو عبد الله الشيعي على فتحها. ولقد بدا لعبد الله المذكور حينئذ أنه لن يستطيع أن يخلص المهدي وابنه من أسر اليسع إلا إذا فتح المدينة، فتم له فتحها في السابع من ذي الحجة سنة ست وتسعين ومائتين. (انظر ابن عذارى في البيان المغرب ج ١ ص ١٥١). (المترجم).

(٢) كذا أيضاً في جامع التواريخ ورقة ١٧ ص ٢٦ ط. طهران (ذكرت مرتين). على الرغم من أن جمهور المؤرخين قد كتبوا اسم المهدي عبيد الله فإن دستور المنجمين وهو من تواليف الإسماعيلية أنفسهم يقول في ترجمة حياة المهدي ورقة ٢٣٥: "مولانا الإمام المهدي بالله أبو محمد عبد الله صلوات الله عليه... وكان يقال له قبل الظهور عبيد الله". ولما كان المصنف في هذا الجزء من كتابه يستعمل الكثير من مصادر الإسماعيلية أنفسهم فينبغي ألا نعدّ أن عبد الله في المتن بدلا من عبيد الله سهو وتصحيف من النسخ.

(٣) ذلك خطأ ظاهر لأن المهدي ولد في سنة ٢٥٩ هـ أو ٢٦٠ هـ أي بعد سنة أو سنتين من هذا التاريخ. (انظر ابن خلكان ١: ٩٢، واتعاظ ص ٤٤، ودستور المنجمين ٢٣٥)، فكيف يمكن إذن أن يكون قد بنى المهديّة في سنة ٢٥٨ هـ، أي قبل ولادته بسنة أو سنتين؟! ولما كان المهدي قد شرع في بناء المهديّة في سنة ٣٠٣ هـ وأتمها في سنة ٣٠٨ هـ فالصواب في المتن إما أن يكون "ثلاثاً وثلاثمائة" إذا كان قصد الجويني هو تاريخ البدء في بنائها، وإما "ثمان وثلاثمائة" إذا كان يقصد تاريخ إتمامها. ولكن نظراً لأن كل أعداد المتن ليست خاطئة بل تبقى كلمة "ثمان" صحيحة على الأقل فإن الاحتمال الثاني يبدو أرجح.

(٤) الهامش السابق نفسه.

[١٥٨] ولما ارتفع شأنه أراد أن يفسد إيوان الشريعة، فأخذ يبدى التهاون في أحكامها. فدخل أبا عبد الله الصوفي المحتسب شك في شأنه، ففترت عزيمته في هذا الأمر. وأراد يوسف أخو عبد الله^(١) العصيان، كما طلب إلى عبد الله أن يخرج على المهدي. ولهذا قتل المهدي أبا عبد الله وأخاه.

ذكر خلافة المهدي الفاطمي والخلفاء الفاطميين

وكان ظهور المهدي بسجلماسة من بلاد المغرب، وكان استيلائه في سنة ست وتسعين ومائتين [٩٠٨-٩٠٩م]، وفي سنة اثنتين وثلاثمائة^(٢) [٩١٤-٩١٥م] انتصر على بنى الأغلب الذين كانوا ملوك المغرب من قبل العباسيين وقضى عليهم، كما انتصر على ممالك المغرب وإفريقية وصقلية كافة. وهم يروون خبراً عن الرسول عليه الصلاة والسلام أنه قال: "على رأس الثلاثمائة، تطلع الشمس من مغربها". وقالوا: إن ظهور المهدي هو تأويل هذا الخبر، وقالوا أيضاً: كان بين محمد بن إسماعيل والمهدي ثلاثة أئمة مستترين [١٥٩] أسماؤهم محمد بن أحمد بن^(٣) وألقابهم الرضى^(٤) والوفى والتقى^(٥)، وقال المسلمون بولاية

(١) يكتب المقرئ اسم أخى عبد الله الشيعى: "أبا العباس محمد" (اتعاض الحنفا ص ٦٨ طبع مصر) بينما يكتبه ابن خلكان (ج ١ ص ١٧٨): "أبا العباس أحمد" ولم نر مرجعاً ذكر اسمه على النحو الوارد في المتن. (المترجم).

(٢) هذا مخالف لإجماع المؤرخين فكلهم بلا استثناء حدد تاريخ انقراض بنى الأغلب بسنة ست وتسعين ومائتين، فقد هرب آخر سلاطين بنى الأغلب أبو مضر زيادة الله بن أبى العباس من وجه أبى عبد الله الشيعى عندما حاصر عاصمته رقادة في السنة المذكورة. (انظر ابن عذارى ج ١ ص ١٤٤ وما بعدها، تاريخ الولاة للكندى ص ٢٦٧، وابن الأثير ج ٨ في حوادث سنة ٣٩٦، واتعاض الحنفا ص ٦٩ طبع القسطنطينية). (المترجم).

(٣) جامع التواريخ = ص ٢٦ ط طهران: محمد بن أحمد، يقول دستور المنجمين تحت عنوان: "الأئمة الثلاثة المستورين" ورقة ٣٣٥: "ويقال إسلامهم (ظ: أسماؤهم) محمد بن أحمد، وهكذا يلاحظ أن اسم الإمام الثالث من الأئمة المستترين لا يرد حتى في دستور المنجمين وهو من كتب الإسماعيلية أنفسهم.

(٤) جامع التواريخ ١٧: رضى (مشددا) = وفي النسخة المطبوعة بطهران ص ٢٦ رضى دون تشديد. ودستور المنجمين ورقة ٣٣٥: "الرضى، الرضى" في موضعين وقد قرأ دخويه في رسالة القرامطة ص ٥ و ٩ كلمة الرضى هذه (الرضا) رغم أنه نقل في ص ٢٠٤ من الرسالة نفسها نص عبارة دستور المنجمين وطبع هذه الكلمات صواباً وبوضوح تام مرتين: "الرضى" بالياء المشددة.

(٥) جامع ١٧ = ص ٢٦ ط طهران، ابن خلكان ج ١ ص ٢٩٣: "وقيل هو (أى المهدي) عبيد الله ابن النقى بن الوفى بن الرضى".

المغرب: إن المهدي من أعقاب عبد الله بن سالم البصري^(١) ومن دعاة تلك الطائفة، بينما قال أهل بغداد والعراق: إنه من أعقاب عبد الله بن ميمون القداح. خلاصة القول: إنهم كلهم أجمعوا على تكذيب انتسابه لإسماعيل بن جعفر وأنكروه. وفي عصر القادر بالله عقد محضر في بغداد، قرّر فيه الأعيان والسادات والقضاة والعلماء كتابة أن مذهب^(٢) أولاد المهدي مقدوح، وأنهم كاذبون في انتسابهم لجعفر الصادق [١٦٠] رضوان الله عليه - وسوف نثبت نصّ هذا المحضر في أثناء ذكر "الحاكم" خامس أعقاب المهدي. وقد تولى المهدي ستاً وعشرين سنة وكانت وفاته سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة.

جلس مكانه ابنه القائم، وخرج في عهده رجل من أهل المغرب يقال له أبو زيد^(٣)، وكان رجلاً مسلماً متديناً سئى المذهب ورعاً، وعدّد على الناس بدع المهدي

(١) لا يذكر الطبري وابن الأثير والمقريزي في الخطط واتعاظ الحنفا اسم عبد الله بن سالم البصري، وإن كان الطبري يسمي عبيد الله المهدي في موضعين من تاريخه (القسم الثالث ص ٢٢٩١، ٢٢٩٢) "ابن البصري". بينما يذكر عريب بن سعد اسم عبد الله بن سالم البصري في ذيل تاريخ الطبري (ص ٢٧ - ٢٨ طبع المطبعة الحسينية): "عبيد الله هذا القائم بإفريقية هو عبيد الله بن عبد الله بن سالم. وكان عبيد الله يعرف أول دخوله القيروان بابن البصري". (المترجم).

(٢) كذا في جميع النسخ الخطية: "مذهب" بينما يرد في جامع التواريخ ١٧ = ص ٢٦ ط طهران: "نسب" ويبدو أن هذا هو المعنى المقصود. (المترجم).

(٣) يريد به أبا يزيد مخك بن كيدار خرج على القائم الفاطمي. كان بإجماع المؤرخين من الخوارج الإباضية (انظر التنبيه والإشراف للمسعودي ص ٣٣٣ - ٣٣٥، الفهرست للنديم ص ١٨٧. ويقول عنه المقريزي في اتعاظ الحنفا ص ١٠٩ طبع مصر: "كان مذهبه تكفير أهل الملة واستباحة الأموال والدماء". (المترجم)

والقائم، فتابعه بعض الناس، واشتبك في قتال مع القائم، فهزم جيشه وحوصر في المهديّة، وأطلق عليه أتباع القائم اسم الدّجال؛ لأنّهم ذكروا في الملاحم أن دجالاً سوف يخرج على المهدي أو على القائم.

وقد توفي القائم في أثناء تلك المعارك في شوال سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة [مايو - يونيه ٩٤٦م]، فظَلَّ نبأ وفاته في طيّ الكتمان.

وجلس مكانه ابنه المنصور إسماعيل، وبدأ في الإعداد لمقاومة أبي يزيد وكان رجلاً صاحب رأى شجاعاً، فانتصر على أبي [١٦١] يزيد وهزمه، وتابع السير في أثره مدة واشتبك معه وفي النهاية أسره وقتله.

وأمر بأن يطاف بجثته في بلاد المغرب، وجلس مكان أبيه، وأظهر موته، وقد توفي هو أيضاً في سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة [٩٥٢-٩٥٣م].

وجلس مكانه ابنه المعز أبو تميم معد، كان رجلاً صاحب رأى، مدبراً، شجاعاً، موفور الحظ، ساس الملك على الوجه الأكمل، واتسع ملكه عن ملك أبيه، وقد قصر جلّ همّه على طلب ملك مصر، التي كانت في ذلك الوقت في يد كافور الإخشيدي، فأرسل المعز إليها غلامه أبا الحسن جوهر في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة [٩٦٨-٩٦٩م] كي يدعو له، فاستجاب له خلق كثير، وقد استمال كافور بعد ذلك، ودعاه فاستجاب له، فخطب في مصر باسم المعز مناوأة للخلفاء العبّاسيين.

وقد توفي كافور في السنة نفسها أي سنة ثمان وخمسين^(١) [٩٦٨-٩٦٩م].

(١) توفي كافور على أشير الأقوال في سنة ست وخمسين وثلاثمائة، ويقول في سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، ويقول آخر في سنة سبع وخمسين وثلاثمائة. أي قيل قدوم جوهر إلى مصر (٣٥٨هـ) بسنة على الأقل وبثلاث سنين على الأكثر، وهكذا يلاحظ أن الفقرات السابقة المتعلقة بعلاقات جوهر بكافور بعد قدوم جوهر إلى مصر باضلة كلية. (انظر الولاة للكندي ص ٢٩٧، ابن الأثير حوادث سنة ٣٥٦ - ٣٥٨، ابن عذارى ج ١، ص ٢٣٦. الخطط للمقريزي ج ٣ ص ٤١ - ٤٢). (المترجم)

واستقلَّ جوهر بملك مصر من قبل المعز، وفي السنة نفسها أيضا وضع أساس مدينة القاهرة على امتداد القسطنطينية فأكمل بناؤها سنة اثنتين وستين [٩٧٢-٩٧٣م] [١٦٢] وسموها القاهرة المعزية.

ووصل المعز إلى مصر في رمضان سنة اثنتين وستين [يوليه ٩٧٣م] بجيوش لا حصر لها وتجملات لا نهاية لها، وجعل من القاهرة عاصمة له، وخرجت مصر وأرض الحجاز من قبضة تصرف بني العباس ودخلت في يد المعز، فبسط العدل والإنصاف في تلك الممالك، وتتردد على الألسنة حكايات عجيبة عن مظاهر عدله وأثار إنصافه، وقد توفي في ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة [ديسمبر ٩٧٥ - يناير ٩٧٦م].

جلس مكانه العزيز أبو منصور نزار فدخلت ممالك المغرب ومصر والحجاز في حوزته، وحكايات قتاله وحروبه وظفره على البتكين^(١) المعزى^(٢)، حاكم الشام من قبل الطائفة، والحسن بن أحمد القرمطي الذي كان قد قدم لمدد البتكين، مذكورة في تاريخ المغاربة، وكانت وفاته في رمضان سنة ست وثمانين وثلاثمائة [سبتمبر - أكتوبر ٩٩٦م]، وكان العزيز رجلاً حسناً السيرة حليماً،

(١) اسم هذا الشخص مكتوب في ابن الأثير الفتكين "في جميع المواضع" ومنها ٨: ٢٦٠ وما بعدها، وفي الخطط "فتكين" ومنها ٤: ٦٦.

(٢) "الفتكين التركي مولى معز الدولة بن بويه" (أيضا ٨: ٢٦٠)، "قدم الأتراك عليهم الفتكين وهو من أكابر قوادهم وموالي معز الدولة" (ابن الأثير ٨: ٢٥٥) "الفتكين مولى أحمد بن بويه الملقب بمعز الدولة" (دستور المنجمين ٣٤١).

فمن حلمه أن الحسن بن بشر^(١) [١٦٣] الدمشقي هجاه هو ووزيره ابن كلس^(٢) وكاتب إنشائه أبا منصور^(٣) الدرواني^(٤) بهذه القطعة^(٥):
 قُلْ لأبي نصر^(٦) كاتب القصر^(٧) والمتأتى^(٨) لنقض ذي الأمر
 أنقض عرى الملك للوزير تفر منه بحسن الشاء والذكر
 [١٦٤] وأعط وامنع^(٩) ولا تحف أحدًا فصاحب القصر ليس في القصر
 وليس يدرى^(١٠) ماذا يُراد به وهو إذا درى فما يدرى

(١) انظر ابن الأثير ٩: ٤٨ في حوادث سنة ٣٨٦.

(٢) هو أبو الفرج يعقوب بن ... كلس بكسر كاف ثم لام مشددة، وزير العزيز الفاطمي، انظر ابن خلكان (٢) هو أبو الفرج يعقوب بن ... كلس بكسر كاف ثم لام مشددة، وزير العزيز الفاطمي، انظر ابن خلكان في حرف الباء ج ٢ ص ٥٠٠ - ٥٠٤، وابن الأثير ٩: ٤٨، والخطط للمقريزي ٤: ٦٧ وغيرها.

(٣) ابن الأثير ٩: ٤٨ ومختصر الدول لابن العبري ٣١٠: أبو نصر، ولا شك في أن هذا هو الصواب وأن أبا منصور تصحيف من النسخ؛ لأنه فضلاً عن ابن الأثير وابن العبري فإن اسمه يرد صريحاً في الأشعار الآتية (أبو نصر)، غير أننا أبقينا المتن على حاله؛ نظراً لاتفاق النسخ، وهذا هو نص عبارة ابن الأثير: "كان بمصر شاعر اسمه الحسن بن بشر الدمشقي وكان كثير الهجاء، فهجا يعقوب بن كلس وزير العزيز وكاتب الإنشاء من جهة أبا نصر عبد الله بن الحسين القيرواني فقال: قل لأبي نصر الأبيات.

(٤) ابن الأثير: القيرواني (وسبق ذكر نصه في الحاشية السابقة)، ويغلب على الظن أن "درواني" في المتن مصحف "القيرواني" الموجودة في ابن الأثير، وخصوصاً أن هذه الحكاية قد نقلت عنه حرفاً بحرف، أو نقلها الاثنان من مصدر مشترك.

(٥) هذه الأبيات مذكورة في ابن الأثير ٩: ٤٨ ومختصر الدول لابن العبري ص ٣١، وقد بحثت عجلًا فلم أجدها في موضع آخر.

(٦) كذا أيضاً في ابن الأثير ومختصر الدول، والوزن يقتضي ترك تنوينه فالظاهر أنه منع من الصرف لضرورة الشعر.

(٧) مختصر الدول: ٣١٠ والمتأتى (بنون بدلاً من التاء الثانية).

(٨) كذا أيضاً في مختصر الدول ٣١٠، ابن الأثير: أو امنع.

(٩) كذا ابن الأثير ومختصر الدول.

فشكاه ابن كلس إلى الوزير وأنشده هذه القطعة، فقال له: "هذا شيء اشتركنا في الهجاء به"^(١) فشاركني في العفو عنه، فنظم مرة ثانية هجاء آخر، وأضاف فيه الفضل قائد جيشه^(٢):

تنصّر فالتنصّر دينٌ حقٌّ عليه زماننا هذا يدُل
وَقُل بثلاثة عزّوا وجلّوا وعطّل ما سواهم فهو عطّل
فيعقوبُ الوزيرُ أب وهذا العزيزُ ابن وروح القدسِ فضّل

ومرة ثانية عرض الوزير^(٣) هذا الشعر على العزيز، الذي قال رغم شدة غضبه: "اعف عنه"^(٤) وعفا عنه مرة أخرى.

وفي النهاية دخل الوزير على العزيز في المرة الثالثة [١٦٥] وقال: لم يبق للعفو عن هذا معنى؛ فهو نقصان لهيبة الملك؛ فقد قال هذه المرة شعراً فاحشاً في حقك أنت العزيز وفي أنا الوزير ونديمك ابن زبارج^(٥) في هذه القطعة^(٦):

زبارجى نديم وكلّسى^(٧) وزير

(١) ابن الأثير: فيه في الهجاء (بدلاً من قى الهجاء به).

(٢) بحثت عجلًا فلم أجد هذه الأبيات إلا في ابن الأثير ٩: ٤٨.

(٣) ابن الأثير: شكاه (الوزير) أيضاً إلى العزيز.

(٤) كذا في ابن الأثير (دون حركات).

(٥) ابن الأثير ٩: ٤٨.

(٦) بحثت عجلًا فلم أعر على هذين البيتين في موضع آخر غير ابن الأثير ٩: ٤٨.

(٧) كذا في ابن الأثير (دون حركات)، والواضح أن المقصود هو يعقوب بن كلس الوزير.

نعم على قَدْرِ الكَلْبِ يصلحُ السَّاجُورُ

فغضب العزيز وأمر الوزير بالقبض عليه، ثم عاد فأسف على ما بدر منه، وأشار بإطلاق سراحه، ولما عرف الوزير بذلك بادر بقتله قبل وصول الرسول، فأسف العزيز على ذلك وأصابه الحزن.

وكان العزيز قد أعطى الشَّامَ ليهودى يقال له منشأ^(١)، كما أعطى مصر لنصرانيّ يقال له عيسى بن نسطورس^(٢) وكانا يظلمان المسلمين، ويعتديان عليهما بسبب العقيدة، فأرسلت امرأة رقعة إلى العزيز تقول فيها: "يا أمير المؤمنين [١٦٦] بالذى أعزّ اليهود بمنشأ^(٣) بن لثام^(٤) والنَّصارى بعيسى بن نسطورس وأذلّ المسلمين بك ألا نظرت في حالي". فتأثر العزيز بما جاء في هذه الرقعة وعزلهما، وأخذ من النصراني ثلاثمائة ألف دينار وردّ مظالمه، وقد فرض في مناسبات مختلفة على اليهود والنَّصارى مؤن المسلمين.

وقد تولّى بعده ابنه الحاكم أبو على منصور وهو في الثَّانية عشرة^(٥) من عمره، وكان بقدر ما عند أبيه من الحلم عنده من الطيش والجنون^(٦)، فقد أذاق أهل مصر غاية الظلم والعسف، وكان من عاداته أنه إذا ركب رفعوا إليه المظالم فيستمع

(١) كذا أيضا في ابن الأثير ٩ : ٩٨، وتاريخ ابن القلانسي ص: ٣٣ منشأ بن إبراهيم القزاز، وتاريخ حلب لابن العديم (نسخة باريس *Arabe 1666* ورقة ٤٩): أبو سيل منشأ بن إبراهيم اليهودى القزاز (يقاف وزابيين معجمتين أولاهما مشددة)، أبو الفدا ج ٢ ص ١٣٨، ميثا.

(٢) كذا أيضا في ابن الأثير ٩ : ٤٨، وابن القلانسي ص ٣٣، ٤٦.

(٣) كذا أيضا في ابن الأثير وابن القلانسي.

(٤) جامع ٣٢ (= ص ٤٩ طبع طهران)، لا يذكر كل من ابن الأثير وابن تغرى بردى وأبو الفدا

اسم أبى منشأ، وابن القلانسي يقول مرتين في ص ٣٣: منشأ بن فرار، ومرة واحدة منشأ ابن

إبراهيم بن الفرار، انظر ص ١٦٥ ج ٧.

(٥) ابن الأثير ج ٩ ص ٤٩: "قولى وعمره إحدى عشرة سنة وستة أشهر".

(٦) استعملت في ترجمة هذه الجملة أسلوب ابن الطقطقى نفسه في "الفخرى" ص ١٥٩ عند عقده

مقارنة بين تيقظ المأمون وإهمال الأمين وتقريطه. (المترجم)

إليها ولا ينكر بأى حال ما تشتمل عليه من مظالم، فكانوا يناولونه الأوراق يتضمن معظمها فحشا وشتما فيه وفي آبائه وأجداده وتقرير فساد نسبه.

لدرجة أنهم أعدوا تمثال امرأة من الورق [١٦٧] وألبسوها ملاءة في زى امرأة^(١)، ووضعوا في يدها ظلامه مختومة ونصبوها في طريقه الذى يمر به، فلما وصلت الورقة من يدها إلى الحاكم الظالم وجد شتائم وفحشا قبيحا وفضائح ومخازى له ولأسلافه، فغضب وأمر بالقبض على المرأة، فلما سارعوا إليها وجدوها تمثالا. فأمر العبيد والأجناد من شدة غيظه من ذلك- بحرق مصر وقتل أهلها، فثار أهل مصر لدفع هذه الشناعة والذب عن حريمهم، إلا أن أصحاب الحاكم كانوا يحرقون كل موضع عجز أهل مصر عن الدفاع عنه ويغيرون عليه، وكان الحاكم يذهب بنفسه كل يوم لمشاهدة تلك الحال، ويتظاهر بأن هذه شكل الأفعال إنما تؤدى دون رضاه وإذنه، وفي اليوم الثالث من بدء هذا الحال لجأ مشايخ مصر وأربابها إلى المسجد الجامع، ورفعوا المصاحف على فروع الأشجار، ورفعوا المظالم وقالوا: "لو كان هذا الفساد ينقذ دون إهلك وأهلك، فأذن لنا، نحن عبيدك ورعاياك، بدفع المفسدين ومنعهم". [١٦٨] قال: "لم أمر بهذا الفساد، فهلا دفعتموه أنتم؟". وقال للجند: "امضوا فيما بدأت فيه". فلما انشغلوا بالقتال ساق غوغاء المدينة الجنود إلى باب القاهرة، حيث محط رجال الحاكم، فخاف وأشار بمنع الجند. مجمل القول: إن ريع مصر قد احترق في هذه الواقعة وتعرض نصفها للغارة، وقد ارتكب غلمان الحاكم

(١) هذه الحكاية بتمامها مطابقة حرفا بحرف تقريبا لابن تغرى بردى [فى النجوم الزاهرة] (ج ٢ ص ٦٦) الذى نقلها من تاريخ الصابى، والاحتمال قوى فى أن الجوينى نقل أيضا عن المصدر نفسه؛ أى: عن ابن الصابى، وهذا هو نص الفقرة المعادلة فى النجوم الزاهرة: "عملوا تمثال امرأة من قراطيس بخف وإزار ونصبوها فى بعض الطرق، وتركوا فى يدها رقعة كأنها ظلامه". انظر أيضا ابن الأثير ٩: ٤٨، ١٣٠.

الكثير من الفضائح مع حريم أهل مصر فقتل أرباب الشرف والمروءة أنفسهم خشية العار.

وقد اعتاد الحاكم أن يطوف الأسواق ليلاً؛ لينفد أحوال الرعية، وكان أيضاً يدفع بالعجائز وينظمهن للتجسس على أحوال النساء، والتعرف على أمورهن بحيث يدخلن قصور الناس ويخرجن منه، ينهين إليه ما صدق وما كذب عن النساء وأهل الستر، وقد قتل من جراء هذا خلقاً من النساء، وأرسل منادياً ينادى بأن تمتنع النساء عن الخروج من البيوت، ولا يسرن على السطوح ولا يخطط الإسكافيون أحذية النساء.

وكان قد منع الناس من شرب الخمر فلما لم يمتنعوا أمر باقتلاع معظم أشجار العنب.

ولمحة أخرى من عاداته، إذ كان يكتب الرقاع بخط يده بعضها يقول: "امنحوا من حمل هذه ألف دينار أو مدينة كذا [١٦٩] أو خلعة ثمينة" وبعضها الآخر يقول: "اقتلوا من حمل تلك، أو خذوا منه جزءاً من المال، أو اقطعوا عضواً من أعضائه ونكلوا ومثلوا به" ثم يختم الرقاع بالشمع والعنبر والطين المختوم^(١)، ويبعثرها أيام الاحتفالات فيلتقط كل شخص، في غاية الحرص والوجل، رقعة من هذه الرقاع وفقاً لحظه ويحملها الى متصرفي الأعمال، بحيث يُنفذ ما اشتملت عليه الرقعة في الحال.

(١) الطين المختوم: طين أحمر اللون يستعمل في الطب. (تحفة المؤمنين وبرهان قاطع في "گل مختوم").

وقد أصدر الحاكم أمراً بمنع النصارى واليهود من ركوب الخيل والبغال ومن امتلاك الركاب الحديد، وأن يكون لكل منهم جرس^(١) يعلق في صدره كقلادة حتى يميزهم عن المسلمين.

وبسبب هذه الحركات المذمومة اشتهر أهل البلد -مسلمين وذميين- من ذميم أفعاله وسوء أحكامه، ومل منه حرمة ويطانته وخواصه.

وقد اتهم أخته بنت الملك بآبن دواس^(٢) الذى كان أميراً من أمرائه ومقدم جيوشه ومدبر أموره، فأبلغت أخته هذا الكلام في رسالة إلى ابن دواس واتفقا على قتل الحاكم وإقامة ابنه علياً بعده، وتعهدا واستقرا على أن يهلكاه، فأعطيا ألف دينار لغلامين من غلمان ابن دواس؛ كي يعدا كميناً على جبل المقطم^(٣) القريب من القاهرة [١٧٠] فإذا ما توجه الحاكم مع الركابي إلى هناك وفقاً لعادته وثبا عليه لقتله. وكان الحاكم يدعى العلم بالنجوم، وكان قد تنبأ بأن تلك الليلة ستكون فاصلاً بالنسبة إليه إذا عبره جاوز الثمانين، وأخبر والدته بهذا فبكت كثيراً وتوسلت إليه قائلة: إن من الخير له ألا يتحرك الليلة. فالتزم كلام الوالدة، فلما حل السحر استولى عليه الضجر، فلم يطق السكون والراحة ولم يستطع النوم والاستقرار، وقد بكت أمه كثيراً، وتعلقت بطرف ثوبه، ولكن ذلك لم يجد نفعا، وقال: "لو لم أتحرك هذه اللحظة فإن روحى ستطير من جسدى". فتوجه -على عادته- إلى المقطم مع ركائبه، فخرج الغلمان من

(١) جامع ٣٧ (ص ٥٥ طبع طبران) "وأعدوا جرساً به عدة قلادات"، الخطط ٤: ٧٣ "ألزم اليهود أن يكون في أعناقهم جرس إذا دخلوا الحمام".

(٢) انظر ابن الأثير ٩: ١٣٠، ١٣١، والنجوم ٢: ٧١ "سيف الدولة ابن دواس من شيوخ كتامة".

(٣) "خرج الحاكم إلى الجبل المعروف بالمقطم ليلة الاثنين السابع والعشرين من شوال يعنى سنة إحدى عشرة وأربعمائة فطاف ليلته كلياً، وأصبح عند قبر الفقاعى، ثم توجه شرقى حلوان موضع بالمقطم، ومعه ركائبان إلخ" (ابن تغرى بردى في النجوم الزاهرة ٢: ٧٥ نقلاً عن القضاء).

الكمين وفتكا به هو والركابى، وأحضرا جثته لإخفائها لدى أخته، فدفنته في قصرها، ولم يطلع أحد على ذلك السرّ اللهم إلا الوزير الذى أطلعاه عليه بعد التأكيد والتحليف، ولما علم الوزير اتفق معها في تدبير الأمر وتسكين الناس، فكانوا ينسبون سبب غيبته إلى أنه غاب مدة تستغرق سبعة أيام، وكانوا يحضرون كل يوم شخصاً مختلفاً ليخبر الناس بأن الحاكم في المكان الفلانى.

[١٧١] قصارى القول: إنهم أطلعوا الأعيان والأركان، وبعد أخذ العيود وإطلاق العطايا بايعوا ابنه أبا الحسن علياً، ولقب بالظاهر بالله^(١) وأجلس على العرش، وأظهرت [ست الملك] نبأ وفاة الحاكم، ومنحت ابن دواس خلعة فاخرة، وولته أمور الملك.

وعندئذ استدعت نسيمًا الخادم الذى كان قهرمان القصور وأفضل الغلمان، وكان يلازمه على الدوام مائة غلام مسلحين بالسيوف لحراسة الخليفة، ووضعت معه خطة لقتل ابن دواس، واحتالاً بأن جعلوا هؤلاء الغلمان المائة ملازمين لركاب ابن دواس حتى دخل القصر يوماً فأمرت (ست الملك) به، فأغلق نسيم أبواب القصر وأحكمها وقال للغلمان: يقول مولانا الظاهر: اقتلوا ابن دواس قاتل أبى الحاكم^(٢)، فأعملوا فيه السيوف حتى قضوا عليه، وبعد الفراغ منه قامت ست الملك [١٧٢] في مدة وجيزة بالقضاء على كل من شاركه في قتل الحاكم أو اطلع عليه، واستقلت هى وانفردت بتدبير أمور الدولة وترتيب مصالح المملكة وتمكنت هيبتها من قلوب أرباب الحل والعقد وأعيان الدولة.

(١) جامع ٤٣ (= ص ٦٤ ط طهران): الظاهر لدين الله وقد ضبط جميع المؤرخين لقبه "الظاهر لإعزاز دين الله"، وليس الظاهر بالله ولا الظاهر لدين الله. انظر ابن الأثير ٩: ١٣٢، ١٨٦، وأبى الفدا ٢: ١٥٨، ١٦٧ وابن خلكان ١: ٤٠٢، وابن الفلانى ٨٣ والخطط للمقرئى ٢: ١٦٧، وابن تغرى بردى (فى النجوم الزاهرة): ١٢٩ وما بعدها، ودستور المنجمين ورقة ٣٤٢، وابن العبرى ٣١٣.

(٢) "هذا قاتل مولانا الحاكم فاقتلوه" (ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة ٢: ٧٧).

وكان قتل الحاكم وتخليص الله تعالى لخلائق تلك البلاد من ظلمه وغشمه وأفعاله الذميمة وأخلاقه اللئيمة في شوال^(١) سنة إحدى عشرة وأربعمئة / يناير - فبراير ١٠٢١م، من ملك الموت إلى مالك^(٢).

وقد تولى الظاهر الخلافة خمس عشرة سنة وكانت وفاته في شهور^(٣) سنة سبع [١٧٣] وعشرين وأربعمئة / ١٠٣٥ - ١٠٣٦م.

(١) المتفق عليه بين المؤرخين هو أن الحاكم فقد وقتل في ٢٧ أو ٢٨ شوال، انظر ابن الأثير ٩: ١٣٠، وابن خلكان ٢: ٢٥١، والخطط ٢: ١٦٧، ٤: ٧٤، وابن تغرى بردى في النجوم الزاهرة ٢: ٨١ وأبنا الفدا ٢: ١٥٨، ويستور المنجمين ٣٤٢.

(٢) اسم خازن جهنم، انظر كتب التفسير في تفسير آية ﴿وَنَادَىٰ بِمَلَائِكَةٍ لِّقَاضِ عَذَابِكَ رَبِّكَ قَالَ إِنِّي كُنتُ مِّنْكُمْ﴾ [الزخرف]، وهذه العبارة مصراع من بيتين لأبى الفتح البستي وأوردهما الثعالبي في الإيجاز والإعجاز وهما:

قلت له لما قضى نفيه: لا ردك الرحمن من هالك
أما وقد فارقنا فانتقل من ملك الموت الى مالك

(٣) توفي على وجه التحديد في الخامس عشر من شعبان من السنة المذكورة، انظر ابن الأثير ٩: ١٨٦، وابن خلكان ١: ٤٠٣، وابن القلانسي ٨٣، وأبنا الفدا ٢: ١٥٩، والخطط ٢: ١٦٩، وابن تغرى بردى في النجوم ٢: ١٣٦.

ذكر محضر المهدي المقدوح

في سنة تسع وثلاثمائة^(١) (صح: إحدى وأربعمائة)، [١٠٢١م] كان صاحب الموصل من قبل الخلفاء العباسيين في عهد القادر بالله هو معتمد الدولة أبو منيع^(٢) قرواش بن المقلد العقيلي، وقد بدأ الحاكم الكتابة إليه، وكان يرسل إليه من مصر [١٧٤] التحف والعطايا بعضها في إثر بعض ويدعوه لمبايعته، فاستجاب له معتمد الدولة، وحرص أهل الموصل على طاعة الحاكم ومخالفة القادر بالله، وقرأ الخطبة باسم الحاكم، وتوجه من هناك إلى الكوفة، وجعل الخطبة هناك أيضاً باسمه^(٣)، وفي ذلك الوقت كان بهاء الدين ابن عضد الدولة قد ذهب إلى فارس، فلما علم بهذا الأمر أرسل شخصاً إلى معتمد الدولة وشدد عليه، فأسف معتمد الدولة من فعلته وأفرغ ذهنه من رقة طاعة الحاكم. فقرئت الخطبة مرة أخرى في البلاد المذكورة باسم القادر بالله، فصار مخصوصاً بالخلع الثمينة من دار الخلافة، وتفصيل هذا الأمر وكيفيته مسجلة

(١) وذلك خطأ واضح، والصواب "إحدى وأربعمائة" كما ذكرنا في المتن بين قوسين، أولاً: لأن هذه الواقعة -يعني قراءة قرواش الخطبة في ممالكه باسم الحاكم- تذكر بإجماع المؤرخين في وقائع سنة ٤٠١ (انظر ابن الأثير ٩: ٩٢، وابن خلكان ٢: ٢٣٧، وأبا الفدا ٢: ١٣٩، وابن تغري بردي في النجوم ٢: ١٠٧ - ١١٠). ثانياً: لأن ولادة الحاكم كانت في سنة ٣٧٥ هـ أى بعد ٦٦ سنة من سنة تسع وثلاثمائة فكيف يمكن إذن أن يكون قرواش قد قرأ الخطبة باسم الحاكم قبل ولادته بست وستين سنة!؟

(٢) والصواب "أبو المنيع" بالف ولام، انظر ابن الأثير ٩: ٨٢، وابن خلكان ٢: ٢٣٦، ٢٣٧، والنجوم ٧: ١٠٧ وغيرها وقد صححنا قرواش عن ضبط ابن خلكان ٢: ٢٣٩.

(٣) وفي هذه السنة (٤٠١) أيضاً خطب قرواش بن المقلد أمير بني عقيل للحاكم بأمر الله العلوي صاحب مصر بأعماله كلها وهي الموصل والأخبار والمدائن والكوفة وغيرها" (ابن الأثير ٩: ٩٢).

في كتب التاريخ، فلنسلک هنا سبيل الإيجاز، والغرض من هذا هو نقل المحضر الذي أجمعوا فيه على بطلان نسبهم، وهذه نسخته^(١):

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما شهد به الشهود أن معد^(٢) بن إسماعيل^(٣) المستولى^(٤) على مصر هو معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن^(٥) بن سعيد^(٦)، وأنهم منتسبون إلى ديصان بن سعيد الذي انتسب إليه الديصانية، وأن سعيدا المذكور^(٧) صار إلى المغرب^(٨) وتسمى^(٩) بعبد الله^(١٠) وتلقب^(١١) بالمهدى وأن هذا الناجم^(١٢) بمصر هو

(١) ذكر هذا المحضر أيضا، باختلاف يسير مع جهانگشای، أبو الفدا في ٢: ١٥٠، والمقريزي في الاتعاظ ٢٢: ٢٣ (= ٦٠. ٥٨. طبع مصر)، وابن تغرى بردی في النجوم الزاهرة ٢: ١١٢ - ١١٣.

(٢) أى المعز.

(٣) أى المنصور.

(٤) أى الذى استولى سابقا، يعنى المعز.

(٥) أى القائم، واسمه عند عامة المؤرخين محمد، ولكن المقريزي نقل في الاتعاظ ص ٤٥ قولا أن اسمه عبد الرحمن، وذكر المسعودى في التنبیه والإشراف ص ٣٣٤ أيضا أن اسمه عبد الرحمن.

(٦) هذا هو اسم المهدي على زعم أعدائه.

(٧) كذا في جميع النسخ، وقد أضافت النجوم: لما. ولا نجد هذه الجملة في أبى الفدا واتعاظ.

(٨) كذا في جميع النسخ، ولا نجد هذه الواو في النجوم، والجملة بأكملها ليست موجودة في أبى الفدا واتعاظ.

(٩) كذا في النجوم، وفي بعض النسخ يسمى، ولا نجد الجملة في أبى الفدا واتعاظ.

(١٠) النجوم: بعبید الله، والجملة ليست موجودة في أبى الفدا واتعاظ، وكما يبدو صراحة في دستور

المنجمين عبد الله كلاهما اسمان صحيحان للمهدى، انظر ص ١٣ حاشية ٣ وما يقابلها من

الترجمة العربية، إذن فلا موجب للتهوم بأن عبد الله في المتن تصحيف عبید الله.

(١١) كذا في النجوم، والجملة ليست موجودة في أبى الفدا واتعاظ.

(١٢) كذا في بعض النسخ وأبى الفدا والنجوم واتعاظ.

منصور الملقَّب^(١) بالحاكم - حكم الله عليه بالبولار والتمار - ابن نزل^(٢) بن معد^(٣) ابن إسماعيل^(٤) بن عبد الرحمن^(٥) بن سعيد^(٦) وإن من تقدمه [١٧٦] من سلفه الأرجاس الأنجاس عليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين أدعياء خوارج، لا نسب لهم في ولد على ابن أبي طالب، ولا يتعلّقون منه بسبب^(٧)، وأما ما ادعوه من الانتساب إليه باطل وزور لم يتوقّف أحد من أهل بيوتات الطالبين^(٨) من^(٩) إطلاق القول في هؤلاء أنهم خوارج أدعياء، وأن هذا الإنكار لباطلهم كان شائعاً بالحرمين و^(١٠) في أول أمرهم بالمغرب منتشراً انتشاراً عظيماً، وأن هذا الناجم بمصر هو وسلفه كفّار وفسّاق و^(١١) زنادقة ملحدون معطلون، وللإسلام جاحدون^(١٢) ولمذهب الثنوية^(١٣) والمجوسية معتقدون، عطّلوا الحدود، وأباحوا الفروج و[١٧٧] أخلّوا الخمر، وسفكوا الدماء، وسبّوا الأنبياء، وادّعوا الزبوية، وكُتِبَ في^(١٤) ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعمئة / نوفمبر ١٠١١م،

(١) كذا في جميع النسخ، وكذا أيضاً في النجوم، وأبى الفدا واتعاظ: الملقَّب. ولعله أظهر.

(٢) أى العزيز.

(٣) أى المعز.

(٤) أى المنصور

(٥) أى القائم، انظر حاشية (٤).

(٦) أى المهدي، انظر حاشية (٥).

(٧) هذه الجملة ليست موجودة في أبى الفدا واتعاظ والنجوم.

(٨) أبو الفدا واتعاظ لا يكتبان الجملة.

(٩) النجوم: عن. ولعله أصوب.

(١٠) كذا في جميع النسخ، والواو غير موجودة في النجوم، وأصل الجملة غير موجود في أبى الفدا

واتعاظ.

(١١) كذا في جميع النسخ، وهذه الواو غير موجودة في أبى الفدا واتعاظ والنجوم.

(١٢) كذا في أبى الفدا واتعاظ، والجملة ليست موجودة في النجوم.

(١٣) النجوم: اليهودية، وليست الجملة موجودة في أبى الفدا واتعاظ.

(١٤) كذا في جميع النسخ، وقد أضاف كل من أبى الفدا واتعاظ: شهر.

وشهد بذلك من العلويين الشرفاء^(١) المرتضى والرّضى الموسويّان وجماعة منهم^(٢)،
وشهد من الفقهاء المعتمدين الشيخ أبو حامد الإسفرايني وأبو الحسن^(٣) القدوري وقاضي
القضاة أبو محمد بن الأكفاني^(٤) وأبو عبد الله البيضاوي^(٥)، وقد قرئ هذا المحضر
على المنابر ببغداد وغيرها من البلاد.

(١) هذه الجملة غير موجودة في النجوم، ولم يذكر كل من أبي الفدا واتعاظ اسم أحد من الشهود.

(٢) أي من العلويين الشرفاء.

(٣) كذا في جميع النسخ، النجوم: أبو الحسين، وهو المشهور في كنيته.

(٤) النجوم: أبو محمد عبد الله بن الأكفاني، ابن الأثير ٩: ٩٨ وابن خلدون ٣: ٤٤٢ كلاهما: ابن الأكفاني.

(٥) ابن خلدون ٣: ٤٤٢: أبو عبد الله البيضاوي، ابن الأثير ٩: ٩٨: أبو عبد الله بن البيضاوي
(بإحكام كلمة ابن)، والنجوم لا تذكره.

ذكر جلوس المستنصر بن الظاهر

لما مات الظاهر كان ابنه أبو تميم معذ في السابعة من عمره فأجلس على كرسي العرش [١٧٨] ولُقّب بالمستنصر، وكان مشهوراً بوفرة الجنون وقلة العقل، ونظراً لما كان يأتيه من تلون في الأفعال، وتناقض في الأعمال، وإسراف في الأموال في غير مصارفها القويمة والمنع في مواضع الإطلاق - اشتهر بالمستنصر المجنون - وقد روى في الكتب وذكر في التواريخ روايات نادرة بعيدة كل البعد عما جرت عليه العادة عند الخلفاء والسلاطين وما تقتضيه رسومهم، ونحن نذكر هنا خصلة أو خصلتين طريفتين حتى يمكن التوصل عن طريقهما إلى كنه أمثاله ونظائر أفعاله.

أما الخصلة الأولى: فهي عن إسرافه؛ وذلك أنه اعتاد أن يطلب عيون الجواهر القيمة من الخزانة، فيدفعها كالكلح ويذروها في جدول ماء، والثانية: هي أنه كان بخيلاً لدرجة أنه اضطر الجند - بسبب إمساك الأرزاق المعهودة ومنع الإطلاق المرسومة - إلى الشغب والثورة، فحصره يوماً في القصر، وطلبوا رواتبهم، فكتب بخطة رقعة في الاعتذار عن التقدير^(١) والإمساك، ثم أرسلها إلى الجند:

أَصْبَحْتُ لَا أَرْجُو وَلَا أَتَقَى غَيْرَ إِلَهِي وَلَهُ الْفَضْلُ
جَدَى نَبِيِّ وَإِمَامِي أَبِي وَقَوْلِي التَّوْحِيدُ وَالْعَدْلُ^(٢)

(١) "القدر التضيق كالنقد، وقدر عليه الشيء قدرا وقدره ضيقه، قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاكَ فَقَدَّرْ

مَلَيْكَ وَرَقَّةً﴾ [الفجر]، أي: ضيق. (لسان وتاج).

(٢) هذان البيتان مذكوران في تاريخ ابن القلانسي ٩٥، والنجوم ٢: ٢٣٩، ٢٤٠، والخطط للمقريزي ٤: ٧٣ وينسب المقريزي الواقعة المذكورة في البيتين للحاكم، والنجوم في الموضع الثاني للأمر بأحكام الله.

[١٧٩] المال مال الله والعبيد عبيد الله^(١)، والعطاء خير من المنع، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون.

وأفعاله الباقية مماثلة لهذه الحكاية ويمكن قياسها عليها:

فإنّها خَطِرَاتٌ مِنْ وَسَاوِسِهِ يُعْطَى وَيَمْنَعُ لَا بُخْلًا وَلَا كَرَمًا

وعلى هذا النحو قضى المستنصر عهده، وبقي في الخلافة ستين عامًا^(٢)، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُحِلُّ لَهُمْ يَزِيدًا دُونَ إِسْمَاعِيلَ﴾ [آل عمران].

وكان له ولدان، أحدهما يسمى أبو منصور نزار، جعله في البداية وليًا للعهد ولقبه بالمصطفى لدين الله، ثم تراجع عن ذلك وخلعه، وجعل ابنه أبا القاسم أحمد وليا للعهد ولقبه المستعلى بالله^(٣).

وقد انقسم أئمة البدعة وأعيانها بعد وفاة المستنصر إلى فريقين: فريق قال بإمامة نزار؛ على اعتبار أن النص الأول هو الصحيح، وكان من هذه الفرقة الإسماعيلية؛ يعنى ملاحدة العراق والشّام وقومش^(٤) وخراسان، وكان يقال لهم: النّزارية. وأثبتت الفرقة الأخرى إمامة المستعلى [١٨٠] وهم إسماعيلية مصر وتلك الديار ويقال لهم المستعلوية^(٥).

(١) كذا أيضا في ابن القلانسي ٩٥، والنجوم ٢: ٢٤٠؛ والعبد عبد الله، والخطط ٤: ٧٣؛ والخلق عباد الله.

(٢) كانت وفاة المستنصر في ١٨ من ذى الحجة سنة أربعمائة وسبع وثمانين.

(٣) هذا سهو واضح؛ لأن الذي خلع نزارا من ولاية العهد هو أمير الجيوش شاهنشاه بن بدر الجمالي المعروف بالأفضل وليس المستنصر، ولقد تم خلع نزار بعد وفاة المستنصر (انظر ابن القلانسي ص ١٢٨ وابن الأثير في حوادث سنة ٤٨٧، وابن ميسر ص ٣٤ - ٣٥). (المترجم)

(٤) قومش وقومش كانت إحدى الولايات الصغيرة الواقعة في الجنوب الشرقي لسلسلة جبال ألبرز (انظر حاشية (١) في ترجمة بويل الإنجليزية لهذا الموضع من جهانگشای). (المترجم).

(٥) صبح الأعشى ج ١٣ ص ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٤٧ في جميع المواضع: مستعلوية.

وفى عهد المستنصر أظهر الحسن بن الصباح الدعوة بولايات الديلم على التفصيل الآتى فيما بعد، وقد أطلق على طائفة النزارية اسم الإلحاد لأنهم رفعوا - فى دعوة الحسن بن الصباح - الشرائع المحمدية (التي سنها الرسول) عليه السلام، وأباحوا المحرمات. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَمُكِّمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة]، ولكن طائفة المستعلوية لم ينسلخوا عن ظاهر الشرع، واقتدوا بسنن آبائهم وأجدادهم.

وقد تبع أجناد مصر وأهاليها المستعلى وأجلسوه على عرش الخلافة. بينما هرب نزار مع ولديه من المستعلى، وتوجه إلى الإسكندرية، فقبل أهلها بيعته. فأرسل المستعلى جيوشاً حصرته مدة فى الإسكندرية، وفى النهاية سلمت الإسكندرية وحمل هو وابناه إلى مصر، وقد ظل الثلاثة فى السجن بالقاهرة إلى أن قضوا نحبتهم، وتدعى طائفة النزارية أن أحد أبناء نزار، الذى انتقلت إليه الإمامة - وفق مذهبهم الباطل - ترك ابنا له فى الإسكندرية لم يعثر عليه [١٨١] أو يتعرف أحد عليه، وإليه ينتسب رئيس ملاحدة الموت الآن^(١)، وسوف يأتى ذكر ذلك فى دعوة الملاحدة الجديدة.

وقد بقى المستعلى فى الخلافة إلى أن توفى^(٢).

وجلس مكانه ابنه أبو على منصور^(٣)، وفى الرابع من ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة / ١٠ من أكتوبر ١١٣٠م قضى عليه فجأة جماعة من غلاة المذهب النزارى.

(١) من هذا نعلم أن هذا الموضع من الكتاب ألف من قبل فتح قلاع الموت على يد هولاكو. انظر

ج ١ مقدمة المصحح ص ٢٥ - فاه.

(٢) فى ١٧ صفر سنة خمس وتسعين وأربعمائة.

(٣) الملقب الأمر بأحكام الله.

ولما لم يكن قد أعقب ولذا فقد جعل ابن عمه أبا الميمون عبد المجيد بن محمد وليا للعهد^(١)، فقام مقامه، وصار خليفة، ولقب بالحافظ لدين الله، وبقي في الخلافة عشرين سنة^(٢).

وجلس مكانه من بعده أبو منصور إسماعيل^(٣)، وقد لقب بالظافر، قتله عباس بن تميم الذي كان وزيره^(٤) [١٨٢] ونصب مكانه ابنه أبا القاسم عيسى وهو في الخامسة من عمره، وكان لقبه الفائز بالله^(٥)، ولقد مات بعد أن مكث في الخلافة ست سنوات^(٦).

ونصب بعد موته ابن عمه أبو محمد عبد الله بن يوسف بن حافظ خليفة، ولقب بالعاضد لدين الله، وقد ظل في الخلافة إلى أن استولى آل أيوب على مصر وبلادها.

(١) محمد هذا هو أبو الحافظ لدين الله بن المستنصر، ولم يكن خليفة، وكنيته أبو القاسم.

(٢) توفي في الخامس من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة.

(٣) وهو ابن الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد المذكور.

(٤) في منتصف المحرم، ويقول آخر في سلخ المحرم سنة تسع وأربعين وخمسمائة، ولمزيد من المعلومات عن عباس بن تميم. انظر ابن الأثير في حوادث سنتي ٥٤٤ و ٥٤٨، وابن خلكان ج ١ ص ٤٠٧. وأسامة بن منقذ في كتابه "الاعتبار" طبع فيليب حتى ص ١٨ - ٢٩، وقد ورد اسم عباس ابن تميم في صبح الأعشى ج ١٣: ٢٤٢، ٢٤٣ محرفاً "عياش" بياء مثناة تحتانية وشين.

(٥) لقب هذا الخليفة بإجماع المؤرخين هو الفائز بنصر الله، ويختصر أحياناً إلى الفائز، فالفائز بالله الوارد في المتن سهو بلا شك.

(٦) في ١٧ من رجب سنة خمس وخمسين وخمسمائة.

ذكر السبب في ذلك وما جرت عليه الحال فيه

في أوائل سنة أربع وخمسين^(١) (صح: أربع وستين) وخمسمائة / ١١٦٨ -
١١٦٩م قدم جيش ضخّم للفرنج إلى ديار مصر، فأعمل فيها القتل والنهب، [١٨٣]
وكان شابور^(٢) وزير العاضد في ذلك الوقت هو صاحب الحلّ والعقد بمملكة مصر،
فلما انشغل جند الفرنج بمحاصرة القاهرة وتملّك اليأس من الخليفة والوزير وأهالي
مصر والقاهرة كافة، عقد شابور صلحا مع قائدهم بألف ألف^(٣) دينار مصرى،

(١) هذا خطأ واضح ومخالف لإجماع المؤرخين، ومناقض لما صرح به المؤلف نفسه بعد ما يقرب
من خمسة عشر سطرا من أن دخول شيركوه القاهرة مع جنوده كان في سنة ٥٦٤هـ، والصواب
في المتن "أربع وستين" بدلا من "أربع وخمسين" وقد وضعنا التاريخ الصحيح بين قوسين.
(٢) جامع التواريخ ٦٢ وما بعدها: شاور (بواوين) في كل المواضع (ص ٩٢ طبع طهران: شاور)،
اسم هذا الشخص المذكور في جميع كتب المؤرخين العرب بلا استثناء "شاور"، بشين معجمة وواو
واحدة، غير أنه لما كان اسمه قد كتب في هذا الكتاب في جميع المواضع وجميع النسخ بلا
استثناء شابور (أو سابور) فإنه يتبين لنا أن هذه الكلمة ليست ناشئة من غلط النساخ، بل من
المصنف نفسه الذى خيل إليه أنها شابور، وكان يقرأها على ذلك، ويؤيد هذه الفقرة ما ذكر في
جامع التواريخ الذى غالبا ما يتابع جهانگشای في هذه الفصول، فقد كتبت هذه الكلمة في جميع
المواضع (شاور) بواوين، وواضح أننا احتفظنا بالإملاء الأصلية للمصنف في جميع المواضع.
(المترجم: وقد عقد الأستاذ القزوينى في بحث هذه المسألة فصلاً طويلاً في حواشى آخر الكتاب،
انظر جهانگشای ج ٣ ص ٣٧١ - ٣٧٩ وما يقابلها من الترجمة العربية في هذا الكتاب
ص ٢٩٢ وما بعدها).

(٣) "وصالح شاور الفرنج على ألف ألف دينار" (أبو الفدا في حوادث ٥٦٤ ج ٣: ٥٤٧ - «فارس»
(شاور) إلى ملك الفرنج يشير بالصلح وأخذ مال، فأجابه إلى ذلك على أن يعطوه ألف ألف
دينار مصرية يجعل البعض ويمهل البعض" (ابن الأثير في حوادث السنة المذكورة ج ١١:
١٥١).

بعضها بالأجل وبعضها نقداً، فرفع الفرنج الحصار عن القاهرة، غير أنهم ظلوا مقيمين بالديار المصرية انتظارا لاستيفاء باقى المال الذى اتفقوا عليه.

وفى ذلك الوقت كان نور الدين محمود بن زنكي بن أقيسقر هو صاحب الشام، فاستغاث العاضد والوزير وأهل مصر به من سيطرة الفرنج، وطلبوا الاستعانة بمدده ومعاضدته، لدرجة أنهم أرسلوا إليه [١٨٤] ذوابات من شعر النساء، فأرسل نور الدين شيركوه، صاحب حمص، بجيش جرار للمحافظة على ديار مصر، وقد صاحب صلاح الدين يوسف بن أيوب عمه شيركوه، ولما سمع الفرنج بخبر جيش الشام عادوا إلى ديارهم، وتوجه شيركوه إلى القاهرة، فوصلها في السابع من ربيع الآخر سنة أربع وستين وخمسمائة / ١٦ من يناير ١١٦٩م، وقد استقبله العاضد وشابور تعظيماً وإكراماً لمقدمه، فطلب شيركوه من شابور مالاً للجند، ولكنه أخذ في المماطلة والتسويق، فانقلب الولاء والصفاء إلى تنافر وعداء، وأخذ شابور في التدبير لقتل شيركوه بحجة دعوته لينزل ضيفاً عليه^(١)، ولما كان العاضد ضعيفاً عاجزاً في يد شابور فقد أخبر شيركوه عن مكيدته، وهكذا وجد الباعث على قتله، وفى أحد الأيام قدم شابور عند شيركوه على سبيل التفتد والتودد فذهب ابن أخيه صلاح الدين يوسف لاستقباله وفق مقتضى العادة مع جماعة من أهل السلاح، فقبض عليه وأرسل رأسه إلى العاضد طبقاً لرغبته. وكان ذلك في السابع عشر^(٢) من ربيع الآخر سنة أربع وستين وخمسمائة / ٢٦ من يناير ١١٦٩.

(١) ثم إن شاور عزم على أن يعمل دعوة لشيركوه وأمراته ويقبض عليهم ... إلخ (أبو الفدا ج ٣: ٤٨). (المترجم).

(٢) انظر ابن الأثير ١١: ١٥٢، والخطط ٢: ١٧٧٥، وابن خلكان ١: ٢٣٧، ٢: ٥٦.

وقد عهد العاضد [١٨٥] بمنصب الوزارة إلى شريكوه، ولقبه الملك المنصور، ولم تكد تمضى ثلاثة أشهر^(١) حتى قضى نحبه، فأعطى الوزارة أخيه صلاح الدين يوسف، فضبط صلاح الدين الأمور، إذ استولى على العاضد ومملكة مصر، فكان العاضد ياتمر بأمره.

وكتب صاحب الشام نور الدين محمود إلى صلاح الدين أنه: "طالما نفذ الحكم في تلك الممالك، فينبغي نصرة الحق على الباطل، وأن يوضع الحق في نصابه، فعليكم أن تظهروا شعار دعوة الإسلام بذكر اسم الخلفاء العباسيين"، فاستجاب صلاح الدين لذلك وخطب أول جمعة من المحرم سنة ست^(٢) (صح: سبع) وستين وخمسائة على منابر الديار المصرية باسم الناصر لدين الله^(٣) كما ضربت السكة باسمه.

ولقد توفي العاضد يوم عاشوراء، فحبس صلاح الدين أولاده [١٨٦] وأنسابه، وفي النهاية أذاقهم جميعاً شربة الفناء، وقطع نسلهم بصفة نهائية، واستقل صلاح الدين يوسف واستبد^(٤)، وله آثار محمودة ومقامات مشهورة.

(١) كانت مدة وزارة شريكوه على وجه التحديد شهرين وخمسة أيام، وكانت وفاته في يوم السبت الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسائة (ابن الأثير ١١: ١٥٣، وابن خلكان ١: ٢٤٦).

(٢) وذلك سهو واضح ومخالف لإجماع المؤرخين، وهم جميعاً يذكرون أن قطع خطبة الفاطميين في مصر وإقامة الخطبة باسم بنى العباس وقع على وجه التحديد في سنة سبع وستين وخمسائة، والصواب في المتن "سبع" بدلا من "ست" دون أدنى شك أو تردد.

(٣) وهذا أيضا سهو واضح من المصنف، والصواب باتفاق المؤرخين هو "المستضيء بالله" بدلا من الناصر لدين الله، بينما كان تاريخ جلوس الناصر لدين الله في سنة خمس وسبعين وخمسائة، أى بعد ثمانية أعوام من هذه الواقعة. مدة خلافة المستضيء من سنة ٥٦٦ حتى سنة ٥٧٥هـ.

(٤) "استبد به تغزّد" (القاموس المحيط للفيروز آبادي). (المترجم).

ذكر الحسن بن الصباح وما أحدثه من تجديد ودعوة الملاحدة التي يقال لها: الدعوة الجديدة لا جدها الله تعالى

بعد أن استأصل الحق تعالى -بفضل عزيمة وحركة أمير الدنيا هولاء- قلاع هؤلاء الملاحين ورباعهم، ودفع شرهم، صدر الأمر عند فتح الموت، بأن يطّلع مؤلف هذا الكتاب على مستودعات الخزانة ومحتويات المكتبة كي يستخرج ما يجده لأنفاً بالسلطان، خلاصة القول: إنني لما كنت أقوم بفحص المكتبة التي كانوا قد بدءوا في جمعها منذ سنين عديدة، شرعت في استخراج المصاحف ونفائس الكتب -كما يُخرج الحى من الميت- من بين الكثير من أباطيل الفضول وأضاليل الأصول في مذهبهم وعقيدتهم، بحيث امتزجت بالمصاحف المجيدة وأنواع الكتب النفيسة، فانتسج فيها الخير بالشر، فعثرت على كتاب كانوا يسمونه "سرگندشت سيدنا" (أى سيرة سيدنا) يتضمن [١٨٧] ترجمة حياة الحسن بن الصباح، فنقلت منه ما كان ملائماً^(١) ومناسباً لسياق هذا التاريخ، وأوردت ما كان مصدقاً ومحققاً.

(١) حصل رشيد الدين أيضاً على هذا الكتاب: سرگندشت سيدنا. وأدرج خلاصته (وليس هو بعينه كما صرح) في جامع التواريخ، ولكن منقولته من ذلك الكتاب أكثر تفصيلاً من منقولات الجويني، وأغلب الظن أن الجويني نظراً لفرط تدينه وتصلبه في العقيدة قد استعمل هذا الكتاب -الذى كان يعد في نظره من كتب الكفر والضلال- بكل كراهية واشمئزاز. ولهذا نلاحظ أنه أفرط في تلخيصه واختصاره، واقتصر بقدر الإمكان على أقل ما يمكن منه وما هو ضروري لفهم تاريخ "الملاحدة".

ترجع نسبته إلى قبيلة جَمِيز، قدم أبوه من اليمن إلى الكوفة، ومن الكوفة إلى قم، ومن قم إلى الري، فاستوطنها، وهناك ولد الحسن بن الصباح.

(بيت فارسي ترجمته).

- أصلك من قايين وموطنك في كوشكك^(١)،

أيها الديوث الغبي، ماذا تفعل في جيلان؟

[١٨٨] اسمه الحسن بن علي بن محمد بن جعفر بن الحسين بن محمد (ابن)^(٢) الصباح الجَمِيزي، عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

ذكروا في السيرة^(٣) أن جماعة من أتباعه كتبوا أحوال آبائه وأحضرُوا الأوراق إليه، إلا أنه -على سبيل التَصْنَع والتَّليس- لم يقبلها وغسلها في الماء.

ويقرّر هذا الحسن اللعين: "كنت أتبع مذهب آبائي، وهو مذهب الشيعة الاثنا عشرية، وكان في الري رجل يسمى أميره ضراب على مذهب باطنية مصر، وكنا نتناظر معاً بصفة دائمة، فيكسر مذهبنا، ولكني لم أكن أسلم بينما استقرت آراؤه في قلبي، وفي تلك الأثناء أصبت بمرض خطير شديد، فقلت في نفسي: إن ذلك المذهب هو الحق، ولكني لم أقبله من جزاء تعصبي الشديد، فلو وصل الأجل الموعود -والعياذ بالله- لهلكت دون أن أصل إلى الحق، فشفيت مما ألمَّ بي من مرض، وكان هناك رجل آخر من جملة الباطنية يسمى أبو نجم سراج. فذهبت أتعزف عنده على

(١) كذا في مجمع الفصحاء وهفت إقليم، من أبيات لكوشكي القاييني من شعراء عهد السلطان سنجر وهو مخاطب الشاعر، انظر هفت إقليم في عنوان قهستان، ومجمع الفصحاء ج ١ ص ٤٤٨.

(٢) كلمة "ابن" ساقطة من جميع النسخ الخطية، بينما الصواب بلا شك هو إثباتها؛ لأن الصباح لم يكن لقب محمد كما يظن إذا سقطت كلمة "ابن"، بل كان اسم أبيه، وكلمة الصباح من الأعلام المعروفة عند العرب؛ إلا أنها لم ترد لقباً في أي موضع على الإطلاق.

(٣) يعني سرگشت سيدنا (سيرة سيدنا).

هذا المذهب، فشرحه لى وفصله حتى وقفت على غوامضه، وكان هناك رجل آخر يسمى "مؤمن" منحه عبد الملك بن عطّاش الإجازة بالقيام بأمر الدعوة [١٨٩]، فأردت أن آخذ على يديه عهد البيعة فقال: إن مرتبتك أعلى من مرتبتي فأنت حسن، أما أنا فمؤمن، فكيف آخذ عليك هذا؟ يعني كيف آخذ منك البيعة للإمام؟. إلا أنه آخذ العهد متى بعد إلحاح.

ولما وصل عبد الملك بن عطّاش داعي العراق في ذلك الوقت إلى الرى في سنة أربع وستين وأربعمائة / ١٠٧١ - ١٠٧٢م أعجب بى، فأمر بأن أتولى نيابة الدعوة، وأشار بوجوب توجهي إلى خليفة مصر، وكان في ذلك الوقت هو المستنصر^(١).

وفي سنة تسع وستين وأربعمائة ١٠٧٦ - ١٠٧٧م توجهت -عازماً على السفر إلى مصر- إلى إصفهان (ثم سار منها عن طريق أذربيجان إلى الشام بعد الأخطار التي شاهدها ودونها في ذلك التاريخ)^(٢).

وفي النهاية وصلت إلى مصر في سنة إحدى وسبعين وأربعمائة/ ١٠٧٨ - ١٠٧٩م^(٣)، فأقمت^(٤) بها ما يقرب من سنة ونصف ولم أصل طوال^(٥) [١٩٠]

(١) جامع التواريخ ٦٦ - (نسخة المكتبة الأهلية بباريس. *Pers. 1113- Suppl.* = ص ٩٩ ط. طهران): "وكان خليفة ذلك الزمان هو المستنصر بالله".

(٢) كذا بصيغة الغائب - ولقد لخص المصنف فصلاً طويلاً ابتداء من جملة: "ثم سار منها عن طريق أذربيجان" إلى هنا، ولهذا أورد الأفعال بصيغة الغائب، والفقرة المعادلة لهذه الكلمات في جامع التواريخ تقع في ما يقرب من صفحة كاملة (ورقة ٦٦ س ٢٤ - ورقة ٦٧ س ١٢ ويقع هذا الفصل في طبعة طهران من ص ٩٩ - ١٠١) وهو يقصد بالتاريخ هنا "مرگشت سيدنا" (سيرة سيدنا).

(٣) جامع التواريخ ٦٧ = ص ٩٩ طبع طهران: "وصل سيدنا إلى القاهرة المعزية يوم الأربعاء الثامن من عشر من شهر صفر المظفر سنة إحدى وسبعين وأربعمائة"، ويذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٤٢٧ (ج ٩: ١٨٦) ويتبعه ابن ميسر (ص ٢٧) أن تاريخ وصول الحسن بن الصباح إلى مصر كان في سنة ٤٧٩، وذلك سهو واضح لأن منقولات المصنف من "مرگشت سيدنا" في هذه المواضع هي غالباً عين كلام الحسن بن الصباح مباشرة ولا بد أن يكون قوله في الأمور المتعلقة به شخصياً مقدماً على أقوال الآخرين.

(٤) كذا بصيغة المتكلم.

(٥) ابن الأثير في حوادث سنوات ٤٢٧، ٤٨٧، ٤٩٤ يكرر التصريح بأن الحسن بن الصباح قابل المستنصر شخصياً وسأله: "من إمامي بعدك؟ فقال: ابني نزار". ولا شك في أن ما جاء في "

مدة إقامتي إلى المستنصر، ولكن المستنصر كان واقفاً على أمرى وامتدحني غير مرة. وكان أمير الجيوش^(١)، أمير جنده، هو المتسلط والحاكم المطلق، (وهو في الوقت نفسه) صهر^(٢) المستعلى، الابن الأصغر الذي كان المستنصر قد نصّ نصّاً ثانياً بأن يكون ولياً للعهد. وكنت أنا طبقاً لقاعدة أصول مذهبي [١٩١] أقوم بالدعوة لنزار، (وقد مضى تقرير ذلك)، لهذا ساءت علاقة أمير الجيوش بي، فعقد خاصره استعداداً للنيل مني، وكانت نتيجة ذلك أنهم أخبروني على التوجّه إلى المغرب فوق ظهير إحدى السفن مع جماعة من الفرنج. وكان البحر هائجاً فألقى بالسفينة إلى الشأم، وهناك وقعت لي واقعة^(٣)، وقدمت من هناك إلى حلب فوصلت منها إلى إصفهان عن طريق بغداد وخوزستان في ذى الحجة سنة ثلاث وسبعين وأربعمئة/ مايو - يونيه ١٠٨١، ثم توجهت منها إلى حدود كرمان ويزد فقامت بالدعوة حيناً، ثم

= "سرگذشت سيدنا" فيما يتعلق بالأمور الشخصية للحسن بن الصباح مقدم كما قلنا على أى قول آخر.

وانظر مقدمة إيفانوف الإنجليزية لكتاب كلام پير 2, f.n. pxxv حيث يذكر الإشارات التي وردت في كتابات الإسماعيلية عن مقابلة الحسن بن الصباح للمستنصر الفاطمي. (المترجم).
 (١) يريد به بدر الجمالي أبا أمير الجيوش شاهنشاه المعروف بالأفضل، وقد وصل في سنة ٤٦٦ هـ إلى وزارة المستنصر وبقي في هذا المنصب حتى نهاية عمره. وفي سنة ٤٧٨ هـ توفي المستنصر قبل وفاته بخمسة أشهر. (انظر ابن خلّكان في ترجمة ابن شاهنشاه، وابن ميسر ٢٢ - ٣٠، وخطط المقرئى ٢: ٢١١ - ٢١٣، وابن تغرى بردى في مواضع عديدة).
 (٢) المراد بكلمة صهر هنا أبو الزوجة، فقد كانت بنت بدر الجمالي زوجة المستعلى، وكان المستنصر نعت المستعلى بهذا اللقب (أى بولى عهد المؤمنين) لما عقد نكاحه على ابنة أمير الجيوش بدر" (تاريخ ابن ميسر ٦٦).

(٣) المراد بـ (الواقعة) كما يتضح من الفقرة المعادلة لهذا الموضوع في جامع التواريخ ٦٨ = ص ١٠٣ ط طهران هي على ما يبدو الكرامة التي أظهرها كما يزعم في السفينة، وكان قد أخبر الناس قبل حدوث الواقعة بأن السفينة لن تغرق "وفجأة هبت ريح عاصفة فتحطمت السفينة فاضطرب القوم وكان سيدنا خالي البال مطمئناً، فسأله رجل كيف تجلس هكذا أمناً والحال على ما ترى؟ قال: أخبرنى المستنصر عن هذا الأمر وقال: لا تخش شيئاً على الإطلاق؛ ولذا تجدى لا ألقى بالا، فاستقرت السفينة على صخرة إلخ".

عدت بعد ذلك إلى إصفهان، وذهبت مرة أخرى إلى خوزستان، وقدمت من هناك إلى فريم^(١) وشهريار كوه^(٢) عن طريق الصحراء.

[١٩٢] وقد أقمت في دامغان ثلاث سنوات، ومن هناك وجهت جماعة الدعاة إلى أندجروود^(٣) والولايات الأخرى بالموت لكي يدخلوا النساء في الدعوة، ثم ذهبت إلى جرجان، وطرز^(٤)، وسرحد^(٥)، وچناشك^(٦)، ثم عدت أدراجي من هناك.

(١) كذا في جامع التواريخ ٦٨ ص ١٠٣ ط طهران، مدينة كانت تقع في المنطقة الجبلية شرقي مازندران.

(٢) شهرياركوه (جبل شهريار) الظاهر أنه كان عبارة عن سلسلة جبال فيروزكوه وسودا كوه الحالية، وكانت فريم هي مدينته الرئيسية.

(٣) أندجروود (أندج رود) وهي ما زالت باقية باسمها حتى الآن. وتعدّ - طبقاً للتقسيم الحالي - إحدى نواحي الموت الأربعة: فيشان ناحيه، أندج رود، آتان ناحيه، بالا رودبار.

(٤) طرز بطاء وراء مهملتين وزاي معجمة، لم أعر على هذه الكلمة في أي كتاب من كتب المسالك والممالك، ويذكر ابن الأثير قرية بالاسم نفسه (يعني طرز) في حوادث سنة ٥٢٠ ويقول: إنها من أعمال ببيق ومن القرى المخصوصة بالباطنية. والاحتمال شديد في أنها هي القرية المذكورة نفسها في المتن.

(٥) يبدو من سياق العبارة أنه ربما كان موضعاً في حدود جرجان أو قريباً من تلك النواحي ولكن لم يتيسر لي تعيين موضعها على وجه التحديد. وفي الكتب القديمة في المسالك والممالك والكتب الحديثة في الجغرافيا توجد ثلاثة مواضع باسم "سرحد" ولكن ليس لأى منها صلة بهذا المقام، بل إنها جميعاً بعيدة تماماً عن الموضع الذي نحن بصدد.

(٦) چناشك: هي إحدى النواحي على الحدود الشرقية لولاية إستراباد تبعد عن مدينة إستراباد بحوالي عشرين فرسخاً من ناحية الشرق وحوالي عشرة فراسخ غرب جاجرم، وهي الآن عبارة عن ما يقرب من ست قرى منفصلة بعضها عن البعض، وكانت فيما سبق اسماً لقلعة حصينة أيضاً تقع في تلك النواحي.

[١٩٣] (وسبب ذلك أن نظام الملك كان قد كلّف أبا مسلم الرازي^(١) بأن يقبض على الحسن)، فكان يبذل أقصى ما في وسعه للعثور على، فلم أستطع القدوم إلى الريّ وكنت أريد أن أذهب إلى ديلمان ببلاد الروم حيث كنت قد أرسلت الدعاة. ولذلك قدمت إلى ساري ومنها وصلت إلى قزوين عن طريق دنهاوند وخوار الريّ، وهكذا تحاشيت الريّ.

وقد أرسلت من قزوين مرّة أخرى داعيًا إلى قلعة ألموت، وكان يتولاها رجل يقال له علوى مهدي من قبل ملكشاه، وألموت إله أموت يعني عشّ العقاب^(٢)، فقد كان للعقاب عشّ بها، فقبل الدعوة جماعة في ألموت ثم دعوا بدورهم العلوى فقال هو بلسانه (تظاهراً): "قبلت"، وأتبع ذلك باستعمال الحيلة فأنزل من القلعة كل من قبل الدعوة وأغلق دونهم بابها، وقال: "هي قلعة السلطان". وبعد نقاش طويل سمح ليهولاء الجماعة بالدخول ثانية فلم يقبلوا بعد ذلك النزول من القلعة بمقتضى طلبه.

[١٩٤] مجمل القول: إنني ذهبت^(٣) من قزوين إلى ديلمان، (ثم توجه منها إلى ولاية إشكور^(٤))، حيث تركها إلى أندجروود المتاخمة لألموت فأقام بها فترة من الزمن).

(١) "وكان رئيس الريّ إنساناً يقال له أبو مسلم وهو صهر نظام الملك... فلما هرب الحسن من أبي مسلم طلبه فلم يدركه" (ابن الأثير حوادث سنة ٤٩٤).

(٢) يقول ابن الأثير (١٠: ١٣١): "ومعناه بلسان الديلم تعليم العقاب". والظاهر أن تفسير ابن الأثير أقرب للصواب لأن "أموت" بلغة الديلم. كما يبدو. هي نفس كلمة "أموخت" ومعناها تعلم.

(٣) كذا بصيغة المتكلم المفرد.

(٤) إشكور بكسر الهمزة وسكون الشين المعجمة وفتح الكاف وفتح الواو ثم في الآخر راء مهملة وهو النطق الحالي للأهالي.

ويكتبها ببيترولي في *The Castels of The Assassins* في كل المواضع *Ashkavar* بفتح الألف. (المترجم).

وعن طريق تزهد الشديـد وقع كثير من الناس في حباله وقبلوا دعوتـه^(١)، فحملوه إلى القلعة في مساء يوم الأربعاء السادس من رجب سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة/٤ من سبتمبر ١٠٩٠م، ومن نوادر الاتّفاقات أن حروف إله أموت هي بحساب الجمل تاريخ سنة صعوده إلى الموت التي اغتصبوها، وبقي متخفياً مدة وسمّى نفسه دهخدا (العُمدَة)، فلما اطلّع العلوى على واقع الحال وعلم أنه عاجز عن التصرف، أذنوا له بالرحيل، فكتب (الحسن) حوالة بثلاثة آلاف دينار هي ثمن القلعة لحاكم كركوه ودامغان الرئيس [١٩٥] المظفر المستوفى الذي كان قد قبل دعوتـه سرّاً، وكان من عادة الحسن أن يكتب الرقاع موجزة أشد الإيجاز؛ بسبب غاية الزهد على نمط هذه الحوالة: الرئيس م ظ^(٢) حفظه الله، لتسليم علوى مهدي ثمنًا لألموت ثلاثة آلاف دينار، على النبي المصطفى وآله السلام، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

مجمل القول: إن علوى أخذ الحوالة وقال لنفسه: "إن الرئيس المظفر رجل عظيم وهو نائب للأمير داد^(٣) حبشى بن التونتاق فأئى له أن يعطينى شيئاً برقعة كهذه"، وبعد مدة نزل دامغان وكان قد صار مُقلّ الحال فأخذ الرقعة التي كانت معه إلى الرئيس المظفر على سبيل التجربة، فقبل الرئيس المظفر الخط وسلّمه الذهب في الحال.

(١) من هذا الموضع حتى أواخر الصفحة التالية فضلاً عن فقرات متعددة أخرى من هذا الفصل، وهى المتعلقة بالحسن بن الصباح نقلت بنصها قريباً في تاريخ ابن إسفنديار، ويبدو أن هذه الفقرات من إلحاقات النساخ المتأخرين على تاريخ طبرستان.

(٢) يعنى المظفر.

(٣) ذكر عطا ملك في الجزء الثانى من جهانگشاي اسم أمير خراسان في ذلك الوقت داد بك (أمير داد) حبشى بن التونتاق. انظر جوامع العلوم للفخر الرازى نسخة باريس *Suppl. Pers. 1595* ورقة ٦٧؛ تاريخ السلجوقية طبع هوتسما ص ٢٥٩؛ وابن الأثير في حوادث ٤٩٠، ٤٩٣.

فلما استقرّ الحسن بن الصباح -أخزاه الله- في الموت واستقلّ، وجّه الدّعاة إلى الأطراف والأكناف، وقصر عهده على إظهار الدّعوة وإضلال قصار النّظر، وقد أحدث في تلك البدعة تغييراً أطلقت عليه تلك الطّائفة من بعده "الدّعوة الجديدة"، إذ كان المتقدّمون منهم قد أسسوا مذهبهم على تأويل التّنزيل، وعلى الأخص الآيات المتشابهة والاستخراجات الغريبة من معاني الأخبار والآثار وما شاكل ذلك، وكانوا يقولون: إن لكل تنزيل تأويلاً ولكل [١٩٦] ظاهر باطناً، ولكن الحسن بن الصباح فتح باب التّعليم والتّعلّم على مصراعيه. وقال: إن معرفة الله لا تكون بالعقل والنّظر، بل بتعليم الإمام؛ لأن أكثر الخلق في العالم عقلاء، ولكل شخص نظرة في طريق الدين، فلو كان نظر العقل كافياً لمعرفة الله لما اعترض أهل مذهب من المذاهب على غيرهم، وكان الجميع متساوين؛ لأن كل الناس متديّنون بنظر العقل. غير أن سبيل الاعتراض والإنكار مفتوح، ويحتاج البعض إلى تقليد البعض، وهذا هو مذهب التّعليم (يبين) أن العقل غير كاف، بل ينبغي وجود إمام بتعليمه يتعلّم الناس في كل دور ويتديّنون.

وابتدع عدّة عبارات موجزة استعملها ملوآحاً لحبائل خداعه، وأطلق عليها اسم الإلزام، فظنّ الجهال والعوام أن تحت تلك الألفاظ المختصرة معانٍ كثيرة، وأدقّ هذه الألفاظ والمعاني هو ما كان يسأله للمعترضين على مذهبه وهو هل العقل كاف أم لا؟ يعنى أن العقل لو كان كافياً لمعرفة الله لما وصل لذى عقل إنكار لمعترض، فلو قال معترض: إن العقل غير كاف فيجب -إلى جانب نظر العقل- وجود مُعلّم في كل حين، هذا هو مذهبه.

أما ما يقوله^(١) من أن العقل كاف أم لا فإن مذهبه الذى يطلب إثباته في هذا السؤال هو أنه يجب وجود التعلیم مع العقل، بينما يقول مذهب الخصم بأنه لا يجب وجود التعلیم مع العقل، فإذا لم يكن وجود التعلیم واجباً فربما كان وجوده جائزاً، فعندئذ يكون معيّنًا للعقل على النظر، وقد لا يكون وجوده جائزاً فيكتفى بالعقل وحده [١٩٧] وإلا فلن تحصل معرفة الله، وهذان وجهان، بينما انشغل هو بإبطال الوجه الثانى، ويقول: إنى أبطلت مذهبهم، ولكنه لم يفعل ذلك؛ لأن مذهب جمهور أهل العالم هو أن وجود العقل المجرد ليس كافياً، ويشترط استعمال العقل على وجه مخصوص، فالتعلیم والهداية معينان لبعض العقلاء، وليس للبعض بهما حاجة، إلا أنه لا مانع إذا وجداء، فإذا كان الأمر كذلك لعرفنا أنه لم يكن قد بلغ مبلغ التعرض لإبطال مذهب الجمهور.

كما أن وقف التعلیم على شخص معين أمر يفتقر إلى دليل، ودليله هو مجرد قوله؛ إذ إنه يقول: "طالما أننى أثبت التعلیم، وليس هناك من أحد غيرى يقول بالتعلیم لكان تعيين المعلم إذن بقولى أنا". وهذا الكلام ظاهر الفساد، وهو بمثابة قول شخص: "إننى أقول: إن الإمام هو فلان والبرهان على ذلك أننى أنا أقول هذا الكلام". فإذا قال: "الإجماع حق، أما إذا كان قولى ليس صحيحاً فقد أبطلت إذن قول الآخرين واجتمعت الأمة على الباطل" فالجواب عليه أن الإجماع حق عند الجمهور بسبب القرآن والخبر وهو ليس كذلك عندك^(٢)، إذن بناء مذهبك على الإجماع يكون بناء على قول خصمك ولا يفيدك، وليس له خلاف هذا حجة أخرى على تعيين الإمام.

(١) يبدأ كلام الجوينى من هنا في إبطال استدلال الحسن بن الصباح.

(٢) لا يعترف الشيعة، ومن بينهم الإسماعيلية، بالإجماع الذى يعتبره أهل السنة أحد مصادر التشريع الأربعة، اللهم إلا باعتباره كاشفاً عن رأى الإمام المعصوم عند الاثنى عشرية. (المترجم).

أما ما كان قد قاله من أن [١٩٨] الرسول عليه السلام يقول: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» وأن هذا يعنى أنه ينبغي أن يأخذوا قول لا إله إلا الله منى، وهذا هو (مذهب) التّعليم - فالإجابة عليه بأن هذا معارض لحكاية العجوز التي سألوها عن الله، فأشارت إلى السماء، فقال الرسول عليه السلام: «دعوها فإنها مؤمنة». وقال: «عليكم بدين العجائز». ولم يقل للعجوز: إنك لم تعرفي الله منى فليست مؤمنة. وقال أعرابي: «أليس الزمان حقاً»^(١). قال الرسول عليه السلام: «دعوه فقد فقه». ومن هذا القبيل كثير يمكن إبراده. ولما كان هذا الكتاب ليس مجالا لإبطال مذاهب الباطل وإثبات مذهب الحق فقد رُئي أن الاختصار على هذا القدر أولى. هذا^(٢) أنموذج من الخرافات التي تعدّ ظواهرها حبات اللّبيس وبواطنها عوامل [١٩٩] إبليس، وكان يقرّر أن الهدف من ذلك هو المنع عن نظر العقل وتحصيل العلم، ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة].

خلاصة القول: إن الحسن كان يبذل قصارى جهده في استخلاص النّواحي المتاخمة لأموت والمواضع القريبة منها، وكان يتسلّم كل مكان تيسّر بتبليس الدّعوة، وأما ما لم يفتّر بتغريه فكان يستولى عليه بالقتل والهتك والنهب والسفك والحرب، وكان يستولى على كل ما يستطيع من القلاع، وحيثما كان يجد منطقة صخرية تصلح للبناء أقام عليها قلعة.

(١) لم أستطع أن أعثر على أصل الحديث في أى موضع.

في الأصل: أليست. (المترجم).

(٢) من هذا الموضع وحوالي خمسة أسطر أخرى مكتوبة في ابن اسفنديار.

وكان من بين خواص السلطان ملك شاه أمير يسمى يورناس (ظ: يورنتاش)^(١) [٢٠٠] كانت نواحي الموت إقطاعاً له، فكان يهاجم سفح الموت المرة تلو المرة وكان يقتل ويغير على كل من قبل دعوة (ابن الصباح) وأطاعه حيثما كان، ولما لم تكن القلعة قد رُوِّدَت بعد بالمؤمن فقد ضاق الأمر على المقيمين بها وأصابهم العجز وعزموا على أن يسلموا القلعة لعدد ضئيل من الرجال ويتحولوا عنها إلى مكان آخر، عندئذ ادعى الحسن بن الصباح أن رسالة وصلته من إمامه، يعنى المستنصر، تقضى ألا ينتقلوا من ذلك الموضع؛ فالإقبال منه متوقع، وهكذا استطاع بهذا التمويه أن يجعل القوم يعتقدون العزم على مقاساة الشدائد فتمكّنوا في الموت، وأطلقوا عليها اسم بلدة الإقبال؛ نسبة إلى هذا اللفظ الذى ذكره.

وفى سنة أربع وثمانين وأربعمائة [١٠٩١ - ١٠٩٢م] أرسل أحد دعائه المسمى حسين القابنى إلى قهستان ليتولّى الدعوة بها، فاستجاب له جماعة واستقلّوا

(١) يبدو أن هذه الكلمة الفاسدة في كل النسخ الخطية هي تصنيف "يورنتاش" وهي في التركية بمعنى الحجر الأبيض من (يورن) (يورون، يورونك، أرون، أرونك) بمعنى أبيض (تاش) بمعنى حجر، وفي ديوان لغات الترك لكاشغرى ١: ١٢٠ يقول: "أرنك الأبيض من كل شيء والغزية تسمية آق"، وللکلمة رسم آخر هو أورنكتاش (جامع التواريخ طبع بلوشه ٢٦٥)، ومن نظائر هذا التركيب أرنك قش بمعنى الصقر الأبيض، وتأتى أيضاً بمعنى الطائر الأبيض (الكاشغرى ١: ٢٧٨). ويرنقش رسم آخر للكلمة نفسها وهو من الأعلام التركية المعروفة ويأتى ذكره كثيراً في تاريخ السلاجقة، وأورونك تيمور يعنى الحديد الأبيض وهو أيضاً من الأعلام التركية (حواشى بلوشيه على جامع التواريخ ٢٦٥) وأرنغا (أرنك بوغا) بمعنى الثور الأبيض وهو اسم أشخاص عديدين من أمراء ممالك مصر (المنهل الصافى في باب الألف)، ولم أعثر على اسم هذا الأمير في أى كتاب من كتب التواريخ المعروفة، وكان ابن الأثير فى حوادث سنة ٤٩٤ (ج ١٠: ١٣٢) قد ذكر أصل الموضوع، ولكنه لم يذكر اسم هذا الأمير، وفى تاريخ كزیده ص ٥١٨ كتب اسم هذا الأمير "ألتون تاش" والواضح أنها كلمة مغايرة تماماً وهى تحريف من النساخ أو من المؤلف نفسه.

بإحدى نواحي قهستان، فاعتبر نائبا لحكمهم من قبل الحسن بن الصباح، وكما تقدّم الحسن بن الصباح في الموت بذلوا هم أيضا جهودهم في العمل على إنشاء الدعوة بقهستان واستخلاص النواحي المحيطة بهم وحدودها عن طريق استعمال التزوير^(١) والاستيلاء على القلاع.

[٢٠١] فلما نفّشت حكاية بدعته وامتدت أضرار تلك الطائفة إلى المسلمين المجاورين لهم أنفذ السلطان ملكشاه في أوائل سنة خمس وثمانين وأربعمائة [١٠٩٢م] أميرا يقال له أرسلانتاش؛ لمحاربة الحسن بن الصباح وأتباعه واستئصالهم، فبعد الأمير في جمادى الأولى^(٢) من السنة المذكورة لمحاصرة ألموت، ولم يكن مع الحسن بن الصباح في ذلك الوقت سوى ستين أو سبعين رجلا، ولم يكن لديهم سوى القليل من المؤن، فكانوا يعيشون على ما يسدّ الرمق من قليل القوت، وكانوا منشغلين بحرب المحاصرين وقتالهم. وكان داعي الحسن ابن الصباح، المسمى دهدار بو علي، قد انتقل من زواره وأرستان، وأقام في قزوين، واستجاب له قوم كثيرون من أهل قزوين، كما كان هناك أناس كثيرون قد تقلّدوا الدعوة الصباحية في ولايات الطالقان وكوه بره^(٣) وولاية الري، [٢٠٢] وكان رجوعهم إلى ذلك الذي استوطن قزوين، فطلب الحسن بن الصباح المدد من دهدار بو علي الذي حرض جماعة من أهالي كوه بره والطالقان كما

(١) لم أتمكن من تصحيح هذه الكلمة (العربية) أو معرفة المقصود منها، ولم أعرف هل المعنى المعروف للتزوير وهو المكر والحيلة والخداع هو المراد هنا أم المراد معنى آخر، وفضلاً عن هذا فإن جمع تزوير على تزوير ولو أنه جائز قياساً في الاستعمال إلا أنها تبدو غريبة إلى حد ما وغير مألوفة كما لو جمعنا مثلاً تدليس وتنبيه على تدليس وتنابيه.

(٢) كذا وبالتذكير، قال الفراء: فإن سمعت تذكير جمادى فإنما يذهب به لى الشهر " (لسان وتاج)، قال ابن مكى: ولا يقال جمادى الأولى بالتذكير وجوزة في كلامه على تنقيف اللسان " (صبح الأعشى ٢: ٣٦٧).

(٣) كوه بره هي قطعا بره التي وصفت في نزهة القلوب ٢١٧، ٢١٨ ومن الوصف الذي ورد في نزهة القلوب تنبيه على وجه اليقين أنها منجبل الحالية.

أرسل من قزوين الأسلحة وآلات الحرب وقدم ثلاثمائة رجل من هؤلاء الرجال لمدد الحسن بن الصباح، فالتقوا أنفسهم داخل القلعة وبمعاونة المقيمين في الموت ومظاهرة قوم من أهالي روبرار، كانوا قد اتفقوا وتواعدوا على لقائهم خارج القلعة، أغاروا ليلاً على جيش أرسلانتاش في آخر شعبان من السنة نفسها [سبتمبر - أكتوبر ١٠٩٢]. فانهزم جيش أرسلانتاش بتقدير إلهي وانصرفوا عن الموت وعادوا أدراجهم إلى ملكشاه.

وجزع السلطان ملكشاه من جزاء هذا، ولكنه أصرَّ على استئصال تلك الطائفة، غير أن أجله كان قد وصل إلى نهايته، فتباطأت إجراءات قمع أولئك المخدولين؛ بسبب وفاته وقويت فتنتهم.

وفي أوائل سنة خمس وثمانين وأربعمائة [١٠٩٢م] أوفد السلطان أيضاً أميراً آخر من خواصه يقال له غزل سارغ لدفع ملاحدة قهستان، وأمر جيوش خراسان باتباعه ومعاونته، فحاصروهم غزل سارغ في قلعة [٢٠٣] دره^(١) المتاخمة لسيستان وهي من أعمال مؤمناباد^(٢) واشتغل بقتالهم. فوصله خبر وفاة ملكشاه قبل

(١) دره قرية تبعد عن طبرستان بحوالي خمسة عشر فرسخاً كما تبعد عشرين فرسخاً جنوب شرقي بيرجند وتقع على رأس الطريق الموصل من بيرجند إلى سيستان، وما زالت هناك إحدى القلاع القديمة على القمم الواقعة على حدودها. انظر نزهة القلوب ١٤٦، وجامع التواريخ ٧٢ (نسخة المكتبة الأهلية بباريس *Suppl. Pers 113* ص ١٠٩ ط طهران)، وتاريخ سيستان ٣١، وبلدان الخلافة الشرقية للوسترنج ٣٦٣، والخرائط الأوروبية الجديدة وتكتبه *Duruh, Dera*، والأخيرة هي الإملاء الإنجليزي لهذه الكلمة؛ لأنهم في اللغة الإنجليزية يكتبون الفتحة أحياناً *u* وقد طبعت هذه الكلمة في خريطة إيران لميرزا عبد الرزاق خان المهندس (نقلاً عن الخرائط الإنجليزية دون أدنى شك) دوروه بواوين، وذلك سهو.

(٢) مؤمن آباد ناحية جبلية بين بيرجند وطبرستان تبعد عشرين فرسخاً جنوب شرقي بيرجند وغربي طبرستان وما زالت تحمل الاسم نفسه، انظر نزهة القلوب ١٤٦، وجامع التواريخ 72 = ص ١٠٩ ط طهران، وبلدان الخلافة الشرقية ٣٦٢ والخرائط الجديدة.

استخلاصها، فنهض عنها وتفرق جيشه. وعلى شاكلة طغاة الموت مذ أولئك الجماعة يد التطاول إلى كل طرف من الأطراف، وسحبوا قدم التّعدى، كما قيل:

يَا لَكَ مِنْ قُبْرَةٍ بِمَعْمَرٍ

خَلَا لَكَ الْجَوُّ فَيُضِي وَاصْفِرِي^(١)

وفى بدء^(٢) خروج الحسن كان نظام الملك الحسن بن على بن إسحاق الطوسي -رحمه الله- وزيراً لملكشاه، ولقد بذل غاية جهده في استئصال الفتنة الصباحية من جذورها، وكان يسعى جهده في تجهيز وتسريح العساكر لقمعهم وقسرهم، وذلك لما كان يراه بنظره الثاقب من شمائل أحوال الحسن [٢٠٤]. بن الصباح وأتباعه وهم أمارات الفتن في الإسلام، ولما كان يشاهده من علامات الخلل. فمدّ الحسن بن الصباح مصادم المكائد؛ كي يسترج في فتح الإهلاك منذ الوهلة الأولى صيداً عظيماً، مثل نظام الملك، فيذيع بسبب ذلك صيئ ناموسه. فمهد بشعبدة الغرور ودمدمة الزور والتعبئات المزخرفة والمعميات المزيفة^(٣) لقاعدة الفداوية، فتوجه رجل اسمه أبو طاهر^(٤) الأزاني، ونسبه خسر الدنيا والآخرة، وهو مزود بالضلال (لاعتقاده) بأنه يطلب سعادة الآخرة - إلى حدود نهاوند في منزل

(١) صدره: يا لك من قبرة بمعمر، من جملة أبيات لطرفة بن العبد أو للكميث بن ربيعة التغلبي، انظر

مجمع الأمثال في باب الخاء (طبع مصر ج ١ ص ١٦١) ولسان العرب في مادة ق ب ر.

(٢) من هنا إلى حوالي ١٤ سطراً آخرين مكتوب بالنص في تاريخ ابن اسفنديار.

(٣) لعل الإشارة هنا إلى (الجنة) التي وصفها ماركوبولو في رحلته، وقد نقل نص ماركولو إدوارد برلون

في المجلد الثاني من موسوعته تاريخ الأدب في إيران وهو المجلد الذي ترجمه إلى العربية المرحوم

الأستاذ الدكتور إبراهيم أمين الشواربي، انظر ص ٢٥٣ - ٢٥٥. (المترجم).

(٤) في جامع التواريخ ٧٣ وحبیب السیر جزء ٤ من المجلد الثاني ص ٧٣: أبو طاهر، وقد فضلنا

رسم جامع التواريخ لأن المصنف قد درج على كتابته "بو" من دون ألف فهو مثلاً يكتب اسم

المهدي في ص ١٥٦: بو عبد الله. (المترجم).

يقال له سحنه^(١) ليلة الجمعة الثاني عشر من رمضان سنة خمس وثمانين وأربعمئة على هيئة صوفى. وتقدم إلى محفة نظام الملك وهو متوجه في المحفة بعد الإفطار من البلاط إلى خيمة الحريم قطعنه بخنجر، فاستشهد نظام الملك متأثراً بجراحه، فكان أول شخص قتله الفداوية^(٢).

ولما عاد الحسن بن الصباح من مصر توجه إلى إصفهان، كان قد ذاع صيت مقالته [٢٠٥] وانتسابه إلى الباطنية والدعوة التي كان يقوم بها، وكان الأشخاص الذين جبلوا على نصرة الإسلام والدود عن الدين يطلبونه، فكان يتوارى لهذا السبب^(٣)، وفى إصفهان ذهب إلى دار الرئيس أبى الفضل، الذى كان قد قبل دعوته خفية وأقام بها مدة، وعندما كان الرئيس يقابله يتبادلان أطراف الحديث ويناقشان همومهما ومتاعبهما، وذات يوم -فى أثناء الشكوى من الزمان وحكاية

(١) قرية من توابع كرمانشاه ما زالت باقية باسمها حتى الآن. (المترجم).

(٢) آخر الفقرة المعادلة لابن اسفنديار.

(٣) يضيف رشيد الدين في هذا الموضوع (جامع التواريخ)، (الجزء الخاص بالإسماعيلية ص ١١٠ - ١١٢ طبع طهران) قصة الأصدقاء الثلاثة وهم الحسن بن الصباح ونظام الملك وعمر الخيام (ونجد هذه القصة منقولة إلى الترجمة العربية للمجلد الثاني من موسوعة براون ١، *literary History of Persia vol. II* للمرحوم الدكتور إبراهيم أمين الشواربى ص ٢٣٦ - ٢٣٨)، وهى مذكورة أيضا في تاريخ كزیده لحمد الله المستوفى، وروضة الصفا لميرخوند، وحبيب السير لخواندامير، وتذكرة الشعراء لدولتشاه، والكتائب المنسوب لنظام الملك "الوصايا"، كذلك في مقدمة رباعيات الخيام المنشورة بالفارسية والإنجليزية. وانظر تحليلاً لهذه القصة في كل من: كتاب براون في الموضوع المذكور، وحواشى القزوينى على چهار مقالة لنظامى عروضى السمرقندى طبع ليدن ص ٢١٦ - ٢١٧، ومقال لوكهارت في مجلة مدرسة الدراسات الشرقية بلندن المجلد الخامس سنة ١٩٢٩ بعنوان: *Hasan- I- Sabbah and The Assassins B.S. O.* - *A. S. 1929 Vol. I pp. 676 - 696* ومقال بوين في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية بعنوان: *The Sar - Gudhasht _i Sayyidna, The Tale of Three School Fellow and The Wasaya of The Nizam el-Mulk by Harold Bowen, J.R.A.S. 1931, pp. 782-771* والرائى العلمى السائد الآن بالنسبة إلى هذه القصة أنها أسطورة اختلقها الإسماعيلية؛ ليضعوا زعيمهم الحسن بن الصباح في مصاف وزير عظيم له خطورته وشهرته مثل نظام الملك، أو رياضى فيلسوف كعمر الخيام. (المترجم).

تعصب السلطان وأركان دولته- تأوّه الحسن بن الصباح، وقال: "وأأسفاه! لو كان معي رجلان قلبا واحدا لكنت قلبت هذا الملك رأسا على عقب"، فظنّ الرئيس أبو الفضل أن الحسن قد أصيب بأعراض الماليخوليا من كثرة الفكر وشدة الخوف ومباشرة الأسفار المحفوفة بالخطر، وإلا فكيف يمكنه بشخصين متّحدين أن يقلبا رأسا على عقب ملكا لسلطان تقع تحت خطبته وسكّته البلاد من مصر إلى كاشغر ويسير تحت لوائه الألوف ما بين راجل وراكب، يجعل العالم يضطرب بإشارة واحدة، فأمعن النّظر في هذا، وقال لنفسه: "إنه ليس رجلا من أهل اللغو والقول الجزاف، فلا شك أنه أصيب بمرض عقلي"، وعلى ضوء هذا الظنّ أخذ يعدّ العدة لعلاج مرض الماليخوليا دون أن يطلّع الحسن. فأعد مشروبات معطرة وأغذية مقوية للمزاج ومرطّبة للدماغ تناسب من يعاني من مثل هذه العلة، وحملها إليه في الوقت المعتاد لتناول شرايه وطعامه، وعندما شاهد الحسن بن الصباح نوع الشّراب والطعام وقف على ما يدور في خلد الرئيس أبي الفضل وعزم على الرّخيل في الحال، ولقد أكثر الرئيس من التضرّع [٢٠٦] والرّجاء، ولكنه رفض البقاء. ويقال: إنه ذهب إلى كرمان^(١)، ثم عاد بعد ذلك وتمكّن من الموت، وقتل نظام الملك على يد القدائيين، ومات السلطان ملكشاه بعد نظام الملك بأربعين يوما، واختلتّ أمور المملكة واضطربت أحوالها وظهر الاضطراب والفوضى في الولايات. وانتهازا لتلك الفرصة قوى أمر الحسن بن الصباح فكان يلجأ إليه كل من أصابه خوف، فانتهز الرئيس أبو الفضل المذكور فرصة وذهب إلى الموت، وانخرط في زمّته، وذات يوم اتّجه الحسن إليه وقال: "لا نعرف على وجه التحقيق من منا كان مصابا بالماليخوليا أنا أم أنت؟ لقد رأيت أنّي عندما وجدت رفيقين لمعاونتي وقّيت بقولي وبرهنت على دعواي". فخرّ الرئيس أبو الفضل ساجدا عند أقدامه وطلب المغفرة.

(١) جامع التواريخ ٧٥ = ص ١١٣ ط طهران إلى مصر، وهذا خطأ فاحش، فالواضح أن الجويني قال في بداية هذه الحكاية: ولما عاد الحسن بن الصباح من مصر توجه إلى إصفهان، فلا بد أن تكون هذه الواقعة قد حدثت إذن بعد عودته من مصر وليس قبل عودته.

وبعد^(١) نظام الملك بفترة طعنوا اثنين من أولاده بالخنجر على دفعتين، فأما أولهما المسمى أحمد^(٢) فقد أصيب بالشلل في بغداد، [٢٠٧] كما طعنوا فخر الملك^(٣) بالخنجر في نيسابور، ثم إنه أخذ بعد ذلك في قتل الأمراء والقواد والمشاهير الواحد تلو الآخر بحيلة الفداوية، فكان يتخلص من كل من يتعصب معه بهذه الحيلة، ويطول بنا المقام لو ذكرنا أسماءهم^(٤)، ومن أجل هذا ابتلى القريب والبعيد من أصحاب الأطراف بحبهم وبغضهم فكانوا واقعين في ورطة الهلاك، أما المحبون فكان ينطبق عليهم حكم «خسر الدنيا والآخرة» لما كان سلاطين الإسلام يقومون به من قهرهم واستئصالهم، وأما المبغضون فكانوا يلوذون بقص التحفظ والحيلة لما كان يتميز به من مكر وحيلة فقتل منهم الكثيرون.

ولما دبّ النزاع بين بركيارغ وأخيه محمد، ولدى السلطان ملكشاه، وظهر الاضطراب والخلل في المملكة اتفق الرئيس المظفر الذي كان حاكم دماغان مع

(١) في جامع التواريخ ٧٥ = ص ١١٣ ط طهران: وقيل واقعة نظام الملك، وذلك خطأ فاحش.

(٢) يعنى أبا نصر أحمد بن نظام الملك الذى كان ملقباً بلقب أبيه نظام الملك، وقد عين من سنة ٥٠٠ - ٥٠٤ وزيراً للخليفة المسترشد بالله، وتوفي في بغداد سنة ٥٤٤، وقد وقعت حادثة طعنه بالخنجر على يد الباطنية في سنة ٥٠٣ هـ في جامع بغداد، انظر ابن الأثير في حوادث سنوات ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥١٦، ٥١٧، ٥٤٤، وتاريخ السلجوقية للعماد الكاتب ص ٩٦ - ١٠٢ ويكتب لقبه ضياء الملك، وراحة الصدور ص ١٥٢ - ١٦٢ - ١٦٥.

(٣) يعنى فخر الملك أبا الفتح المظفر بن نظام الملك، اختاره تتش أرسلان وزيراً له في سنة ٤٨٧ هـ. ثم عمل وزيراً في السنة التالية لبرقيارق بعد قتل تتش، ونال وزارة السلطان سنجر في حدود ٤٩٠ هـ وبقي فيها عشر سنوات إلى أن توفي، وقد قتل بيد الباطنية في نيسابور سنة ٥٠٠ هـ، انظر ابن الأثير في حوادث سنوات ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٩٠، ٥٠٠، وتاريخ السلجوقية للعماد الكاتب ص ٨٦، ٢٦٥، وراحة الصدور ص ١٣٩، ١٤٣.

(٤) نجد أسماءهم في جامع التواريخ القسم الخاص بالإسماعيلية طبع طهران ص ١٣٤ - ١٣٧. (المترجم).

منوبه الأمير داد حبشى^(١)، على أن يطلب قلعة گردكوه من السلطان بركيارق، [٢٠٨] فقرن السلطان ملتسمه بالإجابة. فذهب الرئيس المظفر بوصفه نائباً عن حبشى إلى قلعة گردكوه وأنفق في عمارتها واستحكاماتها أموالاً طائلة. ونقل كل خزائن منوبه إليها، فلما استظهر بالذخائر والخزائن أظهر سر معتقده بقبول الدعوة لصاحب البدعة والتزام طريقة الكفر والإلحاد، وأقام في القلعة أربعين سنة من قبل الحسن بن الصباح حتى نهاية عمره، وحفر بئراً في فصيل گردكوه في الحجر الصلد، وتعمق ثلاثمائة ذراع، فلما لم يصل إلى الماء ترك الحفر، وبعد وفاته بسنوات وقع زلزال فتفجرت عين في البئر.

مجمل القول: إن أمر الحسن ودعوته قد ارتفعا بمعاوضة الرئيس المظفر الذي كان سداً منيعاً وشرّاً بليغاً. وكان المقيمون في قلعة لمسر^(٢)، وهى تقع أيضاً في رودبار بالموت، يرفضون دعوته فأرسل أحد رفاقه المسمى كيابزرك أميد مع جماعة من الملاحدة فتسلق القلعة خفية في ليلة الأربعاء العشرين من ذى القعدة سنة خمس وتسعين^(٣) وأربعمائة [١٠ من سبتمبر ١١٠٢م] [٢٠٩] وقتل ساكنيها، وأقام بزرگ أميد عشرين عاماً في تلك القلعة، ولم يكن ينزل منها إلا عندما يستدعيه الحسن.

(١) الأمير داد حبشى بن التونتاق من أمراء السلاجقة المعروفين وكان والياً على خراسان وقتل في سنة ٤٩٣ هـ في الحرب التي نشبت بينه وبين سنجر (انظر جهانگشاي ج ٢ ص ٢، ٣، ج ٣ ص ١٩٥).

(٢) زارت الأنسة فرياستارك أطلال لمسر في سنة ١٩٣١م، ووصفت مشاهداتها في تلك المنطقة في فصل كتبه بعنوان قلعة الحشاشين في لمسر، وهو الفصل الرابع من كتابها *The Valleys of The Assassins*. (المترجم).

(٣) جامع التواريخ نسخة باريس ورقة ٧٦: وثمانين، طبع طهران ص ١١٥: تسع وثمانين.

وكان للحسن بن الصباح ولدان، أحدهما يقال له الأستاذ حسين، وكان في قلعة الموت علوى يقال له زيد بن حسنى، وقد كان يدعو لنفسه سرًا، وكان قد أوشك على أن يضع نهاية لأمر الحسن بن الصباح، وفي بداية الأمر قُتل حسين القاينى^(١) الذى كان داعى قهستان بيد حسين^(٢) الدنياوندى، فاتهم الأستاذ حسين بن الصباح بدم حسين القاينى، فأمر الحسن بقتل ابنه وأحمد^(٣) [٢١٠] الدنياوندى. وبعد مضى عام وقف على حقيقة الأمر فقتل العلوى بابنه الذى قُتل.

ولما كان الحسن بن الصباح قد وضع أساس العمل والناموس على الزهد والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٤)، فلم يشرب أحد في ملكه الخمر جهارا أو يصبها في جرة طوال خمسة وثلاثين عاما^(٥) أقامها في الموت، وقد وصل به الأمر إلى أنه طرد من القلعة رجلا كان يضرب على النأى فلم يعد إليها مرة ثانية، وكان ابنه الآخر واسمه محمد قد اتهم بشرب الخمر فأمر بقتله، وكان من عادته أن يشير إلى أنه إزاء قتل ولديه الاثنين لن يتصور أحد بعد وفاته أنه كان يقوم بالدعوة من أجلهما وأن ذلك كان هدفه.

(١) حسين القاينى من دعاة الحسن بن الصباح المعروفين.

(٢) يبدو من سياق العبارة بعد ثلاثة أسطر أخرى أن "أحمد الدنياوندى" ينبغي أن يكون في مكان "حسين الدنياوندى" ويظهر أن هذا هو الصواب. وربما كان النساخ، أو المصنف نفسه - نظرا لكثرة تكرار أسماء الحسن وحسين وحسنى وقد وردت هذه الأسماء عدة مرات على التوالى في هذه الأسطر الثلاثة - قد أبدلوا "أحمد" بـ "حسين" دون قصد.

(٣) الحاشية السابقة.

(٤) ليس "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" كالمصطلح المستعمل اليوم.

(٥) جامع التواريخ ٨٢: ثمانية وثمانين = ص ١٢٤ ط طهران: ثمانية وثلاثين.

وعلى منوال هذا الناموس حدث ذات مرة أنه أرسل في وقت الحصار^(١) امرأته مع ابنتيه [٢١١] إلى گردكوه وكتب إلى الرئيس المظفر: "إذا قام هؤلاء النسوة بالعمل على المغزل من أجل الدعوة فأعطين أجر حاجتهن". ومنذ ذلك الوقت لم يكن حكامهم^(٢) يحتفظون بنسائهم إلى جانبهم أثناء تأديتهم لوظيفتهم.

ولما تمادى الاستيلاء الصباحى واستفحل جمع السلطان محمد بن ملكشاه الجيوش لاستئصالهم، وأرسل على رأسها نظام الملك أحمد بن نظام الملك. فطوق الموت وأستاوند القرية منها على شاطئ أنديج^(٣)، ونشب بينهم القتال فترة من الوقت وأتلفوا غلّتهم، فلما [٢١٢] عجز عن إنجاز مهمته خرج الجيش من رودبار، وعمّ قلاعهم غلاء عظيم حتى اقتاتوا بالعشب، وقد أدّى ذلك بهم إلى أن دفعوا بنسائهم وأبنائهم إلى كل صوب، كذلك أرسل هو الآخر امرأته وابنتيه إلى گردكوه، وكان الجيش يهاجم رودبار المرة تلو المرة طيلة ثمانى سنوات متصلة فيتلف الغلال، وكان الجانبان منشغلين بالقتال، فلما عرف (السلطان محمد) أنه لم يعد لدى الحسن ورجاله قوت ولا قوة أمر الأتابك نوشتكين شير گیر^(٤) على الجيوش في أول سنة إحدى

(١) يعنى محاصرة الموت التي استمرت ثمانى سنوات وقام بها جنود السلطان محمد بن ملكشاه، وكما سيصرح المصنف في الصفحتين التاليتين.

(٢) ترجمنا كلمة "محتشم"، وكان يعبر بها عن الرئيس المحلى في دولة الإسماعيلية في إيران، إلى: حاكم (انظر كتاب "المغول في التاريخ" للأستاذ الدكتور فؤاد الصياد ص ١٤٦). (المترجم).

(٣) المقصود هو نهر أندج بفتح ألف وسكون نون وكسر دال مهملة وفى الآخر ج وهو أحد فروع نهر الموت وما زال هذا الاسم (يعنى "أندج رود") يطلق عليه حتى الآن، واسم ناحية أند جرود الذى مر مأخوذ من اسم هذا النهر. أما نهر الموت فالمعروف أنه عبارة عن الفرع الشمالى من الفرعين الكبيرين لنهر شاهرود. وفرعه الجنوبى هو نهر الطالقان.

(٤) الأمير نوشتكين المعروف بشيرگیر كان من أمراء السلاجقة المشهورين، وقد قتل في سنة ٥٢٥ هـ بامر أبى القاسم ناصر بن على الدرگزى الأنسابادى وزير السلطان محمود بن ملكشاه (ابن الأثير في حوادث سنة ٥٢٥ هـ، ج ١٠: ٢٨٥).

عشر(ة) وخمسمائة وأمره بأن يحاصر القلاع من الآن فصاعداً، وفي أول شهر صفر حاصروا لمستر، وفي الحادى عشر من ربيع حاصروا الموت، وأقاموا المجانيق واشتدّت الحرب بين الفريقين حتى ذى الحجة من السنة نفسها، ولما أن أوشكوا على الاستيلاء على القلاع وتخليص الخلق من فتنهم وصل الخبر بوفاة السلطان محمد بن ملكشاه في إصفهان، فتفرقت الجيوش، وظل الملاحدة أحياء، وسحبوا الذخائر وآلات الحرب والأسلحة التي كان الجيش قد حشدتها إلى داخل قلاعهم.

لما^(١) كان لكل حظّ غايّة ولكل أمر نهاية قدر الحق تعالى بكمال علمه وقدرته حدّدها ووقّتها [٢١٣] في أزل الأزال، وإلى أن تحين تلك الساعة لن يتسنى لشيء أن يتم بأى حال من الأحوال حتى لو استعملت القوة الوفيرة والآلة والعدة، والدليل على ذلك أن فتح هذه القلاع واستئصال هذه البقاع كان منوطاً بظهور دولة سلطان العالم منكوقاً أن وكان منضبطاً بقوة وشوكة وحركة أخيه سلطان الدنيا هولأكو، الذى قلب في الحقيقة كل أماكنهم ورباعهم أصلاً ورأساً في أسبوع واحد، فكان جديراً بأن ينطبق عليه الحكم ﴿جَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلًا﴾ [٨٢] ﴿هُود﴾ مما سيأتى شرحه عقب ذلك، فلم تكن مخاصمة^(٢) ابن أخى السلطان سنجر لتوجد مجالا لتدارك أمر الملاحدة، فاستعادوا قوتهم مرة أخرى، فلما استقرّ الملك للسلطان سنجر بدأ بإرسال الجند إلى قهستان لتدارك أمرهم، فاستمرت المخاصمة التامة عدة سنوات، وكان الحسن بن الصباح يرسل الرّسل لتحرى^(٣) الصّلح، ولكنه لم يكن يجاب إلى طلبه فخدع الحسن بن الصباح جماعة من خواصّ السلطان بأنواع المصائد [٢١٤] فكانوا يحفظون غيبه أمام

(١) جواب (لما) هو: "لم تكن مخاصمة ابن أخى السلطان سنجر ... إلخ".

(٢) والمقصود بمخاصمة السلطان سنجر الخلاف والنزاع الذى دب بين السلطان محمود بن ملكشاه وعمه السلطان سنجر بعد وفاة أبيه كما ترد مفصلة في كتب التاريخ.

(٣) التحرى: القصد والاجتهاد في الطلب. وقوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ نَحْرَوْنَ رَشَدًا﴾ [١١] ﴿الجن﴾؛ أى تورّخوا وعمدوا (السان).

السلطان، وخدع أحد الخدم بمال خطير وأرسل خنجزا غرسوه في الأرض أمام سرير السلطان في ليلة كان السلطان قد نام فيها ثملا، فلما استيقظ ورأى السكين ساوره القلق، ونظرا لأن التهمة لم تثبت على أحد أشار بأن يظل الأمر سرا، فأرسل الحسن بن الصباح رسولا وأعطاه رسالة مضمونها "لو لم تكن إرادة الخير بالسلطان قائمة لكان أجدر بذلك الخنجر الذي غرس في الأرض الصلبة أن يغرس في صدر السلطان اللين". فخاف السلطان، ومال لمصالحتهم لهذا السبب، قصارى القول: إن السلطان كف عن مهاجمتهم؛ بسبب هذا التمويه، فارتقى أمرهم في عهده. وسمح لهم بإدراك قدره ثلاثة آلاف دينار من خراج أملاكهم في ناحية قومش، كما عينهم للحراسة ولجباية قدر ضئيل من المال من أبناء السبيل أسفل كردكوه، وما زالت هذه العادة باقية حتى الآن. ولقد رأيت مجموعة من المنشورات السنجرية لاستمالتهم وتملقهم كانت قد ظلت محفوظة في مكتبهم، ومنها استطعت أن استدل على وفور إغضاء السلطان وإغماضه [٢١٥] ونشدهانه للسلام معهم. خلاصة القول: إنهم نعموا في عهده بالراحة والرعاية.

وفي أيام السلطان أيضا مرض الحسن، في شهر ربيع الآخر سنة ثمانى عشرة وخمسمائة [مايو - يونيه ١١٢٤م]، وأرسل رجلا إلى لمسر يستدعى بزرگ أميد، وعينه مكانه، وجعل على ميمنته دهدار بو على الأردستاني وخصه بديوان الدعوة، وجعل الحسن بن آدم القصراني على ميسرته، كما جعل كيا با جعفر، الذى كان صاحب الجيش، أمامه، وأوصى بأن يتم تدبير الأمور باتفاق الأربعة جميعا واستصوابهم إلى أن يأتى الإمام إلى ملكه، وسارع الحسن ليلة الأربعاء السادس من ربيع الآخر سنة ثمانى عشر (٥) وخمسمائة [٢٣ من مايو ١١٢٤م] إلى نار الله وسقره.

ومنذ ذلك اليوم الذى صعد فيه الحسن بن الصباح إلى القلعة - كما سبق أن ذكرنا - إلى أن توفي، بعد خمسة وثلاثين عاما، لم ينزل من القلعة مرة واحدة ولم يخرج من القصر الذى كان يقيم فيه سوى مرتين، وصعد إلى سطح [٢١٦] القصر مرتين؛ إذ إنه اعتكف باقى أوقاته داخل القصر يطالع الكتب، ويشغل بتقرير كلام بدعته وتكبير أمور

المملكة. ويؤثر عن الصابي أنه عندما كان يؤلف تاريخ التاجي قال لصديق سألته عما يشغله: «أكاذيب ألقفها وأباطيل أنمقها»^(١)، حديث خرافة يا أم عمرو^(٢).

ذكر سلطنة كيا بزرگ أميد

لما جلس بزرگ أميد هو ورفاقه الآخرون استمزم في انتاج المنهج نفسه وسلوك ذات المسلك الصباحي طيلة عشرين عامًا^(٣)، وأخذ يحكم البناء **عَلَى شَعَا جُرُفِي هَكَر** ﴿١٩﴾ [التوبة]. ولما كانت دولة السلطان سنجر ما زالت قائمة فلم يكن هناك أحد يجد في إقلاع^(٤) قلاعهم وهدم بقاعهم.

(١) انظر ابن خلكان في ترجمة الصابي (إبراهيم بن هلال)، وقد نقل ابن خلكان هذه العبارة بعكس ترتيبها هنا: أباطيل أنمقيا وأكاذيب ألقفها.

(٢) مصراع بيت لعبد الله بن الزبير الشاعر المشهور الذي عاصر الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصدره: حياة ثم موت ثم نشر. ذكره الثعالبي في ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (طبع مصر، ص ١٠٢)، وانظر مجمع الأمثال للميداني في باب الحاء المهملة لمعرفة أصل "حديث خرافة"، وانظر أيضًا شرح مقامات الحريري للشريشي (ج ١ ص ٨٢) وبه تفصيل ممتع للغاية فيما يتعلق بأصل هذا الحديث.

(٣) على الرغم من وجود كلمة "عشرين عامًا" في أغلب النسخ الخطية القديمة لجهانگشاي، وكذلك في جامع التواريخ ٨٩ = ص ١٣٧ ط طهران فإن هذه الكلمة على وجه القطع واليقين وبدون أدنى شبهة، غلط فاحش وخطأ بين؛ لأن مدة سلطنة بزرگ أميد باتفاق المؤرخين ومن بينهم المؤلف كانت أربعة عشر عامًا وليست عشرين؛ ذلك لأن وفاة الحسن بن الصباح وقعت في ٦ من ربيع الآخر سنة ٥١٨ هـ كما ذكر المصنف في السطور القليلة السابقة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد صرح المصنف في ص ١٨٠ بأن وفاة بزرگ أميد كانت في ٢٦ من جمادى الأولى سنة ٥٣٢ هـ، ومن الواضح أن الفترة بين هذين التاريخين تبلغ أربعة عشر عامًا وشهرين وعشرين يومًا وليست عشرين عامًا، فضلاً عن هذا الاستنباط فإن تاريخ كزیده ص ٥٢١ وحبيب السیر الجزء الرابع من المجلد الثاني ص ٦٢ يحددان مدة حكم بزرگ أميد بصراحة ووضوح بأربعة عشر عامًا وشهرين وعشرين يومًا، فليس خطأ كلمة (عشرين عامًا) موضعاً للشك والشبهة أصلاً، وربما كان هذا الخطأ موجوداً في المصدر الإسماعيلي المشترك الذي استقاده به كل من الجويني ورشيد الدين وليس من النساخ المتأخرين.

(٤) إقلاع بوزن إفعال بمعنى الاستئصال، لم يتفق لنا العثور عليها في كتب اللغة المعتمدة، وقد جاءت فقط بهذا المعنى كل من: قلع، مجردة، واقتلاع (افتعال)، وتقليع (تفعيل).

وفى تلك الفترة جرت منافرة بين أمير المؤمنين المسترشد بالله وبين السلطان مسعود السلجوقي، الذي كان حاكماً للعراق وأذربيجان نيابة عن عمه السلطان سنجر، وسبب ذلك أنهم كانوا في تلك الأيام في بغداد يذكرون اسم السلطان الغائب في الخطبة بعد اسم الخليفة، وفقاً لما كان يجرى عليه الحال في عصر آل بويه، ولكن السلطان مسعوداً لم يكن يُذكر على المنابر، فاستقر في خاطره العزم على مهاجمة بغداد، فأراد المسترشد بالله أمير المؤمنين أن يبادر هو فيسبقه على رأس [٢١٨] جيش كثيف، فلما وصل بالقرب من همدان تقدّم السلطان مسعود بجيشه من الناحية المقابلة، فغدر جماعة من جيش بغداد وانضموا إلى جيش السلطان، وأسر وزيره وكلّ أركان دولته، فأمر السلطان مسعود جنده بالآلا يؤذوا مخلوقاً أبداً من جيشه وأن يقتعوا بالمال والغارة، ولم يهلك من الجانبين في هذه المعركة سوى خمسة أنفس.

وقد حبس السلطان مسعود أركان دولة الخليفة بأسرهم في القلعة، ولكنه التزم حرمة أمير المؤمنين، فسار في صحبته إلى مراغة، وأرسل رجلاً إلى عمه السلطان سنجر ينهى إليه ما حدث، وقد اتفق أن وقعت في تلك الأيام زلازل متواترة وصواعق مترادفة، فأوقعت الرياح العاصفة الدنيا في الاضطراب، فنسب الناس ذلك إلى وقوع هذا الحادث، فأرسل السلطان سنجر وكتب خطاباً إلى السلطان مسعود مضمونه ما يلي: «يتعين على ابن غياث الدين مسعود حالما يطلع على هذا المنشور أن يتوجّه لخدمة أمير المؤمنين وبعد تقبيل تراب بلاط [٢١٩] حامى العالم يلتمس الصفح الجميل من الجرائم والأثقال^(١) التي كانت سبباً للخذلان، وأن يستغفر من بادرآت الزلل، وأن يعلم أنني أعرف أن وقوع هذه الحادثة هو السبب في حدوث مختلف الصواعق وهبوب رياح العواصف التي لم يشاهدها أحد قط في هذا العصر، والتي استمرت عشرين يوماً حتى الآن، ولذا

(١) والأثقال: الذنوب وقوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣] أى: أثامهم. (تاج العروس).

كنت أخشى أن يضطرب الجند والخلق من جزاء هذا الاختلال، وليعلم، والله، أن تلاقى هذا الأمر واجب، وليعد ذلك فرضاً عيناً».

ويمكن الاستدلال بما حدث على ما كان عليه السلطان من خشية الله ونقاء العقيدة.

ولقد توجه السلطان مسعود ممثلاً للأمر إلى حضرة أمير المؤمنين، وبعد تقديم الاعتذار والتزام الاستغفار والإقرار بالآثام والأوزار التمس العفو، وقد حمل السلطان مسعود غاشية أمير المؤمنين تبركاً وتيمناً، وسار راجلاً أمام حصانه إلى خيمته التي كان قد أقامها له، فلما استقرَّ أمير المؤمنين على العرش انتصب السلطان واقفاً على قدميه في موضع الحجاب ومقام النواب.

وأرسل السلطان سنجر مرة أخرى رسولا (لإبلاغهم) أنه إذا كان أمير المؤمنين يفكر الآن في التوجه إلى دار السلام فلا بد أن يتخذ في هذا الصدد الاستعداد والترتيب اللائق بحضرته، وإعلان هذا الأمر أرسل السلطان سنجر أحد المعتمدين^(١) من بين كبار المقرّبين إليه برسالة إلى السلطان مسعود. [٢٢٠] فركب السلطان لاستقبال الرسول، فانتهاز جماعة من ملاعين الفداوية والملاحدة فرصة خلوّ البلاط من الجند والحراس فدخلوا فجأة على أمير المؤمنين وطعنوه بالخناجر في السابع عشر من ذي القعدة سنة تسع وعشرين وخمسائة. [٢٩ من أغسطس ١١٣٥م] فجزع السلطان مسعود جزعاً شديداً، وأقام عزاء عظيماً يليق بالجانبين، ودفن أمير المؤمنين في داخل مراغة^(٢).

(١) يطلق عليه كل من العماد الكاتب (ص ١٧٧ = ص ١٦٢ ط مصر) وابن الأثير (١١: ١٢):

يرنقش قرآن خوان.

(٢) «وبقى حتى دفنه أهل مراغة» (ابن الأثير ١١: ١٢).

وكان جماعة من قصار النظر وسيئ الطوية بالنسبة إلى الدولة السنجرية ينسبون هذا الحادث إلى حضرة السلطان سنجر^(١)، ولكن كذب المنجمون ورب الكعبة، فحسن طوية السلطان سنجر ونقاء سريرته في اتباع الدين الحنيف والشريعة وتقويتها، وتعظيمه لكل ما يتعلق بدار الخلافة، إلى جانب شفقتة ورأفته [٢٢١] - كل ذلك واضح بحيث لا يمكن أن ينسب إلى حضرته أمثال هذا البهتان وأشكال هذا التزوير، فقد كان منبع الصِّفح ومنشأ الرَّأفة. مجمل القول والكلام يَجِرُّ بعضه بعضًا، أنا وصلنا إلى ما نريد أن نقول، فقد ظل بزرگ أميد جالسًا على رأس الضلال في دست^(٢) الجهل حتى السادس والعشرين من جمادى الأولى (صح: الأولى) من سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة [٩ من فبراير ١١٣٨م]، حيث سحق تحت أقدام الهلاك واشتدت لهيب الجحيم من حطب جثته.

ذكر سلطنة محمد بن بزرگ أميد

أما ابنه محمد الذي كان قد جعله وليًا لعهدده قبل وفاته بثلاثة أيام، فقد شايع^(٣) سنَّته بحكم ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ فِتْنَةٍ﴾ [الزخرف]، كما كانت خاتمة أبيه

(١) من بين الأشخاص الذين يرون أن المسترشد قتل بتحريض من السلطان سنجر العماد الكاتب في تاريخ السلجوقية ص ١٧٨ = ص ١٦٢ ط مصر: "عرف بقرائن الأحوال أن سنجر سير الباطنية لقتله وما أشنع وما أفظع ما أقدم عليه من فعله".

(٢) يعنى في مسند أو عرش.

(٣) شايعه: قَواه وتابعه.

الوخيمة هي قتل المسترشد بالله كانت فاتحته الدمية قتل ابن المسترشد الراشد بالله،
وسبب ذلك ما يلي:

لما جلس الراشد للخلافة مال البعض لخلعه بينما تمسكت طائفة بقرارها في
مبايعته، وبعد أن اشتبك مع السلطان مسعود في عدة مواقع استقر عزمه على السير
من بغداد لقصد الملاحدة والثار لدم أبيه، فأصيب بمرض في الطريق ووصل إلى
إصفهان وهو لا يزال على حالته من الوهن، فدخل عليه في بلاطه جماعة من
مخاديل الفداوية فجأة وطعنوه بالخناجر^(١)، وقد دفن هو أيضاً حيث قتل. ومنذ ذلك
الوقت عاد الخلفاء العباسيون إلى الاختفاء واحتجبوا عن الخلق.

وكان محمد بن بزرك أميد، متابعاً لمذهب الحسن بن الصباح وأبيه، يبذل قصارى
جهده في إحكام قواعد المذهب، ودأب على انتهاج نهجهم في إقامة رسوم الإسلام والتزام
الشرع (على النحو) الذي أظهموه [٢٢٢]، إلى أن توفي في الثالث من ربيع الأول سنة
سبع وخمسين وخمسمائة [٢٠ من فبراير ١١٦٤م] والحق ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا
﴿١٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ ﴿١٤﴾﴾ [الكهف].

(١) في ٢٥ أو ٢٦ رمضان سنة ٥٣٢ هـ (ابن الأثير ١١: ٢٨، العماد الكاتب ص ١٨٠ = ص
١٦٢ ط مصر).

ذكر ولادة الحسن بن محمد بن بزرك أميد

ولد الحسن في سنة عشرين وخمسمائة [١١٢٦ - ١١٢٧م]. ولما قارب البلوغ استولت عليه الرغبة في تحصيل وبحث أقاويل مذهب الحسن بن الصباح وأسلافه، فتنبّع باتقان كلام الدّعوة في طريقة الصباح والزاماته، وصار بارعاً في تقرير مذهبهم، فلما قام بخلط ذلك النوع من الكلمات بمواعظ المتصوفة وطرقهم، وصبّ في تخريجاته الشخصية الغثّ والسّمين في هذا القالب، كان يردّد على الدوام في عهد أبيه محمد، الكلمات الخطابية وأمثالها التي يعجب بها العوامّ والنّاقصون من النّاس منذ النظرة الأولى التي يسمونها النظرة الخرقاء^(١)، كما كان يقول باستحسان تلك الدّعوة، ويزيد من خداع أولئك القوم، ولما كان أبوه عارياً من هذا الفن فقد بدأ ابنه بهذه التّلبيسات والتّزويقات^(٢) عالماً متفوّقاً إلى جانبه، فكان من أجل ذلك يرفع من ضلالات أهل الجهالة؛ رغبة في أن يتابعه العوامّ. [٢٢٤] ونظرًا لأنهم لم يكونوا قد

(١) لا شك في أن المصنف يقصد أن يشير إلى المثل المعروف "النظرة الأولى حمقاء" (أي خادعة وقائمة على غير أساس، والمقصود من ضرب هذا المثل هو وجوب التّروى والتّفكير وتجديد النظر؛ فالنظرة الأولى غير كافية؛ لأنها في الغالب خاطئة واهية). وننتهي من هذا إلى أن هذا المثل لم يكن يعين العبارة في ذهن المصنف، وأنه نقله من حافظته فبذل حمقاء بخرقاء، ومعناها واحد، انظر في المثل المذكور ذيل مجمع الأمثال للميداني (لقرينغ) ج ٣ ص ٥١٣ نقلاً عن المستصفي في الأمثال للزمخشري وعن غاية الكمال في شوارد الأمثال لشرف الدين إسماعيل المعري.

(٢) التّزييق معناه التّزيين؛ والتّحسين الظاهري والتمويه والتّلبيس - قال في تاج العروس: 'والتّزييق والتّزيين: والتّحسين، زوقت الشيء إذا زينته وموهته وكلام مزوق، أي محسن، وقد زوقه تزويقاً، ويقال: هذا كتاب مزور مزوق' انتهى. أصل الكلمة معناه الطلاء بالزّييق.

سمعوا مثل تلك المقالات من أبيه بدعوا يظنون أنه هو الإمام الذي وعدهم به الحسن بن الصباح، فاشتدّت محبة الطائفة له وكانوا يسارعون إلى متابعتة.

فلما سمع أبوه محمد بهذا الحال ووقف على مظانّ القوم، وكان متشدداً في التزام مبادئ أبيه والحسن^(١) فيما يختص بالدعوة إلى الإمام وإظهار شعار الإسلام^(٢)، عدّ سلوك ابنه معارضاً لتلك المبادئ، وأنكره عليه إنكاراً بليغاً، وجمع الناس وقال: "هذا الحسن ابني، وأنا لست الإمام، بل إنني داع من دعائه، وكل من يعير هذا الكلام أذنًا صاغية ويصدقّه يعدّ كافراً لا دين له". وعلى هذا الأساس أنزل بالقوم الذين سلّموا بإمامة ابنه أنواع المطالبات والعقوبات، وقتل مائتين وخمسين نفساً في القلعة من المتهمين دفعة واحدة وربط جثثهم على ظهور مائتين وخمسين من المتهمين بالتهمة نفسها، وأخرجهم من القلعة، وبهذه الوسيلة انزجروا وامتنعوا.

ولقد استولى الخوف على الحسن نفسه من تبعة ما حدث، واشتدّت خشيتّه من أبيه، فكتب فصولاً في التبرؤ من تلك التهمة والتباعد عن تلك المقالة [٢٢٥] وطعن في الجماعة التي كانت تظن مثل هذه الظنون ولعنهم، وبذل قصارى جهده في إبطال هذه الأقوال وتثبيت مذهب أبيه وتوطيده وألّف الرسائل التي ما زالت ألفاظها مشهورة حتى الآن بين تلك الطوائف.

(١) يعنى الحسن بن الصباح.

(٢) يعنى أن محمد بن بزرك أميد كان متشدداً ومتصلباً في اتباع طريقة أبيه بزرك أميد والحسن ابن الصباح والعمل بسيرتهما في الدعوة إلى الإمام والتقيّد بمطابقة شريعة الإسلام.

وكان الحسن قد اعتاد شرب الخمر خفية فتتناهى إلى سمع أبيه إشارة عن هذا الحال فبذل غاية جهده في استكشاف حقيقة الأمر، إلا أن الحسن أخذ يدبر لطائف الحيل للتخلص من التهمة، حتى تبخر ذلك الظن من ضمير أبيه، ولم يعد له أثر.

وكان أتباعهم الكفرة الفاسقون، الذين أوشكوا على الانسلاخ من شعار الشريعة، يعدون ارتكاب المحظور وشرب الخمر علامة على ظهور الإمام الموعود. فلما قام مقام أبيه بدأ أشياعه وأتباعه بزيادة توقيره بحكم اعتقادهم فيه؛ إذ كانوا يظنون أنه الإمام، فلما تفرد واستبد^(١) لم يعاقب القوم على إطلاق ذلك الهذيان ولم يعاقبهم، بل إنه بدأ، منذ اللحظة الأولى لجلوسه في مكان أبيه، بجيز مسخ ونسخ الرسوم الشرعية والقواعد الإسلامية التي ظلوا يلتزمون بها منذ عهد الحسن ابن الصباح، وكان يتناولها بالتغيير [٢٢٦].

وفي رمضان سنة تسع وخمسين [يوليو - أغسطس ١١٦٤م] أمر بإقامة منبر في ساحة ميدان أسفل الموت بحيث تكون قبلته في الوجهة المغايرة لقلبة أهل الإسلام، فلما أن كان السابع عشر من رمضان [٨ من أغسطس] أمر أهالي ولايته، الذين كان قد استدعاهم إلى الموت في ذلك الحين، بأن اجتمعوا في ذلك الميدان، ونصب أربعة أعلام كبار الحجم ذات أربعة ألوان هي: الأبيض والأحمر والأخضر والأصفر، كانت وقد أعدت لهذا الغرض، على أركان المنبر الأربعة، ثم اعتلى المنبر وأظهر لأولئك المتجبرين الأشقياء، الذين كانوا يتوجهون بتأثير غوايته وإضلاله نحو الشقاء والخسران، أن رجلاً قدم إليه في الخفاء من لدن المقتدى المذموم، أعنى الإمام الموهوم الذي كان مفقوداً ليس له وجود، وأحضر على حدّ تعبيرهم خطبة وسجلاً^(٢) تمهيداً لقاعدة معتقدتهم الفاسد، ثم ألقى وهو مُعْتَلِّ المنبر المنحرف أقوالاً في قضية

(١) تفرد واستبد كلاهما بمعنى واحد (انظر القاموس المحيط). (المترجم).

(٢) سيتكرر اصطلاح "الخطبة والسجل" في الفصل نفسه بعد ذلك.

مذهبهم الباطل المتعسف. وقال: إن إمامهم قد فتح باب رحمته وأبواب رأفته على المسلمين وعليهم كذلك، فبعث إليهم بالترحم، ودعا أتباعه الخاصين المختارين ورفع عنهم آصار^(١) الشريعة وأوزارها ورسومها [٢٢٧]، وأوصلهم إلى القيامة، وعندئذ قرأ خطبة باللغة العربية، كانت جميع معانيها كذبًا وزورًا وتلفيق خرافات كما كان أغلب ألفاظها غلطًا وسقطًا وخطأ فاحشًا وعبارات مشوشة، (قرأها) على أنها كلام إمامهم المجهول المعلوم.

وأوقف واحدًا من جهال ضلّال أتباعه الأراذل كان عارفًا بالعربية^(٢) على إحدى درجات المنبر ليترجم للحاضرين باللغة الفارسية تلك الترهات المردودة والألفاظ غير المحمودة ويقرّرها لهم. وكان مضمون خطبته: "الحسن بن محمد بزرگ أميد هو خليفتنا وحجّتنا وداعينا، على شيعتنا أن يطيعوه ويتابعوه في أمور الدين والدنيا، وأن يعتبروا حكمه محكمًا، ويدركوا أن قوله هو قولنا، ويعرفوا أن مولانا (فاها بفيهم)^(٣) قد نشر رحمته عليهم، ودعاهم إلى رحمته وأوصلهم إلى الله".

وعلى هذا المنوال قرأ زخارف الزور، ولطائف الغرور، والفضائح المخترقة^(٤)، وقبائح الزندقة، المجهولة في الشرع المرفوضة للعقل.

(١) "والإصر: العهد الثقيل، وفي التنزيل: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ [الأعراف]، والإصر: الذنب والثقل، وجمعه أصار" (لسان).

(٢) كان هذا هو الفقيه محمد البستى. انظر إيفانوف (كلام بير) ص ١١٧. (المترجم).

(٣) انظر فيما سبق ص ١١٧ هامش ٨٢.

(٤) مخترقة: بفتح ميم وسكون خاء معجمة بمعنى الكذب والحيلة والخداع وخفة اليد، قال في تاج العروس: "المخرقة: إظهار الخرق توصلا إلى حيلة. وقيل: مخرق. والمخرق: المموه؛ وهو مستعار من مخاريق الصبيان" يقول الثعالبي في ثمار القلوب ص ٢٠٠: "الشعوذة هي السرعة والخفة وهي مخاريق وخفة في اليد وتصوير الباطل في صورة الحق". انظر أيضا طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ١: ٣٢٠ ص ٢١، وسياسة نامة لنظام الملك ص ٤٨ ن ١٩.

[٢٢٨] وبعد الانتهاء من الإنشاء البارد، والإيراد غير الوارد نزل من على المنبر وصلى ركعتي العيد، فأعَدَّ خوان ودُعي القوم للإفطار، ففعلوا، بينما كان أصحاب الملاهى وأسباب المناهى يحيطون بهم إظهارًا للطرب والابتهاج على رسم الأعياد وقال: "اليوم عيد"^(١). ومنذ ذلك الحين والملاحدة -على الباقيين منهم ما يستحقون- يطلقون على اليوم السابع عشر من رمضان اسم (عيد القيام)، وفي ذلك اليوم كان أغلبهم يشرب الخمر بشره ويتظاهر باللبو والطرب، فقد كان أكثر هؤلاء المجهولين المخدولين يريدون بذلك التهنئة والاقتضاح مضايقة المسلمين الذين ابتلوا بالإقامة بينهم ومعاندتهم.

وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام^(٢)

كذلك أظهر الحسن قبيح السيرة، إذ كان مضلّ البصيرة، في أثناء الفصل والخطبة^(٣) المذكورة أنه حجة وداع من قبل الإمام؛ يعنى هو القائم مقامه ونائبه المنفرد، وهو في الوقت نفسه ابن محمد بن بزرك أميد؛ لأنه كان يكتب على أبواب القلاع والحصون ولوحات الجدران وعناوين كتاباته أنه "الحسن بن محمد بن بزرك أميد"، وعلى هذا النمط كانت كل أقوال أولئك الجهال الضلال وأفعالهم مخاريق^(٤) وتزاويق^(٥) كما يقال في المثل السائر يُسرُّ حسنو ا في ارتغاء^(٦)، ثم إنه أخذ شيئاً

(١) "اليوم عيد القيامة" جامع التواريخ ١٠٦ (ص ١٦٥ طبع طهران).

(٢) للمتنبى من قصيدة مطلعها:

فؤاد ما يسليه المدام وعيش مثل ما تهب النام

(٣) سينكرر فيما يلى ذكر تعبير "الفصل والخطبة".

(٤) انظر حاشية (٤) في الصفحة السابقة.

(٥) انظر فيما سبق ص ٢٠٢، حاشية ٢.

(٦) الارتغاء: شرب الرغوة، قال أبو زيد والأصمعي أصله الرجل ينال من اللبن - يضرب لمن يظهر أمرا وهو يريد غيره (مجمع الأمثال ٢: ٢٥١، ولسان العرب في ر غ و).

فشيئاً يؤكد في الفصول التي كان يكتبها دون استناد إلى أصول لتقرير المذهب غير المهذب الذي كان يطَّلَع بنشره، أحياناً بالتعريض وأحياناً بالتصريح، أنه على الرِّغم من أنهم عدَّوه في الظَّاهر ولد محمد بن بزرك أميد فإنه في الحقيقة هو الإمام وهو ابن إمام من أولاد نزار بن المستنصر.

ولما أرسل إلى قهستان، في ذلك الوقت، بالعلامة^(١) التي ترمز إلى دعوته التي يطلقون عليها اسم "دعوة القيامة"، وأراد إشاعة تلك الشَّاعة هناك أيضاً، وكان قد ذكر رغبته في ذلك صراحةً، فالذي حدث هو أن حاكم قهستان الذي كان نائباً من قبله في تلك المملكة، يسمَّى الرئيس المظفر، فأرسل الحسن إليه الخطبة والسجل والفصل^(٢)، وقد سبق ذكرها، مع شخص يقال له محمد بن خاقان ليقرأها على القوم هناك، وأعطى -على لسان [٢٣٠] ذلك الشخص- رسالة إلى أهالي قهستان ملائمة لمضامين تلك الأكاذيب.

وفي الثامن والعشرين من ذى القعدة سنة تسع وخمسين وخمسمائة [١٨ من أكتوبر ١١٦٤م] أقام الرئيس المظفر في القلعة، التي كانت منشأ كفرهم وإحادهم على الرِّغم من أنهم كانوا يطلقون عليها اسم "مؤمناباد"، منبراً منحرفاً عن سمت السداد، منصرفاً لجهة الفساد على الوجهة التي كان إمامه المفتضح قد ولَّاه إياها في الموت، واعتلى المنبر، وقرأ الخطبة والسجل والفصل، التي أرسلت إليه، ثم صعد محمد بن خاقان إلى الدرجة الثانية من المنبر وقرأ رسالة الحسن الشَّفوية ومضمونها: "إن المستنصر كان قد أرسل قبل ذلك برسالة إلى الموت مؤدَّاها: أن الله تعالى جعل على الدوام بين الناس خليفة، وجعل لهذا الخليفة خليفة. واليوم أنا خليفة الله وخليفتي

(١) ولعل المقصود هنا حكاية الأعلام الأربعة ذات الألوان الأربعة: الأبيض والأحمر والأخضر والأصفر التي سبقت الإشارة إليها فيما سبق.

(٢) مر ذكرها في الصفحات القليلة السابقة.

الحسن بن الصباح، فلو أطاعوا أمر الحسن واتبعوه فقد أطاعوا أمرى أنا المستنصر. واليوم أقول: أنا الحسن، إننى خليفة الله على أرضه وخليفتى هو هذا الرئيس المظفر، فينبغى أن تطيعوا أمره وتعتبروا كل ما يقوله ديناً لكم".

وفى ذلك اليوم، لدى تقرير إفشاء هذه المخازى وتقرير تلك المساوى في مقام الملاحدة مؤناباد، قام حريم ذلك الجمع بضرب الصنج والرياب وشرين الخمر جهازاً على درجات المنبر ذاتها.

ولأولئك الجهلة [٢٣١] المجهولين والبطلة المخذولين روايتان، بل غوايتان، في كيفية الميلاد والانتساب الباطل للحسن المطعون، الذى كان في الحقيقة وثناً ملعوناً، من إمام مفترض، رغبة في إثبات أنه من أعقاب نزار بوجه منقوض. والمبنى على المحال محال، فالوجه الأشهر الذى هو معتقد أكثرهم (يدل على أنهم) لم يتوقفوا ولم يتخلفوا قط عن إطلاق ولد الزنا عليه؛ ذلك لأنهم اتفقوا جميعاً في القول بأن شخصاً من مصر يقال له القاضى أبو الحسن الصعدي، كان من أقارب المستنصر وثقاته، جاء إلى الموت عند الحسن بن الصباح في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة [١٠٩٥م]، أعنى بعد سنة واحدة^(١) من وفاة المستنصر، ومكث بها ستة أشهر ثم عاد في رجب من السنة نفسها [يولية - أغسطس ١٠٩٥م] إلى مصر، وقد كان الحسن بن الصباح يؤكد ضرورة معاملته بالتعظيم والتوقير، كما كان هو نفسه يبذل جهداً بالغاً في معاملته على هذا النحو. وكان قد أحضر إلى الموت، في زى

(١) كانت وفاة المستنصر كما مر في هوامش ص ١٧٩ (وما يقابلها من الترجمة) في ١٨ من ذى الحجة سنة ٤٨٧ هـ وإذا كان القاضى أبو الحسن الصعدي قد بقى في الموت ستة أشهر كما يقول المصنف ورجع إلى مصر في رجب ٤٨٨ هـ فلا يكون قدومه إلى الموت بعد وفاة المستنصر بسنة كاملة، بل بشهر أو شهرين على الأكثر، كما يتضح من الحساب، إذن فتعد سنة واحدة مسامحة غير عادية.

التَّخْفَى ولباس الثَّوْبِيَّة، حفيدًا لنزار الذى كان إمامًا من جملة أئمتِّهم، ولكنه لم يفش هذا السر ولم يُظهره إلا للحسن بن الصباح وحده دون غيره، وقد أسكنوه قرية أسفل الموت.

وبسبب [٢٣٢] الحكمة الأزلية، كان يجب أن ينتقل مستقر الإمامة من مصر إلى ولاية الديلم، ولأنه كان ينبغي أن تظهر تلك الفضيحة التي يطلقون عليها اسم "دعوة القيامة" في الموت - زنا الشخص نفسه^(١) الذى قدم من مصر أو ابنه الذى كان قد ولد داخل حدود الموت - ولم يطلع الناس على حقيقة أمره - بامرأة محمد بن بزرك أميد، فحملت تلك المرأة بالحسن من الإمام، فلما اتفق أن وقعت الولادة غير المباركة في منزل محمد بن بزرك أميد، علم كل من محمد وأتباعه أن الولد ولده^(٢) بينما كان الحسن نفسه إمامًا وابن إمام.

هذا هو القول المشهور الذى يعدّ متمسك الجمهور، وهو الأصح والأصلح عندهم، [٢٣٣] وهو مبنى على أنواع الخزي والافتضاح، وأول ذلك أنهم كانوا يقولون إن الصبى الذى رضوا بإمامته ابن حرام. ويقول الشاعر في ولد الزنا:

فَمَتَى تَقْرُ الْعَيْنُ مِنْ وَلَدِ الزَّنا وَمَتَى تَطْيِبُ شَمَائِلُ الْأَوْعَادِ

وأما ثانيًا فكيفية نسبه الذى أثبتوه بلا حسب مخالفة للخبر النبوى المصطفى على قائله الصلاة والسلام: «الْوَلَدُ لِلْفَرَّاشِ وَلِلْغَاهِرَةِ الْحَجَزُ»، صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن القول ما قالت حذام^(٣). وأما ثالثًا فإن الطامة الكبرى وموجب الشقاء،

(١) يعنى: حفيد نزار.

(٢) يعنى: محمد بن بزرك أميد.

(٣) شطر من بيت مشهور للجيم بن صعب أو لوسيم بن طارق، وأصل البيت هكذا:
إذا قالت حذام فصّد قوماً فإن القول ما قالت حذام
انظر شواهد العينية بياض خزائن الأدب ٤: ٣٧٠، ولسان العرب في ح ذ م.

وخسران العقبي، أنهم -رغبة منهم في تصحيح هذا الوجه السقيم- وضعوا حال الأنبياء والمرسلين موضع التشبيه، ونسبوا هذا الحال الممّوه للرسل المنزهين، فقالوا هذا الانتساب كانتساب ذبيح الله إسماعيل ابن خليل الله إبراهيم صلوات الله عليهما، وقد كان في الحقيقة ابن ملك السلام الذي ورد ذكره في التوراة بملخيزداق، كما جاء في مقدمة هذه الأوراق، ولقد كان إسماعيل -على زعم هذه الطائفة الضالة- إماماً من جملة أئمتهم، وكانوا قد عدّوه في الظاهر ابن إبراهيم صلوات الله عليه، فيكون إسماعيل بمقتضى هذه الدّعوة إماماً عندهم وإبراهيم ليس إماماً.

أما الوجه الثاني الذي [٢٣٤] كان معتقّد أولاد بزرك أميد وأقاربه، أعنى الخاصّة من أهالي منطقة الموت، فهو أن محمد بن بزرك أميد رزق بولد في قلعة الموت، وفي اليوم نفسه رُزق الإمام المجهول - الذي لم يكن له وجود - بالحسن من أمّه في القرية التي تقع أسفل الموت، وبعد ثلاثة أيام صعدت امرأة قلعة الموت ودخلت قصر محمد بن بزرك أميد، وقد لاحظ عدة أشخاص أنها كانت تضع تحت عبايتها شيئاً، وقد جلست حيث وضع طفل محمد بن بزرك أميد (الينام)، وبحكم الحكمة الإلهية لم يكن هناك في تلك الساعة غيرها، فوضعت الحسن هذا، الذي كان ابن إمام، مكانه وحملت طفل محمد بن بزرك أميد تحت الرّداء وذهبت.

وهذا الوجه في حدّ ذاته أكثر افتضاحاً من الوجه الأول؛ إذ كيف تدخل امرأة غريبة قصر الملك، ولا يكون حوالى طفل الملك أحد على الإطلاق فتضع طفلاً غريباً مكانه، وتحمله دون أن تسترعى انتباه أحد، بعد ذلك لا يتمكّن أحد أبداً سواء كان أبوه أو أمه وحاضنته والخدم والغلمان من التعرف على الاختلاف بين الطفل الغريب وطفلهم. وقد نشأ هذا الوجه ذاته دون أدنى ريب من جزاء مكابرة العقل، وتكذيب الحسّ، ومعاندة العرف والعادة، وبناء على تصديق هذا القول يروون عن محمد بن الحسن هذا أنه كان قد قال: "إن حديث بنوة الحسن بن محمد بن بزرك أميد يشبه بنوة

إسماعيل من إبراهيم عليهما السلام، بيد أن التفاوت بينهما لم يتعد معرفة إبراهيم بأن إسماعيل ابن إمام، وليس ابنه، لأن تبديل الولدين^(١) [٢٣٥] حدث بمعرفة ورضا إبراهيم عليه السلام، ولم يكن ذلك سرًا (مخفيًا) عليه، بينما لم يعرف محمد بن بزرك أميد هذا السر وظن أن الحسن ابنه، في حين أنه كان إمامًا.

ولقد قال أرباب الاعتقاد الأول والزواية المتقدمة: إن محمد بن بزرك أميد عرف بعد ولادة الطفل، أنه ليس ابنه، وأن ذلك الشخص الذي تقتضى الطائفة الضالة إمامته قد ارتكب الفجور والزنا بامرأته فقتله خفية. وبمقتضى هذا الظن يكون محمد بن بزرك أميد قد قتل إمامًا.

ولقد كنا ذكرنا أنه^(٢) كان قد ضيق نطاق التصلب والتشدد في التزام رسوم الإسلام ومتابعة أركان الشريعة على مبادئ مذهب الحسن بن الصباح، ذلك المذهب الذي كان عين الاقتضاح.

فكانوا يعادونه ويلعنه أغلبهم ولا يسمحون بزيارة قبره، الذي كان يقع بجانب قبر الحسن بن الصباح وبزرك أميد ودهدار بو على الأردستاني. [٢٣٦] ثم إن الملاحدة جميعًا، خذلهم الله، انقسموا إلى فرقتين مرة أخرى في عدد الآباء بين الحسن هذا وبين نزار، فقال قوم: ينبغي أن يكون بينهم ثلاثة آباء، وهم يدعونهم^(٣) بالإمامة إذ يقولون: إن أسماءهم مجهولة بينما كانوا في الحقيقة - كما ورد في المثل - اسمًا بغير مسمى، فهؤلاء القوم يعتقدون أنهم: الحسن بن القاهر بقوة الله ابن المهتدي بن الهادي بن المصطفى نزار بن المستنصر. وقال آخرون: لم يكن بينهم أكثر من

(١) المراد بـ "الولدين": ولد حضرة إبراهيم وولد مخليزداق السابق الذكر.

(٢) أى: محمد بن بزرك أميد.

(٣) يعنى: أنه لما كانت الأسماء الحقيقية للآباء الثلاثة بين الحسن ونزار مجهولة فقد اضطر الإسماعيلية إلى ذكرها فقط بألقاب إمامتهم التي هي عبارة عن القاهر بقوة الله والمهتدي والهادي.

أبوين لأن القاهر بقوة الله كان لقب الحسن هذا، ويقولون في نسبه: الحسن ابن المهتدي [٢٣٧] بن الهادي بن نزار.

وكانت شهرة الحسن هذا في عرف طائفة الملاحدة بـ«على ذكره السلام»، ولقد كان أصل اللقب، حيث طبق في مبدأ الأمر عليه، دعاء كان بعضهم يقوله لبعض في زمانه، ثم صار بعد ذلك لقبًا مشهورًا له لا يدعونه بلقب غيره.

قصارى القول: إن حاصل هذا المذهب كان بلا حاصل كما كان سر هذه الدعوة كله سرًا؛ ذلك أنهم قالوا قول الفلاسفة بقدّم العالم وبأن الزمان غير متناه والمعاد روحاني. وقد أولوا الجنة والنار وما فيها^(١) جميعًا بهذه الطريقة؛ لكي يؤولوا معاني تلك الوجوه تأويلًا روحانيًا، ثم إنهم قالوا، بناء على هذا الأساس: إن القيامة أيضًا هي الوقت الذي يصل فيه الخلق إلى الله، وتظهر بواطن الخلائق وحقائقهم، وترتفع أعمال الطاعة؛ ففي عالم الدنيا يكون الكل عملاً، بينما لا يوجد حساب، أما الآخرة فكلها حساب ولا يوجد عمل، وهذه هي الروحانية، كما أن القيامة الموعودة والمنتظرة في كافة الملل [٢٣٨] والمذاهب هي هذه التي أظهرها الحسن، وكان قد رفع -على ضوء هذه القواعد- التكاليف الشرعية عن الناس؛ لأنه ينبغي على الجميع في هذا الدور -أي دور القيامة- التوجه إلى الله بكل الوجوه وترك رسوم الشرائع وعادات العبادات المؤقتة، ومن المقرر في الشريعة أنه يجب أن تُقام عبادة الله في اليوم والليلة خمس مرّات وأن تكون لله. ذلك تكليف ظاهر، ولكن الآن في (عصر) القيامة ينبغي أن يكون الناس دائماً مع الله بقلوبهم، وأن تتوجّه النفس ذاتها بصفة دائمة إلى الحضرة الإلهية، وتلك هي الصلاة الحقيقية.

(١) ليست «فيهما» كما يمكن أن يتوهم.

وقياسنا على هذا أولوا كافة أركان الشريعة ورسوم الإسلام وظنوا التظاهر^(١) بها مرتفعاً، ورفعوا حلال وحرمة معظم (التعاليم)، وكان الحسن قد قال في مناسبات عديدة، بالتعريض تارة وبالتصريح تارة أخرى: إنه كما هو الحال في دور الشريعة، إذا لم يقيم الإنسان بالطاعة والعبادة ولكنه أدى حكم القيامة معتبراً أن الطاعة والعبادة شيء روحاني فإنه يؤخذ بالنكال والعقاب ويرجم، فإن الحال يكون كذلك بالنسبة إلى دور القيامة؛ بحيث لو أقام فيه أحد حكم الشريعة وواظب على العبادات والرسوم الإسلامية، كان التكيل والقتل والزجم والتعذيب أكثر وجوباً بالنسبة إليه. (كما قرّر الشيء الكثير) على نمط هذه الخرافات والأباطيل.

وباتباع هذا الطريق الذي هو سبيل الغواية والإغواء والإبطال والإضلال غرق أولئك المدابير المخازيل في بحار الضلال وتحيروا في بيداء الحيرة. و«خسر الدنيا والآخرة» فمارسوا الإباحة والتزم غلاتهم، عن عمدٍ أو عن جهل، مذهب الإباحة، وأطلق قوم الناراب في أفواههم - الألوهية على أئمة ضلالهم، الذين كانوا في مرتبة أحسن من البهائم والسباع والحشرات.

فلما أجازوا إظهار هذه البدعة والإلحاد نادى جماعة [٢٣٩] من أهالي تلك الديار، وكان لديهم من العقل نصيب كما كان قد بقي شعاع من البصيرة على أفئدتهم (بنداء): «ومن نجا برأسه فقد ربح»، فتركوا الاستيطان بين أولئك الضالين، وقذفوا بأنفسهم خفية وجهازاً في بلاد المسلمين، وخصوصاً قهستان حيث جلا عنها عدد كبير من الناس واستوطنوا خراسان «...وَكَذَلِكَ نُشِىَ الْمُؤْمِنِينَ» [الأنبياء]. أما من لم يستطع منهم الذهاب، أو من لم يرغب في الجلاء عن مسكنه القديم فقد مكثوا

(١) يعنى أنهم رفعوا التظاهر برسوم الشريعة الإسلامية وأدبائها التي كانت سيرة الحسن بن الصباح وخلفائه.

على ديارهم وأسبابهم، ورضوا هم كذلك من أثر الشقاوة بأن يوسموا بسوء الاسم واسم الإلحاد، ولكنهم كانوا مسلمين في ضمائرهم، وكانوا كلما استطاعوا يلتزمون بأوامر الشرع ونواحيه في الخفاء. فكان جمهور أهالي ولايات الملاحة -خذلهم الله- يتبعون معنى هذه الآية من القرآن المجيد: ﴿...فَمِنْهُمْ مُهْتَكِرٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (١٦٦) [الحديد].

ويسبب هذا العقد المزخرف والنقد المزيف للحسن بن بزرك أميد، الذي لقبوه بعلی على ذكره السلام، فإنهم دَعَوْه قائم القيامة" وأطلقوا على دعوته اسم "القيامة".

ومن بين الناس الذين كانت لا تزال تصل إلى مشام ضمائرهم رائحة من خشية الله والذيانة رجل يقال له الحسن بن نامور أخو الحسن من جهة الأم من بقايا آل بويه، الذين كانوا أصلهم من ولاية الديلمان كما هو مسطور في التواريخ، فلم يطق هذا الرجل صبرا على إفشاء تلك الفضائح والأضاليل، رحمه الله وجزاه عن حسن نيته خيرا، فطعن الحسن المضلل بخنجر في يوم السبت السادس من ربيع الأول سنة إحدى وستين وخمسمائة [٩ من يناير ١١٦٦م] داخل قلعة لمستر، فغادر الدنيا إلى نار الله الموقدة.

ذكر سلطنة محمد بن الحسن بن محمد بن بزرك أميد

[٢٤٠] أما ابنه محمد فكان الشقي الماضي^(١) قد نصَّ على إمامته، بحكم الضلال بمقتضى زعمهم، فجلس مكان أبيه وهو في التاسعة عشرة من عمره، ﴿...ظَلُمْتُ بَعْضَهَا قَوْفَ بَعْضٍ...﴾ (٤٠) [النور]. وقد قام بتعذيب وقتل الحسن بن نامور،

(١) يريد به الحسن بن محمد بن بزرك أميد (المترجم).

مع جميع أقربائه من الرجال والنساء والأطفال، وكانوا البقية الباقية في تلك الديار من قبيلة بويه، بعد تعذيبهم والتكيد بهم. فقطع نسل بويه.

وكان محمد الاسم مذمّم الفعل هذا أكثر غلوًا من أبيه في إظهار البدعة التي كانوا يطلقون عليها اسم دعوة القيامة، التي تعتبر الإباحة من لوازمها، كما كان أكثر صراحة في إظهار الإمامة، وكان يدّعي الحكمة والعلم بالفلسفة رغم أنه كان عارياً عاطلاً من ذلك العلم، بل من كل العلوم، وكان قد أدرج اصطلاحات الفلاسفة في الفصول التي كتبها^(١) والأصول غير المرتبة التي قالها، وكان يظهر التفوق والتسوق^(٢) بإيراد النقاط على نمط حديث الحكماء، ولقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: «المتشيع بما ليس [٢٤١] عنده كلابس ثوبي زور»^(٣). وكانت معظم ألفاظ كلامه ومعانيها في العربية والحكمة والتفسير والأخبار والأمثال والأشعار -التي كان قد انتحلها جميعاً وأدعاها لنفسه- تحريفاً وتخريفاً^(٤) وخطأً وتصحيفاً.

(١) قد بقي من مؤلفاته رسالة صغيرة الحجم بعنوان: "رساله درنصیحت" (انظر *Ivanov, A Guide To Ismaili Literature, London 1933*). (المترجم).

(٢) التسوق: هو البيع والشراء وهو مشتق من السوق، يقال: تسوق القوم إذا باعوا واشتروا (اللسان). وهذا المعنى كما هو ملاحظ لا يتناسب مع المقام، ولعل مراد المصنف هو (تزيين السوق) و(العمل على رواج السوق) بالمعنى المجازي لهذين التعبيرين، يعني أن يظهر فضله للأنظار، أو يحرص على إظهار الفضل ونحو ذلك.

(٣) قال في اللسان في ش ب ع تشيع الرجل تزین بما عنده، وفي الحديث المتشيع بما لا يملك كلابس ثوبي الزور أي المتكثر بأكثر مما عنده يتجمل بذلك كالذي يرى أنه شعبان وليس كذلك، ومن فعله فإنما يسخر من نفسه وهو من أفعال ذوی الزور، بل هو في نفسه زور وكذب، انظر المرجع نفسه في ث وب، وزور، وشرح الجامع الصغير للسيوطي ج ٣ ص ٣٥٩ - ٣٦١، ومجمع الأمثال ٢: ٦٤ تحت عنوان كلابس ثوبي زور.

(٤) تخريف بالخاء المعجمة، قال في تاج العروس: "خرفة تخريفاً نسبة إلى الخرف أي فساد العقل".

وبحكم نص التنزيل الحكيم: ﴿وَيَذُرْهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف] أمهل في الملك ستاً وأربعين سنة، وفي عصره سفك الملاحدة كثيراً من الدماء البرينة، وأثأروا الفتن، ومارسوا أنواع الفساد، ونهبوا الأموال وقطعوا الطرق، وأصروا على فساد الإلحاد كما استقرّوا على قاعدة الكفر.

وكان لمحمد ابنان، أكبرهما الحسن، الذي لقب بجلال الدين. كانت ولادته في سنة اثنتين وستين وخمسائة [١١٦٦-١١٦٧م]، وكان أبوه قد نصّ عليه في أيام طفولته [٢٤٢] بأن يخلفه، فلما كبر وظهر أثر التعقل فيه، بدأ ينكر طريقة أبيه، ويستنقذ رسوم الإلحاد والإباحة.

فتفرّس أبوه ذلك فيه، فنشأ بينهم نوع من العناد، وكان كل منهم يخالف الآخر ويحترز منه. وعندما كان جلال الدين الحسن يطلب -في أيام الاحتفالات والمجامع العامة- الدخول إلى البلاط، كان أبوه يحذر منه ولا يأتّمه، وكان يخفي درعاً تحت ملابسه، كما كان يحتفظ (حوله) دائماً بالملاحدة الذين كانوا أهل ثقته ويغالون في القول بدعوة الغواية، لحفظه من أية مؤامرة يدبرها ابنه.

ذكر سلطنة جلال الدين الحسن بن محمد...

وكان جلال الدين حسن -إما عن حسن اعتقاد أو عن طريق العناد الذي وقع بينه وبين أبيه، (والله أعلم بما في الضمائر، والحكم من الخلق على الظاهر والله يتولى السرائر فله أو عليه ما يستحقّه)- كان قد أرسل الرسل خفية على سبيل مكيدة أبيه إلى خليفة بغداد وإلى السلاطين والملوك الآخرين ليظهر أنه ليس على غرار أبيه، مسلم العقيدة؛ وأنه إذا ما وصل الدور إليه بعد أبيه فإنه سيرفع الإلحاد ويمهّد لقاعدة الإسلام، وبهذا النوع قدم توطئة وتأسيساً. وقد توفي محمد غير المحمود

هذا والمقتدى المطرود في العاشر من ربيع الأول سنة سبع وستمائة [أول سبتمبر ١٢١٠م]، وقال قوم: مات مسموماً.

[٢٤٣] جلس مكانه بعده بمقتضى ولاية العهد ابنه جلال الدين حسن، فأظهر الإسلام بعد أن تولى الحكم مباشرة، وقام بزجر قومه وشيعته ومنعهم - بالتوبيخ والتشديد - عن الإلحاد، وحملهم على التزام الإسلام، واتباع رسوم الشرع، وأرسل الرسل إلى خليفة بغداد وإلى السلطان محمد خوارزمشاه وملوك وأمراء العراق والأطراف الأخرى لإبلاغهم بهذه التغييرات، وبمقتضى التوطئة والتمهيد الذي كان قد شرع فيه خلال عهد أبيه وأبلغ به الأطراف صدقوا كلامه، وعلى الأخص أصدرت دار الخلافة الحكم بإسلامه، وأظهرت أنواع العطف بالنسبة إليه، ففتحت طريق المكاتبات والمراسلات معه، وكتبوا له الألقاب بالحرمة، وبذلك الوسيلة الحميدة أفتى الأئمة من جميع البلاد الإسلامية بإسلامه هو وقومه وأجازوا مواصلته والزواج به، واشتهر ذكره بجلال الدين نومسلمان (أى المسلم الجديد)، كما سُمي اتباعه في عهده أيضاً بنومسلمان.

ولقد أمر بعمارة المساجد في ولايته، وطلب الفقهاء من أطراف خراسان والعراق؛ ليتولوا شئون القضاء والخطابة وأمثال هذه الأمور الدينية في ملكه، فأعزهم وأكرمهم.

أما أهالى قزوین فقد أبوا في البداية قبول إسلام جلال الدين وقومه، وكان ذلك؛ بسبب تدينهم وصلابتهم في الإسلام - فضلاً عن معرفتهم الوثيقة، بحكم الجوار وقرب المسافة - بتزويرات الملاحدة وأكاذيبهم وتمويهاتهم ومكائدهم، وأنهم عانوا منهم المتاعب ولحققتهم أشد الأضرار، وقامت بين الجانبين حروب، فتأصلت بينهم العداوة؛ ولذلك قام قضاتهم وأنتمهم بتفحص الأمر [٢٤٤] والتدبر فيه، وطلبوا الدلائل والبيّنات على صدق تلك الدعاوى، فلما تمّ تقرير قبول إسلامهم بمقتضى فتاوى دار الخلافة وأئمة

بلاد الإسلام الأخرى بذل جلال الدين قصارى جهده في استرضاء [أهالي قزوين]، وكان يتقرب إلى عظمائهم، وطلب إيفاد جماعة من أعيان قزوين إلى الموت؛ لكي ينظروا في مكتبات الحسن بن الصباح وأسلاف جلال الدين ففصلوا عددا كبيرا من فصول أبي جلال الدين وجدّه والحسن بن الصباح والكتب الأخرى التي تتضمن تقرير مذهب الإلحاد والزندقة وتخالف عقائد المسلمين، فأمر جلال الدين بإحراقها بحضور أولئك القزوينيين أيضا وفقا لما أشاروا به، وقال بطعن ولعن آيائه وأسلافه والممّهدين لتلك الدعوة، ولقد رأيتُ في أيدي أعيان قزوين وقضاتها ورقة، كانوا قد كتبوها على لسان جلال الدين الحسن في التزام الإسلام، وقبول شعار الشريعة، والتبزي من الإلحاد ومذهب الآباء والأسلاف، وكان جلال الدين قد دون بخطه عدة سطور على صدر الورقة تيزاً من ذلك المذهب، فلما وصل إلى اسم أبيه وأجداده كتب هذا الدعاء عليهم: «ملا الله قبورهم نازا». مجمل القول: إن إسلامه وإسلام شيعته قد انتشر، وظهر لأهل الإسلام نوع من الألفة معهم، كما منع خليفة الوقت وسلاطين العصر مهاجمتهم أو قتلهم.

وتوجهت أم جلال الدين، وكانت امرأة مسلمة، للحج في سنة تسع وستمائة [١٢١٢م - ١٢١٣م] وكان جلال الدين قد أرسل معها سبيلا^(١) فأعزوا أمه وأكرموها ببغداد إكراما عظيما^(٢)، وقُدم سبيله في طريق الحج على سبيل ملوك الأطراف.

(١) الظاهر أن السبيل هو القافلة من الحاج التي تصحب أحد الأعلام وأمير الحاج وفيها كل ما يحتاج إليه الحاج ويعطى في سبيل الله بلا مقابل، ومن ذلك الدواب والطعام والشراب. يقول النسوي في سيرة جلال الدين المنكبرني في المورد نفسه ص ١٦: "وانضاف إلى ذلك استئنانتهم (يعنى أهل بغداد) بالسبيل الذي كان للسلطان في طريق مكة حرسها الله تعالى حتى بلغه تقديمهم سبيل صاحب الإسماعيلية جلال الدين الحسن على سبيله"، ويقول ابن الأثير أيضا في المورد نفسه في حوادث سنة ٦١٤: "وكان سبيله إذا ورد بغداد يقدم غيره عليه ولعل في عسكره مائة مثل الذي يقدم سبيله عليه" ويفترض دوزي في القاموس أن هذه الكلمة معناها المؤن وما يحتاج إليه الحاج وأورد العبارة التالية لابن خلكان للتدليل على ذلك: "وكان يقيم في كل سنة سبيلا للحجاج ويسير معه جميع ما تدعو حاجة المسافر إليه في الطريق". والشاهد أهم من المدعى، فالمراد بالسبيل في هذه العبارة كما هو واضح هو المعنى نفسه الذي سبق ذكره.

(٢) ابن الأثير حوادث ٦٠٨.

[٢٤٥] وكان جلال الدين قد وطّد علاقات الموافقة والصداقة مع الأتابك مظفر الدين أوزبك، ملك أران وأذربيجان، وكان يحرص على أن تكون صلته به أوثق من صلته بمن سواه من الملوك. وكانت بين ناصر الدين منكلى الذى كان يتملّك العراق، وبين الأتابك معاندة، ووقع بينهما عدااء، وكان جيشه يغالب جلال الدين على بعض ولاياته، فاتفق كل من الأتابك وجلال الدين تواضعا، وتوجّه جلال الدين إلى أذربيجان في سنة عشر وستمائة [١٢١٣ - ١٢١٤م] عازماً على مدد الأتابك وقتال منكلى، وكان الأتابك يجتهد في معاملة جلال الدين بالإعزاز طوال المدة التي قضاها في ملكه، وهى مدة تبلغ عاماً ونصف عام. وقامت بينهما مؤاخاة، وكان الأتابك يواظب على إرسال المؤن الوفيرة إليه، ويفرط في بذل الأموال، لدرجة أنه بعد إقامة الأنزال والعلوفات لجلال الدين وجيشه وبعد توزيع أنواع التّشريفات والخلع الثّمينة كافّة، لا على كبار قواد الجيش جلال الدين فحسب، بل على كافّة الجند، كان يرسل إلى خزانته كل يوم ألف دينار من الذهب المسكوك [٢٤٦] للمتطلبات اليومية.

مجل القول: إن جلال الدين أقام مع الأتابك أوزبك مدة في بيلغان، وأرسل الرسل متفقين إلى حضرة دار الخلافة والشّام والديار الأخرى طلباً للإمدادات لطرد منكلى من العراق، فأرسلت دار الخلافة مظفر الدين وجه السبع مع جيش كامل لمددهم، وأمرت مظفر الدين كوكبورى بن زين الدين على كوجك أن ينضمّ إليهم بجيش من إربل؛ لكى يعمل الجميع في يوم القتال برأيه وتديبره ويطيعون إشارته وتوجيهه. وأرسل جيش آخر من الشام لمددهم.

وفى سنة إحدى عشرة وستمائة^(١) [١٢١٤ - ١٢١٥م] هزموا ناصر منكلى، كما هو مشهور ذكره، وإبراده هنا ليس مناسباً لسياق هذا التاريخ، ومكّنوا سيف الدين

(١) ضبط ابن الأثير ١٢: ١٤١ تاريخ هذه الواقعة في شهر جمادى الأولى سنة ٦١٢ هـ...

إيغملش^(١) مكان منكلي [٢٤٧] في العراق وأعطوا أبهر وزنجان لجلال الدين جزاء سعيه، وبقيت هاتان المدينتان ونواحيهما تحت تصرف نوابه.

وبعد عام ونصف عام من المقام في العراق وأران وآذربايجان عاد جلال الدين إلى الموت، وفي هذا السفر ونظرًا لطول مدة إقامته بتلك البلاد صارت دعوة إسلامه أكثر تأكيدًا وأشد تصديقًا، وزادت مخالطة المسلمين له، وقد التمس جلال الدين خطبة النساء من أمراء جيلان، فأبدوا تقاعداً وفُتُورًا ولم يقبلوا بغير إذن يصدر من دار الخلافة، فأرسل جلال الدين رسولاً إلى بغداد، فأجابه أمير المؤمنين الناصر لدين الله إلى ملتسمه، وأجاز بأن يقوم أمراء جيلان بمواصلته بحكم الإسلام، وبمقتضى هذا تزوج جلال الدين أربعاً من بنات أمرائهم، أولاً هن أخت كيكاس، الذي كان لا يزال حيًا يمتلك ولاية كوت^(٢)، وقد ولد علاء الدين محمد، ابن جلال الدين من هذه المرأة. [٢٤٨]

(١) كذا في جامع التواريخ ١١٤ (= ص ١٧٧ ط طهران)، هذه الكلمة محرفة وفاسدة في نسخ جهانگشای الخطية كافة؛ لأن اسم الشخص الذي نصب بعد هزيمة منكلي في سنة ٦١١ (أو سنة ٦١٢) حاكمًا على العراق من قبل الخلفاء وقتل بعد أربع سنوات من حكمته على يد الباطنية في أوائل سنة ٦١٤ يأتي في جميع كتب المؤرخين المعاصرين أو قريبي العصر لهذه الواقعة مثل ابن الأثير ١٢: ١٤١، ١٤٥، ١٤٦، والنسوي ١٣، وأبى الفدا ٣: ١١٦، وجهانگشای نفسه ج ٢: ١٢١ في جميع المواضع إيغملش (بألف وغين معجمة ثم لام وميم وفي الآخر شين معجمة)، وفي جامع التواريخ كما مر (إيغملش) بالضبط المذكور نفسه بزيادة ياء بعد الحرف الأول، ولما كان المصدر الوحيد الذي اعتمد رشيد الدين عليه في هذه الفصول المتعلقة بأواخر الإسماعيلية يتمثل في كتاب جهانگشای للجويني؛ حيث نقل أغلب عباراته بعينها حرفًا بحرف فلا يبقى شك تقريبًا في أن إيغملش كانت مسطورة في نسخة جهانگشای التي كانت لديه في الموضع الذي نحن بصده بحيث حفظها بإملائها نفسه، لذا قمنا بتصحيح إيغملش في المتن طبقًا لرواية جامع التواريخ وهي أقرب الصور إلى «إيغملش» عند عامة المؤرخين المدققين. في آثار البلاد للقرويني اسم هذا الشخص في ص ٢٠١ إيغملش وفي ص ٢٥١ إيغملش.

(٢) تعرف حاليًا بكهزم، وهي ناحية بولاية جيلان تقع غربي سفيدرود، ما بين منجيل من الجهة الجنوبية، ورشت من الجهة الشمالية (انظر حواشي آخر الكتاب). (المترجم).

وهم يقولون: إنه لما تحرك سلطان الدنيا جنكيزخان قادمًا من تركستان أرسل جلال الدين إليه أمرًا خفيًا قبل أن يصل إلى بلاد الإسلام، وكتب الرسائل وعرض عليه الخضوع والطاعة، كان هذا هو زعم الملاحدة، والحقيقة غامضة غير واضحة، ولكن الشيء الواضح أنه لما دخلت جيوش السلطان فاتح العالم جنكيزخان بلاد الإسلام، كان أول شخص من الملوك أرسل الرسل في هذه الناحية من جيحون لإظهار الولاء وقبول الخضوع هو جلال الدين.

استعمل قاعدة الصواب، وأسس بناء الصلاح، غير أنه جاء بعده ابن جاهل وأتباع حيارى فلم يبادروا -بسبب الشقاوة الجبل- بتشييد ذلك الأساس وإتمامه، ولكنهم أخذوا بالتدبير الفاسد، بل الإديار القاصد في نقض ذلك الترتيب، حتى رأوا ما رأوا: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ (١٣) [فاطر].

وكان أمير المؤمنين على بن أبي طالب -عليه السلام- قد ذكر في إحدى خطبه قومًا من المتمردين رأوا وخامة عاقبة تدبيراتهم الفاسدة، فقال كلمتين أو ثلاثًا في ذلك الصدد تنفق وحال الطائفة المذكورة والحكاية المسطورة: «زرعوا الفجور وسقّوه الغرور فحصدوا الثُّبور»^(١).

(١) فقرة من الخطبة الثانية من نهج البلاغة، انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٤٥، وانظر أيضًا شرح الكتاب لابن ميثم البحراني ٩٣، ورواية نهج البلاغة في هذين الموضعين هي "وحصدوا بالوار".

ذكر سلطنة علاء الدين محمد بن جلال الدين الحسن

[٢٤٩] كان علاء الدين محمد في التاسعة من عمره عندما جلس مكان أبيه الذي تُوفي في منتصف رمضان سنة ثمانى عشرة وستمائة [أول نوفمبر ١٢٢١م]، ولم يكن له سوى ابن واحد هو علاء الدين المذكور.

وكان جلال الدين قد مات مريضاً بالإسهال فاتَّهَموا نساءه بدس السم له بالاتفاق مع أخته وبعض أقاربه، فقام الوزير، الذى كان بمقتضى وصيته مدبراً للملك ومربيًا لابنه علاء الدين، بقتل خلق كثير من أقاربه، وأخته، ونسائه، وخواصه، وأهل بطانته بتلك التَّهمة، وقام بحرق بعضهم.

ولما كان علاء الدين لا يزال طفلاً، ولم يكن قد لقي نصيباً من التربية والتأديب، وطبقاً لمذهبهم المزيف وطريقهم المزيف يُعدّ إمامهم متشابهاً، في المعنى الأصلي في أطوار الطفولة والشباب والشيخوخة وكل ما يقوله كيفما كان يُعدّ حقاً. والامتثال لأمره في أى أسلوب يمارسه دين لأولئك الكفرة، ولذلك لا يمكن لمخلوق تعنيفه بأى حال من الأحوال كما لا يجوز في اعتقادهم المذموم تأديبه ولا توجيه نصح إليه أو إرشاد. فلا غرو أن أغفلوا تدبير (أمر) الدين والدنيا، والمحافظة على المبادئ التي كانوا قد التزموا بها بإسلامهم وأعرضوا عن الاهتمام بأمر الملك، وكان الطفل الجاهل الذى (بايعوه) يتكفل بأمر دينهم ودنياهم ويرعى مصالحهم.

وَمَنْ كَانَ الْغُرَابُ لَهُ دَلِيلًا فَتَأْوِسُ الْمُجُوسُ لَهُ مَقِيلٌ^(١)

(١) انظر ذيل مجمع الأمثال لفرايتاغ ص ٤٦٦، وحياة الحيوان ٢: ٢١٤ في عنوان الغراب، وقد

روى الاثنان هذا المثل على النحو التالى:

ومن يكن الغراب له دليلاً يمز به على جيف الكلاب

ولقد شُغل مع أقرانه من الأطفال باللعب واللهو واقتناء الجمال ورعى الأغنام فوق نديب الأمور برأى النساء، حتى اضمحلت الأسس التي كان أبوه قد وضعها، [٢٥٠] وبطلت التدابير التي كانت على منهاج الإصابة، وأول ذلك كله أن أولئك الذين كانوا قد تقلدوا الشريعة والإسلام؛ خوفاً من أبيه وهم خبناء الطوية مظلمو الضمير وكانوا لا يزالون يعتقدون في مذهب جده الفاسد ﴿وَأَشْرِكُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْمَجِلَ﴾ [البقرة] لم يروا من يمنعهم ويزجرهم عن ارتكاب المنكرات والمحظورات، ونظراً لأنه لم يكن لديهم محرّض أو وازع على اتباع الفرائض والسنن واقتفاء آثار السداد والزّشاد، ارتدّوا مرة أخرى إلى إلحادهم ومروقهم، ولم تكّد تنقضي مدة قصيرة حتى عادت لهم الغلبة والقوّة. أما الآخرون الذين كانوا قد قبلوا الإسلام عن بصيرة وأرادوا المداومة على هذا المذهب فقد خافوا من مهاجمة أولئك الملحدّين ونكايتهم وأخفوا إسلامهم مرة أخرى؛ خوفاً على حياتهم، فشاع الإلحاد من جديد - لا أعاده الله أبداً - بين تلك الطائفة المشنومة والمجتمع المذموم. ولهذا السبب أهملت قواعد الملة والدولة ومصالح الدّين والدّنيا مرة أخرى وولّت وجهها نحو الاندراست.

ولما انقضى ما يقرب من ست سنوات على تولّى ذلك الطفل المالك قام الطبيب الذي استخدموه بفصده، دون أن يكون مريضاً ودون داع وخلافاً للنصيحة والمشاورة، فأخرج دماً بكثرة بالغة، فاختلّ دماغه، وتمثلت أمامه الخيالات، وبعد مدّة قصيرة ظهرت عليه علّة المالبخوليا، ولم يكن لأحد قوّة ولا جرأة على أن يقول بوجوب اعتزاله أو معالجته كما لم يتمكن الأطباء هناك وغيرهم من ذوى العقل والمعرفة من القول: إنه مصاب بالمالبخوليا أو بأذى مماثل، وإلا فإنّ عوامّ تلك الطائفة سوف تسعى دون أدنى ريب في طلب دمه؛ لأنّ الأذى الذي يتعلّق به نقصان في العلم أو زوال في العقل [٢٥١] لا يجوز على الإمام بحيث يمكن عندئذ نسبة بعض أوامره وأفعاله إلى اختلال العقل وفساد المزاج والدماغ؛ فلا غرو أن كانت تلك العلّة تتزايد يوماً بعد يوم حتى استولت عليه تماماً/ وفي خلال السنوات الأخيرة من عهده أصبح

علاء الدين الخالي من التدابير مجنوناً من أثر ذلك المرض، فضلاً عن نقصان العقل الغريزي وانعدام التأديب والتربية في أيام الصبا.

فصارت القيود والسلاسل مناسبة له. ونظراً لأن هذا قد حدث في هذا العهد ويعرف المعاصرون سوء تدبيره وفساد عاداته، وخبث خياله، وإهماله وإضلاله، وغاية جنونه، ورسومه غير الميمونة، فلا حاجة إذن إلى شرح؛ لأن التفصيل يستطيل، ولا يتيسر تقرير عشر العشير من وصفه بتحرير الطوامير، فلو اشتبه أحد فينبغي عليه الاستدلال على الفاتحة من الخاتمة، وعلى البداية من النهاية، وعلى المقدمة من النتيجة، هذا فضلاً عن نخوة الملك والغرور لمن كان أتباعه وأشياعه أشقياء أغبياء، من الطفولة إلى آخر العمر، ونظراً لفساد خيالهم وبلادة حسهم أقاموا في ضميره الأسود وخاطره الفاسد أن كل ما يفكر فيه إنما يطالعه من نقوش اللوح المحفوظ، وكل ما يقوله إنما يقوله بإلهام إلهي، ولا يجوز أن يكون فكره وقوله خطأ وسهواً، حتى انخدع هو أيضاً بذلك، فوقع في خطأ مع نفسه، وكان يروى من الأحوال الماضية [٢٥٢] التي تظير (لهم) وكأنها أعاجيب، ويجعل من الأخبار الخفية أشياء مغيبة، كلها خبط عشواء، وقولٌ على العمياء، وكذبٌ صراح، ومحضُ افتضاح، ولم يكن يفكر في أن تلك الهذيان سوف تصطدم بتكذيب ذوى العقول.

وبسبب ما كان في طبعه من سوء التربية وعدم الممارسة والشراسة والزعارة^(١) لم يكن أحد يملك القدرة على أن يعارضه، أو يشير في حضوره إلى مسألة من المسائل التي تتصل بمصالح المملكة قد يتغير منها خاطره قليلاً، فلا شك أن الجواب على ذلك الشخص يكون قتله في الحال بالنكال بعد معاقبته بالمثلثة غير اللائقة وقطع أعضائه.

(١) الزعارة: الشراسة. (القاموس المحيط). (المترجم).

فلا غرو أن أخفيت عنه الأخبار التي تتعلّق بداخل مملكته وخارجها وأحوال الأصدقاء والأعداء، لدرجة أنه كان يرسل الرّسل إلى بلاطات السلاطين، فإذا ما عادوا فإنهم لا يعيدون على مسامعه الجواب الذي رد به الملوك على التماسه وكلامه؛ لأن ذلك لم يكن موافقاً لطبعه على الإطلاق، وعلى الرغم من أنه كان يعرف هذا فإنه كان يخفيه في نفسه، ولم يجرؤ ناصح قط على التلقظ أمامه بكلمة عن ذلك. وكانت كل رسائله للسلاطين كذباً وتلفيقاً أباطيل، وكان يظن أن ذلك التزوير الذي يتظاهر جهّال قومه بتصديقه نفاقاً، إما لجهلهم وإما لخوفهم، سوف ينطلي على حضرات السلاطين أو يشكّل على العقلاء.

وكانت تقع في ملكه كل يوم سواء بأمره أو من دون أمره إحدى حوادث السرقة وقطع الطريق وإيذاء الخلق، فكان يظن أنه يمكنه تمهيد العذر عن ذلك بالكلام التقليدي وبذل المال. إلى أن زاد الأمر عن الحد وأصبحت حياته ونساؤه وولده ودماءه وملكه وماله كلها عرضة لذلك التخبّط والجنون، وليس ذلك كله بحاجة إلى شرح أو تقرير؛ لأنه في غاية [٢٥٣] الوضوح والاشتهار.

وكان ركن الدين خورشاه هو أكبر أبناء علاء الدين، وفي أثناء طفولته كان علاء الدين نفسه لا يزال في سنّ الشباب؛ إذ لم يكن فارق الميلاد بينهما يتجاوز ثمانية عشر عاماً، وعندما كان ركن الدين لا يزال طفلاً كان علاء الدين يقول لنفسه : "إن ركن الدين سوف يكون إماماً وهو وليّ عهدي". فلما كبر ركن الدين لم يفرّق مخازيل أتباعهما بينه وبين أبيه من حيث التعظيم والرتبة، فكان حكمه نافذاً كحكم أبيه؛ لذلك استاء منه علاء الدين وأخذ يردّد: "سوف أجعل وليّ عهدي ابناً آخر غير ركن الدين". فلم يقبل قومهما، بمقتضى مذهبهم، ذلك الكلام وقالوا: "اعتبار النصّ الأول صحيح".

ومن أجل ذلك كان علاء الدين يؤذى ركن الدين كما كان يعذّبه بغير سبب، ويعاقبه بصفة مستمرة بمقتضى جنونه وغلبة اختلال عقله، كما كان دائم المؤاخذة له، وكان قد اضطره إلى البقاء بصفة دائمة مع الحريم في حجرة مجاورة لحجرة أبيه، فلم يكن يجرؤ على الخروج في وضح النهار، فكان ينتهز الفرصة عندما يكون أبوه ثملاً أو مشغولاً برعى قطيع من الأغنام -رفقاً لما جرت عليه عادته- أو منشغلاً بشيء آخر أو غافلاً (عنه) فيتسلّل من الحجرة في المساء لشرب الخمر أو يذهب إلى حيث يشاء.

مجل القول: إن علاء الدين وعلمه هُوسه قد اشتد في شهور سنة ثلاث وخمسين وستمائة [١٢٥٥ - ١٢٥٦م]، فازداد تغيّره على ركن الدين بالأسباب والاتفاقات الفلكية التي يطول تفصيل الحديث عنها، ولا يليق إيرادها في هذا التاريخ، فاستمر في عقابه وإيذائه، وكان يواصل إيذائه وتهديده ووعيده، حتى خاف الولد منه على حياته وكان يقول [٢٥٤]: "لست آمن -في أي وقت من الأوقات- على حياتي من أبي".

ولهذا أخذ يعدّ العدة للهرب من وجه أبيه على أن يذهب إلى قلاع الشام ويستولى عليها، أو يسيطر على الموت وميمون دز وبعض قلاع رودبار المشحونة بالخرائن والدخائر وينفصل عن أبيه ويتمرد عليه.

وقد حدث في السنة نفسها أن كان أكثر أركان دولة علاء الدين وأعيان مملكته خائفين منه، بحيث لم يكن أحد منهم قط يطمئن إلى بقائه على قيد الحياة؛ إذ كان قد اتهم بعضهم بمناصرة ركن الدين، فتغيّر عليهم، كما كان قد اتهم بعضهم - بسبب خياله الشاذّ ودماغه المختل - بتهم أخرى فكان يواصل إيذائهم وتعذيبهم. مع أنهم لم يكونوا في خوفهم يحادثون بعضهم بعضاً وإنما كانوا يتبعون أسلوب الإدارة تظاهراً ونفاقاً، بحيث أدى ذلك كله إلى أن ملّ منه الخواص والعوام، وكانوا على ثقة

من أن ذلك التدبير الذي كان قد مارسه ومخايل الإدبار التي لاحت على أحواله سوف تذهب بسلطته وملكه أدراج الرياح.

وكان ركن الدين يتخذ من الكلام التالي شراكاً ينصبها: "نتيجة لما يأتيه أبى من أعمال وأفعال سمجة عزم جيش المغول على مهاجمة هذه المملكة بينما لا يلقي أبى بالاً، أما أنا فأننى أعتزله وأرسل الرسل إلى حضرة سلطان وجه الأرض (يعني هولوكو) وإلى عبيد بلاطه وأنا أقبل الخضوع والعبودية، ولن أسمح لأحد بعد الآن أن يقوم بحركة فاسدة في ملكى حتى يبقى الملك وتبقى الرعية".

لهذه الأسباب والدواعى بايعه أغلب العظماء والأركان ورجال الجيش واتفقوا على شرط أن يكونوا معه في كل ناحية يتوجّه إليها وأن يحفظوه من أتباع أبيه وأجناده وأن يبذلوا أرواحهم دونه، إلا إذا قصده أبوه فإنهم عندئذ لن يضربوا أباه ضربة أو يرفعوا عليه يداً.

فلما انقضى شهر على هذا الحديث مرض ركن الدين ولزم الفراش وبقي عاجزاً عن الحركة. [٢٥٥] وفى يوم من الأيام شرب أبوه خمراً فنام وكان قد شرب في كوخ من الخشب والغاب مجاور لاصطبل الأغنام، وكان ينام من حوله عدد من الغلمان والرعاة والجمالين وأمثال هؤلاء الأراذل والسفلة، وفى منتصف الليل وجد مقتولاً من أثر طعنه بلطة في رقبته. فانتهى أمره بهذا الجرح، بينما جرح هندي وتركماني كانا قد ناما بجواره، فمات التركماني بعد ذلك بينما شفى الهندي، وقد حدث هذا في سلخ شوال سنة ثلاث وخمسين وستمائة [أول ديسمبر ١٢٥٥م] في مكان يقال له شيركوه^(١)، حيث كان علاء الدين يقضى معظم أوقاته.

(١) المترجم: اسم قرية وواد يقع في القسم الغربى من ناحية الموت.

ووجه أولاد علاء الدين وقومه تهمة القتل إلى عدة أشخاص، فقاموا متأثرين بذلك الوهم بقتل عدد من المقرّبين لعلاء الدين وخدمه الذين كانوا قد شوهّدوا بجوار الموضع الذى قتل فيه؛ حيث كانوا يقومون بحراسته ليلاً، ولقد توسّعوا في توجيه الاتهام والاشتباه إلى المواضع البعيدة والقريبة، فوصل الأمر بهم إلى أن قالوا: إن رجلين أو ثلاثة مجهولين قدّموا من قزوين وبالمحاباة وبالتفاق مع الخواص وكبار المقرّبين لعلاء الدين وإرشادهم توجهوا إلى فراشه وقتلوه، ثم عادوا أدراجهم بمعاونة أولئك الخواص وحمائيتهم. فكانوا يتهمون وهما وظناً كل فرد بالتعاون معهم وإرشادهم، حتى استطاعوا بعد مضي أسبوع أن يتوصلوا بوضوح المخايل والدلائل من شمائل الأحوال عن يقين أن الحسن المازندراني الذي كان أخصّ خواصّ علاء الدين [٢٥٦] وملازمه ليل نهار ومستودع أسرارهم هو الذى قتله. وقد قيل أيضاً: إن زوجة الحسن -التي كانت عشيقة علاء الدين ولم يكن الحسن قد أخفى عنها حادثة القتل- أفشت ذلك السرّ لركن الدين. قصارى القول: نهم قتلوا الحسن، بعد أسبوع، وأحرقوا جثته كما أحرقوا أبناءه الثلاثة وكانوا بنتين وولداً. وجلس ركن الدين خُرشاه مكان أبيه.

عندما كان الحسن المازندراني طفلاً حمله جيوش المغول من مازندران، فهرب من الجيش في العراق وذهبت إلى ملك علاء الدين، وكان أمرد مليحاً، فلما رآه علاء الدين أحبه وقربه إليه، فصار أمامه محلّ اعتماده التام، وكان يعزّه إعزازاً بليغاً ويسمح له بالكلام في حرية تامة، ومع هذا كان -بسبب جنونه وسوء طبعه- يؤذيه على الدوام بالتخيلات والتعليقات ويضربه ضرباً عنيفاً، فتحطمت أكثر أسنانه، وقطع جزءاً من عضو ذكرورته^(١)، وعلى الرغم من أن لحيته نمت، وظهرت في النهاية بعض آثار البياض في شعره فإنه ظلّ منظور علاء الدين ومحبيه، وكان يفضلّه على الأماردة والمعشوقين، وقد وهب للحسن إحدى خادmates التي كان يعشقها؛

(١) لا نعثر على "ذكورية" في كتب اللغة المعتمدة، اللهم إلا في قاموس دوزى، ولا بد أن تكون كذلك قياساً على رجولية وطفولية وما شاكلها.

ليتزوّجها، ومع أن الحسن رزق منها بثلاثة أبناء فإنه لم يكن يجرؤ على الذهاب إلى منزله أو على النوم مع امرأته دون إذن من علاء الدين، ولم يكن علاء الدين يستتر من الحسن أثناء مقارنته ومباشرته لامرأته، وكان الوزراء وكبار رجال دولة علاء الدين وسائر أهالي المملكة يتقربون إلى الحسن في رفع الحاجات وإنهاء الحالات والمهمّات الأخرى، بل في [٢٥٧] المصالح، إذ لم يكن هناك من يستطيع مباشرة علاء الدين في الحديث مثله، ولم يكن يقبل تنفيذ أمر بقول امرئ غيره. وكثيراً ما كان الحسن يوافق ويجيز من تلقاء نفسه على ما يريد دون استطلاع رأى علاء الدين، وكانت أحكامه تنفّذ بتمامها. وكان قد استطاع بهذه المداخل المذكورة أن يجمع ما لا كثيراً غير أنه لم يكن يستطيع أن يتمتع به، وكان يخفيه عن علاء الدين، ولقد كان لباسه، الذي يتكون من رداء من الصوف والقطن الزدي، قديماً ممزقاً في أغلب الأحيان، مثله مثل ما على مخدمه المذموم علاء الدين؛ لأنه كان يضطر إلى أن يعيش متشبّهاً في ملبسه ومأكله وحالاته كلها بعلاء الدين، وكان يلزمه دائماً في السير مترجلاً خلف قطيع الأغنام، أما في وقت التعرّز والتتعمّ فكان يركب حمّاراً، وعندما كان يرتدى ملابس أفضل أو يقع في روع علاء الدين أن لديه بعض المال، فإنه كان يبتلّى بالضربات المبرحة، والمطالبات الشديدة، والتمثيل الشنيع.

لهذه الأسباب استقر الحقد على علاء الدين في قلبه وارتبطت دواعي الغضب والشحناء بعضها ببعض، وكان رجالاً مسلماً؛ إذ إنه رغم معاشرته لعلاء الدين السنين الطوال، كان حب الإسلام وبغض الإلحاد قد تمكنا من قلبه وعقيدته، وكان قد نشأ للحسن عن طريق مجانسة الغربة واعتقاد الإسلام مؤانسة إلى بعض المسلمين الذين كانوا في خدمة علاء الدين، ويقوا بالضرورة أسرى في ملكه، وتوطّدت بينهم صداقة، وحينما كان يجد معهم فرصة المناقشة والحوار كان ينصرف إلى ذكر مثالب علاء الدين ونشر مخازيه ومساوئه (تعبيراً) عن نفثة المصدور وشرح الغصة ومقاساة شدائد معيشته، وبمقتضى هذه الدواعي أصبح التوفيق رفيقه حتى اغتال علاء الدين فخاطر بقلبه وروحه في ذلك الجهاد. جزاه الله بنيته خيراً.

[٢٥٨] ولقد قال البعض: إن ركن الدين خورشاه قد قتل أباه، وهذا مخالف للحقيقة؛ لأن ركن الدين كان مصاباً بالحمى في تلك الليلة وملزماً للفرش، وبقي اجزا عن الحركة عدة أيام. ولكن للأسباب التي سبق ذكرها، فضلاً عن قرائن الأحوال المختلفة عن ذلك، يمكن الاستدلال على أنه لم يستنكر قتل أبيه أو يستاء منه وأن الحسن قد أقدم على فعل ذلك برضا منه. ويمكن أيضاً أن يكون الحسن قد اتفق منذ البداية مع ركن الدين وأقدم على هذه الفعلة بمشورته وموافقته؛ لأنه لما ذاع الخبر بأنه قتل علاء الدين لم يقبض عليه ركن الدين، ولم يطالب ويستعلم عن ساعده في ذلك العمل، وكيف نشأ الوازع، بل أرسله على سبيل التعليل؛ ليتولى أمر قطع غنمه الخاص الذي كان قد بقي عن علاء الدين، بحيث يُعنى بالخراف ويهتم بأمرها، وأرسل في عقبه أحد ثقاته، فضرب الحسن ببيلة لما غفل، فقتله بطريقة لا يستطيع بها أن يعرف أنه هوجم [٢٥٩] فلا يتمكن من التفوه بحرف. فقال الناس مستندين إلى هذه الإمارات والدلائل إن ركن الدين والحسن كانا قد تواضعا وتعاهدا على قتل أبيه فخشى، إذا أجرى تحقيق أو محاكمة، أن يشي الحسن بكلمة عن معرفته بالأمر أو حتى عن إذنه أو إشارته وإيعازه. وكانت أم ركن الدين وإخوته -خلال السنة التي بقيها في الملك خلفاً لأبيه- إذا أرادوا إيذاءه واستثارت يتهمون به بقتل أبيه ويعذون ذلك من معاييه، وكانوا يتهمون الجماعة الذين كانوا يعذون أصدقاء ركن الدين ومن أهل رعايته في عهد علاء الدين وهم الذين أعزهم ركن الدين -لما جلس مكان أبيه، وعدّهم من خاصته وأهله- فينسبون إليهم أنهم تعاونوا معه في قتل أبيه علاء الدين، بل كانوا يقولون: إن ركن الدين رضى بقتل أبيه أو أمر به بحضهم وتحريضهم، والله أعلم بالخفيات والسرائر.

ذكر أحوال ركن الدين خورشاه بعد وفاه أبيه

بعد أن فرغ من مراسم العزاء التي استغرقت ثلاثة أيام وجلس مكان أبيه، أرسل الجيش الذي كان أبوه قد جهّزه لمهاجمة شال رود^(١) من ناحية خلخال، [٢٦٠] فاستولوا على قلعتها وأعملوا فيها القتل والغارة. وبعد ذلك أرسل رجلا إلى كيلان وغيرها من البلاد المجاورة لإعلان وفاة أبيه، وبدأ -خلافا لسيرة أبيه- في وضع أسس الصفاء مع أولئك الجماعة، وأرسل إلى كل ولاياته بالتزام الإسلام، وبأن يسلكوا سبل السلام.

وأرسل رسولا إلى "يسورنوين" في همدان يقول: "طالما تقلّدت الحكم فسوف أسلك طريق الخضوع، وأمحو غبار الخلاف من طلعة الإخلاص". فأجابه يسورنوين بأن مواكب الأمير هولكو وشبكة الوصول، والصّلاح في أن يخرج بنفسه، ولقد بذل غاية جهده في حثّه على ذلك، وبعد ذهاب الرّسل وقدمها أرسل رسالة وقرّر "سأرسل أخى شهنشاه بادئ ذى بدء حتى يسير في رفقة يسورنوين" فسير شهنشاه في صحبة جماعة من كفاة الحضرة في غرة جمادى الأولى^(٢)، فوصل إلى يسورنوين في حدود قزوين فأرسل يسور ابنه مورقا في صحبة شهنشاه إلى حضرة السلطان.

(١) انظر: نزهة القلوب لحمد الله المستوفى ص ٨٢، ٢٢٣، (حيث تبدو «شاهرود» في الموضع الأول من س ١٤ تصنيف "شالرود" ويكرر لوسترنج في "بلدان الخلافة الإسلامية" ص ١٦٩ ألفاظ المستوفى بعينها وبالتصنيف نفسه، هذا إذا كان ذلك في الواقع تصحيحاً، كما يكرر ذلك في الخريطة المقابلة لـ ص ٨٧).

(٢) سنة ٦٥٤ - "الأول" كذا انظر ما سبق ص ١٨٥، حاشية ٢.

وفى العاشر من الشهر نفسه [٥ من يونيه ١٢٥٦] دخل يسور «رودبار ألموت» كقائد لجيوش المغول والتاجيك. [٢٦١] وكان جنود ركن الدين وفداويوه قد تجمّعوا على قمة سيالان كوه^(١) في أعلى ألموت، وعزم الجيش المغولى على الصعود من أسفل فوقعت موقعة عظيمة، إلا أنه لما كانت قمة الجبل محكمة والرجال كثيرون فقد تراجع جيش المغول وأتلف جنوده غلاتهم عن آخرها واشتغلوا بتخريب الولاية، وفى أثناء ذلك وصل الرّسل الذين كانوا قد أمروا بالسير من قبل سلطان الدنيا من أستاذ بعد وصول شهنشااه إلى العبودية فى أواخر جمادى الآخر (صح: الآخرة) إلى ركن الدين وسلموه مرسوماً باستمالته [٢٦٢] واستعطافه، إذ إنه نظراً لأنه أرسل أخاه وأدى العبودية والخضوع وما زال يؤديهما، فقد عفوت عما ارتكب أبوه وأتباعه من أخطاء فى عهد أبيه، وحيث إنه لم يصدر عن ركن الدين نفسه أى جرم خلال المدة التى جلس فيها مكان أبيه، فإنه إذا خرّب القلاع وتوجّه للعبودية فلن تقدم الجيوش

(١) أغلب الظن أن المراد هو "سيالان كوه" (سین مهملہ ویاہ مثناة تحتانیة ثم ألف ولام ثم ألف وفى الآخر نون) (أى جبل سیلان) وهو اسم جبل يقع فى شمالی منطقة ألموت الجبلية شرقی الجبل المعروف بتخت سلیمان، وما زالت بعض آثار قلعة ألموت المشهورة باقية حتى الآن، وكانت قد بنيت على صخرة من صخور هذا الجبل، وقد طبعت هذه الكلمة محرفة وخطأ فى أغلب الكتب الجغرافية والخرائط الأوروبية الجديدة: فى جغرافيا إلیزة ركلو ج ٩ ص ١٥٨ - ١٥٩، وفى قاموس فیفن دوسن مارتین الجغرافى ج ٣ ص ٧٤٠: سیلار *Siyalar* - براء مهملہ فى آخر الكلمة بدل النون، وفى الخريطة الكبرى لإیران طبع وزارة الدفاع البريطانية سنة ١٨٩١: سیفال *Sivata*، وبناء على التحقیق الذى قام به صديقى الفاضل السيد میرزا عباس إقبال آشتیانی فى طهران معتمدا على بعض المتقین من أهالى المكان نفسه تحقیقا لرغبتى بتبین أن الكلمة "سیالان" كما ضبطناها هى الصحيحة. ولا شك فى أن أهل البیت أدرى بما فى البیت، وقد طبعت هذه الكلمة فى الخريطة الكبرى لإیران التى أعدها السيد میرزا عبد الرزاق خان المهندس "سبالان" بالباء الموحدة، ولكن المؤلف المحترم صرح شفاهة للسید إقبال بأن الباء الموحدة خطأ مطبعی وأن الصواب یاء مثناة تحتانیة.

على عمل من أعمال التّخريب في ولايته فأظهر ركن الدين الطّاعة وخزّب عدداً من القلاع، أما الموت وميمون دز ولمسّر فقد رمى أبوابها وحطّم بعض أسوارها وأبراجها. وبمقتضى أمر السلطان -الذي سبق ذكره- انسحب يسورنوين وجنوده من الولاية. وتوجّه أحد خاصّة السلطان وصدر الدين في صحبته إلى عبوديّة السلطان، فوصلا للعبوديّة لإبلاغه بما انتهى إليه الأمر وطلباً حاكماً والتمسا مهلة سنة واحدة، وقد بقى بعض الرّسل هناك بغرض الفراغ من تخريب القلاع الباقية. وفي أوائل شعبان كان رسول السلطان وصدر الدين قد وصلا إلى الحضرة في شغان^(١)، ثم رجعا من البلاط [٢٦٣] وسلّما ركن الدين مرسوماً مقدّراً على التّرهيب والتّرهيب. وكان تولّاك^(٢) بهادر قد قدم في صحبتهما، وكانت التعليمات تقضى بأنه لو أطاع ركن الدين فإنّ عليه بمقتضى الأمر أن يتوجّه لإظهار الخضوع وأن يتولى تولّاك الحكم في غيبته للمحافظة على الولاية.

أما ركن الدين فقد حمّله قصور تفكيره على إظهار شيء من التقاعس عن الخروج وخاف وتلعثم، وأثار غبار التعلّل، وقد سيّر وزيره شمس الدين كيلى، وابن عم أبيه سيف الدين سلطان ملك بن كيا بو منصور، في صحبة الرّسل إلى الحضرة في السّابع من شعبان، أما هو فقد اعتذر وطلب مهلة. كما أرسل استدعائين لكى يحضر نوابه من كردكوه وقهستان إلى خدمة السلطان ويظهروا العبوديّة والطّاعة، وقد وصل الشّخصان المشار إليهما إلى الحضرة في حدود الرّى، ولما رفعت رايات السلطان في ولاية اللّار ودماوند أوفد (السلطان) شمس الدين كيلى من هناك إلى [٢٦٤] كردكوه ليحضر حاكمها إلى حضرته، كما أوفد رجلاً من مصاحبى الوزير

(١) في الأصل سفاق، انظر فيما يلي ص ٣٧٢ - ٣٧٥. (المترجم).

(٢) جامع التواريخ، طبع كاتمر، ١٨٤: ١٨٤، توكل.

إلى قهستان لإحضار حاكمها، كذلك أوفد سيف الدين سلطان ملك مع جماعة الرسل إلى ركن الدين لإبلاغه بأنه لما كان سلطان الدنيا قد نزل في دماوند فقد أصبح من الواجب على ركن الدين أن يتوجه لإظهار العبودية، ولو حدث أن تخلف بهدف تدبير أمره خمسة أيام فعليه أن يرسل ابنه أولاً، وقد وصلوا^(١) في أول رمضان [٢٢ من سبتمبر] أسفل ميمون دز، واضطرب ركن الدين وقومه من نبأ وصول رايات فاتح العالم إلى الحدود، ومن الإشارات السلطانية التي أشار بها السلطان، فاستولى الرعب والخوف على ركن الدين، وقال: "سوف أرسل ابني" وهذا ما فعله بعد إشارة النصحاء والمشيرين^(٢) وبعد استشارتهم ثم بدعوا في التجهز (للرحيل) إلا أنه أخذ يدبر التلبيسات والتَمْويهات خفية مستمعا لقول النساء وقصار النظر. فما كان منه إلا أن أرسل طفلا في سن ابنه، وكانت أم هذا الطفل كردية تعمل خادمة في قصر أبيه، فلما افتضح أمر حملها بالطفل أرسلها علاء الدين إلى منزل أبيها. ولما ولد الطفل لم يجسر أحد على القول بنسبته إلى علاء الدين ولم يعيروا الأمر انتباهاً، فجعل (ركن الدين) هذا الطفل شريكا للخداع في هذا الشأن، وأخفى الأمر وموّهه على مدبريه ومشيريه وأعلن: "ها أنذا أرسل ابني" وقد أرسل هذا الطفل في صحبة الرسل في السابع عشر من رمضان [٨ من أكتوبر].

(١) يعني رسل هولاكو.

(٢) كان نصير الدين الطوسي أحد هولااء. وكان. طبقاً لتاريخ طبرستان لابن اسفنديار (ترجمة براون ص ٢٥٩) يعمل وزيراً لركن الدين. (المترجم).

وكانت رايات السلطان قد وصلت إلى حدود ولاية ركن الدين، فكيف يبقى الأمر سرّاً؟ ولقد كان واضحاً أنه أرسل ابناً مزيفاً^(١)، إلا أن حضرة السلطان لم يأمر في الحال بكشف ذلك التلبس واستمر الإغضاء والمواراة. وبعد يومين أعيد الطفل المزور برسالة مضمونها أنه لا يزال مجرد طفل صغير، فإذا كان ركن الدين [٢٦٥] سوف يضطر إلى التأخر قليلاً عن الوصول إلى العبودية، فعليه أن يعجل بإرسال أخيه الآخر، حتى يعيدوا إليه أخاه شهنشاه، الذي لازم خدمة البلاط مدة طويلة، إجابة لملتمس ركن الدين، وقد وصل الابن المزور إلى ركن الدين في الثاني والعشرين من رمضان [١٣ من أكتوبر].

وفي هذه الأثناء لما كانت المسافة بين رودبار الموت وبلاط السلطان قريبة كان الرسل يترددون على الدوام يحملون الرسائل من حضرة السلطان، وعدا ووعيداً، واستمالة وإنذاراً، مجمل القول: إن ركن الدين سير أخاه الآخر، المسمى شيرانشاه^(٢) إلى حضرة السلطان في الخامس من شوال [٢٦ من أكتوبر]، فوصل شيرانشاه إلى عبودية السلطان في اليوم الثالث الموافق السابع من شوال [٢٨ من أكتوبر] بناحية يقال لها فسکر من مضافات الري. وفي الوقت نفسه عاد الوزير كيلى من گردکوه وقد أحضر حاكمها القاضي تاج الدين مردانشاه إلى عبودية سلطان الدنيا. وفي التاسع من شوال [٣٠ من أكتوبر] أعيد أخوه شاهنشاه من هناك برسالة مضمونها "إنه لو خرب ركن الدين قلعة ميمون دز وتوجه بنفسه إلى عبودية السلطان، فسوف يصير موضع شفقتنا

(١) يعتقد جامع التواريخ (كاتمر ٢٠٤ = ص ٢٥٢ من الترجمة العربية) أنه كان الابن الحقيقي لركن الدين، ولم يكن في الأمر كذب أو بهتان "وفي السابع عشر من رمضان سنة أربع وخمسين وستمئة، أرسل خورشاه إلى هولكو، ابنه الذي كان في السابعة أو الثامنة من عمره - كان قد أنجب من محظية - بصحبة طائفة من الأكابر والأعيان".

(٢) جامع التواريخ يطلق عليه الاسم نفسه في الجزء الخامس الخاص بالإسماعيلية ١٢٢ = ص ١٨٨ طبع طهران، بينما يطلق عليه في الجزء الخاص بهولكو طبع كاتمر ص ٢٠٤ = ص ٢٥٢ من الترجمة العربية - اسم (شروانشاه).

وإعزازنا، على النحو الذي تجرى عليه عادة عاطفتنا، وإلا فلا يعلم أحد إلا الله ما بقي محتجبا عن النظر في العاقبة".

وفي أثناء [٢٦٦] هذه المفاوضات وتردّ الرّسل ما يقرب من شهر كان بوقا تيمور وكوكا إيلكاي، اللذان كانا قد توجّها أيضا بجيوش كثيفة من ناحية أسبيدار، يقتربان من شاطئ البحر الذي يقع خلف ظهر مملكة ركن الدين، وخصوصا ميمون دز، التي كانت حصنا له ومعقلا، وكانا يستوليان على القلاع والبقاع المحيطة بها.

وفي منتصف شوال [أول نوفمبر] توجه سلطان العالم من بسكر^(١) إلى ولاية ركن الدين سالكا طريق الطالقان، ثم نزل في السابع عشر من الشهر نفسه [٧ من نوفمبر] أسفل ميمون دز فالتقت الجيوش الأخرى القادمة من جميع النواحي وأحاطت بالقلعة.

ولما كان ركن الدين يتأني ويتمهل في اقتفاء سعادته وانتهاج جادة مصلحته، ويحجم عن النزول من القلعة، قامت مهاوشة^(٢) وحرب دامت ما يقرب من ثلاثة أيام بين قوات السلطان القريبة من القلعة وبين سكان الجبل وجنود ركن الدين الذين أحرزوا بعض الانتصارات، إلا أنهم لم يلبثوا أن ذاقوا شيئا من المهابة السلطانية [٢٦٧] وسطوة قدرتها. وفي الخامس والعشرين من شوال [١٥ من نوفمبر] قامت الحرب السلطانية، التي لا يمكن أن يكون هناك أكثر عظمة ومهابة منها. فشهد ركن الدين نموذجا وعرف أنه لا قبل له (بالمقاومة)، وفي اليوم التالي أرسل ابنه الوحيد، وأخاه الآخر المسمى إيران شاه مع طائفة من أعيان قومه وكفاتهم ومقدميهم.

وفي يوم السبت التاسع والعشرين من شوال [١٩ من نوفمبر] وصل هو نفسه إلى عبودية سلطان العالم، وحظى بسعادة المثل في الخدمة. وأخرج كل قومه

(١) الظاهر بل المؤكد أن بسكر هذه هي نفس فسكر المذكورة بالصفحة السابقة.

(٢) كذا في الأصل، والمهاوشة والمناوشة متقاربتان في المعنى ومعناهما الحرب الخفيفة والقتال غير الشديد.

والمُتصلين به من ميمون دز وقَدَم خزائنه إلى السلطان دليلاً على الخضوع. ومع أنها لم تكن فاحرة كما اشتهر عنها، فإنهم أخرجوا ما كان موجوداً، فأمر السلطان بتوزيع أغلبها على الجند، واستخلص القلعة، كما استخلص باقى قلاع ركن الدين. وأما كيفية استئصال القلاع واستخلاص تلك الولايات بلا استثناء فسوف يتم شرحها بمزيد من الوضوح فيما يلي مباشرة.

كان قتل علاء الدين، أبى ركن الدين خورشاه، في آخر شوال سنة ثلاث وخمسين وستمائة [أول ديسمبر ١٢٥٥م]، وكان بدء تقلد (ركن الدين) حكم أولئك القوم، وهم المطيعون لهما وأتباعهما، في اليوم الأخير من شوال. وقد خرج ركن الدين في آخر يوم من شهر شوال سنة أربع وخمسين وستمائة [١٩ من نوفمبر ١٢٥٦م]، ووقف أمام حضرة السلطان في مقام العبودية، وبذلك كانت مدة حكومته مكان أبيه سنة كاملة.

[٢٦٨] ذكر قلاع ركن الدين بعد نزوله

كان ركن الدين لا يزال يتمتع بحسن الطالع إذ نزل من القلعة^(١)، وقد لازمه من الأمراء تمغا، أحد أمراء البلاط، مع جماعة آخرين لحمايته. وكان ركن الدين قد أرسل معتمديه في صحبة الرسل لهدم قلاع تلك الولايات وتخريبها. فحطموا ما يربو على أربعين قلعة، وهبط منها سكانها الذين كانوا كلاب الإلحاد، بمقتضى الأمر فيما عدا سكان قلعتي ألموت ولمسّر، الذين تعللوا والتمسوا أن ينزلوا من القلعة عندما تصل مواكب السلطان إلى حدود ألموت.

وبعد يومين أو ثلاثة^(٢) تحرك السلطان، وعبر شيرك رودبار مرة ثانية وعسكر الجيش هناك، وكانت شيرك هذه في أيام الجاهلية قبل الإسلام وفي الإسلام قبل الإلحاد مركزا لمملوك الديلم ثم أنشئ بها في عهد علاء الدين حديقة وقصرًا وكانت متنزهًا لهم، ولقد أقام (المغول) احتفالًا بالفتح والظفر استمر تسعة أيام، ثم توجهوا من هناك إلى أسفل ألموت، حيث توقفوا يومًا واحدًا، وأوفد ركن الدين إلى أسفل القلعة [٢٦٩]؛ لكي يفاوض أولئك القوم ويدعوهم (إلى التسليم) فتمرد مقدم القلعة المسمى مقدم الدين^(٣) وأبى النزول إباء تامًا. فترك السلطان الأمير بلغاي^(٤) مع جيش جزار لإحكام الحصار حول القلعة، بينما عزم هو على التوجه بنفسه إلى لمسّر.

(١) يعنى ميمون دز كما سبق للمصنف أن صرح في الصفحات السابقة.

(٢) بعد فتح ميمون دز بحوالى ثلاثة أيام.

(٣) الفقرة المعادلة في جامع التواريخ ١٢٤ = ص ١٩١ ط طهران: وتردد مقدم الدين الذى كان مقدم القلعة، وواضح من سياق العبارة أن مقدم أو مقدم الدين كان اسم رئيس قلعة ألموت.

(٤) بلغاي: هو الابن الرابع لشييان (شيبقان) بن توشى بن جنكيز خان، وقد أرسله باتو لمدد هولاكو في أثناء توجهه إلى إيران، ومات فجأة في حدود ٦٥٧هـ، انظر جامع التواريخ طبع بلوشه ص ١١٥، ١١٧، ١٣٧ - ١٣٨، وجامع التواريخ طبع كاتمر، ص ٣٥٨ = ص ٢٨١ من الترجمة العربية لجامع التواريخ طبع كاتمر، وأيضا ص ٢٨٦، ٢٨٧، ٣١٧، ومختصر الدول لابن العبري ٤٦٠، وقد كتب اسم بلغاي بتفاوت في الرسم بين كل من الجامع ومعز الأنساب وأبى الغازى ومختصر الدول: بلغاي وبلغا وبلغه وبالاقان وبلغه، وكل هذه الأسماء لمسمى واحد. (راجع ص ١١٩ فيما سبق).

ولقد دخل أرباب ألموت من باب المصلحة، وأغلقوا طريق الممانعة، إذ أخذوا يرسلون الرّسول تلو الرّسول إلى ركن الدين أسفل لمسر، حتى شفع لهم عثراتهم في حضرة السلطان، وحصل لهم على مرسوم الأمان، ثم سار إليهم، ولقد نزل "مقدّم" من القلعة، فصعد جماعة من المغول إليها، وسمحوا لركن الدين بالصعود معهم، فحطّموا المجانيق، وخلعوا الأبواب، وطلب سكّان القلعة ثلاثة أيّام مهلة، واشتغلوا بنقل ما كان في القلعة من متاع وزاد، وفي اليوم الرابع صعد كلّ الجنود والمجنّدين وأغاروا على البقايا التي تركوها.

وألّمت جبل شَبَّوه بجمل بَرَك، ووضع رقبته على الأرض. وعندما كنت بأسفل لمسر، استولت على الرّغبة في تفقّد مكتبة ألموت، التي استطار صيتها في الأقطار، [٢٧٠] فعرضت على السلطان أنه لا ينبغي تضييع نفائس الكتب الموجودة بألموت، فتقبّل السلطان طلبى بقبول حسن، وأعطى الأوامر اللازمة، فتوجّهت لتفقّد المكتبة، وأخرجت كل ما وجدت من المصاحف ونفائس الكتب على مثال: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ [الأنعام]، كما اخترت الآلات التي كانت موجودة مثل آلات الرصد من الراسي وذات الحلق^(١)، والاسطرلابات التامة والنصفية والشعاع^(٢) وأحرقت ما بقى وكان متعلقا بضلالتهم وغوايتهم، وهو ما لم يكن مستندا إلى منقول ولا معتمدا على معقول، وعلى الرغم من وجود الخزائن الوفيرة وأجناس الذهبيات والفضيات التي لا تدخل في نطاق الحصر فإنني ناديت عليها بنداء «يا صفراء اصفرّى ويا بيضاء

(١) انظر مفاتيح العلوم للخوارزمي ٢٣٥، وفوات الوفيات لابن شاکر الكتبي ٢: ١٥١ (في ترجمة نصير الدين الطوسي)، وكشف الظنون في عنوان "الآلات الرصدية".

(٢) كذا في معظم النسخ الخطية، وفي إحدى النسخ زيدت كلمة "ذات الشعبتين" في الحاشية - لم أتمكن من تصحيح هذه الكلمة، وذات الشعبتين هي أيضا اسم آلة من آلات التنجيم كذات الحلق، انظر كشف الظنون في المواضع المذكورة.

ابنِضَى»^(١) فأنعمت بها بكرم، ولقد وجدت سوفي أثناء تَفَقُّدِي للمكتبة- تاريخ الجبل^(٢) والدَّيْلَم الذى صُنِّف باسم فخر الدولة [٢٧١] بُوِيَه^(٣)، وقد ورد في ذكر الموت أن أحد ملوك الديلم، الذى يقال لهم أرجستان^(٤)، بدأ في عمارة هذا الجبل في سنة ست وأربعين ومائتين، وكان ملوك الديلم يفتخرون بها كما كانت مصدرا لاستظهار شيعة الإسماعيلية، وقد ورد في تاريخ السَّلامى أن حاكم ذلك الموضع - وكان يدعى "سياه چشم" (ومعناه الأسود العين)^(٥) كان من المستجيبين لدعوة الإسماعيلية بمصر، وذلك في أيام استيلاء الديالمة على العراق، وقد وردت كيفية انتقال الحسن بن الصباح إلى هذه القلعة فيما هو مذكور [٢٧٢] من سيرته، والحقيقة أنها كانت قلعة محكمة إحكاما شديداً، وكانت مداخلها ومخارجها ومراقبها ومعارجها قد صارت بفضل التشييد

(١) قول مشهور لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه، قال في تاج العروس في ص ف ر: "والصفراء الذهب للونها، ومنه قول على بن أبى طالب رضى الله عنه: يا صفراء اصفرى ويا بيضاء ابيضى وغرى غرى". ويرى هذا الحديث مع اختلاف في الألفاظ في مواضع أخرى، انظر مروج الذهب في حكاية حرب الجمل ٤: ٣٢٦، والعقد الفريد ٣: ٩٥، وكشف الغمة ٤٧، ومقدمة ابن خلدون ١٢١ (ص ٥٣٨ طبع الدكتور على عبد الواحد وافي) في فصل "انقلاب الخلافة إلى الملك".

(٢) من الكتب العربية التي اهتمت بتاريخ الجبل كتاب مسالك الأبيصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمرى، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٥٣ معارف عامة، انظر الجزء الثاني من المجلد الثالث. (المترجم).

(٣) بويه ليس اسم فخر الدولة كما يمكن أن نتوهم من ظاهر العبارة، بل إنه اسم جده المشهور الذى تنسب إليه هذه السلسلة. أما اسم فخر الدولة فيو على بن ركن الدولة الحسن بن بويه، وعلى ذلك ينبغي أن يعدل اسمه إلى فخر الدولة البويهى.

(٤) يحتمل أن تكون هذه الكلمة تحريفاً لكلمة «جستان» أو «آل جستان» انظر فيما يلي ص ٣٨١ وما بعدها.

(٥) راجع ابن الأثير في حوادث سنة ٣١٦ ج ٨ ص ٧٠-٧١.

الذى تتمتع به جدرانها المجدّنة ومبانيها المرصوصة من القوة بحيث بدا الحديد - في أثناء تخريبها- وكأنه يضرب رأسه في حجر، ولا يتأتى له من ذلك شيء، وهي لم تزل تقاوم، وشيدوا في جحور تلك الأحجار عدّة أروقة وأحواض عميقة بارتفاعات مختلفة بحيث أغنت عن استخدام الطوب والملاط، وكان آية ﴿وَتَنَحُّثُونَ مِنَ الْجِبَالِ يَوْمَ قَرِهِنَّ﴾ [الشعراء] قد وردت في وصفها. كما نحتوا المخازن والأحواض للشراب والخلّ والعسل وأنواع السوائل وأجناس الجوامد. وتفاصيل تفاسير آية ﴿وَالشَّيَاطِينُ كُلُّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ﴾ [ص] المبينة في القصص تشاهد في تلك العمانر من آثار الإنس^(١)، وفي وقت الغارة واستخراج الذخائر الموجودة بالقلعة خاض شخص في حوض العسل فلم يُعثر له على قرار وقبل أن يعرف الخبر كان العسل قد غطاه كله فصار وكأنه يونس لولا أن تداركه^(٢). وقد مدّوا جدولا من نهر باهرو^(٣) إلى أسفل القلعة حيث حفر جدول في الصخر على مدار القلعة [٢٧٣]، وشيدوا في قاعه لتخزين الماء أحواضا من الصخر أيضا كأنها البحر، بحيث كان الماء يندفع بقوته الذاتية فيملؤها على الدوام^(٤)، وكانت أكثر ذخائرها من السوائل والجوامد قد وضعت في عهد الحسن بن الصباح، فمضى عليها ما يربو على مائة وسبعين عاما^(٥)، دون

(١) "من آثار الإنس" في مقابل "الشياطين" يعنى ما نسمعه في القصص والتفاسير عن الشياطين والجنّ فيما يتعلّق بإعداد الأبنية الخارجة عن قدرة البشر نشاهد نظيره رأى العين في تلك العمانر.

(٢) إشارة إلى الآية الكريمة ﴿لَوْلَا أَنْ تَدْرِكُهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [القلم].

(٣) لم أتمكن من تصحيح هذه الكلمة، ويحتمل أن تكون هذه الكلمة الفاسدة المحرفة في كلّ النسخ الخطية تصحيحا لكلمة "شاهرو".

(٤) تقدّم لنا الأنسة فريا ستارك في كتابها *The Valleys of The Assassins* وصفا رائعا للوسائل التي

كان يتبعها الإسماعيلية في إمداد قلاعهم بالماء وبخاصة قلعة نمسر. (المترجم).

(٥) وكان الحسن بن الصباح قد استولى على الموت في ٦ من رجب سنة ٤٨٣ هـ.

أن تظهر الاستحالة فيها^(١)، وكانوا يعتبرونها بركة من الحسن. أما بقية وصف آلات الحرب والذخائر فهي تخرج عن أن يضمها بطن كتاب واحد دون أن يكون في ذلك ملل.

وقد عهد السلطان إلى أحد الأمراء مع عدد كبير من الحشم والمجندين بتخريب القلعة. فلم يعول على المعول، بل أشعلوا النار في المباني، ثم بدءوا بعد ذلك في تحطيمها، وقد استغرق هذا العمل منهم مدة طويلة.

وأقام السلطان في لمسر، وكانت مشى تلك النواحي، وأمهل شياطينها عدة أيام عسى أن يتخلوا عن ضلالهم وعسى أن خرج صلال^(٢) هؤلاء القوم من جحورهم في إحدى اللحظات. فلم يكن فائدة، فترك طائر بوقا مع جيش من المغول والتاجيك لمحاصرتها [٢٧٤] وعاد بالسعد في السادس عشر من ذي الحجة سنة أربع وخمسين وستمائة [٢ من يناير ١٢٥٧] موقفاً مسدداً.

وقد أسكن (السلطان) أمتعة ركن الدين الشخصية وحاشيته ومواشيه قزوين، ووزع جنده على الأمراء، وقد لزم ركن الدين عبودية السلطان مجاوزا البلاط الذي كان في حدود همدان، وسير مع معتمديه رجلين أو ثلاثة في صحبة رسل السلطان إلى قلاع الشام لكي يأتوه برؤسائها، ويقوموا بجرد خزائنها، وأن يحفظوا تلك القلاع كعبيد للسلطان، إلى أن تصل مظلمته التي هي مئوى السماء، إلى تلك الحدود والديار، ولسوف يصدر الأمر في هذا الشأن حينذاك حسب ما تقتضيه المصلحة.

(١) استخدم المؤلف الكلمة العربية 'الاستحالة' بمعنى التحول والفساد في الأمتعة والمواذ المخزونة. (المترجم).

(٢) الصلال جمع الصل، وهى الحية. (انظر حواشى الأستاذ القزوينى على جهانگشای ج ٢ ص ٣٠٤ - ٣٠٥). (المترجم).

وكان ركن الدين موضع اهتمام السلطان ومرحمته، وفي تلك الأثناء عشق ركن الدين إحدى بنات أرادل الأتراك فقدم ملكه بدلا عن حبها كمجنون ليلي، وفي النهاية زوجه بها كما أمر السلطان، وفي إحدى الأيام طلب من المطربين هذا الرباعي في مجلس الشراب (بيت فارسي، ترجمته):

- أيها الملك لقد جئت بآبك لاجئاً، وأنا خجل مما أتيت به من أفعال،

- ولقد جزني إقبالك من شعري إلى هنا، وإلا فإلى أي بلاط أذهب ولأي غرض أو غاية؟

وكانت مراحل خيالة تغلي بالهواجس ولما منه بفحول الجمال البلخية، ويدخل في نقاش حولها مع كل من يعرف عنها شيئاً، وطبقاً لهذا أمر له السلطان يوماً بمائه ناقة، فرفضها قائلاً: "كيف يمكنني أن أنتظر نتائجها؟". وطالب بثلاثين فحلاً؛ ذلك لأنه كان شغوفاً بمشاهدة مصارعة الجمال.

[٢٧٥] مجمل القول: إنه لما فرغ من أمر عروسه التمس من السلطان أن يرسله إلى عبودية حضرة منكوقا آن، وكان ملتزمه موافقاً لرأي السلطان، فتوجه في أول ربيع الأول سنة خمس وخمسين وثمانمائة [٩ من مارس ١٢٥٧م] مع تسعة أشخاص إلى تلك الحضرة في صحبة الرسل ومقدمهم (بوجراي).

ذكر أحوال ركن الدين وانتهاء أمره

عندما كان السلطان على وشك أن يوجه (ركن الدين) إلى حضرة إمبراطور العالم منكوقا آن، وفقا لملمتمسه، أخذ على عاتقه خدمة السلطان في الوقت الذي وصل فيه كردكوه، فأنزل المخازيل الذين كانوا بها من الذروة، ولما أرسله (السلطان) عهد بحراسته إلى جماعة من المغول برئاسة بوجراي، فلما وصلوا أسفل كردكوه أمر سكانها في الظاهر بالنزول، ولكنه كان يحرضهم خفية على عدم النزول، فلما غادروا ذلك المكان إلى بخاري طوع له عقله مخاصمة الرسل، فلاكم بعضهم بعضا.

ولما كان مقررا في أصل مرسوم القا آن (جنكيز خان) وكذلك في لائحة منكوقا آن ألا يتركوا أحدا منهم حتى ولو كان طفلا في المهد، وكانوا قد عهدوا بجميع أتباعه، آلافهم ومئاتهم، إلى موكلين عقلاء، وقد صدرت عنهم في تلك الأثناء أقوال وأفعال [٢٧٦] دعت إلى التعجيل وهيأت الفرصة لإراقة دماء تلك الطائفة، فلقد صدر الأمر بأن يذهب الرسل إلى كافة الجيوش (لإبلاغها) بأن يقتل كل قوم الجماعة التي عهد بها إليهم، وتوجه قراقي بيتكجي إلى قزوین؛ لكي يسوق ركن الدين وأبناءه وبناته وأخواته وكل من كان من أصله وقومه إلى نار الفناء، وسلموا اثنين أو ثلاثة منهم إلى بلغان^(١)؛ لكي يقتلهم قصاصا لدم أبيه جغتاي^(٢) الذي كان الفداوية قد اغتالوه طعنا بالخناجر، فلم يبق من نسلهم أحد على الإطلاق.

(١) انظر جامع التواريخ ١٢٦ (ص ١٩٤ طبع طهران).

(٢) من الواضح أن جغتاي هذا هو أبو بلغاي الذي كان الفداوية قد اغتالوه ليس هو جغتاي المشهور ابن جنكيزخان.

وقد صدر الأمر لأوتاكوجينا، قائد جيش خراسان، [٢٧٧] وكان منشغلاً بأمر قهستان، بأن يقضى هو الآخر على كل فرد من تلك الجماعة كان راسخاً في الإلحاد.

فأخرجهم على سبيل الحشر وقتل اثني عشر ألفاً. وهكذا أعدموا كل من كان منهم على قيد الحياة عن آخرهم حيثما كانوا.

وكذلك فعلوا بركن الدين؛ إذ إنه لما وصل إلى قراقورم قال سلطان العالم منكوقا أن: "لم يكن من الضروري إحضاره عبر هذه الرحلة الطويلة، وإن المرسوم الملكي الذى أصدرته من قبل معروف". ولم يسمح لركن الدين بأن يرفع الهدايا، وأبلغوه بالأمر التالى: "إنك إذا كنت تدعى الطاعة فلماذا تبقى بعض القلاع متمنعة مثل كريدوكوه ولمستر؟" فعليك الآن أن تذهب، وأن تعود مرة أخرى بعد تخريب تلك القلاع فتحظى بشرف تقديم الهدايا إلى "الحضرة السلطانية".

تم بحمد الله المجلد الثالث والأخير من كتاب تاريخ جهانگشاي للجويني.

ترجمة حواشي وإضافات محقق الكتاب

الأستاذ العلامة محمد بن عبد الوهاب القزويني

على المجلد الثالث من تاريخ جهانگشاي

ص ١٣٩ س ١:

عبد الله بن معاوية، "هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب من مشاهير رؤساء بني هاشم وأشرافهم، [٣٠٦] خرج على الدولة الأموية في أواخر أيامها واستولى على فارس وإصفهان وكرمان وغيرها ولكن الأمويين هزموه في النهاية وهرب إلى خراسان حيث قبض عليه أبو مسلم الخراساني وسجنه ثم قتلته في حدود سنة ثلاثين ومائة، وهو من أصحاب المقالات وله مذهب خاص، وقد أسس إحدى فرق الشيعة المعروفة (بالجناحية) نسبة إلى جده الأعلى جعفر بن أبي طالب المعروف بجعفر الطيار الذي كان الرسول ﷺ قد لقّبه بذي الجناحين، ولصاحب الترجمة أشعار غاية في الجودة والرواء منها البيت المشهور:

وعَيْنُ الرُّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ

ولكنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا

وشرح حاله مذكور بالتفصيل في الجزء الحادي عشر من الأغاني^(١).

(١) طبع بولاق ص ٦٦-٧٩، انظر أيضا تاريخ الطبري ١٨٧٩/٢ - ١٨٨٧، ١٩٧٦ - ١٩٨٠، وابن الأثير في حوادث سنتي ١٢٧، ١٢٩، وعمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب لجمال الدين أحمد بن علي بن عتبة، نسخة المكتبة الوطنية بباريس *Arabe 202*، ورقة 12b-13a، وانظر أيضا تفصيلات عن مذهبه وطريقته في الفرق بين الفرق للبغدادي ٢٣٥، ٢٤٢، ٢٥٥، والممل والنحل لابن حزم ١٨٠/٤، ١٨٨، والممل والنحل للشهرستاني ١٦، ١١٣، (طبع مصر ٢٩/١، ٢٠٢، ٢٠٣)، والأنساب للسمعاني في عنوان «الجناحي» 136a، والخطط للمقريزي ١٧٦/٤.

ص ١٤٠ س ١:

محمد الديباج، «وأما محمد الديباج بن جعفر الصادق نُقِبَ بذلك لخُسن وجهه ويلقب أيضاً المأمون، وأمه أم ولد، وكان قد خرج داعياً إلى محمد بن إبراهيم طباطبا فلما مات محمد بن إبراهيم دعا محمد الديباج إلى نفسه، وبويع له [يمكة] ^(١) ثم أخذ وجيء به إلى المأمون فعفا عنه ومات بجرجان وقبره بها» ^(٢). (عمدة الطالب ورقة 149b) ^(٣).

ص ١٤٠ س ٢:

الداعي، «هو محمد بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن [٣٠٧] [الحسن ابن] ^(٤) زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ملك طبرستان بعد أخيه الحسن بن زيد الداعي الكبير، وأقام سبع عشرة سنة وسبعة أشهر، ثم حاربه محمد بن هارون السرجيني ^(٥) صاحب إسماعيل بن أحمد الساماني، فقتله وحمل رأسه إلى بخارى، ودُفن بدنه بجرجان عند قبر الديباج محمد بن الصادق عليهما السلام». (عمدة الطالب ورقة 45b).

(١) هذه الإضافة مأخوذة من المصدر نفسه، عن عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، طبعة بومباي. (المترجم).

(٢) انظر حواشي ذيل صفحة ١٢٢ ح ٣.

(٣) وتقابل ص ٢١٨ طبع بومباي. (المترجم).

(٤) الإضافة التي بين قوسين مأخوذة من تاريخ الطبري ومقاتل الطالبين، انظر الحاشية رقم (١) في الصفحة السابقة.

(٥) كذا في الأصل ولعله السرخسي.

ولا يغيب عن البال أن محمد بن زيد صاحب الترجمة معروف بـ «الذاعي» مطلقاً دون أدنى قيد، وهناك غيره ثلاثة دعاة آخرون من بين السادات العلوية الذين حكموا طبرستان، وهم مشهورون في التاريخ، وسوف نتعرض بصفة مجملة إلى كل واحد منهم بغية المزيد من الإيضاح ورفع الاشتباه الذي يقع بالنسبة إليهم.

بدأت سيطرة السادات العلوية على طبرستان منذ سنة ٢٥٠ هجرية وانهأؤه في سنة ٣١٦، وهي السنة التي استولى فيها أسفار بن شيرويه الدَّيلمى على تلك البلاد، وعدد هؤلاء السادات مع أولادهم وأقاربهم كثير، غير أن أهمهم أربعة هم الذين حكموا كسلاطين مستقلين في طبرستان أو جيلان وهم:

الأول: الحسن بن زيد الحسني - وهو الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل ابن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب^(١) المعروف بالذاعي [٣٠٨] الكبير تولى سلطنة طبرستان في المدة من ٢٥٠ حتى ٢٧٠ وتوفي في السنة الأخيرة^(٢).

(١) تسلسل هذا النسب مأخوذ من تاريخ الطبري ٣: ١٥٢٣، ومقاتل الطالبين لأبي الفرج الإصفهاني ٢٢٩، وهناك اختلاف قليل بين ما أوردها هنا وبين سائر المصادر، وعلى سبيل المثال يرد اسم «محمد» من بين أجداده في كل من تاريخ ابن اسفنديار (ترجمة براون ٤٧)، وتاريخ مازندران للسيد ظهير الدين ٢٨٢، وابن الأثير ٧: ٤٩، وعمدة الطالب (انظر الصفحة السابقة)، لا يكتبان الحسن الأول. وبدلاً من الحسن بن علي يورد ابن الأثير (الحسن ابن الحسين بن علي).

(٢) انظر الطبري (فهرست الكتاب)، وابن الأثير في حوادث سنة ٢٥٠، ٢٧٠ وغير ذلك، وظهير الدين ص ٢٨١ وما بعدها، وابن اسفنديار ص ١٤٧، ١٦٢ وما بعدها.

الثاني: أخوه محمد بن زيد الحسني صاحب الترجمة المعروف بـ «الذاعي» على إطلاقها، لا الكبير ولا الصغير^(١)، تولى السلطنة منذ سنة ٢٧٠ حتى ٢٨٧، وقتل في السنة الأخيرة في جرجان أثناء حربه مع السامانيين كما سبق أن ذكرنا وحمل رأسه إلى بخارى ودفن بدنه في جرجان بجوار قبر الديباج^(٢)، وبقيت طبرستان ثلاثة عشر عاما في حوزة السامانيين بعد هذه الواقعة.

الثالث: الحسن بن علي الحسيني - وهو الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب^(٣)، المعروف بناصر الحق والناصر الكبير وأطروش^(٤).

وقد قبل أهالي گیلان ودیلمان الإسلام بفضل ما بذله من مساع، وقد استقل بالسلطنة في طبرستان وگیلان من سنة ٣٠١ حتى سنة ٣٠٤ وفي السنة الأخيرة مات مئة طبيعية^(٥).

-
- (١) غير أن البعض يطلقون عليه أحيانا (الذاعي الصغير) ولكن هذه الفقرة مخالفة للواقع بتصريح ظهير الدين ص ٢٩٤ و ٣٠٩، إذ إن الذاعي الصغير لقب القاسم بن الحسن الذي سيأتي ذكره.
- (٢) انظر مقاتل الطالبين ٢٢٩، والطبري في مواضع عديدة من بينها ٣: ٢٢٠٠ (انظر فهرست الكتاب)، وابن الأثير في حوادث سنتي ٢٧٠، ٢٨٧ وغيرهما، وظهير الدين ص ٣٠٩ وغيرها، وابن اسفنديار ٤٧-٤٩ و ١٨٧ وما بعدها [٢٥٨-٢٥٩ طبعة إقبال].
- (٢) نقلت سلسلة هذا النسب من ابن اسفنديار ٤٩ [ص ٩٧ نسخة إقبال]، وظهير الدين ٣٠٠، ولا نجد «علي» الثاني من بين أجداده في ابن الأثير ٨: ٣١، بينما يذكر الطبري اسما واحدا من سلسلة نسبه في موضع وحيد (٣: ٢٢٩٢) في عنوان (حسن بن علي العلوي) دون سوق نسبه.

(٤) ويطلق عليه أحيانا الذاعي إلى الحق (ظهير الدين ٣٢٦).

(٥) ابن الأثير في حوادث سنوات ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٤ (ج ٨ ص ٢٩، ٣١-٣٢، ٣٩) وظهير الدين ص ٣٠٠ وما بعدها.

الرابع: الحسن بن قاسم الحسني - وهو الحسن بن القاسم بن الحسن بن علي بن عبد الرحمن ابن قاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب^(١) المعروف بالداعي الصغير، تولى السلطنة في طبرستان وغيلان، بعد وفاة الناصر الكبير، من سنة ٣٠٤ حتى سنة ٣١٦، ثم قتل في السنة الأخيرة في الحرب التي قامت بينه وبين أسفار بن شيرويه المعروف. ويموته انقرضت دولة العلويين المستقلة بطبرستان^(٢)، وعلى الرغم من أن رجلاً أو رجلين منهم قاما بمحاولة يائسة لاسترداد الملك، فإن محاولتهما باءت بالفشل.

وهكذا نلاحظ أن ثلاثة من هؤلاء السادات الأربعة كانوا يُعرفون باسم الحسن بينما يسمى أحدهم محمداً، وكان ثلاثة منهم يلقبون بالحسن وواحد بالحسين، كما كان ثلاثة منهم يعرفون بالداعي وواحد يعرف بالناصر أو الناصر الكبير، وقد تولوا السلطنة مدة تقرب من ست وستين عاماً.

ص ١٤١ س ١٠:

رواية المؤلف التي تقول: إن وفاة إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام وقعت في سنة ١٤٥، مطابقة لرواية دستور المنجمين (ورقة ٣٣٤)، ولكن صاحب عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ورقة 142b [ص ٢٠٨ طبعة بومباي] يذكر

(١) نقلت سلسلة هذا النسب عن ابن اسفنديار ٢٠٤ [ص ٢٦٩ طبعة إقبال] وظهر الدين ص ٣٠٩، واسمه ليس مذكوراً أصلاً في الطبري لأن عصره متأخر عن عصر الطبري، ويشير إليه ابن الأثير في كافة المواضع بـ «الحسن بن القاسم العلوي»، دون أن يتعرض لذكر نسبه.

(٢) ابن اسفنديار ص ٢٠٤ وما بعدها [٢٦٩] وما بعدها في طبعة إقبال، وظهر الدين ص ٣٠٩ وما بعدها، وابن الأثير في كل سنوات ٣٠١، ٣٠٤، ٣٠٩، ٣١٤، ٣١٦ (ج ٨ ص ٣١، ٤٠، ٤٦، ٦١، ٧٠).

أن وفاته وقعت على وجه التحديد في سنة ١٣٣، والمقريري في اتعاظ الحنفا ص ٦ [ص ١٦ ط/ مصر] في سنة ١٣٨، وأيضًا الجويني نفسه في ص ١٤٨ س ٥-٦ ينقل عن الإسماعيلية قولهم: إن إسماعيل عاش بعد أبيه خمسين سنة. وهذا القول الأخير هو أضعف الأقوال بل يبدو ضربًا من التخريف، ذلك لما يظهر من اتفاق المؤرخين على أن وفاة إسماعيل قد وقعت في حياة أبيه الإمام جعفر الصادق عليه السلام [٢١٠].

ص ١٤٢ س ١٣:

القطحي، ليس هناك أدنى شك في ضبط هذه الكلمة على فطحي، وهي ليست بطحي أو أبطحي كما جاءت في نسخ «جهانگشاي» الخطية، وليست أفطحي كما نراها في جميع نسخ الملل والنحل للشيرستاني الخطية منها والمطبوعة^(١)، قال السمعاني في الأنساب ورقة 429b: «القطحي^(٢) بفتح الفاء وسكون الطاء المهمة وفي آخره الحاء^(٣)، هذه النسبة إلى الأفطح والمشهور بهذا اللقب جماعة من الإمامية وهم من غلاة الشيعة ويقال لهم القطحية^(٤) لأنهم على انتظار خروج عبد الله بن جعفر الملقب بالأفطح^(٥)، انظر أيضًا رجال الكشي ١٦٤ إذ يقول: «والقطحية هم القائلون بإمامة عبد الله بن جعفر إلخ»، وإرشاد الشيخ المفيد ٢٦٢: «ودانوا بإمامة عبد الله بن جعفر وهم الطائفة الملقبة بالقطحية إلخ»، والخطط للمقريري ج ٤

(١) طبع أوروبا ص ١٢٦، وطبع مصر بهامش الملل والنحل لابن حزم ج ٢ ص ٣.

(٢) تصحيح قياسي قطعي مستخرج من ضبط المؤلف نفسه: وفي الأصل الأفطح.

(٣) وفي الأصل: الهاء.

(٤) وفي الأصل: القحطبة.

(٥) انظر ص ١٤٠ حاشية (٤) لمعرفة سبب هذه التسمية.

ص ١٧٤: «ويقال لهم: الفطحية». ويتكرر ذكر هذه الكلمة بكثرة في تضاعيف كتب رجال الشيعة مثل رجال الكشي وفهرست الشيخ الطوسي ورجال النجاشي ورجال ميرزا محمد الإسترابادي وغيرها بالرسم نفسه فتكتب «فلان فطحي» أو «من الفطحية»، وذلك لأن أغلب رواة الشيعة كانوا من الفطحية، وبناء على هذا نرى إذن أن رسم «الأفطحية»، الذي أورده الشهرستاني، هو بلا شك سهو من النساخ أو من المؤلف نفسه أو لعله ظن - نظراً لعدم معرفته معرفة كاملة بمصطلحات الشيعة، فالنسبة إلى عبد الله الأفطح لا بد أن تكون أفطحية.

ص ١٤٣:

قلنا في الحاشية رقم (١) أسفل هذه الصفحة: إن سن موسى بن جعفر عليه السلام كان مساوياً تقريباً لسن ابن أخيه محمد بن إسماعيل وليس لأخيه إسماعيل [٣١١] وليبيان ما أجملته نقول: إن وفاة إسماعيل وقعت، كما مر في ص ٢٥٢، على حسب اختلاف الرواة في إحدى سنوات ١٣٣ أو ١٣٨ أو ١٤٥، وكانت ولادة موسى بن جعفر بقول سائر المؤرخين في سنة ١٢٨، ووفاته في حبس هارون الرشيد في بغداد سنة ١٨٣، إذن يتضح من النظر في التواريخ المذكورة أن موسى الكاظم لم يعاصر أخاه إسماعيل إلا فترة ضئيلة من أوائل عمره لأنه كان في الخامسة أو العاشرة من عمره أو السابعة عشرة على أكثر تقدير عندما توفي إسماعيل، وعاش فترة، بين الأربعين والخمسين سنة، بعد وفاته، وبعبارة أخرى كان عصره كله تقريباً يقع بعد عصر إسماعيل.

وأما محمد بن إسماعيل فقد ولد -بتصريح دستور المنجمين^(١)- في سنة ١٢١ وبذلك يكون قد ولد قبل ولادة موسى الكاظم بسبع سنوات، ولم نستطع رغم الجهد البالغ الذي بذلناه في البحث أن نحصل على سنة وفاته، ولكن يبدو أنه كان حياً حتى سنة تسع وسبعين ومائة (أي قبل وفاة موسى بن جعفر بأربع سنوات)، وهي السنة التي قبض فيها هارون الرشيد على الإمام موسى الكاظم في المدينة أثناء سفره إلى الحجاز للعمرة فحمله معه إلى بغداد وحبسه بها إلى أن توفي في النهاية مسموماً في محبسه^(٢)، وينسب صاحب عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب بصريح الرواية -وهو من نقاة علماء الأنساب المعزّل عليهم- القبض على الإمام موسى الكاظم عليه السلام وحبسه إلى سعاية محمد بن إسماعيل لدى هارون الرشيد وهذا نص ما قال:

«أما محمد بن إسماعيل فقال الشيخ شرف العبدلي هو إمام الميمونية و[٢١٢] قبره ببغداد وقال ابن خداع كان موسى الكاظم يخاف ابن أخيه محمد بن إسماعيل ويبرّه وهو لا يترك السعي به إلى السلطان من بني العباس. وقال أبو نصر البخاري: كان محمد بن إسماعيل بن الصادق مع عمه موسى الكاظم يكتب له السر إلى شيعته في الآفاق فلما ورد الرشيد الحجاز سعى محمد بن إسماعيل بعمه إلى الرشيد فقال: أعلمت أن في الأرض خليفتين يجبي إليهما الخراج فقال الرشيد: ويليك أنا ومن؟ قال موسى بن جعفر، وأظهر أسرارهم فقبض الرشيد على موسى الكاظم وحبسه؛ وكان سبب هلاكه، وحظي محمد بن إسماعيل عند الرشيد، وخرج معه إلى

(١) «مولانا محمد بن إسماعيل السابع التام والخلف الصادق رضي الله عنه، ولد في ثالث عشر ذي الحجة سنة إحدى وعشرين ومائة وسنه يوم انتقال جده الصادق سبع وعشرون سنة». (دستور المنجمين ورقة ٣٣٤).

(٢) انظر أصول الكافي ص ٢٦١، وابن الأثير في حوادث سنة ١٨٣ (ج ٦ ص ٦٦)، وابن خلّكان ج ٢ ص ٢٥٦.

العراق ومات ببغداد، ودعا عليه موسى بن جعفر بدعاء استجاب الله فيه وفي أولاده»^(١). انتهى

ومن المقارنة بين التواريخ المذكورة فيما سبق يظهر لنا بوضوح ما يلي:

أولاً: أن موسى بن جعفر كان أصغر سنًا من ابن أخيه محمد بن إسماعيل بسبع سنوات.

ثانيًا: أن موسى بن جعفر كان معاصرًا طوال حياته منذ ولادته حتى قبل وفاته ببضع سنين (وربما أيضًا حتى وفاته) لمحمد بن إسماعيل.

ص ١٤٦ س ٣-٤:

«وظهر من بينهم [يعني من بين الإسماعيلية] دعاة منهم ميمون القذاح وابنه عبد الله بن ميمون»، في هذا الموضع من النسخة الخطية (ج) دُون في الحاشية فصل بقلم أحد أفاضل القراء، يبدو أنه كان أحد المتقنين من الشيعة الإمامية، وسنبداً بإيراد ذلك الفصل فيما يلي [٣١٣]، ثم نقوم بعد ذلك بإضافة بعض ملاحظائنا، وهو هذا:

(١) عمدة الطالب نسخة المكتبة الوطنية بباريس *Arabe 2021* ورقة 142b - 143a [ص ٢٠٨ طبع بمباي]، وقد روي خبر آخر مماثل يحمل المضمون نفسه أي يتعلق بسعاية محمد بن إسماعيل بموسى بن جعفر لدى هارون الرشيد، ولكن بقليل من الاختلاف في التفاصيل، في رجال الكشي ص ١٧٠-١٧١، وفي أصول الكافي ص ٢٦٧، ولكن تنسب حكاية هذه السعاية إلى علي ابن إسماعيل أخي محمد بن إسماعيل في مقاتل الطالبين لأبي الفرج الإصفياني ص ١٧٤، وعيون أخبار الرضا ص ٤٢، والإرشاد المفيد ص ٢٧٣، والله أعلم بحقيقة الحال، ويحتمل أن تكون الحادثتان واقعيتين وأن يكون سببهما الحقد والحسد الذي يقع بين أفراد الأسرة الواحدة.

«هذه النسبة إلى عبد الله بن ميمون كذب صريح لأن علماء الشيعة الإمامية مثلهم في ذلك مثل أهل السنة والجماعة يضيقون بالإسماعيلية ويرمونهم بالكفر والضلال والفسوق، وقد نهج نهجهم علماء الشيعة رضوان الله عليهم فأنكروهم وأنكروا المنتسبين إليهم، ولم ينسب أحد من كبار الإمامية الذين ألفوا كتب الرجال من أجل استعلام أحوال الرواة وتصحيح أسانيد الأخبار وتضعيفها، بالتتابع التام والضبط الكامل واستفراغ الجهد في هذا الصدد - لم ينسب أحد منهم عبد الله بن ميمون وأبيه إلى الأمر المذكور^(١)؛ بل إن الشيخ الكشي نقل عن بعض علماء الإمامية أنه كان ينسب إلى عبد الله التزيدي وعلى الرغم مما في نقل الشيخ الكشي من ضعف في السند فإنه لا يتعارض مع توثيق النجاشي.

ونعرف أيضاً من كتب الرجال الإمامية -رضوان الله عليهم- أن عبد الله لم يعيش بعد عصر الإمام جعفر الصادق عليه السلام فكيف يمكن إذن أن يكون من دعاة الإسماعيلية، ويجوز أن يكون عبد الله بن ميمون القداح المذكور وأبوه غير عبد الله بن ميمون القداح وأبيه المذكورين في كتب الرجال الإمامية وأسانيد أحاديثهم، والله يعلم، عبد النبي القزويني أيده الله» انتهى.

يقول راقم السطور: إن الحق كله يبدو مع كاتب هذه الحاشية الفاضل، ولكي نمسك بأيدينا بأصل القضية ينبغي علينا أن نعرف بادئ ذي بدء أن بين الشيعة الإمامية من ناحية والإسماعيلية وجماعة من مؤرخي أهل السنة والجماعة من ناحية أخرى اختلافاً كبيراً في شأن أصل عبد الله بن ميمون القداح، ونسبه وطريقته ومذهبه وعصره على التفصيل التالي:

(١) يعني أنهما كانا من فرقة الإسماعيلية ومن دعاة تلك الطائفة.

يعد عبد الله بن ميمون القَدَّاح في كتب رجال الشيعة كافة دون استثناء تقريباً^(١) مثل رجال الكشي^(٢) [٣١٤] وفهرست النجاشي^(٣)، وخلاصة العلامة الحلي^(٤)، ومجالس المؤمنين للقاضي نور الله الششتري^(٥)، ومنهج المقال لميرزا محمد الاسترآبادي^(٦)، ونقد الرجال لمير مصطفى التفرشي^(٧)، ونضد الإيضاح لمحمد علم الهدى بن محسن الكاشي^(٨)، ومنتهى المقال لأبي علي الحائري^(٩)، ومستدرک الوسائل للحاج ميرزا حسين نوري^(١٠)، يُعدّ عبد الله بن ميمون القَدَّاح من بين أصحاب الإمام جعفر الصادق عليه السلام ومن زمرة رواة أحاديثه، وقد ضبطوا نسبه على: عبد الله بن ميمون بن الأسود القَدَّاح المكي من أهل مكة، من موالى بني مخزوم، وقالوا: إنه كان قَدَّاحاً يبري القَدَّاح ولذا سمي القَدَّاح^(١١)، ولما كان نقل عبارات جميع كتب الرجال الشيعة يخرج عن ما يمكن أن يتحمّله حيّز هذه الحواشي المختصرة فسوف نقتصر على نقل نصين أو ثلاثة عن قدمائهم المعول عليهم كنموذج:

(١) وضعنا قِيْدَ «تقريباً» لأن رجال الكشي يروي حديثاً عن عبد الله بن ميمون القَدَّاح يعرف منه أنه كان معاصراً للإمام محمد الباقر أيضاً، هذا فضلاً عن أن فهرست الشيخ الطوسي لا يشير على الإطلاق إلى عصره؛ بسبب الاختصار الشديد ولأن الأمر واضح تماماً لا لبس فيه.

(٢) طبع بمبای سنة ١٣١٧ ص ٢٤٧.

(٣) طبع بمبای سنة ١٣١٧ ص ١٤٨.

(٤) طبع طهران سنة ١٣١١ ص ٥٣.

(٥) المجلس السادس.

(٦) طبع طهران سنة ١٣٠٦ ص ٢١٢-٢١٣.

(٧) طبع طهران سنة ١٣١٨ ص ٢٠٨-٢٠٩.

(٨) طبع کلکتا سنة ١٢٧١ في ذیل صفحات فهرست الشيخ الطوسي ص ١٩٧-١٩٨.

(٩) طبع طهران سنة ١٣٠٢ ص ١٩٣-١٩٤.

(١٠) طبع طهران سنة ١٣٢١ ج ٣ ص ٦١٩.

(١١) «القَدَّاح بالقاف والذال المهملة المشددة والحاء المهملة كان يبري القَدَّاح، أقول معنى قوله كان يبري القَدَّاح كان ينتجها ويصلحها ويعمل لها ريشاً يرمى بها والقَدَّاح جمع القَدَّاح بالكسر وهو السهم قبل أن يراش ويركب نصله [فيه]». (نضد الإيضاح ص ١٩٧-١٩٨) - وفي أغلب كتب أهل السنة والجماعة - كما سيأتي - يكتب صاحب الترجمة على أنه من دعاة الإسماعيلية ونسبه عبد الله بن ميمون بن ديصان أصله إيراني من الأهواز، وبصفة عامة فسروا «القَدَّاح» في نسبه بمعنى الكخال أي طبيب العيون.

[٣١٥] جاء في كتاب «الرجال» للكشي^(١) طبع بمباي ص ٢٤٧:

«في عبد الله بن ميمون القَذّاح المكي، حدثني حمدويه بن نصير قال: حدثني أيوب بن نوح. قال: حدثنا صفوان بن يحيى عن أبي خالد صالح القمّاط عن عبد الله بن ميمون عن أبي جعفر^(٢) عليه السلام. قال: يا ابن ميمون كم أنتم بمكة؟ قلت: نحن أربعة. قال: أما أنكم نور في ظلمات الأرض، جبريل بن أحمد. قال: سمعت محمد بن عيسى يقول كان عبد الله بن ميمون يقول بالتزديد^(٣)».

وجاء في كتاب «فهرست النجاشي»^(٤) طبع بمباي ص ١٤٨:

«عبد الله بن ميمون بن الأسود القَذّاح مولى بني مخزوم يبري القَذّاح روى أبوه عن أبي جعفر وأبي عبد الله^(٥) عليهما السلام ويروي هو عن أبي عبد الله وكان ثقة

(١) هو أبو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي من قدماء مؤلفي الرجال الشيعة، ولا نعلم سنة وفاته، ولكن نظرًا لأنه يروي عن فضل بن شاذان المتوفى في حدود سنة مائتين وستين (الكشي ص ٣٣٦) بواسطة واحدة فيبدو لنا أنه كان يعيش في حدود سنة ثلاثمائة أو قبلها أو بعدها بقليل.

(٢) يعني: الإمام محمد الباقر عليه السلام.

(٣) لا يمكن على التحقيق معرفة المقصود من كلمة التزديد التي تعتبر مفتاحًا لحل الكثير من المشكلات، وقد نقل السيد محمد باقر البهبهاني في تعليقاته على منهج المقال ص ٢١٢-٢١٣ عن المجلس الأول لجدّه أنه كان يعتبر أن التزديد هنا معناه الميل إلى مذهب الزيدية، ولكن البهبهاني المذكور نفسه يأتي بأراء كثيرة في شأن هذا التفسير.

(٤) هو أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس النجاشي المتوفى سنة ٤٥٠ على ما في منهج المقال، إلا أنه قد ورد ذكر سنة ٤٦٣ في فهرسته ص ٢٨٩.

(٥) أي الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

له كتب منها كتاب مبعث النبي صلى الله عليه وآله وأخباره كتاب صفة الجنة والنار، أخبرنا علي بن أحمد بن طاهر أبو الحسين القمي قال حدثنا محمد بن الحسن قال حدثنا سعد بن عبد الله [٣١٦] قال حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى قال: حدثنا جعفر بن محمد بن عبيد الله عنه بهيا».

وجاء في كتاب «فهرست الشيخ الطوسي» طبع كلكتا ص ١٩٧-١٩٨^(١):

«عبد الله بن ميمون القدّاح له كتاب أخبرنا به ابن أبي جيد عن ابن الوليد عن الصفار عن أبي طالب عبد الله بن الصلت القمي عن عبد الله بن ميمون، وأخبرنا أبو عبد الله عن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد عن جعفر بن محمد بن عبد الله عن عبد الله بن ميمون، ورواه أيضًا محمد بن علي عن حمزة بن محمد العلوي ومحمد بن علي عن علي ابن إبراهيم عن أبيه عن عبد الله بن ميمون».

وجاء في كتاب «خلاصة الأقوال» للعلامة الحلّي طبع طهران ص ٥٣:

«عبد الله بن ميمون بن^(٢) الأسود القدّاح يُبْرِي القدّاح مولى بني مخزوم روى أبوه عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام وروى هو عن أبي عبد الله عليه السلام وكان ثقة، روى الكشي عن حمدويه عن أيوب بن نوح عن صفوان بن يحيى

(١) يضيف طابع هذا الكتاب دائما إلحاقات وزيادات كثيرة من رجال النجاشي ووسط عبارات الشيخ وقد حذفنا هذه الإلحاقات برمتها هنا ونقلنا أصل عبارات الشيخ نفسه بعد مقابلتها بما نقله منهج المقال من هذا الكتاب.

(٢) كلمة ابن ليست موجودة في النسخة المطبوعة ولكنها موجودة في النسخة الخطية بالمكتبة الأهلية بباريس Arah 1108. ورقة 393a.

عن أبي خالد القمط عن عبد الله بن ميمون عن أبي جعفر عليه السلام قال: يا ابن ميمون كم أنتم بمكة؟ قلت: نحن أربعة. قال: إنكم نور الله في ظلمات الأرض، وهذا لا يفيد العدالة لأنه شهادة منه لنفسه لكن الاعتماد على ما قاله النجاشي، وروى الكشي عن جبريل بن أحمد [٣١٧] قال: سمعت محمد بن عيسى يقول كان عبد الله بن ميمون يقول بالتزئد وفي الطريق ضعف».

وهكذا يُلاحظ في كتب الرجال الشيعة التي نقلنا عباراتها بنصها (وكذلك في سائر كتب رجال تلك الطائفة التي سبق ذكرها في بداية هذا الفصل ولكننا صرفنا النظر عن نقل عباراتها بنصها هنا نظرًا لضيق المقام) يُلاحظ أنها لم تتضمن على الإطلاق ذكرًا أو إشارة تشير إلى أن عبد الله بن ميمون القدّاح كان منتسبًا لفرقة الإسماعيلية لا تصريحًا ولا تلويحًا ولا إشارة ولا كناية بأي وجه من الوجوه ولا حتى على أنه نقل قول ولو كان قولًا ضعيفًا مرجوحًا، وبديهي أنه لو كان صاحب الترجمة من فرقة الإسماعيلية لأصبح هذا السكوت المطلق من جميع مؤلفي الرجال الشيعة بلا استثناء، المتقدمين منهم والمتأخرين، عن ذكر هذه الفقرة من أعجب العجائب ولا يمكن بأي وجه من الوجوه أن نتصور له سببًا أو علة وعذرًا، خاصة مع التقيد الشديد لعلماء رجال تلك الطائفة بوجوب التعرّض لذكر مذاهب الرواة في حالة انتساب الراوي لإحدى الفرق المخالفة، يعني فرقة من غير الشيعة الإمامية، فقد جرت عادتهم في هذا الشأن أن يصرحوا حتمًا ودون استثناء بمذهب الراوي فيقولون مثلاً «فلان فطحي» أو «زيدي»، أو «بثري» أو «من الواقعة» أو «غال» أو «في مذهبه ارتفاع» ونحو ذلك من التعبيرات المتعارفة فيما بينهم؛ إذن فمجرد سكوتهم عن ذكر مذهب عبد الله بن ميمون القدّاح وعدم الإشارة إلى أنه كان ينتمي إلى فرقة أخرى غير الشيعة الإمامية ليكشف قطعًا وبقينًا عن أن صاحب الترجمة كان محسوبًا في نظرهم

من زمرة الشيعة الإمامية ولم يكن له أصل قط أو أي ارتباط أو ميل لا لطائفة الإسماعيلية ولا لطائفة غيرها.

تقرير آخر: قلنا: إن كتب الرجال الشيعة تجمع على أن عبد الله بن ميمون القدّاح كان معاصراً للإمام جعفر الصادق ومن رواة أحاديثه، والآن نقول: إنه بالإضافة إلى تصريح كتب الرجال بهذه [٣١٨] الفقرة فإن كل كتب الأحاديث المعتمدة لدى الشيعة مثل «كافي الكليني» و«من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق» و«تهذيب الشيخ الطوسي» وغيرها تروي أحاديث كثيرة متنوعة ومتناثرة في معظم أبوابها وفصولها عن عبد الله بن ميمون القدّاح بأسانيد متصلة صحيحة، ولقد روى هو بنفسه هذه الأحاديث عن حضرة الصادق بلا واسطة. ويوجد في كتاب الكافي للكليني فقط، أصوله وفروعه، ما يقرب من مائة وخمسين حديثاً من هذا القبيل، قام راقم السطور باستخراجها جميعاً على حدة من الكتاب المذكور، وسوف نذكر فيما يلي نموذجاً منها، وهدفنا من هذا هو أن نثبت أن معاصرة صاحب الترجمة للإمام جعفر الصادق وكونه من جملة رواته من الشيعة المعروفين ليست فقط موضع إجماع كتب الرجال الشيعة بل يستفاد هذا أيضاً بصراحة ووضوح كامل - من كل كتب الحديث عندهم، وتعدّ هذه المسألة من مسلّمات التاريخ وقطعياته ومؤكدة تمام التأكيد ولا مجال فيها للشك والتردد بأي وجه من الوجوه. وإصرارنا على إثبات هذه المسألة الواضحة الذي يعد في الحقيقة من قبيل توضيح الواضحات إنما يرجع سببه إلى أن بعض المؤرخين، كما سنذكر فيما بعد تفصيلاً، قد أوردوا أخطاء غريبة تتعلق بعصر صاحب الترجمة، فقد عدوه من رجال أواسط، بل حتى أواخر القرن الثالث الهجري، ولما كانت وفاة الإمام جعفر الصادق قد وقعت في سنة ١٤٨ فكيف يمكن إذن أن يعيش شخص كان معاصراً له مائة أو مائة وخمسين سنة أخرى بعد وفاته.

وطبقاً للوعد، بغية استخلاص مقياس لنوع الأحاديث التي رواها عبد الله بن ميمون القدّاح عن حضرة الصادق لنخرج في النهاية بميزان عن سليقة وأفكار راويها - وهو عبد الله بن ميمون المذكور - ولكي نتحقق أيضاً على نحو واضح من سلسلة إسناد هذه الأحاديث وبالتالي معاصرة عبد الله بن ميمون القدّاح لحضرة الصادق، سنقوم فيما يلي بذكر عدد من هذه الأحاديث التي التقطناها، كنموذج من [٣١٩] كتاب الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني وهو من أقدم وأوثق أصول الشيعة الأربعة وهي هذه:

نقلاً عن كتاب «الكافي» لمحمد بن يعقوب الكليني^(١):

«باب سؤال العالم وتذاكره، علي بن محمد عن سهل بن زياد عن جعفر بن محمد الأشعري عن عبد الله بن ميمون القدّاح عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال^(٢) «إن هذا العلم قتل ومفتاحه المسألة»^(٣)، «باب النوادر، علي بن محمد عن سهل بن زياد عن جعفر بن محمد الأشعري عن عبد الله بن ميمون القدّاح عن أبي عبد الله عن آبائه عليهم السلام قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله ما العلم؟ قال: الإنصات. قال: ثم مه؟ قال: الاستماع. قال: ثم مه؟ قال: الحفظ. قال: ثم مه؟ قال: العمل به. قال: ثم مه يا رسول الله؟ قال: نشره»^(٤)، - «باب العفة، عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن جعفر بن محمد الأشعري عن عبد الله بن ميمون القدّاح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أمير

(١) كانت وفاة أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني مؤلف الكافي في سنة ٣٢٩ ببغداد.

(٢) كذا في الأصل بتكرار قال.

(٣) أصول الكافي طبع تبريز سنة ١٣١١، كتاب العقل والجهل ص ٢٠.

(٤) أيضاً، كتاب العقل والجهل ص ٢٤.

المؤمنين يقول أفضل العباداة العفاف»^(١)، «باب حُسن الخلق، عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن جعفر بن محمد الأشعري عن عبد الله بن ميمون القدّاح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين: المؤمن مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»^(٢)، «باب إطعام المؤمن، عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن جعفر ابن محمد الأشعري عن عبد الله بن ميمون القدّاح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أطعم مؤمناً حتى يشبعه لم يدر أحد [٣٢٠] من خلق الله ما له من أجر في الآخرة لا ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا الله رب العالمين، ثم قال من موجبات المغفرة إطعام المسلم السُّعْبَان، ثم تلا قول الله عز وجل: ﴿أَوْ اطْعَمُوهُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْجَرٍ ۝١٥﴾ يَسْمَا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبٍ ۝١٦﴾ [البقرة]»^(٣). - «باب أن من دعا استجيب له، محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن علي عن عبد الله ابن ميمون القدّاح عن أبي عبد الله عليه السلام قال الدعاء كهف الإجابة كما أن السحاب كهف المطر»^(٤)، - «باب إكرام الكريم، عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن جعفر بن محمد الأشعري عن عبد الله بن ميمون القدّاح عن أبي عبد الله عليه السلام قال دخل رجلان على أمير المؤمنين عليه السلام فألقى لكل منهما وسادة فقعدها عليهما أحدهما وأبى الآخر فقال أمير المؤمنين عليه السلام أقعد عليها فإنه لا يأبى الكرامة إلا حمار، ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه»^(٥)، - باب السواك، علي بن محمد عن سهل وعلي بن إبراهيم عن أبيه جميعاً عن جعفر بن محمد الأشعري عن عبد الله بن ميمون القدّاح عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

(١) أيضاً، كتاب الإيمان والكفر ص ٣٤٧.

(٢) أيضاً الكتاب نفسه ص ٣٥٩.

(٣) أيضاً، الكتاب نفسه ص ٤١٠.

(٤) أيضاً، كتاب الدعاء ص ٥١٨.

(٥) كذا دون كلمة «ميمون».

(٦) أيضاً، كتاب العشرة ص ٦٢٠.

ركعتان بالسواك أفضل من سبعين ركعة بغير سواك. قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة»^(١)، - «باب أن صنایع المعروف تدفع مصارع السوء، عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن جعفر بن محمد الأشعري عن عبد الله بن ميمون القداح عن أبي عبد الله عن آبائه عليهم السلام قال: صنایع المعروف تقى مصارع السوء»^(٢)، - «باب أن من لم يطق الحج ببذنه جهّز غيره، عدة من أصحابنا عن سهل [٣٢١] بن زياد عن جعفر بن محمد الأشعري عن عبد الله بن ميمون القداح عن أبي جعفر عن أبيه عليهما السلام أن علياً صلوات الله عليه قال لرجل كبير لم يحج قط إن شئت أن تجهّز رجلاً ثم ابعثه أن يحج عنك»^(٣)، - «باب من وفّق له الزوجة الصالحة، عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن جعفر ابن محمد الأشعري عن عبد الله بن ميمون القداح عن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «ما استفاد امرؤ مسلم فائدة بعد الإسلام أفضل من زوجة مسلمة تسره إذا نظر إليها وتطيعه إذا أمرها وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله»^(٤)، - «باب التزويج بغير خطبة، عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبد الله بن ميمون القداح، عن أبي عبد الله عليه السلام أن علي بن الحسين عليهما السلام كان يتزوج وهو يتعرّق عرقاً^(٥) يأكل فما يزيد على أن يقول: الحمد لله وصلى الله على محمد وآله ويستغفر الله، وقد زوجناك على شرط الله، ثم قال علي بن الحسين عليهما السلام: «إذا حمد الله فقد خطب»^(٦)، - «باب

(١) كتاب الطهارة من فروع الكافي، طبع طهران سنة ١٣١٥ ج ١ ص ٨.

(٢) كتاب الزكاة أيضاً، ج ١، ص ١٦٩.

(٣) كتاب الحج من فروع الكافي ج ١ ص ٢٤١.

(٤) كتاب النكاح من فروع الكافي ج ٢ ص ٤.

(٥) عرق الغظم أكل ما عليه من اللحم كتعرقه والعرق الغظم بلحمه (القاموس المحيط).

(٦) كتاب النكاح، أيضاً، ج ٢ ص ١٧.

أولي الإرية من الرجال، الحسين بن محمد عن معلى بن محمد وعلي بن إبراهيم عن أبيه جميعاً عن جعفر بن محمد الأشعري عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، قال: كان بالمدينة رجلان يسمى أحدهما هيت^(١) والآخر ماتع. فقالا لرجل ورسول الله صلى الله عليه وآله يسمع: إذا [٣٢٢] فتحتم^(٢) الطائف -إن شاء الله- فعليك بابنة غيلان التّقيّة؛ فإنها شموع نجلاء مبتلة هيفاء شنباء، إذا جلست تثنت، وإذا تكلمت غنت تقبل بأربع وتدبر بثمان بين رجلها مثل القدح. فقال النبي صلى الله عليه وآله: لا أراكما^(٣) من أولي الإرية من الرجال فأمر بهما رسول الله فغُربَ بهما إلى مكان يسمى العرايا^(٤) وكانا يتسوّقان في كل جمعة^(٥)، - «باب القرع»^(٦)، محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن ابن فضال عن عبد الله بن ميمون القدّاح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان النبي صلى الله عليه وآله يعجبه الذّباء»^(٧) ويلتقطه من الصّحفة»^(٨)، - «باب فضل ماء زمزم وماء الميزاب، عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن جعفر بن محمد الأشعري، عن^(٩) عبد الله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: ماء زمزم خير ماء على وجه الأرض وشَرّ ماء

(١) كذا في الأصل بالرفع، وللظاهر نصب الاسمين. انظر لسان العرب في مادة (ه ي ت).

(٢) كذا في نسخة مخطوطة مصححة من الكافي عندي، وفي المطبوعة: افتتحتم.

(٣) كذا في الأصل، ولعله: لا أراكما إلا.

(٤) كذا في المطبوعة بالياء المثناة التحتانية، وفي النسخة الخطية: «العرايا» بياء موحدة. ولم أعثر

على هذه الكلمة في كتب المسالك والممالك.

(٥) كتاب النكاح من فروع الكافي ج ٢ ص ٦٥.

(٦) كتاب النكاح من فروع الكافي ج ٢ ص ٦٥.

(٧) قرع وذبّاء بضم دال ميملة وتشديد باء موحدة وألف ممدودة.

(٨) كتاب الأطعمة من فروع الكافي ج ٢ ص ١٨٣.

(٩) كذا في المخطوطة، أما في النسخة المخطوطة: ابن القدّاح.

على وجه الأرض ماء برهوت الذي بحضرموت ترده هام الكفار بالليل»^(١)، - انتهى ما التقطناه من الكافي.

هذا هو كل ما يتعلق بعقيدة الإمامية في شأن عبد الله بن ميمون القداح.

أما الإسماعيلية فيرون مثلهم في ذلك مثل الشيعة الإمامية، أن عبد الله بن ميمون القداح أحد أصحاب الإمام جعفر الصادق عليه السلام (وهذا هو الواقع) [٣٢٣] ولكنهم، كما نقل عنهم الجويني في جهانگشاي ورشيد الدين في جامع التواريخ، يظنونه من أركان مذهبهم ومن دعاة الطريقة الإسماعيلية^(٢)، ولما كنا قد أثبتنا في الفصل السابق بالدلائل القاطعة بما لا يدع مجالاً للشك أو التردد أن عبد الله بن ميمون القداح كان من خُلص الشيعة الإمامية، ولم تكن له أدنى رابطة أو انتماء إلى طائفة الإسماعيلية، فلا بد إذن من حمل دعوى الإسماعيلية هذه، يعني أنهم يعتبرون أن عبد الله بن ميمون القداح من المنتسبين إلى مذهبهم ومن المؤسسين الأول لطريقتهم، على أنها (كالكثير غيرها من مرويات تلك الطائفة ومنقولاتها) حديث

(١) كتاب الأشربة من فروع الكافي ج ٢ ص ١٨٧.

(٢) يعد دستور المنجمين وهو من كتب الإسماعيلية النزارية المهمة «ميمون القداح» في أثناء ترجمة حياة الإمام محمد الباقر عليه السلام من بين مشاهير أصحاب حضرة الباقر، ثم يذكر بعد ذلك مباشرة في الفصل التالي في شرح أحوال الإمام جعفر الصادق عليه السلام عبد الله ابن ميمون [القداح] من مشاهير رجاله وهذا نص ما ورد في الموضع الأخير: «من مشاهير رجاله (أي رجال جعفر الصادق) سوى أبي الخطاب المفضل بن عمر وجابر بن حيان الصوفي صاحب التصانيف وعبد الله بن ميمون الذي سلم (؟) منه السابع من أولاد (الأئمة؟) الذي كان يسمى القائم أعني محمد بن إسماعيل رضي الله عنهما إلخ». (دستور المنجمين نسخة المكتبة الأهلية بباريس *Arabe 5968* ورقة 333b)، وعلى الرغم من أنه لم يصف كلمة القداح إلى اسم عبد الله بن ميمون فإنه لما كان قد أضافها إلى اسم أبيه ميمون في الفصل السابق، ولما لم يكن هناك أحد آخر على الإطلاق من أصحاب الإمام جعفر الصادق معروفاً بعبد الله بن ميمون فلا شك أن المراد هو عبد الله بن ميمون القداح دون شبهة وتردد.

خرافة، وليس لها سند من التاريخ، ولا جدال في أن الغرض من وضع هذه الخرافة هو أنهم أرادوا أن يستند أساس مذهبهم ويتكئ، بغية المزيد من الزونق والأهمية، إلى أحد المعروفين من أصحاب الإمام جعفر الصادق، وهو الإمام المتفق على فضله وشرفه بين العامة والخاصة، فضلاً عن أنه يعد أبا الأئمة لدى هذه الطائفة، وذلك على غرار البابية تقريباً في عصرنا الحاضر فهم يقولون: إن أغلب مشاهير الرجال في العالم «منا».

[٣٢٤] ومن القرائن القوية في تأييد هذا، احتمال أن يكون قدماء المؤرخين ومؤلفي الملل والنحل الذين كانوا يعيشون في حدود الثلاثمائة الهجرية مثل الحسن ابن موسى النوبختي^(١) صاحب كتاب فرق الشيعة، وأبي الحسن الأشعري^(٢) المعروف صاحب كتاب مقالات الإسلاميين، والمسعودي صاحب مروج الذهب^(٣)، والتنبيه والإشراف^(٤) قد أحجموا كلية عن ذكر اسم عبد الله بن ميمون القذاح ولم يوردوا أصلاً بأي اسم أو تحت أي عنوان على الإطلاق ذكرًا عنه في كتبهم^(٥)، ولو كان عبد الله بن ميمون القذاح في الواقع اسماً له علاقة في مسألة تأسيس الدعوة الإسماعيلية، ولو كان من حيث المبدأ، من الأعضاء المؤسسين ومن كبار دعاة تلك

(١) لا تعرف سنة وفاته ولكنه، بتصريح العلامة الحلي في خلاصة الأقوال ص ٢١، كان يعيش قبل الثلاثمائة وبعدها). (انظر أيضاً مقدمة فرق الشيعة ص ي ح).

(٢) توفي في سنة أربع وعشرين وثلاثمائة بأصح الأقوال (تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري، طبع دمشق ص ١٤٧).

(٣) تاريخ تأليف مروج الذهب بتصريح المؤلف نفسه في آخر الكتاب هو سنة ثلاثمائة وست وثلاثين.

(٤) كان تاريخ تأليف كتاب التنبيه والإشراف بتصريح المؤلف في ص ٣٩٧ و ٤٠١ في سنة خمس وأربعين وثلاثمائة.

(٥) انظر فهرست أسماء الرجال للكتب الأربعة المذكورة.

الطائفة، ولو كان هناك أساس من الحقيقة لكل تلك الأعمال العجيبة التي ينسبونها إليه فيما يتعلق بتنظيم الدعوة، فلن يكون هناك وجه أو مبرر على الإطلاق لسكوت هؤلاء المؤلفين المحققين المدققين كافة عن الإشارة -ولو بشكل عابر- إلى هذه الفقرات وحتى عن مجرد ذكر اسمه، وعلى الأخص سكوت «فرق الشيعة» للنوبختي من حيث إن الموضوع الأصلي للكتاب مقصور على ذكر تفاصيل فرق الشيعة المختلفة؛ وبه فصل مطول نسبياً (ما يقرب من سبع صفحات كاملة ص ٥٧-٦٤) يتعلق بوصف الشعب المختلفة للإسماعيلية وشرح تفاصيل كل واحدة من تلك الشعب وخصائص كل منها، كما أن المؤلف المذكور -كما هو معروف- متخصص في معرفة الآراء والديانات، وتبحره وسعة اطلاعه في هذا الموضوع معروف للغاية. خلاصة القول: إنه [٣٢٥] يمكننا أن نقرر ونحن على يقين تقريباً أن سكوت المؤلفين المذكورين عن الإشارة إلى هذه التفاصيل وحتى عن مجرد ذكر اسم عبد الله بن ميمون القدّاح يكشف عن أنه حتى أواخر القرن الثالث الهجري وهو زمن تأليف الكتب التي سبق لنا ذكرها لم يكن هناك أحد بهذا الاسم والرسم مشتهر في دوائر الإسماعيلية، وبعبارة أخرى لم تكن خرافة عبد الله ابن ميمون القدّاح قد اخترعت حتى ذلك الوقت، وإذا كانت قد اخترعت فلم تكن قد انتشرت بعد انتشاراً واسعاً.

وأما الاحتمال الذي ذكره كاتب الحاشية المذكور في صدر هذا المقال (ص ٢٣١) يعني عبد النبي القزويني في حاشيته على جهانگشاي -أنه يجوز أن يكون عبد الله بن ميمون القدّاح الذي يعدّه الإسماعيلية من دعائهم شخصاً آخر غير عبد الله بن ميمون القدّاح الذي ورد ذكره في كتب الرجال الإمامية وأسانيد أحاديثهم- فهو احتمال بعيد جداً، ذلك لأنه بناء على هذا ينبغي أن نفترض وجود شخصين معروفين باسم عبد الله بن ميمون القدّاح في آن واحد من بين أصحاب الإمام جعفر

الصادق عليه السلام، أحدهما شيعي إمامي، والآخر من دعاة الإسماعيلية، وضعف هذا الاحتمال وغرابته ليس يخاف على أحد، وسنعود إلى البحث في هذا الموضوع مرة أخرى -فيما يلي- إن شاء الله تعالى.

آراء مؤرخي أهل السنة والجماعة في شأن عبد الله بن ميمون القدّاح

ليس بخاف أن بعض مؤرخي أهل السنة والجماعة، مثل أبي عبد الله بن رزام الطائي الكوفي وأبي الحسين محمد بن علي بن الحسين العلوي الدمشقي المعروف بالشريف أخي محسن وطائفة أخرى سوف يأتي ذكر أسمائهم فيما بعد (ولكن يبدو أنهم جميعاً اعتمدوا اعتماداً كلياً على هذين الشخصين المذكورين)، قد رووا أموراً عجيبة للغاية فيما يتعلق بعبد الله بن ميمون القدّاح من ذلك مثلاً أنه هو وأبوه ميمون القدّاح، كلاهما من أصل إيراني ومجوسي من سبني الأهواز من الفرقة الثنوية الديصانية^(١)، وكان رجلاً داهية [٣٢٦] ومشعوذاً وصاحب جيلة بارعاً قد ادعى النبوة مدة ولكنه كان في الظاهر يدّعي التشيع ويقوم بالدعوة إلى الطريقة الإسماعيلية^(٢) إلا أنه كان يجعل من هذا سرّاً يخفي به حقيقة أمره، بينما كان في الباطن كافراً زنديقاً من أهل التعطيل والإباحة، وكان هدفه الحقيقي من تأسيس الدعوة هو القضاء على ملة الإسلام وإعادة دولة

(١) الديصانية كانوا فرقة من فرق النصارى الثنوية من أتباع رجل معروف بابن ديسان ظهر في الشام في القرن الثاني للميلاد، انظر كتاب التنبيه والإشراف للسعودي ص ١٣٠، ١٣٥، وكتاب الفهرست للنديم ص ٣٢٨، ٣٣٨-٣٣٩، والممل والنحل للشهرستاني ص ١٩٤، وكافة القواميس الأوروبية تحت عنوان *Bardesane* يعني ابن ديسان، «بَر» بالسريانية معناها «ابن».

(٢) هذه الفقرة التي تقول بأن عبد الله بن ميمون القدّاح كان من دعاة الإسماعيلية أخذها المؤرخون المذكورون، دون شك، من الإسماعيلية، وقد قلنا: إن هذه المسألة، كما هو واضح، خرافة.

المجوس وأرسل الجواسيس والرسائل على أجنحة الحمام إلى كل مكان فكانوا يطلعونه على أحوال سكان البلاد البعيدة وحوادثها، وكان يخبر الناس بهذا فيخدعونهم إذ يُظهر لهم أنه عالم بالمغيبات... إلى آخر ما ذكره من أمثال هذه الأمور الغريبة^(١)، وليس الجانب المغرض لهذه الحكايات بخاف، بأي حال من الأحوال، على الشخص المنصف المنزه الغرض ممن له بعض الإلمام بتاريخ تلك الفترة، إذ يبدو أن أغلبها محض اختلاق وافتراء بل محض اتهام، ولا جدال في أن منشأ ذلك الافتراء والاتهام إنما يرجع إلى سببين: أولهما: البغض الذاتي للمتعصبين من أهل السنة ضد الشيعة، وثانيهما: تحريض خلفاء بني العباس؛ لأن الخلفاء المذكورين كانوا عاجزين كلية عن مواجهة القوة المتزايدة يوماً بعد يوم لنظرانهم الأقوياء، وهم الخلفاء الفاطميون الذين انتزعوا نصف مملكتهم كما زلزلوا الأرض من تحتهم في النصف الباقي - ولم يكن بوسعهم إلا اللجوء إلى هذه الوسائل العاجزة يعني نشر الأكاذيب والمفتريات في حق أعدائهم ذوي البأس، والقذح في أنسابهم ومذاهبهم وأعمالهم وأفعالهم وأعوانهم وأنصارهم تشقيفاً لما في صدورهم، ولقد قالوا [٣٢٧] قديماً: إن سلاح العجزة هو الفحش والاتهام، قصارى القول: إنه يحسن أن نورد نموذجاً لهذه المعلومات في شأن صاحب الترجمة في المواضع المناسبة.

أولاً: في كتاب «الفهرست» للنديم ص ١٨٦-١٨٨ نقلاً عن «عبد الله ابن رزام»^(٢) من كتابه الذي ألفه في الرد على الإسماعيلية، ولكن يبدو «النديم» وكأنه لا

(١) للاطلاع على تفاصيل الموضوع برمته يمكن الرجوع إلى الكتب التي ستذكر أسماؤها فيما يلي مباشرة.

(٢) اسم ابن رزام ونسبه كما ذكر المسعودي في كتاب التنبيه والإشراف ص ٣٩٦ هو أبو عبد الله محمد بن علي بن رزام الطائي الكوفي، ولما كان كتاب التنبيه والإشراف قد ألف بتصريح=

يعتد اعتدًا كاملاً بأقوال ابن رزام وما سطره فرغ النديم عن عهده مسئولة الرواية عن ذلك الكتاب، يقول في بداية الفصل المذكور (ص ١٨٦): «قال أبو عبد الله بن رزام في كتابه الذي رد فيه على الإسماعيلية وكشف مذاهبهم ما قد أوردته بلفظه: وأنا أبرأ من العهدة في الصدق عنه والكذب فيه». ثم يقول في نهاية الفصل بعد نقل روايات ابن رزام وغيره من أعداء الإسماعيلية (ص ١٨٩): «فأما ببلاد مصر فالأمر مشتبّه، وليس يظهر من صاحب الأمر المتملك على الموضع شيء يدل على ما كان يحكى من جهته وجهة آبائه والأمر غير هذا والسلام».

ويقول المسعودي في «التبتيه والإشراف» [٣٢٨] (ص ٣٩٥-٣٩٦): «وقد صنّف متكلمو فرق الإسلام من المعتزلة والشيعة والمرجئة والخوارج والناطقة كتبًا في المقالات، وغيرها من الرد على المخالفين كاليمان بن رثاب الخارجي و... فلم يعرض أحد منهم لوصف مذاهب هذه الطائفة [أي القرامطة وأهل الباطن]، ورد عليهم آخرون مثل قدامة بن يزيد النعماني وابن عبدك الجرجاني وأبي الحسن بن زكريا الجرجاني وأبي عبد الله محمد بن علي بن رزام الطائي الكوفي وأبي جعفر الكلابي الرازي وغيرهم فكل يصف من مذاهبهم ما لا يحكيه الآخر مع إنكار هذه الطائفة حكاية من ذكرنا وتركهم الاعتراف بها»، انتهى باختصار.

=المسعودي نفسه - كما مر - في سنة ٣٤٥ فقد عُرف إذن أن عصر ابن رزام كان يقع بصفة عامة قبل التاريخ المذكور أو مقارنًا له، ويبدو أن كتاب ابن رزام هذا هو مصدر معلومات المؤلفين المتأخرين عنه كافة وهو المصدر الرئيسي لهم فقد نقلوا عنه ما يتعلق بمبدأ أمر الإسماعيلية وهو في الغالب عبارة عن الحكايات الخاصة بعبد الله بن ميمون القذاح والطعن في أنساب الفاطميين ونحو ذلك وكان كتاب ابن رزام هذا هو المصدر نفسه الذي اعتمد عليه الشريف أخو محسن أتى الذكر أيضًا بتصريح المقرئ، وربما كان اسم هذا الكتاب هو «كتاب النقض على الباطنية»، يقول مطهر بن طاهر المقدسي في كتاب «البدء والتاريخ» ج ١ ص ١٣٧: «وقد ذكر ابن رزام هذا الفصل في كتاب النقض على الباطنية إلخ»، ويقول في ج ٥ ص ١٣٤ من الكتاب نفسه: «وما بلغ أحد منهم [أي من الباطنية] ما بلغ ابن رزام فإنه أظهر عورتهم وملأ جلودهم مساة وعينا».

وهكذا يلاحظ أن المسعودي يقول في صراحة ووضوح: إن أقوال من ردوا على الإسماعيلية (وهو يعد ابن رزام -الذي نحن بصدد- من بينهم) لا يوافق بعضها بعضاً على الإطلاق ولا تنطبق على أقوال الإسماعيلية أنفسهم.

أما المقرئ في كتاب اتعاض الحنفاء بأخبار الخلفاء (طبع بيت المقدس مس ١١-١٥) ^(١) فقد نقل محتويات كتاب الفهرست المتعلقة ببدء أمر الإسماعيلية بنصها - وهي التي أشرنا إليها من قبل مباشرة- مع اختلاف يسير في العبارة، ولكن ليس رواية عن كتاب «الفهرست» بل نقلاً عن كتاب آخر في الطعن على أنساب الخلفاء الفاطميين تأليف أحد المعاصرين لهذه الأسرة ومن أبناء عمومتها ^(٢)، إلا أنه من أشد أعدائهم وهو الموسوم بمحمد بن علي بن الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق العلوي الدمشقي المعروف بالشريف «أخي محسن» من رجال أواخر القرن الرابع الهجري، ولكن المصدر الذي استقى منه الشريف أخي محسن [٣٢٩] المذكور معلوماته -هو- كما يصرح المقرئ نفسه - أبو عبد الله بن رزام ^(٣) سابق الذكر، أي الشخص نفسه الذي نقل عنه النديم كذلك - كما مر - المعلومات الأساسية المتعلقة بالإسماعيلية. وفيما يلي نص عبارة المقرئ في بداية هذا الفصل:

(١) ص ٢٥-٣٦ من الطبعة المصرية. (المترجم).

(٢) الأب الخامس لهذا الشريف -كما يلاحظ في سلسلة نسبه في المتن- هو محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، فهو في نفس درجة الأب الثالث للمهدي الفاطمي، إذ إن نسب المهدي - على القول المشهور لدى من أثبتوا أنسابهم - هو عبيد الله المهدي بن محمد الحبيب بن جعفر المصدق ابن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق (اتعاض الحنفاء ص ٧)، [طبع مصر ص ٣٦].

(٣) يبدو أن المصدر الرئيسي للشريف أخي محسن في المعلومات المفصلة المبسطة التي أوردها فيما يتعلق بالإسماعيلية والقرامطة (ولقد وصلنا منها فصلاً طويلاً عن طريق التويري سنذكره فيما يلي مباشرة) وحتى ما يتعلق بالوقائع التي حدثت قبل عصره يعني حتى أوائل القرن الرابع كان هو ابن رزام المذكور، ولكن اعتماده كان منصباً بعد ذلك، إلى حدود سنة ٣٧٠ وهي السنة التي يظهر أن كتابه قد ختم فيها، على مسموعاته ومشاهداته الشخصية، فهو يقول مثلاً في سيرة حرب أبي طاهر الزمطي مع ابن أبي الساج في سنة ٣١٥ بنقل التويري عنه: «قال الشريف (أخو محسن) وأخبرني بعض الجند كنت والله قبل اليزيدية أريد أن أضرب دابتي بالسوط فلا يمكنني ذلك لضيق الموضع». (نهاية الأرب نسخة باريس رقم ١٥٧٦ ورقة ٧٤)، وأيضاً: «قال الشريف فحدثني من حضر حينئذ إلخ» (أيضاً ورقة ٧٥).

«قال كاتبه قد وقفت على مجلدة تشتمل على بضع وعشرين كراسة في الطعن على أنساب الخلفاء الفاطميين تأليف الشريف العابد المعروف بأخي محسن، وهو محمد بن علي بن الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ويكنى بأبي الحسين وهو كتاب مفيد وقد غبرت زماناً أظن أنه قائل ما أنا حاكمه حتى رأيت محمد بن إسحاق النديم في كتاب الفهرست ذكر هذا الكلام بنصه وعزاه إلى أبي عبد الله بن رزام وأنه ذكره في كتابه الذي رد فيه على الإسماعيلية^(١)»، انتهى.

ولم يتيسر لنا الحصول على معلومات كافية عن أحوال الشريف أخي محسن هذا، كما أن تاريخ وفاته ليس معروفاً كذلك، ولكن لما كان شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري المتوفى في سنة ٧٣٣ قد نقل فصلاً مفصلاً في كتاب «نهاية الأرب في فنون الأدب» يتعلق بالقرامطة كما نقل أيضاً التاريخ المفصل لخروج تلك الطائفة وحروبهم المتواترة المتوالية مع خلفاء بني العباس والفاطميين إلى حوادث سنة ثلاث [٣٣٠] وستين وثلاثمائة نقلاً عن الشريف أخي محسن -الذي نحن بصدد^(٢) - فإنه يتضح أن الشريف المذكور كان يعيش - على وجه القطع واليقين - حتى السنة المذكورة وهي سنة ٣٦٣، ولم يعرف شيء عن أحواله أكثر من هذا.

(١) اتعاط الحنفاء للمقرئ ص ١١-١٢، [ص ٢٥-٢٦ طبع مصر].

(٢) يقع هذا الفصل فيما يقرب من ٣٥ ورقة أي ٧٠ صفحة من نهاية الأرب النسخة الخطية بالمكتبة الأهلية بباريس (Arabe 1576) من ورقة 47b - 81a، والإشارة إلى سنة ٣٦٣ موجودة في الورقة الأخيرة - والجزء الأكبر من هذا الفصل الذي يتعلق بدعوة القرامطة نقله المقرئ أيضاً في الخط ج ٢ ص ٢٢٧-٢٣٥ ولكن دون تصريح بمصدر النقل، وقد ترجم هذا القسم إلى الفرنسية كل من سيلفستر دي ساسي وبول كازانوف المستشرقين الفرنسيين كل منهما على حدة مع إضافة بعض التحقيقات والفوائد، وفيما يلي عنوان كل من هاتين الترجمتين لمن ينبغي الرجوع لمؤلفات الأوروبيين في هذا الموضوع:

Silvestre de Sacy, *Exposé de la religion de Druzes*, Paris 1838, vol. 1, pages lxxiv - cxlvii - Paul Casanova, *La doctrine secrète des Fatimides d'Egypte*, Le Caire, 1990 - 1921, pages 9 - 34 du tirage à part.

يتضح مما سبق أن النديم والمقريري كلاهما يمدّنا بمعلومات مبسطة ومفصلة في شأن الإسماعيلية والقرامطة والفاطميين، أخذاهما مباشرة عن مصدرين أكثر قدماً أي من المؤلفين المفقودين لكل من عبد الله بن رزام الكوفي والشريف أخي محسن الدمشقي في الرد على الإسماعيلية، ونخلص من هذا إلى أن صاحب الفهرست قد اقتبس من كتاب ابن رزام، كما اقتبس النويري والمقريري من كتاب الشريف أخي محسن، ولا أثر اليوم لهذين الكتابين المهمين، ويبدو أنهما قد فقدتا كلية. غير أنه يتبين لنا من مقارنة الفصول الطويلة التي نقلها المؤلفون الثلاثة المذكورون عن هذين الكتابين بسائر كتب التاريخ أن الشخصين المذكورين (وأعني بهما ابن رزام والشريف أخو محسن) كانا - على ما يبدو - هما المصدر الرئيسي لأغلب المعلومات المتعلقة بمبتدأ أمر الإسماعيلية بقلم مخالفهم من أهل السنة والجماعة، أما الباقيون من المؤلفين المتأخرين عنهما مثل النديم والنويري والمقريري وأبي [٣٣١] منصور عبد القاهر بن محمد البغدادي صاحب الفرق بين الفرق^(١) والسمعاني في كتاب الأنساب^(٢) وابن الأثير في الكامل^(٣) ونظام الملك في سياست نامه^(٤) وأبي المعالي محمد بن عبيد الله العلوي في بيان الأديان^(٥)

(١) طبع مصر ص ١٦، ٢٦٦، ٢٧٧-٢٧٨.

(٢) طبع أوقاف جب ورقة ٤٤٤ تحت عنوان «القذاحي»، تحت عنوان «القذاح» كتب السمعاني أيضاً في الموضع نفسه ترجمة مختصرة لحياة عبد الله بن ميمون القذاح ولكنه لم يذكر فيه معلومات شبه خرافية بل اعتبر القذاح طبعاً للواقع - من أهل مكة ومن بين الرواة عن حضرة الصادق.

(٣) طبع مصر ج ٨ ص ٩-١٤ في حوادث سنة ٢٩٦.

(٤) طبع شفر ص ١٨٣-١٨٤.

(٥) طبع شفر أيضاً في كتابه «قطع فارسية منتخبة» ج ١ ص ١٥٨-١٥٩.

ورشيد الدين في جامع التواريخ^(١) ومن كتب الشيعة كتاب مجهول المؤلف وهو كتاب تبصرة العوام^(٢)، فيبدو أن كل ما ذكره هؤلاء المؤلفون جميعاً في كتبهم في هذا الموضوع، يعني فيما [٣٣٢] يتعلق بمبادئ أمر الإسماعيلية وتأسيس دعوتهم على يد عبد الله بن ميمون القداح والطعن في أنسابهم ومذاهبهم وعقائدهم وأمثال ذلك منقول أغلبه بلا واسطة أو بواسطة ونصاً أو بزيادة أو نقصان أو تغيير أو تبديل من المصدرين المذكورين.

قلنا: إن أغلب روايات وحكايات مؤلفي أهل السنة والجماعة فيما يختص بعبد الله بن ميمون القداح تبدو مختلفة وناشئة عن محض افتراء واتهام جرافي، والآن نقول لتأييد هذا الحدس: إن من القرائن الواضحة على ضعف الأسس التي تقوم عليها الحكايات المذكورة وقلة الوثوق بها هو كثرة الأغلاط التاريخية الفاحشة الموجودة في

-
- (١) نسخة المكتبة الأهلية بباريس *Suppl. Pers 1364* ورقة 14a - 15b مطابقة لنسخة براون ص ١٨-١٩، ولا يغيب عن البال أن رشيد الدين قد نقل في كتابه روايتين فيما يختص ببداية أمر الإسماعيلية وشرح حال عبد الله بن ميمون القداح، فقد نقل إحداها عن قول الإسماعيلية أنفسهم ونقل الأخرى عن قول أهل السنة والجماعة، ونحن نقصد هنا الرواية الثانية لا الأولى.
- (٢) طبع طهران في ذيل قصص العلماء ص ٤٢٥-٤٢٦. وكل ما أعلمه هو أن الكتاب من كتب الشيعة يحنو مؤلفه حذو مؤرخي أهل السنة والجماعة في شأن عبد الله بن ميمون القداح - والتي أشرنا إليها آنفاً، فيسجل في كتابه خرافاتهم نفسها في هذا الشأن دون تحقيق وتدبر ويجدد التغمات نفسها، ويقال: إن مؤلف هذا الكتاب - كما هو مشهور منذ عهد صاحب «حديقة الشيعة» وحتى الآن - هو السيد مرتضى ابن الذاعي الحسني، ولكن يتضح من مطالعة الكتاب أن هذا الكلام لا أساس له من الصحة، فقد نقل المؤلف في ثنايا الكتاب معلومات عن الإمام الفخر الرازي (انظر صفحات ٤٠٠، ٤٢٢، ٤٥٥) وتوفي الإمام الفخر الرازي في سنة ٦٠٦، وكان السيد مرتضى بن الذاعي - بتصريح صاحب روضات الجنان ص ٦٦٥ ولؤلؤة البحرين ص ٢٣٠ - من معاصري الشيخ الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠، فمن المحال إذن أن يكون قد أدرك عصر الفخر الرازي.

أغلبها، وهي تكشف عن أقصى درجات جهل النّقلة أو المخترعين لهذه الحكايات بالنسبة إلى أمور الشيعة وأوضاعهم، وهي تؤدي بنا في النهاية إلى أن نطرح النّقة عن ما أورده في هذا الموضوع بأسره.

فمثلاً يقول البغدادي في الفرق بين الفرق (ص ٢٦٦): «وقد حكى أصحاب المقالات أن الذين أسسوا دعوة الباطنية جماعة منهم ميمون بن ديسان المعروف بالقذاح، وكان مولى لجعفر بن محمد الصادق وكان من الأهواز، ثم رحل إلى ناحية المغرب وانتسب في تلك الناحية إلى عقيل بن أبي طالب، وزعم أنه من نسله فلما دخل في دعوته قوم من غلاة الرّفص والخلوية منهم ادعى أنه من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق فقبل الأغبياء ذلك منه على [أن] أصحاب الأنساب بأن محمد بن إسماعيل مات ولم يعقب»، انتهى باختصار.

وهكذا يلاحظ أن البغدادي يقول: إن علماء الأنساب مجمعون على أن محمد ابن إسماعيل كان بلا عقب، والحقيقة أن هذه الفقرة خطأ صريح وغلط فاحش وسهوَ واضح بل فاضح، إذ إن نسل محمد بن إسماعيل، بتصريح سائر علماء الأنساب مثل صاحب «عمدة الطالب» والمقرّزي في اتعاظ [٣٣٣] الحنفا نقلاً عن ابن حزم الأندلسي أعدى أعداء الإسماعيلية والجوّاني والشريف الإدريسي والعبّدي، قد انتشر عن ولديه إسماعيل الثاني وجعفر الشاعر، وليس هناك خلاف بينهم على الإطلاق في هذا الصدد، وإذا كان هناك خلاف بين علماء الأنساب في صحة انتساب الخلفاء الفاطميين لمحمد بن إسماعيل، فلا خلاف ولا نزاع على الإطلاق وبأي وجه من الوجوه بينهم في أن لمحمد بن إسماعيل أولاداً وأعقاباً آخرين، غير الخلفاء الفاطميين، لا يدخلون في نطاق العدّ والحصّر، ومثل ذلك مثل من يبغى إبطال دعوى أحد العلويين المشكوك في نسبهم إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، فينكر أصلاً نسل علي بن أبي طالب ويقول إن علماء الأنساب متفقون على أن علياً بن أبي طالب توفي بلا

عقب! ويخصص صاحب عمدة الطالب نحو خمس صفحات كاملة^(١) والمقريزي في اتعاظ الحنفاء - حوالي ست صفحات بأكملها^(٢) للكلام عن أولاد محمد بن إسماعيل وأعقابه وأحفاده، وهذه هي العبارة التي بدأ بها صاحب عمدة الطالب هذا الفصل: «وأعقب محمد بن إسماعيل بن جعفر من رجلين إسماعيل الثاني وجعفر الشاعر إلخ»، وفي اتعاظ الحنفاء هكذا: «فأما محمد بن إسماعيل فإنه الذي إليه الدعوى وكان له من الولد جعفر وإسماعيل فقط إلخ».

وفضلاً عن هذا فقد سبق أن قلنا: إن الشريف «أخي محسن» الدمشقي، الذي كان من ألد أعداء الفاطميين وصاحب كتاب يشتمل على عشرين جزءاً في الرد عليهم والطعن في أنسابهم، كان هو نفسه من نسل محمد بن إسماعيل على هذا النحو: أبو الحسين محمد بن علي بن الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام. وعلى الرغم من كل هذا يقول أبو منصور البغدادي بأن أصحاب الأنساب متفقون على أن محمد بن إسماعيل مات ولم يعقب! والواضح أن هذه الدرجة من الجهل لدى بعض علماء السنة والجماعة بالنسبة إلى أمور الشيعة تثير الدهشة.

[٣٣٤] وكذلك يقول السمعاني في كتاب الأنساب تحت عنوان: «القدّاحي»^(٣):

(١) طبع بمباي ص ٢٠٩-٢١٣.

(٢) طبع بيت المقدس ص ٦-١١. [ويبلغ هذا القسم في الطبعة المصرية، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال حوالي تسع صفحات كاملة من ص ١٦-٢٤].

(٣) ورقة 444a.

«وعبد الله بن ميمون القذّاح كان مع محمد بن إسماعيل بن جعفر في الكتاب^(١)، فلما مات محمد كان يخدم إسماعيل، فلما مات إسماعيل ادعى عبد الله أنه ابن إسماعيل وانتسب إليه وهو ابن ميمون».

وهكذا يلاحظ أن السمعاني يصرح بأن محمد بن إسماعيل توفي قبل أبيه إسماعيل، والواقع أن محمد بن إسماعيل كان يعيش بعد أبيه بأربع وثلاثين سنة على الأقل؛ لأن وفاة إسماعيل بن جعفر الصادق كانت، على حسب اختلاف الأقوال في سنة ١٣٣ أو ١٣٨ أو ١٤٥، ومع أن وفاة محمد بن إسماعيل ليست معروفة على التحقيق فإنه من المحقق تقريباً، كما سبق أن ذكرنا أيضاً^(٢)، أنه كان يعيش حتى سنة ١٧٩، وهي السنة التي سافر فيها هارون الرشيد إلى الحجاز حيث سعى لدى الخليفة المذكور بالإمام موسى الكاظم عليه السلام. من الواضح إذاً أنه قد عاش بعد وفاة أبيه إسماعيل ٤٦ أو ٤١ أو ٣٤ سنة على أقل تقدير، ومع ذلك يقول السمعاني إنه مات قبل أبيه؛ أما نظام الملك فيقول في سياسة نامه^(٣) في بداية الفصل الخاص بالقرامطة: «كان سبب مذهب القرامطة أنه كان لجعفر الصادق رضي الله عنه ولد اسمه إسماعيل وقد توفي إسماعيل قبل أبيه، وكان لإسماعيل ولد سمي محمداً، فغمز أحد الزبيريين بأن جعفر الصادق يريد الثورة على الخلافة، فأحضر الرشيد جعفرًا من المدينة إلى بغداد وحبسه بها وكان لمحمد [٣٣٥] غلام يسمى المبارك فتصادق رجل من مدينة الأهواز مع المبارك هذا وكان يسمى عبد الله بن ميمون القذّاح إلخ». وهكذا يلاحظ أنه يقول صراحة: إن هارون الرشيد قد أحضر الإمام جعفر الصادق

(١) كتاب بضم كاف وتشديد تاء مثناة فوقانية على وزن رمان بمعنى مكتب ومدرسة، ويقول سعدي: «لقد صرت شيخاً ولم تعرف الطريق بعد، فليست إذن شيخاً بل ما زلت طفلاً يليق به الذهاب إلى الكتاب».

(٢) انظر ٢٥٣-٢٥٤ فيما سبق.

(٣) طبع شيفر ص ١٨٣-١٨٤.

إلى بغداد، والواقع أن الإمام جعفر الصادق عليه السلام توفي قبل جلوس هارون الرشيد باثنتين وعشرين سنة؛ إذ كانت وفاة الصادق في سنة ١٤٨ وكان جلوس هارون في سنة ١٧٠ فكيف إذا يأتي هارون بجعفر الصادق من المدينة إلى بغداد! وبديهي أن مؤلف الكتاب خلط بين الإمام جعفر الصادق والإمام موسى الكاظم عليهما السلام.

وكذلك يقول النديم في كتاب الفهرست ص ١٨٧ نقلًا عن ابن رزام:

«وأقام قرمط بكلواذي ونصب له عبد الله بن ميمون القَذّاح رجلاً من ولده يكاثبه من الطالقان، وذلك في سنة إحدى وستين ومائتين، ثم مات عبد الله فخلفه ابنه محمد بن عبد الله ثم مات محمد فاختلفت دعائهم وأهل نحلّتهم^(١) فزعم بعضهم أن أخاه أحمد بن عبد الله خلفه، وزعم آخرون أن الذي خلفه ولد له يسمى أحمد أيضاً ويلقب بأبي الشلّلع، ثم قام بالدعوة بعد ذلك سعيد بن الحسين ابن عبد الله بن ميمون وكان الحسين مات في حياة أبيه إلخ».

وهكذا يلاحظ أن النديم قد حسب أن عبد الله بن ميمون القَذّاح كان يعيش حتى سنة ٢٦١، والواقع أن عبد الله بن ميمون القَذّاح كان بإجماع الشيعة -كما سبق أن ذكرنا- معاصراً للإمام جعفر الصادق ومن أصحابه، وكانت وفاة جعفر الصادق في سنة ثمانية وأربعين ومائة، فكيف يمكن إذاً أن يعيش أحد أصحابه حتى سنة ٢٦١، أي بعد وفاته بمائة وثلاث عشرة سنة.

إذا إما أن نقول: إن عبد الله بن ميمون القَذّاح المذكور في كتاب الفهرست قد أسس الدعوة الإسماعيلية -كما ورد في ذلك الكتاب تفصيلاً- والذي كان يعيش حتى سنة ٢٦١ إنما هو شخص مختلف تمام الاختلاف عند عبد الله [٢٣٦] بن ميمون

(١) تصحيح قياسي، وفي الأصل: محلتهم.

القَدَاحي الذي كان معاصراً لحضرة الصادق ومن رجال أواسط القرن الثاني، وهذا محال؛ لأن عبد الله بن ميمون القَدَاح - بشهادة صريحة لستور المنجمين، وهو من كتب الإسماعيلية المعتمدة، كما سبق شرحه - كان من خواص أصحاب حضرة الصادق، كما كان أبوه ميمون القَدَاح من خواص أصحاب الإمام محمد الباقر، إذاً ففرض تعدّد شخصين غير ممكن مطلقاً.

وأما أن نقول: إن صاحب الفهرست^(١) قد أخطأ خطأ في تحديد عصر عبد الله بن ميمون القَدَاح، وافترض أن زمانه كان متأخراً قرابة قرن عما كان في الواقع^(٢)، أو أن المؤلف المذكور قد اشتبه في أن عبد الله بن ميمون القَدَاح واحد من أعقاب المتعددين الذين ذكرت أسماؤهم في سياق العبارة نفسها (انظر الصفحة السابقة)، فاعتبره مثلاً هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن ميمون القَدَاح، أو هو الحسين [بن أحمد]^(٣) بن عبد الله المذكور أو هو سعيد ابن الحسين المذكور؛ إذ من الممكن أن

(١) أو على الأظهر مصدره الأصلي: ابن رزام.

(٢) لو قيل إنه يجوز أن يكون هذا الاشتباه من النساخ وليس من المؤلف، يعني أنه يجوز أن تكون أصل عبارة الفهرست «سنة ...» ثم بدلت «مائة» بـ«مائتين» بسبب تحريف النساخ، لقلنا إجابة على ذلك إن هذا الاحتمال باطل كلية لأن النديم يعتبر عبد الله بن ميمون القَدَاح معاصراً لقرمط المعروف مؤسس مذهب القرامطة، وذلك من سياق العبارة السابقة نفسها مباشرة. ولما كان معروفاً أن قرمط كان يعيش حتى سنة ٢٨٦ إذاً فمن الواضح أنه ليس هناك سيو أو اشتباه في أعداد سنة ٢٦٤ ولو كان هناك اشتباه لفرضنا وجوده، كما قررنا في المتن، إما في تحديد عصر عبد الله بن ميمون الذي كان قد أُرِ قَرابة مائة عام عما كان في الواقع، وإما في شخص عبد الله نفسه حيث حدث التباس بينه وبين واحد من أعقاب.

(٣) لا بد أن يكون اسم أحمد قد سقط من عبارة الفهرست لأنه في الفصل الذي نقله المقرئ في اتعاط الحنفا ص ١١-١٤ [ص ٢٥-٢٦ طبع مصر] عن قول الشريف أخو محسن ويتصريح المقرئ نفسه بأن صاحب الفهرست نقل الفصل نفسه عن ابن رزام، يرد اسم هذا الشخص في الموضع الذي نحن بصدد (اتعاط الحنفا ص ١٣ - ص ٣٠ طبع مصر) الحسين بن أحمد بن عبد الله لا الحسين بن عبد الله. وكذا بعينه في الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٦٧.

يكون عصرهم موافقاً [٣٣٧] عادة لسنة ٢٦١، فُتسِيت الأعمال والتاريخ المتعلق بواحد منهم إلى عبد الله بن ميمون القَدَّاح، وهذا الاحتمال الأخير (يعني الخلط بين عبد الله بن ميمون القَدَّاح وواحد من أعقابيه) يبدو لي هو أرجح الاحتمالات.

في نسختين من الجزء الخاص بالإسماعيلية من جامع التواريخ، تقع في حوزتي واحدة منهما، إحداهما نسخة المكتبة الأهلية ببائيس والنسخة الأخرى ملك المرحوم براون، تجاوز [المؤلف] أيضاً في هذا الموضوع -يعني المتعلق بعصر عبد الله بن ميمون القَدَّاح- كتاب الفهرست بمراحل مذكراً بأنه كان يعيش حتى سنة خمس وتسعين ومائتين، وهذا نص عبارته^(١): «وكان من بين الدعاة ميمون القَدَّاح وابنه عبد الله بن ميمون ويعذان من علماء تلك الطائفة وأكابرهما.. وفي سنة خمس وتسعين ومائتين^(٢) تحلى عبد الله بن ميمون بزى الصوم والصلاة والطاعات والعبادات واطلع على سر الدعوة وأقام بعسكر مُكْرَم في موضع [يسمى] سَاباط نوح وكثرت أمواله وازداد أتباعه» انتهى باختصار، ولا شك إطلاقاً في أن هذا التاريخ غلط فاحش وخطأ صريح إما من النساخ أو من المؤلف نفسه، ولم نر مثل هذا الأمر الغريب في أي مصدر آخر على الإطلاق غير الكتاب المذكور.

وفي نهاية هذا المقال نرى من المناسب أن نشير إلى قول عجيب في شأن عبد الله بن ميمون القَدَّاح، إذ تعرض لذكره على سبيل الاستطراد أبو العلاء المعري في رسالة الغفران. وبمقتضى قول المعري يكون عبد الله [٣٣٨] بن ميمون القَدَّاح حياً في بداية أمر الشيعة، ومن أجله أصحاب الإمام جعفر الصادق عليه السلام،

(١) جامع التواريخ نسخة المكتبة الأهلية ببائيس suppl. Pres 1364 ورقة 6a - 8a ونسخة المرحوم براون ص ٦-٩ [تقابل ص ٩ من طبعة طهران].

(٢) كذا بوضوح بالأعداد الصريحة لا الأرقام الهندسية في كلتا النسختين المذكورتين من جامع التواريخ نسخة باريس ورقة 8a، نسخة براون ص ٩ [ص ١١ طبعة طهران].

ولكنه ارتد بعد ذلك وقال أشعاراً مختلفة وفقاً لمقتضى حاله، سيأتي ذكرها. ولا حاجة بنا إلى التنويه بأن هذه الحكاية وهذه الأشعار مثلها مثل أغلب حكايات ذلك الكتاب، ورواياته التي يقتصر موضوعها على سير أبي العلاء في عالم الرؤيا في الجنة والنار وصحراء المحشر، وهو كله ضرب من اختلاق الخيال والقصص وليس قضايا واقعية تاريخية^(١)، ولا ينبغي أن يكون قصدنا من هذا أن نتعرض لما تتضمنه رسالة الغفران لأبي العلاء من حيث صدق معلوماتها وكذبها. أو أن ننظر في ذلك الكتاب نظرة تاريخية جادة.

وإنما علينا أن ننظر إلى ما يتضمنه الكتاب نظرة ترويح وتسلية أدبية، ومن ثم رأينا أن ننقل من الرسالة الفقرة التالية، مع العلم بأن عادة أبي العلاء في ذلك الكتاب جرت على انتحال حكايات وأشعار في الضحك والسخرية من الإسلام وأصول العقائد الإسلامية ونسبتها إلى إحدى الشخصيات التاريخية الحقيقية أو الوهمية^(٢)، وفيما يلي نص عبارته في الموضوع الذي نحن بصدده، (نقلًا عن رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، طبع مصر سنة ١٣٢١ - ١٣٢٥ ص ١٥٦-١٥٧):

-
- (١) تشبه رسالة الغفران لأبي العلاء المعري «الكوميديا الإلهية» لدانتي الإيطالي ويرى بعض المستشرقين أصلاً بأن دانتي في تأليف «الكوميديا الإلهية» قد اطلع على رسالة الغفران لأبي العلاء فكانت تلك الرسالة هي رائدة في تأليف كتابه الشهير.
- (٢) لم أجد في أي من كتب رجال الشيعة أو أحاديثهم أمراً كهذا أو شبيهاً به، ويغلب على الظن عندي، وهو ظن قريب من اليقين أن هذه الرواية عن شيوخ الشيعة هي محض افتراء من أبي العلاء نفسه، وهو يشبه في هذا سلفه أبا حيان التوحيدي، فكلاهما لا يتحرج من انتحال الأخبار ونسبتها إلى شخصيات معروفة أو وهمية.

«والشيعة يزعمون أن عبد الله بن ميمون القداح وهو من باهلة^(١) كان من عليّة أصحاب جعفر بن محمد عليه السلام وروى عنه شيئاً كثيراً، ثم ارتد بعد ذلك فحدثني بعض شيوخهم أنهم يروون عنه و[٣٣٩] يقولون حدثنا عبد الله بن ميمون القداح كأحسن ما كان^(٢) أي قبل أن يرتد ويروون له:

هَاتِ اسْقِنِي الْخَمْرَةَ يَا سَنْبَرُ^(٣) فَلَيْسَ عِنْدِي أَنْبِي أَنْشُرُ
أَمَا تَرَى الشَّيْعَةَ فِي فِتْنَةٍ يَغُرُّهَا مِنْ دِينِهَا جَعْفَرُ
قَدْ كُنْتُ مَغْرُورًا بِهِ بُرْهَةً ثُمَّ بَدَأَ لِي خَبْرٌ يُسْتَرُ
ومما ينسب إليه:

مَشَيْتُ إِلَى جَعْفَرَ حِقْبَةً فَأَلْفَيْتُهُ خَادِعًا يَخْلُبُ
يَجْرُ الْعَلَاءَ إِلَى نَفْسِهِ وَكُلُّ إِلَى حَبْلِهِ يَجْذَبُ
فَلَوْ كَانَ أَمْرُكُمْ صَادِقًا لَمَا ظَلَّ مَقْتُولُكُمْ يُسْحَبُ
وَلَا غَضٌّ مِنْكُمْ عَتِيقٌ^(٤) وَلَا سَمًا عُمَرُ فَوْقَكُمْ يَخْطُبُ

(١) على مبلغ علم راقم السطور فإن أحداً لم يقل على الإطلاق حتى الآن مثل هذا القول وهو أن عبد الله بن ميمون القداح من قبيلة باهلة. وعلماء الشيعة متفقون على أنه كان من موالي بني مخزوم وقال مؤرخو أهل السنة والجماعة جميعاً بأنه كان إيرانيّاً ومجوسياً ومن سبي الأهواز.

(٢) لم أعتز - على الرغم مما بذلته من جهد في الفحص والتتبع في كتب رجال الشيعة وأحاديثهم على شيء كهذا أو قريب منه، وأظن - بل أكاد أكون على يقين - أن هذه الرواية عن شيوخ الشيعة إنما هي محض اختراع لأبي العلاء نفسه مثله في ذلك مثل أبي حيّان التوحيدي في تزييف الأخبار وإسنادها إلى رجال مشهورين أو وهميين حتى لا يجد معارضاً.

(٣) سنبّر: على وزن جعفر من أسماء الأعلام (تاج العروس).

(٤) عتيق: اسم أو لقب أبي بكر بن أبي قحافة. «ولقبه عتيق قيل لجماله، وقيل لعنقه من النار، وقيل إن ذلك كان اسمه في الجاهلية». (التنبيه والإشراف ص ٢٨٤).

انتهى، أعياني البحث في كتب التاريخ والأدب والرجال والأخبار والأحاديث المتداولة عند كل من الشيعة وأهل السنة والجماعة فلم أعثر مطلقاً -بأي وجه من الوجوه- على ذكر، أو أثر لهذه الأشعار، أو لأي شعر آخر لعبد الله بن ميمون القداح، وأغلب الظن أن الأشعار المذكورة (شأنها شأن القصة كلها) بل من المتيقن [٣٤٠] أنها انتحال من أبي العلاء نفسه قد نسبته إلى عبد الله بن ميمون القداح وأنه يكشف عن خفايا نواياه تجاه الإسلام وأئمة المسلمين.

ونظير هذه الفقرة الحكاية التالية المنقولة عن الرسالة نفسها (رسالة الغفران طبع مصر ص ١٤٤-١٤٥):

«ولما أجلى عمر بن الخطاب رحمة الله عليه أهل الذمة عن جزيرة العرب شق ذلك على الجالين فيقال: إن رجلاً من يهود خيبر يعرف بسمير بن أدكن^(١) قال في ذلك:

يَصُولُ أَبُو حَفْصٍ عَلَيْنَا بِدِرَّةٍ رُوَيْدَكَ إِنْ الْمَرْءَ يَطْفُو وَيَرْسُبُ
كَأَنَّكَ لَمْ تَتَّبِعْ حُمُولَةَ مَاقِطٍ لِتَشَبَعَ إِنْ الرَّادَ شَيْءٌ مُحَبَّبٌ^(٢)

(١) لم أعثر في جميع كتب التواريخ والأخبار والأدب التي رجعت إليها -مثل تاريخ الطبري ومروج الذهب والتنبيه والإشراف- كلاهما للمسعودي، والمعارف وعيون الأخبار -كلاهما لابن قتيبة- والأغاني ومؤلفات الجاحظ والكامل للمبرد والكامل لابن الأثير وغيرها- على أثر لشخص بهذا الاسم والنسب، ويبدو سهل من المؤكد - أن هذا الاسم والنسب مفتعل وأن هذا الشخص من صنع الخيال تماماً.

(٢) الحمولة بالفتح الإبل كانت عليها أنقال أو لم تكن، والماقط على زنة فاعل أجبر الكري وقيل هو المكتري من منزل إلى آخر والماقط مولى المولى. وتقول العرب فلان ساقط بن ماقط بن لاقط تتناسب بذلك فالساقط عبد الماقط عبد اللاقط عبد معتق. (لسان العرب).

فَلَوْ كَانَ مُوسَى صَادِقًا مَا ظَهَرْتُمْ عَلَيْنَا وَلَكِنْ دَوْلَةٌ ثُمَّ تَذَهَبُ
وَنَحْنُ سَبَقْنَاكُمْ إِلَى الْمَيِّنِ فَاعْرِفُوا لَنَا رُتْبَةً الْبَادِي الَّذِي هُوَ أَكْذَبُ
مَشَيْتُمْ عَلَى آثَارِنَا فِي طَرِيقِنَا وَبُغَيْتُكُمْ فِي أَنْ تَسُودُوا وَتُرْهَبُوا

يقول ياقوت في معجم الأدباء ج ١ ص ١٩٠ في ترجمة أبي العلاء المعري بعد
نقل الحكاية والأشعار المذكورة أعلاه: «وهذا يشبه أن يكون شعره، قد نحله هذا
اليهودي أو أن إirاده لمثل هذا واستلذذه من أمارات سوء عقيدته وقبح مذهبه». انتهى.

[٣٤١] ثبت بالمصادر المتعلقة

بأحوال عبد الله بن ميمون القدّاح^(١)

مصادر الشيعة:

الرجال للكشي ص ٢٤٧، فهرست النجاشي ص ١٤٨، فهرست الشيخ الطوسي ص ١٩٧-١٩٨، تبصرة العوام مجهول المؤلف، مطبوع في ذيل قصص العلماء ص ٤٢٥-٤٢٦، الخلاصة للعلامة الحلي ص ٥٣، إيضاح الاشتباه للمؤلف نفسه النسخة الخطية لكاتب هذه السطور، في باب العين، مجالس المؤمنين للقاضي نور الله الششتري النسخة الخطية لكاتب هذه السطور، المجلس السادس، منهج المقال لميرزا محمد الاسترآبادي ص ٢١٢-٢١٣، نقد الرجال لمير مصطفى النفرشي ص ٢٠٨-٢٠٩، نضد الإيضاح لمحمد علم الهدى بن محسن الكاشي ص ١٩٧-١٩٨، منتهى المقال لأبي علي الحائري ص ١٩٣-١٩٤، مشترك الوسائل للمرحوم حاجي ميرزا حسين نوري ج ٣ ص ٦١٩.

ومن كتب الإسماعيلية النزارية:

دستور المنجمين نسخة وحيدة بالمكتبة الوطنية في باريس^(٢)، ضمن ترجمة أحوال الإمام جعفر الصادق.

(١) كنا قد أشرنا في صفحات المقال السابقة إلى تاريخ ومكان طبع أغلب المصادر التالية، وهو ما سنعرض عن ذكره في هذا الثبوت تقاديا للتكرار.

(٢) رقمها *Arabe 5968* ورقة 333b.

ومن مصادر أهل السنة والجماعة:

كتاب الفهرست للنديم^(١) ص ١٨٦-١٨٨، رسالة الغفران لأبي العلاء المعري ص ١٥٦-١٥٧، كتاب الأنساب للسمعاني ورقة 333b - 444a في عنوانين متتاليين: «القذّاح» و«القذّاحي»، بيان الأديان لأبي [٣٤٢] المعالي محمد بن عبيد الله العلوي طبع شفر ضمن قطع فارسية منتخبة ج ١ ص ١٥٨-١٥٩، سياست نامه لنظام الملك ص ١٨٣-١٨٤، تاريخ ابن الأثير طبع مصر ج ٨ ص ٩-١٤ في حوادث سنة ٢٩٦، تاريخ جهانگشاي للجويني ج ٣ ص ١٥٢، جامع التواريخ لرشيد الدين فضل الله أوانل الجزء الخاص بالإسماعيلية^(٢)، ميزان الاعتدال للذهبي ج ٢ ص ٨١، اتعاط الحنفاء للمقريزي ص ١١-٢٢، الخطط للمؤلف نفسه ج ٢ ص ١٥٨-١٦٠ و ٢٣٣-٢٣٤، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي طبع مصر ج ٢ (راجع فهرست أعلام ذلك الكتاب تحت عنوان «ميمون القذّاح»).

ومن المصادر الأوروبية:

الكتاب المشهور لسلفيستر دي ساسي شرح مذهب الدروز^(٣) مقدمة الجزء الأول صفحات ٦٧ وما بعدها و ١٣٨ و ١٥٦ وما بعدها، العقائد الباطنية لفاطمية

(١) كان النديم - بتصريح ياقوت في معجم الأدباء ٤٨/٦ شيعيًا، غير أن ما ورد في كتابه في الموضوع الذي نحن بصدد مآخوذ عن مؤلفات أهل السنة والجماعة، ومن ثم حسبناه تابعا لهذه المصادر.

(٢) نسخة المكتبة الوطنية بباريس الرقيمة *Suppl. Pers. 1364* ورقة 6a - 15b، ص ٩-١٩ من نسخة المرحوم براون.

(3) *Silvestre de Sacy, Exposé de la religion des Druzes, Vol. I, pp. LXVII suiv, CXXXVIII, CLVI suiv.*

مصر^(١) لكانزونا ص ٩-٣٩ من الطبعة المنفصلة، تحقیقات حول قرامطة البحرين والفاطميين لدي خويه^(٢) في الكثير من المواضع وبخاصة من ص ١٢ وما بعدها، تاريخ الأدب في إيران^(٣) للمرحوم براون ج ١ ص ٣٩٦ وما بعدها، دائرة المعارف الإسلامية في عنوان «عبد الله بن ميمون القذاح» ل«هوتسما»^(٤) ج ١ ص ٢٦-٢٧، حواشي كتاب الفهرست لأوجست مولر الألماني^(٥) ص ٧٧، ونجد في المصدرين الأخيرين [٣٤٣] وخاصة في حواشي كتاب الفهرست عناوين كثيرة ذكرت لمصادر أوروبية بحثت في الموضوع الذي نحن بصدده، ومن ثم صرفنا النظر عن تكرارها هنا.

ص ١٤٦ س ٥:

«وحسن شيخ عبدان»، كان عبدان الكاتب من أكثر دعاة الإسماعيلية والقرامطة شهرة، وقد تصاهر مع حمدان بن الأشعث المعروف بقرمط رئيس القرامطة المشهور -الذي اشتق اسم تلك الطائفة من اسمه على المشهور- إذ كان عبدان متزوجاً أخت قرمط وقرمط متزوجاً أخته^(٦). ونجد في كتاب الفهرست ص ١٨٩ أسماء بعض مؤلفات عبد الله المذكور أو المنسوبة إليه، وقد قتل صاحب هذه الترجمة في حدود سنة ثمانية ومائتين من الهجرة - على التفصيل الوارد في كتب التواريخ^(٧) -

(1) Paul Casanova, *La doctrine secrète des Fatimides d'Egypte*, pp. 9-34 du triage à part.

(2) J. De Goeje, *Mémoire sur les Carmathes du Bahraïn et les Fatimides*, p. 12 suiv.

(3) E. G. Browne, *A Literary History of Persia*, I, 396 suiv.

(4) M. Th. Houtsma.

(5) Dr. August Mueller.

(٦) نهاية الأرب للنويري، نسخة المكتبة الأهلية بباريس 1576 Arabe ورقة 48h.

(٧) لمزيد من التفصيل عن أحوال عبدان انظر الكتب الآتية: فهرست النديم ص ١٨٧-١٨٩، وحواشي الناشر الألماني للكتاب ص ٧٧، وكتاب التنبيه والإشراف للمسعودي ص ٣٧٤، وابن حوقل ص ٢١٠، وديستور المنجمين 335a، ونهاية الأرب ورقة 48h، 58h، 59a، 76a، واتعاض الحنفا للمقرئزي ص ١٠٣، ١٠٤، ١٠٧، ١٠٨، ١١٣، ١١٤، ١٢٠، ١٣٠، و«مذهب»

وقد ورد اسم هذا الدّاعي القرمطي المشهور في كافة كتب التواريخ التي في متناول يدي وذكرت أسماؤها في الحاشية بلا استثناء (عبدان)، وليس حسن شيخ عبدان بإضافة حسن [٣٤٤]، كما ورد في جميع نسخ جهانگشاه الخطية، ولا نجد في كتب التواريخ المعروفة من دعاة الإسماعيلية والقرامطة رجلاً آخر يسمى بحسن بن عبدان حتى نقول: إنه هو مقصود الجويني. إذن فكلمة «حسن» في متن جهانگشاه بلا شك زائدة كلية: إما سهواً من النساخ أو من المصنف نفسه، وللمصنف نظائر من هذه الاشتباهات في هذا الفصل المتعلق بالإسماعيلية سوف نرى المزيد منها فيما بعد.

ص ١٤٧ س ١:

«أبو الخطاب»، المراد هو أبو الخطاب محمد بن أبي زينب مقلص الأسدي الأجدع الذي تنسب إليه الفرقة المعروفة بالخطابية من غلاة الشيعة، وكان في بداية أمره من أصحاب الإمام جعفر الصادق عليه السلام، ثم أظهر غلواً في شأنه إذ اعتقد ألوهيته، ثم إنه تراجع خطوة عن هذه المرتبة فادعى بأنه نبيّ صاحب رسالة، ونجد شرحاً مفصلاً لعقائده وعقائد أصحابه واقتراهم بعد ذلك إلى أربع فرق أو خمس^(١) في كتاب

=الدروز» لدي ساسي مقدمة الجزء الأول ص ١٨٤-١٨٥، ١٩٣-٢٠٠، رسالة «القرامطة» لدي خويه ص ٣١، ٥٨، ٥٩، ٦٣، ٦٦-٦٨، ٩٩، ويورد مؤلف الكتاب الأخير دلائل يعتقد بمقتضاها أن قتل عبدان قد حدث بعد جلوس المهدي الفاطمي (سنة ٢٩٦) وبأمره، أي بتأخير عشر سنوات عن ما قاله المؤرخون كافة. واعتقد أن هذه الدعوى ما هي إلا اجتهد في مقابل النص وأنها «رجماً بالغيب»، والدلائل التي أوردها لإثبات دعواه واهية للغاية (المحقق). انظر أيضاً إيفانوف في كتابه عن ظهور الفاطميين *The Risa of Fatimid* ص ٤٧، ٤٨، ٥٩، ٦٠، ٧٦، ٧٨. (المترجم).

(١) اشعب أصحاب أبي الخطاب إلى أربع فرق بقول النوبختي في فرق الشيعة ص ٣٧، وإلى خمس فرق بقول الأشعري في مقالات الإسلاميين ص ١٠. ولا شك أن كلمة «خمسون» في خطط المقرئ ج ٤ ص ١٧٤ تصحيف لكلمة «خمس» وعدّ كل من هوتما في دائرة المعارف الإسلامية مادة «أبو الخطاب»، ومرجليوث في الكتاب نفسه في مادة «الخطابية» أن عدد شعب الخطابية المختلفة خمسون استناداً إلى عبارة المقرئ المذكورة، وهذا كما يبدو سهو واضح.

فرق الشيعة لأبي محمد الحسن بن موسى النوبختي ص ٣٧-٤١، ٥٨-٦٠، وفي مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ص ١٠-١٣ وهما من أقدم الكتب الإسلامية وأوثقها في المال والنحل، وينبغي على من ينشد الحصول على معلومات عن هذا الموضوع الرجوع إليهما، مجمل القول: إن حضرة الصادق -عليه السلام- قام بعد الاطلاع على ماهية معتقدات أبي الخطاب وأصحابه بلعنهم وذمهم والتبرئ منهم في مواضع عديدة وسماهم كفرة ونهى أصحابه [٣٤٥] عن معاشرتهم، ولما انتشر أمرهم واشتهر ارتكابهم للمحظورات وإظهارهم للإباحات أرسل عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وكان ابن أخ المنصور ووالياً من قبله على الكوفة، أرسل رجلاً في إثر أبي الخطاب وطلبه، فاجتمع أبو الخطاب مع أتباعه في جامع الكوفة وبلغ عددهم سبعين رجلاً أبوا جميعاً التسليم، فقامت بينهم وبين والي الكوفة معركة شديدة، ودافع الخطابيون عن أنفسهم دفاع الأبطال وكانوا يحاربون بالحجارة والعصي والخناجر حتى قتلوا في النهاية عن آخرهم فيما عدا رجلان^(١).

وتاريخ هذه الواقعة ليس معروفاً على وجه التحديد ولكن يبدو أنها وقعت في الفترة ما بين ١٣٦ و ١٣٨^(٢) ذلك لأن جلوس المنصور، الذي حدثت تلك الحادثة في زمن خلافته، كان في سنة ١٣٦ - هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يصرح الكشي في «الرجال»^(٣) بأنه في سنة ١٣٨ كانت قد انقضت مدة على قتل أبي الخطاب وأصحابه، وفيما يلي نص عبارة الكشي: «حدثنا أيوب بن نوح عن حنان بن سدير عن أبي عبد الله

(١) «ولم يفلت منهم إلا رجل واحد أصابته جراح فسقط بين القتلى فعد فيهم». (المقالات والفرق للقمي ص ٨١).

(٢) يرى دي خويه في رسالة «القرامطة» ص ١٣ استنباطاً عن نياية الأرب للنويري (هذا الجزء الخاص بالفاطميين موجود في مكتبة ليندن ولم أستطع بالفعل الحصول عليه) أن قتل أبي الخطاب كان في سنة ١٤٥، ولا شك في أن قول الكشي، وهو من قدماء علماء الشيعة، في الأمور المتعلقة بأئمة الشيعة وأصحابهم مقدّم على قول النويري وهو من علماء العامة المتأخرين.

(٣) رجال الكشي طبع بمباي ص ١٩١.

عليه السلام قال: كنت جالساً عند أبي عبد الله عليه السلام وميسر عنده ونحن في سنة ثمان وثلاثين ومائة، فقال له ميسر بياع الزطبي: جُعِلَتْ فداك عجبت لقوم كانوا يأتون معنا إلى هذا الموضع فانقطعت آثارهم وفنيت آجالهم! قال: ومن هم؟ قلت: أبو الخطاب وأصحابه. وكان متكئاً فجلس فرفع إصبعه إلى السماء، ثم قال على أبي الخطاب: لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فاشهد بالله [٣٤٦] أنه كافر فاسق مشرك وأنه يحشر مع فرعون في أشد العذاب غدواً وعشيا، ثم قال: أما والله إنني لأنفس على أجساد أصيبت معه النار»^(١).

ص ١٤٧ س ١١ - ١٢:

«كان ظهور القرامطة في سنة ثمان وسبعين ومائتين»، هذا التاريخ مطابق لقول جمهور المؤرخين كالطبري وابن الأثير وغيرهما، وهم جميعاً يذكرون ابتداء أمر القرامطة في حوادث هذه السنة، غير أنه لا شك في أن مراد المؤرخين المذكورين هو أن انتشار أمر القرامطة وشهرتهم قد صارت في هذه السنة مشهودة في بلاط خلافة بغداد بصفة رسمية^(٢)، كما أنه لا شك في أن دعوة القرامطة قد بدأت قبل التاريخ المذكور بمدة طويلة، ويصرح المسعودي في كتابيه التنبيه والإشراف ص ٣٩٥ بأن

(١) للحصول على معلومات أوسع عن سيرة أبي الخطاب الأسدي وتفصيل مذهبه ومذهب أتباعه وأشياعه فضلاً عن المعلومات التي نجدها في فرق الشيعة للنوبختي ومقالات الإسلاميين للأشعري وأشرنا إليها في المتن. انظر: رجال الكشي طبع بمباي ص ١٨٧-١٩٩، ٢٢٥-٢٢٦، ٢٩٨، ٣٥٢، وتبصرة العوام ص ٤٢٠، والخطط للمقريزي ج ٤ ص ١٧٤، ورجال ميرزا محمد الاستربادي ص ٣٢٢-٣٢٦، ورجال أبي علي ص ٢٩٤، ورجال مير مصطفى النقرشي ص ٣٣٥، ومن المصادر الأوروبية انظر مذهب الدرر لدي ساسي ج ٤ ص ٤٤٠-٤٤١، ورسالة القرامطة لدي خويه ص ١٣، ودائرة المعارف الإسلامية تحت عنوان «أبو الخطاب»، ج ١ ص ٩٩ بقلم هوتسما، وفي عنوان «الخطابية» ج ٢ ص ٩٨٦-٩٨٧ بقلم مارجليوث، [وانظر أيضاً المنتخبات التي نشرها إيفانوف ملحقاً لكتابه «ظهور الفاطميين» وترجمها إلى الإنجليزية ص ٩٥، ٩٦ وص ٢٦٢ من الترجمة]. (المترجم)

(٢) انظر رسالة «قرامطة البحرين»، لدي خويه، ص ٣١-٣٢.

دعوة القرامطة أسست سنة ستين ومائتين في إصفهان، ويستفاد صراحة من اتعاظ الحنفا للمقريزي ص ١٠٢ [ص ٢٠٦ طبع مصر] أنه في سنة ٢٦٤ كانت دعوة القرامطة قد حققت تقدماً منذ مدة عن طريق الحسين الأهوازي (وهو أول دعاة تلك الفرقة قبل قرمط وعبدان).

ص ١٤٧ س ١٢:

«وكان أولهم حمدان قرمط» المقصود هو حمدان بن الأشعث الملقب بقرمط الذي اشتق اسمه «القرامطة» من [٣٤٧] لقبه على أشهر الأقوال، وكتب التاريخ جميعها مشحونة بذكره الأمر الذي يجعلنا نقلع عن ذكر مصادر هذا الموضوع في هذا المقام، وكان حمدان قرمط متزوجاً -كما سبق أن ذكرنا- أخت عبدان أحد دعاة هذه الطائفة المعروفين كما كان عبدان متزوجاً أخت قرمط ولكن -كما يستفاد من نهاية الأرب^(١)- فقد أثره كلية قبل سنة ست وثمانين ومائتين بقليل ولم يقف له أحد على خبر أو أثر ولم يعلم أحد ماذا كانت نهايته، وقد جمع المستشرق الهولندي المعروف دي خويه خلاصة أقوال عامة المؤرخين فيما يتعلق بحمدان قرمط ودعوة القرامطة وثوراتهم المتوالية المستمرة على الخلفاء، وكل ما يتعلق بهذه الفرقة في رسالته القيمة الموسومة بـ «مذكرات في شأن قرامطة البحرين والفاطميين»^(٢) فينبغي على من ينشد الحصول على مثل هذه المعلومات الرجوع إلى تلك الرسالة.

(١) نسخة المكتبة الأهلية بباريس Arabe 1576 ورقة 58b وما بعدها، ورسالة القرامطة لدي خويه ص ٥٩.

(٢) هذا الكتاب مؤلف باللغة الفرنسية واسمه وعنوانه J. De Goeje, *mémomoiré sur les Curmuthes du Bahrain et les Fatimides*, 2e édition, Leide 1886

ص ١٤٨ س ٢:

«واحتفظوا به خمسين وعشرين سنة». حدد سائر المؤرخين المدة التي احتفظ فيها القرامطة لديهم بالحجر الأسود باثنين وعشرين عاماً على وجه التحديد^(١)، وفي الحقيقة يتضح من الحساب والمقارنة [٣٤٨] بين تاريخ خلع القرامطة للحجر الأسود في الرابع عشر من ذي الحجة^(٢) سنة سبع عشرة وثلاثمائة، وتاريخ إعادة الحجر إلى مكة في العاشر من ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة أي أن الحجر بقي لديهم اثنين وعشرين سنة إلا أربعة أيام على وجه التحديد، وفضلاً عن الحساب الذي ذكرناه يصرح المقرئ في اتعاظ الحنفا ص ١٢٦ [ص ٢٤٦ طبع مصر] وقطب الدين النهرواني المكي في كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ١٦٦ أيضاً بما قلنا بكل وضوح، إذن فتعبير خمس وعشرين سنة في كلام المؤلف إما هو سهو منه أو مسامحة.

ص ١٤٩ س ٣:

«بلقاسم حوشب»، هو أبو القاسم رستم بن الحسين بن فرج بن حوشب بن زاذان النجار الكوفي الملقب بالمنصور من أشهر دعاة الإسماعيلية في اليمن، في

(١) انظر ابن الأثير ج ٨ ص ١٩٢ في حوادث سنة ٣٣٩، وتاريخ أبي الفداء في حوادث السنة نفسها، واتعاظ الحنفا للمقرئ ص ١٢٧، ١٢٩ [ص ٢٤٣ طبع مصر]، والإعلام بأعلام بيت الله الحرام لقطب الدين النهرواني المكي ص ١٦٢-١٦٦، ورسالة «القرامطة» لدي خويه ص ١٤٦، ويعتبر حمزة الإصفهاني ص ٢٠٩-٢١٠ مدة بقاء الحجر لدى القرامطة اثني عشر عاماً (بدلاً من اثنين وعشرين عاماً) وتاريخ إعادته في سنة تسع وعشرين وثلاثمائة (بدلاً من تسع وثلاثين وثلاثمائة) ويعد هذا من قبيل سهو القلم ولا بد أنه نشأ عن مشابهة الرقم ٢٩ للرقم ٣٩.

(٢) إعلام قطب الدين المكي ص ١٦٦، وقد وردت كلمة «ذي القعدة» في هذا الصدد في اتعاظ الحنفا ص ١٢٩ [ص ٢٤٦ طبع مصر] سيؤا من النسخ بدلاً من «ذي الحجة».

شهور سنة ثمان وستين ومائتين^(١) أرسله والد المهدي، أول الخلفاء الفاطميين، بقول صاحب دستور المنجمين^(٢) والمقريري^(٣)، أو أحد أولاد عبد الله بن ميمون القذاح، بقول الجويني في جهانگشا وابن الأثير في تاريخ الكامل^(٤)، أرسل ابن حوشب برفقة رجل يقال له علي بن الفضل من أهالي اليمن لنشر الدعوة بها، فتحركا من القادسية ووصلا إلى اليمن في أوائل^(٥) السنة المذكورة، وبدأ ابن حوشب الدعوة هناك، وظهرت دعوته في اليمن سنة سبعين ومائتين وارتفع أمره وكثر أتباعه وفتح المدن الرئيسية باليمن مثل صنعاء وغيرها [٣٤٩] ولقب نفسه بالمنصور، وفرق الدعاة في اليمن، والبحرين، واليمامة، والسند، والهند، ومصر، والمغرب، ولقد أرسل والد المهدي بعد مدة أبا عبد الله الشيعي، الذي سيأتي ذكره، إلى اليمن عند ابن حوشب وأوصاه بالإقامة عنده في اليمن مدة طويلة وأن يطيعه كلية ويمتثل أمره ويقفدي بسيرته ثم يذهب بعدها إلى بلاد المغرب، ففعل أبو عبد الله ذلك وأقام باليمن ملازماً لابن حوشب وشهد مجالسه وتعلم مبادئ الدعوة ودقائقها من ذلك الأستاذ المجرب، ثم توجه إلى قبائل كتامة ببلاد المغرب كما سيأتي ذكره. وهناك اختلاف كثير بين

(١) اتعاض الحنفا ص ٢٧ [ص ٦٨ طبع مصر]، ودستور المنجمين نسخة المكتبة الأهلية بباريس ورقة ٣٣٥.

(٢) دستور المنجمين في الموضوع المذكور نفسه، ويعبر صاحب هذا الكتاب على الدوام عن أبي المهدي بـ «صاحب الظهور».

(٣) اتعاض الحنفا ص ٢٧، ورد اسم «جعفر بن محمد» بدلاً من «محمد بن جعفر» في سطر ٥ من هذه الصفحة على أنه اسم والد المهدي وهذا سيؤ من الناسخ، انظر سطر ٢ من الصفحة نفسها وص ٧ س ١١-١٤.

(٤) ج ٨ ص ١١ في حوادث سنة ٢٩٦.

(٥) دستور المنجمين ورقة ٣٣٥.

المؤرخين حول اسم ابن حوشب ونسبه وما ذكرناه هنا إنما هو مطابق لأقوال جمهورهم^(١).

١٤٩ س ٦:

«أبو عبد الله الصوفي المحتسب»، هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا المعروف بأبي عبد الله الشيعي الصوفي المحتسب^(٢)، والملقب عندهم بصاحب البذر. أصله، كما سيأتي ذكره من الكوفة أو من رامهرمز أو من صنعاء اليمن، أسس دولة الفاطميين في المغرب كما أسس أبو مسلم الخراساني دولة بني العباس في المشرق، وشرح أحواله وسوانح حياته وجلال أعماله أشهر من أن تحتاج إلى بسط تفاصيلها في هذا المقام. [٣٥٠] كان يعد من نوادر رجال العصر ومن دهاء وكفاة ومدبري المرتبة الأولى في الدنيا، وأي شيء أعجب من وفوده وحيذاً بلا مال ولا رجال من اليمن إلى المغرب في حدود سنة ثمانين ومائتين^(٣) لنشر الدعوة، فاستطاع بفضل مهارته ودهائه وكفايته وعزمه وتدبيره أن يؤسس مملكة عظيمة في شمال إفريقيا في ظرف مدة قليلة تقرب من ست عشرة سنة من حدود السنة المذكورة

(١) انظر تاريخ ابن الأثير ج ٨ ص ١١ في حوادث سنة ٢٩٦، ودستور المنجمين ورقة ٣٣٥، وصبح الأعشى ج ١٣ ص ٢٤٠، والخطط للمقريزي ج ٢ ص ١٦٠، واتعاظ الحنفا له أيضاً ص ٢٠، ٢٧، ٣١ [ص ٥٢، ٦٨، ٦٩، ٧٤، ٧٥ طبع مصر].

(٢) «وكان محتسباً بسوق الغزل من البصرة» (اتعاظ الحنفاء ص ٢٧)، «دولي الحسبة في بعض أعمال بغداد» (خطط المقريزي ٣: ١٥ - ١٦)، قيل في حواشي ذيل الصفحات: إن لقب «الصوفي» لم يطلق على صاحب الترجمة في موضع آخر سوى في جامع التواريخ، غير أننا وجدنا بعد ذلك مروج الذهب ١: ٣٧١ وذيل الطبري ٥٢ [ص ٢٧ طبع مصر] يسميانه صراحة «أبو عبد الله المحتسب الصوفي».

(٣) كان وفود أبي عبد الله الشيعي إلى المغرب في منتصف ربيع الأول سنة ثمانين ومائتين (ابن الأثير ج ٨ ص ١٢ في حوادث سنة ٢٩٦، والبيان المغرب لابن عذاري المراكشي ج ١ ص ١١٧ [ص ١٢٤ طبع بروفنسال] وتاريخ أبي الفدا ج ٢ ص ٦٥، ويكتب المقريزي في اتعاظ الحنفا ص ٣٢ [ص ٧٦ طبع مصر] وفي الخط ج ٣ ص ١٦ أن دخول أبي عبد الله المغرب كان في سنة ثمانية وثمانين ومائتين وهذا سيو واضح أو تحريف من النساخ.

إلى ظهور المهدي سنة ٢٩٦، وقضى على عدد من الأسر الحاكمة من سلاطين تلك الديار كبني الأغلب في تونس وبني مدرار بسجلماسة وبني رستم بتاهرت، غير أن صاحب الترجمة قتل في عاقبة الأمر هو وأخوه أبو العباس محمد الملقب بالمخطوم يوم الثلاثاء غرة ذي الحجة سنة ثمان وتسعين ومائتين في مدينة رقادة^(١) من محال القيروان بأمر المهدي، فصارت خاتمة أمره من حيث سوء الختام ونكران جميل مخدومه مشابهة أيضاً لسوء خاتمة أمر أبي مسلم الخراساني^(٢).

[٣٥١] ص ١٤٩ س ٦:

«من قبيلة كتامة بالمغرب»، ما يعدة المصنف من أن أبا عبد الله الشيعي من قبيلة كتامة، من قبائل البربر، ومن أهل المغرب إنما هو سهو واضح منه، فأبو عبد الله الشيعي كان من أهل المشرق بإجماع المؤرخين، وانتهى بعضهم إلى اعتباره من أهل الكوفة، وعدّه البعض من رامهرمز، وعده آخرون من صنعاء اليمن، وفيما يلي بعض شواهد هذا المدعى: - «أصله من الكوفة، واسمه الحسين ابن أحمد بن محمد بن زكريا من رام هرمز» (اتعاظ الحنفاء ص ٣٧)، - «وكان أبو عبد الله الشيعي من

(١) «خلف قصر الصحن» (ابن عذارى ج ١ ص ١٦٤). ولقد كان قصر الصحن من قصور رقادة (أيضاً ص ١٥٧).

(٢) للاطلاع على أحوال أبي عبد الله الشيعي انظر: البيان المغرب في أخبار المغرب لابن عذارى المراكشي ج ١ ص ١١٨-١٢٣، ١٢٥، ١٢٧، ١٣٢-١٣٥ [ص ١٢٤-١٢٩، ١٣١، ١٣٧-١٦٥ طبع بروفنسال] الذي يعدّ أكثر المراجع تفصيلاً عن أحواله، وأيضاً كتاب التنبية والإشراف للمسعودي ص ٣٣٤، ومروج الذهب للمؤلف نفسه طبع باريس ٨: ٢٤٦، ودستور المنجمين ورقة 335b، 336a، وسياسة نامه لنظام الملك ص ١٩٣، وابن الأثير ج ٨ ص ١٢-٢١ في حوادث سنة ٢٩٦، وابن خلّكان في حرف الحاء الحسين بن أحمد ج ١ ص ١٧٨، ومقدمة ابن خلدون ص ١٣، والخطط للمقريزي ج ٢ ص ١٦٠، ج ٣ ص ١٥-١٧، واتعاظ الحنفاء له أيضاً ص ٢٧، ٢١ [ص ٥٧، ٦٨ طبع مصر].

أهل صنعاء (ابن الأثير ج ٨ ص ١٣ وخطط المقرئ ج ٣ ص ١٥)، «وكان أبو عبد الله الشيعي من أهل اليمن وقيل من أهل الكوفة» (صبح الأعشى ج ١٣ ص ٣٤٠). «وكان اسمه عندهم [أي عند الكتاميين] أبا عبد الله المشرقي». (ابن الأثير ج ٨ ص ١٣)، - «وأمر أبو عبد الله الشيعي وجوه كتامة بدعوة الناس إلى مذهبهم من التفضيل لآل عليّ والبراءة ممن سواه فدخل في ذلك معهم كثير من الناس فلذلك سميت دعوتهم التشريق لاتباعهم رجلا من أهل المشرق» (البيان المغرب ج ١ ص ١٥١)، وكان منشأ سهو المصنف قطعاً هو أن أبا عبد الله الشيعي قد عاش، كما سبق أن قلنا، مدة طويلة من أواخر عمره - أي قرابة ست عشرة سنة كاملة (٢٨٠-٢٩٦) بين قبائل كتامة بالمغرب، حيث انتشرت دعوته بينهم في بادئ الأمر ثم انتشرت بمعاونتهم ومظاهرتهم في كافة نواحي شمال أفريقيا.

ص ١٥٠ س ٢-٣:

«فلما وصلوا إلى سجلماسة خرج أبو عبد الله الكتامي لاستقباله». هذه الفقرة التي تقول: إن المهدي وابنه قد قدما إلى سجلماسة، وأن أبا عبد الله الشيعي خرج لاستقبالهما، تعتبر من وجوه السهو العجيبة التي يكررها المؤلف في هذا الفصل، وحقيقة الأمر عكس ما ذكر تماماً؛ لأن إجماع المؤرخين منعقد على أنه قبل فتح سجلماسة على يد أبي عبد الله الشيعي بمدة كان المهدي وابنه أسيرين في سجن [٣٥٢] والي تلك المدينة اليسع بن مدرار^(١)، ولم يستطع أبو عبد الله المذكور أن يخلص المهدي وابنه من السجن إلا بعد فتح سجلماسة في السابع من ذي الحجة سنة ست وتسعين^(٢) ومائتين، على التفصيل الوارد في كتب التواريخ، ولقد سلمه عن طيب

(١) ابن الأثير ج ٨ ص ١٥، ١٨، ١٩، واتعاظ الحنفا ص ٣٦ [ص ٨٤ طبع مصر].

(٢) ابن عذاري ج ١ ص ١٥١.

نفس وطوع خاطر^(١) زمام الأمر والنهي في تلك المملكة الفسيحة الأرجاء العريضة الأكناف التي ظلت في قبضة اقتداره حتى تلك اللحظة، ثم وقف أمامه كواحد من عبيده، مجمل القول: إن المصنف يقلب جميع هذه الحوادث والوقائع المشهورة بجرة قلم ويقول: إن أبا عبد الله الشيعي كان في سجلماسة وأن المهدي قدم مع ابنه إليها وخرج أبو عبد الله لاستقبالهما إلخ.

ص ١٥٠ س ٩، ١٠:

التاريخ الذي ذكرناه في حواشي أسفل الصفحة فيما يختص بالشروع في بناء المهديّة مطابق لأقوال جمهور المؤرخين^(٢)، ولكن أبا عبيد البكري في كتاب المغرب في ذكر إفريقية وبلاد المغرب^(٣) يضبط تاريخ بناء المدينة المذكورة في سنة ثلاثمائة [٣٥٣] والأمر فيه هين. غير أنه لا خلاف بين المؤرخين على تاريخ إتمام المهديّة وانتقال المهدي من رقادة إليها حيث وقع ذلك في سنة ثمانية وثلاثمائة في شهر شوال.

(١) والعجيب أن أبا عبد الله الشيعي لم يكن قد رأى المهدي على الإطلاق قبل تلك اللحظة ولم يكن قد تعرف عليه شخصيًا قط، إلا أنه كان يدعو إليه ويرفع السيف باسمه غيابة بسبب كمال العقيدة والتدين والإخلاص، ويقول ابن عذارى في البيان المغرب ج ١ ص ١٢٢: «ولم يكن رآه [أي لم يكن أبو عبد الله الشيعي رأى المهدي] قط إنما كان يسمع أخباره من شيوخ الشيعة وكان يعتقد ذلك اعتقادًا صحيحًا لا مرية فيه إلى أن صفا له أمر البربر فنازل الحواضر وهزم ملك إفريقية وانتزعها من يده».

(٢) انظر ابن الأثير في حوادث سنة ٣٠٣، ومعجم البلدان في عنوان «المهديّة»، وابن خلّكان في شرح حال المهدي «عبيد الله» ج ١ ص ٢٩٤، وتقويم البلدان لأبي الفدا ص ١٤٥، والخطط للمقريزي ج ٢ ص ١٦٢، واتعاظ الحنفا له أيضا ص ٤٢.

(٣) طبع الجزائر سنة ١٩١١ ص ٣٠.

ص ١٥١ س ٣:

«يوسف أخو عبد الله [الشيوعي]». كتب ابن الأثير^(١) وصاحب دستور المنجمين^(٢). والمقريري في اتعاظ الحنفا^(٣) اسم أخي عبد الله الشيوعي أبا العباس محمد، بينما كتب ابن خلكان^(٤) والمقريري في موضع آخر من كتابه المذكور^(٥) أبا العباس أحمد، ولم يتعرض معظم المؤرخين أصلاً لذكر اسمه ولكنهم اقتصروا على كنيته أو لقبه وهو أبو العباس المخطوم^(٦)، ولم نعث في أي مصدر على الإطلاق حتى الآن على أحد كتب اسمه يوسف كما جاء في المتن.

ص ١٥١ س ٥-٦:

«وكان استيلاؤه في سنة ست وتسعين ومائتين»، تاريخ جلوس المهدي يذكره بعض المؤرخين -كالمؤلف في هذا الموضع وصاحب دستور المنجمين^(٧)- في سنة ٢٩٦، بينما يذكره أغلب المؤرخين^(٨) في سنة ٢٩٧، وعلة هذا الاختلاف البسيط أن

(١) ج ٨ ص ١٨ في حوادث سنة ٢٩٦.

(٢) ورقة 335b.

(٣) ص ٢٧ [ص ٦٨ ط/مصر].

(٤) ج ١ ص ١٧٨ في باب الحاء في شرح أحوال أبي عبد الله الشيوعي «الحسين بن أحمد».

(٥) ص ٣٨.

(٦) المخطوم في اللغة معناه الجمل إذا خُطم أنفه، أو رسم على أنفه ووجهه علامة بالعرض تشبه الوسم، ويجوز أن أبا العباس المذكور كانت له مثل هذه العلامة على وجهه وجبينه.

(٧) نسخة باريس ورقة 335b.

(٨) انظر ابن الأثير ج ٨ ص ١٩ في حوادث سنة ١٩٦، وابن خلكان في شرح أحوال المهدي «عبيد الله» ج ١ ص ٢٩٤، واتعاظ الحنفا للمقريري ص ٤٤ [ص ٩١ طبع مصر].

ظهور المهدي في سجلماسة أو بمعنى آخر تخلص أبي عبد الله الشيعي للمهدي وابنه القائم من [٣٥٤] حبس اليسع بن مدرار والي سجلماسة، على التفصيل الوارد في كتب التواريخ وعلى النحو الذي سبق أن أشرنا إليه^(١)، كان في السابع من ذي الحجة سنة ست وتسعين ومائتين، ولقد توجه المهدي في إثر ذلك من سجلماسة إلى رقادة من محال القيروان عاصمة بني الأغلب حيث جلس للخلافة رسميا لتسع بقين من ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين، ولقّب نفسه أمير المؤمنين المهدي، هذا هو الذي دعا بعض المؤرخين إلى تحديد بدء خلافته منذ يوم ظهوره في سجلماسة وخلاصه من حبس اليسع بن مدرار، ودعا البعض الآخر إلى تحديد بدء خلافته منذ يوم جلوسه بصفة رسمية في رقادة.

ص ١٥١ س ٦-٧:

«وفي سنة اثنتين وثلاثمائة انتصر على بني الأغلب الذين كانوا ملوك المغرب... وقضى عليهم»، ما ذكره الجويني في هذه الفقرة من أن انقراض بني الأغلب كان في سنة ٣٠٢ مخالف لإجماع المؤرخين - وكلهم بلا استثناء حدد تاريخ انقراض تلك السلسلة في سنة ست وتسعين ومائتين، إذ حدث في السنة نفسها ليلة الاثنين لأربع بقين من جمادى الآخرة^(٢) أن هرب آخر سلاطين تلك الطبقة من رقادة إلى مصر، وهو أبو مضر زيادة الله بن أبي العباس عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقّال التميمي^(٣)، الذي لم يستطع الصمود لفتوحات أبي عبد الله الشيعي، وكانت جنوده قد وصلت حتى أسوار

(١) انظر فيما سبق، ص ٣٠١.

(٢) ابن عذارى ج ١ ص ١٤٤.

(٣) أيضا ص ١٤٥.

عاصمته رقادة، ولم يطق تحمل المزيد من المقاومة وبه انتهت سلطنة تلك الطبقة من الملوك بعد أن حكموا في القيروان وتونس والجزء الرئيسي من شمال إفريقيا طيلة مائة واثنتي عشرة سنة وخمسة أشهر وأربعة عشر يوما^(١)، (فقد بدأ حكمهم يوم أن دخل إبراهيم بن الأغلب الجد الأعلى لهذه [٣٥٥] الطبقة القيروان في الثامن من المحرم سنة أربعة وثمانين ومائة هجرية^(٢) في خلافة هارون الرشيد)^(٣).

ص ١٥١ س ٨:

«بلاد المغرب وإفريقية»، كان المؤلفون العرب يقصدون بالمغرب بمعنى أخص: مملكة مراكش^(٤) الحالية بالإضافة إلى جزء من الأقاليم الغربية للجزائر الحالية، أو بمعنى آخر، بالإضافة إلى مقاطعة وهران برمتها تقريبًا (وذلك في مقابل المغرب بالمعنى الأعم إذ كانوا يريدون به كل البلاد الواقعة غربي مصر)، وكانوا يريدون بإفريقية مملكة تونس الحالية بالإضافة إلى جزء كبير من المقاطعات الواردة شرقي الجزائر كان يمتد غربًا تبعًا لاختلاف الأحوال إلى بجاية^(٥) أحيانًا، وأحيانًا أخرى إلى

(١) ابن خلكان في حرف الحاء في ترجمة أبي عبد الله الشيعي «الحسين بن أحمد» ج ١ ص ١٧٩.

(٢) ابن عذارى ج ١ ص ٨٣.

(٣) للمزيد من المعلومات عن أحوال زيادة الله هذا آخر ملوك بني الأغلب انظر ابن عذارى ج ٢ ص ١٢٨-١٤٦، وتاريخ ولاية مصر لمحمد بن يوسف الكندي ص ٢٦٧، وابن الأثير في حوادث سنة ٢٩٦ ج ٨ ص ٨-٩، وابن خلكان في الموضع المذكور في الحاشية (٣)، واتعاط الحنفا ص ٣٧ [ص ٨٨ طبع مصر]، وتاريخ أبي الفدا ج ٢ ص ٦٣ [ص ٦٩ طبع القسطنطينية].

(٤) Maroc (المملكة المغربية حاليًا).

(5) Bougie

مِلْيَانَة^(١)، وأحياناً إلى تَنَس^(٢). وكانت إفريقية تشتمل من الناحية الشرقية في بعض الأحيان على جزء من مملكة طرابلس الغرب أيضاً^(٣).

ص ١٥١ السطر الأخير:

«أَسْمَاؤُهُمُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ وَأَلْقَابُهُمُ الرُّضِيُّ وَالْوَفِيُّ وَالتَّقِيُّ».

ونورد فيما يلي الفقرة المعادلة لهذه العبارة في دستور المنجمين^(٤): «الأئمة الثلاثة المستورين الممتحنين الصابرين»^(٥) [٣٥٦] في كتاب الله تعالى الرضي والوفي والتقي رضوان الله عليهم، منهم من استوطن سلمية لما طلبه العباسية، ومسجده بها معروف ويقال [في] أسمائهم^(٦) محمد بن أحمد وفي ألقابهم الرضي والوفي والتقي رضي الله عنهم إلخ».

وهكذا نلاحظ أن عبارة جهانگشا هي تقريباً ترجمة حرفية للجملة الأخيرة من دستور المنجمين، ويطابق الكتابان المذكوران بعضهما بعضاً تماماً ليس فقط في أسماء الأئمة الثلاثة المذكورين وألقابهم وترتيب ذكر تلك الأسماء والألقاب، ولكن أيضاً في

(1) *Miliana*

(2) *Tenés*

(٣) انظر: معجم البلدان لياقوت، ومعجم ما استعجم لأبي عبيد البكري، وكتاب المغرب في ذكر إفريقية وبلاد المغرب للمؤلف نفسه في عناوين «مغرب» و«إفريقية». وسائر البلاد المذكورة في المتن، والخرائط والكتب الجغرافية الجديدة (القزويني). وانظر أيضاً حاشية الدكتور علي عبد الواحد وافي رقم ٤٩ ب ص ٢٢٣ من مقدمة ابن خلدون. (المترجم).

(٤) نسخة المكتبة الأهلية بباريس *Arabe 5968* ورقة 335a.

(٥) كذا في الأصل في الكلمات الثلاث بالياء، والصواب «المستورون الممتحنون الصابرون» بالرفع لأن هذه العبارة حتى رضوان الله عليهم «عنوان».

(٦) تصحيح قياسي، وفي الأصل إسلامهم.

سقط اسم الإمام الثالث سهواً من المؤلف أو جهلاً من الراوي، وليس هذا التطابق الكامل بين الكتاب مقصوراً على هذا الموضع فحسب؛ بل يتضمن الجزء الثالث من جهانگشاہ الخاص بالإسماعيلية -كما أشرنا إليه في مواضعه- كثيراً من المعلومات المطابقة مطابقة النُعل للنُعل -والمقاربة أحياناً- لنص ما ورد في دستور المنجمين، بحيث يظهر بدرجة تدعو إلى الظن القريب من اليقين أنه إما أن يكون جهانگشاہ قد نقل هذه الفقرات مباشرة عن دستور المنجمين، وإما أن يكون كلاهما قد نقل عن مصدر مشترك. ولما كان دستور المنجمين، كما ذكرنا مراراً من قبل من كتب الإسماعيلية النزارية، وأُلف في حدود الخمسمائة من الهجرة في حياة الحسن بن الصباح^(١)؛ أي بعد مائة وخمسين عاماً تقريباً قبل تأليف جهانگشاہ الجويني، فلا يستبعد على الإطلاق إذن أن يكون الجويني قد جعل الكتاب المذكور في حوزته، واقتبس منه طائفة من الاقتباسات في أثناء تأليف الجزء الثالث لجهانگشاہ المتعلق بالإسماعيلية نقطة أخرى [٣٥٧] لن نمضي دون أن نذكرها، وهي أن النسخة الموجودة من دستور المنجمين، كما هو ظاهر من ملامحها في وضوح كامل، على نحو من القطع واليقين، هي النسخة الأصلية للمؤلف^(٢) وليست منسوخة عنها، إذن فمن المحتمل احتمالاً قوياً جداً أن يكون الجويني قد حصل أصلاً على هذه النسخة الموجودة حالياً، بمعنى أنه ربما كانت هذه النسخة من بين نسخ مكتبة الموت الدائنة الصيت التي كانت قد وقعت في يد الجويني بعد فتح تلك القلاع على التفصيل المشروح في جهانگشاہ^(٣)، ولما لم تكن من بين الكتب الدينية والمذهبية لتلك الطائفة لم يتلفها بل استعان بها كما استعان ببعض المصادر الإسماعيلية الأخرى التي حصل

(١) انظر في تفصيل هذه الفقرات مقالة قيمة للغاية نشرها منذ مدة المستشرق الفرنسي المعروف المأسوف عليه كازانوفّا تتعلق بدستور المنجمين، «المجلة الآسيوية»، بعنوان «Paul Casanova, Un nouveau manuscrit de la secte de Assassins, dans Le Journal Asiatique, No. Janvier - Mars, 1922, PP. 126 - 135» وأغلب المعلومات التي ذكرناها في هذا الفصل والتي تتعلق بوصف نسخة دستور المنجمين وتاريخ تأليفه ونحو ذلك مقتبسة من المقالة المذكورة.

(٢) انظر مقالة كازانوفّا المشار إليها ص ١٣٣.

(٣) انظر فيما سبق ص ١٧٤.

عليها من المكتبة نفسها مثل «سرگزشت سيدنا» وغيره في تأليف الجزء الثالث من جهانگشا.

ص ١٥١ السطر الأخير:

«والقابهـم الرضي إلخ» لم أعثـر على ضبط هذه الكلمة في الموضع الذي نحن بصدده في أي مكان، ولكن يغلب على الظن، باستعمال قرينة المعادلة مع الوفي والتقي كلاهما بتشديد الياء على وزن فعيل، أن الرضي أيضاً على الوزن نفسه، بمعنى أنه ينبغي أن تكون بفتح الأول وتشديد الياء رضى (رضاً) بكسر الأول وفتح الضاد وفي الآخر ألف مكتوبة بصورة الياء كما كررها دي خويه في رسالة «قرامطة البحرين» ص ٥ و ٩^(١)، ويبدو أن الرضا ليس مسموعاً كلقب لشخص معين، لا نعني بهذا ما يقال من أن فلانا كان يدعو إلى الرضا من آل محمد؛ إذ ليس الرضا لقب شخص معين في مثل هذه المواضع، عدا ما يتعلق بالإمام الثامن علي بن موسى الرضا عليه السلام^(٢).

[٣٥٨] ص ١٥٢ س ١-٢:

«وقال المسلمون بولاية المغرب إن المهدي من أولاد عبد الله بن سالم البصري»، لم أعثـر على اسم عبد الله بن سالم البصري هذا في تاريخ الطبري ولا في ابن الأثير أو اتعاط الحنفا والخطط وكلاهما للمقريزي، وقد ذكر الطبري المهدي في

(1) Ar - Ridhā.

(٢) السمعاني في كتاب الأنساب ورقة 255 ذكره وحده دون غيره تحت عنوان «الرضا»، وقد تخطت صاحباً القاموس وتاج العروس في هذا الصند تخطياً كثيراً واضحاً ليس هذا موضع تفصيله، قارن ما تضمنه هذان الكتابان مع كتاب المشته للذهبي.

موضعين فقط^(١) وهو يشير إليه في كلا الموضعين بـ «ابن البصري»، ولكن ذيل تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي طبع ليدن ص ٥٢ [ص ٢٧-٢٨ طبع المطبعة الحسينية بمصر] يقول:

«قال محمد بن يحيى الصولي حدثنا أبو الحسن علي بن سراج المصري، وكان حافظاً لأخبار الشيعة إن عبيد الله هذا القائم بإفريقية هو عبيد الله بن عبد الله بن سالم من أهل عسكر مكرم بن سندان الباهلي صاحب شرطة زياد ومن مواليه وسالم جدّه قتله المهدي على الزندقة، قال: وأخبرني غير ابن سراج أن جده كان ينزل بني سهم من باهلة بالبصرة... وكان عبيد الله يُعرف أول دخوله القيروان بابن البصري».

ص ١٥٢ السطر الأخير:

«وكان [أبو يزيد الخارجي] رجلاً مسلماً وسنيّ المذهب تقيّاً»، أبو يزيد مَخْلَد بن كيداء الخارج على القائم الفاطمي الذي يدعوه المؤلف، من جراء التعصب والعداء للإسماعيلية أو من جراء الجهل وعدم المعرفة متديناً سنيّ المذهب تقيّاً، كان بإجماع المؤرخين من الخوارج من شعبة النكارية، ومن أجل هذا عُرف بأبي يزيد الخارجي، وهذه بعض النصوص التي تشهد على هذا الزعم:

«ونكرنا في كتاب فنون المعارف وما جرى في الدهور السوالف ما كان ببلاد إفريقية من الحروب والوقائع وخروج أبي يزيد مَخْلَد بن كيداد البربري الزناتي من بني يفرن الأباضي ثم النكاري في الإباضية وغيرهم» (التنبيه والإشراف للمسعودي ص ٣٣٣-٣٣٥ باختصار) - «وأظهر أبو يزيد مذهب الإباضية فأقفل عنه الناس» (كتاب الفهرست ص ١٨٧) - «وذلك لما دهمه من أبي يزيد مَخْلَد بن كيداد عند خروجه بالمغرب في

(١) تاريخ الطبري، السلسلة الثالثة، ص ٢٢٩١، ٢٢٩٢.

أحزاب [٣٥٩] الكفر والنفاق والإباضية والنكارية المرق» (مسالك وممالك ابن حوقل ص ٤٨ باختصار) - «وخالط أبو يزيد جماعة من النكارية فمالت نفسه إلى مذهبهم وكان مذهبه تكفير أهل الملة واستباحة الأموال والدماء والخروج على السلطان» (ابن الأثير باختصار حوادث سنة ٣٣٣ ج ٨ ص ١٦٤ واتعاط الحنفا ص ٤٦) - «وكان هذا أبو يزيد مخد بن كيداد رجلاً من الإباضية يظهر الترهّد» (ابن خلّكان ترجمة المنصور الفاطمي «إسماعيل» ج ١ ص ٨١) - «وكان أبو يزيد أحد الأئمة الإباضية النكار بالمغرب» (ابن عذارى ج ١ ص ٢٢٤) - «واشتهر عنه تكفير أهل الملة وسبّ علي» (تاريخ ابن خلدون ج ٧ ص ١٢).

وأما كلمة النكارية أو النكار^(١) - كما يعرف من العبارات المتقدمة صراحة - فهي اسم لفرقة من الخوارج الإباضية، ولكنني لم أعثر في أي موضع حتى الآن على ضبط هذه الكلمة ولا على وجه تسمية هذه الفرقة بهذا الاسم، واسم هذه الفرقة ليس مذكوراً على الإطلاق في مقالات الإسلاميين للأشعري، والملل والنحل للشهرستاني، والفرق بين الفرق للبغدادی، غير أن ابن حزم يقول في الملل والنحل في فصل الخوارج: «ولم يبق اليوم من فرق الخوارج إلا الإباضية والصفيرية فقط... والعجاردة هم الغالبون على خوارج خراسان كما أن النكار من الإباضية^(٢) هم الغالبون على خوارج الأندلس».

(١) كلمة النكارية هذه مكتوبة في أغلب الكتب بياء النسبة ولكنها تشاهد أيضاً في بعض المصادر الأخرى مثل الملل والنحل لابن حزم ٤: ١٩١ وابن الأثير ٥: ١٦٦، وابن عذارى ١: ٢٢٤ «نكار» دون ياء النسبة.

(٢) يلاحظ من تصريح المسعودي وصاحب الفهرست وقد كانا معاصرين لهذه الوقائع أن أبا يزيد الخارجي كان من فرقة الإباضية، ويعد ابن حزم بصراحة أيضاً - كما مر - النكارية من فرق الإباضية، إذن فقول ابن خلدون بأن النكارية والصفيرية فرقة واحدة من فرق الخوارج حيث يقول: «وخالط [أبو يزيد] النكارية من الخوارج وهم الصفيرية فمال إلى مذهبهم» (تاريخ ابن خلدون ج ٤ ص ٤٠) هو بلا شك سيو واضح من ذلك المؤلف.

[٣٦٠] ص ١٥٣ السطر قبل الأخير:

«وقد توفي كافور في السنة نفسها أي سنة ثمان وخمسين»، كانت وفاة كافور الإخشيدي على القول المشهور سنة ست وخمسين وثلاثمائة؛ ويقول في سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، ويقول آخر في سنة سبع وخمسين وثلاثمائة أي قبل قدوم جوهر إلى مصر في الثامن عشر من شعبان سنة ثمان وخمسين وستمائة - بسنة واحدة على أقل التقديرات وبثلاث سنين على أكثرها^(١). وقد اضطربت أحوال مصر بوفاة كافور مما أدى إلى تدخل الفاطميين وإرسال المعز غلامه جوهرًا إلى تلك البلاد، إذن فالفقرات التي تتعلق بقدوم جوهر إلى مصر في حياة كافور وخطبة كافور في مصر باسم المعز ووفاة كافور في سنة ٣٥٨ باطلة كلية وهي سهو واضح ومن جملة الخطب المتعدد المتزايد للمؤلف الذي لا تخلو منه تقريبًا صفحة من صفحات هذا الفصل الخاص بالفاطميين.

ص ١٦٠ س ٦:

ابن دواس، كتب ابن عذارى المراكشي في كتابه البيان المغرب في أخبار المغرب ج ١ ص ٢٨٢ اسم ولقب هذا القائد المعروف للحاكم بأمر الله على هذا النحو: «سيف الدولة ذي المجدين حسين بن علي الكناني» والكناني من دون شك تصحيف «الكنامي» بدليل تصريح النجوم الزاهرة طبع مصر ج ٤ ص ١٨٥: «سيف الدولة ابن دواس من شيوخ كتامة» وتصريح تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي أيضًا ص ٢٣٨: «حسين بن دواس الكنامي».

(١) انظر تاريخ ولاية مصر للكندي طبع أوقاف جب ص ٢٩٧، وابن الأثير في حوادث سنة ٣٥٦ - ٣٥٨، ج ٨ ص ٢٢٩، ٢٣٢، وابن خلكان في ترجمة حال كافور ج ٢ ص ٣٠٢، وابن عذارى ج ١ ص ٢٣٦، والخطط للمقريزي ج ٣ ص ٤١-٤٣.

ص ١٦٦ س ٢:

الرضي، هو لقب السيد الرضي المعروف أخو السيد المرتضى. والرضي على ما هو مشهور على الألسنة، بفتح راء وكسر ضاد ثم تشديد ياء على [٣٦١] وزن فعيل، وفضلاً عن شهرة هذا النطق فقد ضبطه الذهبي في كتاب المشتبه ص ٢٦٦ [ص ٣١٩ ج ١ طبع مصر] أيضاً بصراحة ووضوح بالتثقيف (يعني بتشديد الياء)، ومع ذلك كله قرأ دي خويه هذه الكلمة وكتبها في رسالة «قراطة البحرين» ص ١١ خمس مرات في الموضع الذي نحن بصدد الرضي^(١) بكسر راء ثم فتح ضاد وفي الآخر ألف مكتوبة بصورة الياء^(٢).

ص ١٦٦ س ٢-٣:

الشيخ أبو حامد الإسفراييني، هو الشيخ أبو حامد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الإسفراييني الفقيه من أشهر مشاهير فقهاء الشافعية، انتهت إليه رئاسة الدين والدنيا في بغداد في عصره، ويقال: إن مجلس درسه كان يحضره ما يقرب من سبعمائة فقيه^(٣)، ولد في سنة أربع وأربعين وثلاثمائة وتوفي ببغداد ليلة السبت لإحدى عشرة بقية من شوال سنة ست وأربعمئة^(٤).

ص ١٦٦ س ٣:

أبو الحسن القُدوري، كذا في جميع نسخ هذا الكتاب مكبّراً، والصواب هو «أبو الحسين» بالتصغير وأبو الحسن تصحيف من النساخ، وهو أبو الحسين أحمد

(١) *Ar-Ridhā*.

(٢) انظر نظير هذا السهو للمستشرق نفسه ص ٣٥٧ من الكتاب المذكور وما يقابلها من الترجمة.

(٣) تاريخ بغداد للخطيب ج ٤ ص ٣٦٩.

(٤) انظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٤ ص ٣٦١-٣٧٠، وأنساب السمعاني ورقة ٣٣٦، ومعجم البلدان في «إسفرائين»، وابن الأثير في حوادث سنة ٤٠٦ ج ٩ ص ١٨، وابن خلكان في حرف الألف «أحمد» ج ١ ص ١٩-٢٠، وطبقات الشافعية للسبكي ج ٢ ص ٢٤-٣١.

ابن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان الفقيه البغدادي المعروف بالقدوري بضم قاف نسبة إلى القدور جمع قدر، من مشاهير أئمة الحنفية وصاحب كتاب مشهور في فروع الحنفية معروف بمختصر القدوري^(١)، كُتبت عليه شروح لا تُعد ولا تُحصى، انتهت إليه رئاسة الحنفية في بغداد، وكانت ولادته [٣٦٢] سنة اثنتين وستين وثلاثمائة وتوفي يوم الأحد الخامس من رجب سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ببغداد^(٢).

ص ١٦٦ س ٣:

أبو محمد بن الأكفاني، هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسين بن علي بن جعفر بن عامر الأسدي المعروف بابن الأكفاني الحنفي قاضي بغداد، يقال: إنه أنفق مائة ألف دينار على أهل العلم. ولد في سنة خمس عشرة وثلاثمائة وتوفي ليلة الجمعة لعشر بقين من صفر سنة خمس وأربعمائة ببغداد. وأكفاني بفتح الألف منسوب إلى الأكفان جمع كفن إذ يبدو أن أحد أجداده كان بائع أكفان^(٣)، توفي فجأة ليلة الجمعة الرابع عشر من رجب سنة أربع وأربعين وأربعمائة وعمره يربو على الثمانين^(٤).

(١) انظر كشف الظنون تحت العنوان نفسه.

(٢) انظر تاريخ بغداد للخطيب ج ٤ ص ٣٧٧، وأنساب السمعاني ورقة 444b (وأبو الحسن هنا أيضًا تصحيف لأبي الحسين)، وابن الأثير في حوادث سنة ٤٢٨ ج ٩ ص ١٨٩، وابن خلكان في حرف الألف «أحمد» ج ١ ص ٢١-٢٢، والجواهر المضيئة في طبقات الحنفية لعبد القادر ابن محمد القرشي المصري طبع حيدر آباد الذكن ج ١ ص ٩٣-٩٤.

(٣) انظر تاريخ بغداد ج ١٠ ص ١٤١-١٤٢، وأنساب السمعاني ورقة 47b (خمسین وأربعمائة) في تاريخ وفاته تصحيفًا لـ «خمس وأربعمائة»، وابن الأثير في حوادث سنة ٤٠٥ ج ٩ ص ٩٨، والنجوم الزاهرة في حوادث السنة نفسها طبع مصر ج ٤ ص ٢٣٧.

(٤) انظر تاريخ بغداد ج ٥ ص ٤٧٦، وأنساب السمعاني ورقة 99a، وابن الأثير في حوادث سنة ٤٢٠ ج ٩ ص ١٨٠، وطبقات الشافعية للسبكي ج ٣ ص ٦٣.

فإنها خطرات إلخ، المشهور أن هذا البيت وبيناً قبله لأبي بكر محمد بن
العباس الخوارزمي المعروف في هجاء الصاحب بن عباد وهما:
لا تَحْمَدَنَّ ابنَ عِبَادَ وإنْ هَلَكْتَ يَدَاهُ بِالْجُودِ حَتَّى أَخْجَلَ الدِّيمَا
فإنَّهَا خَطَرَاتٌ مِنْ وَسَاوِسِهِ يُعْطِي وَيَمْنَعُ لَا بُخْلًا وَلَا كَرَمًا

ولكن ابن خلكان يقول في شرح حال أبي بكر الخوارزمي المذكور (ج٢
ص١٠٣) نقلاً عن معجم الشعراء للمرزباني: إن البيت الذي نحن بصدهه يعني فإنها
خطرات إلخ من أبيات لمعاوية بن سفيان المشهور بأبي القاسم الأعمى من شعراء
بغداد في هجاء الحسن بن سهل وزير المأمون هكذا:

لا تَحْمَدَنَّ حَسَنًا فِي الْجُودِ إنْ مَطَرَتْ كَفَّاهُ غَزْرًا وَلَا تَذْمُمُهُ إنْ زَرِمَا
فَلَيْسَ يَمْنَعُ إِثْقَاءً عَلَى نَشَبٍ وَلَا يَجُودُ لِفَضْلِ الْخَمَلِ مُعْتَمَا
لَكِنَّهَا خَطَرَاتٌ مِنْ وَسَاوِسِهِ يُعْطِي وَيَمْنَعُ لَا بُخْلًا وَلَا كَرَمًا

ويقول راقم السطور: إن الصواب ينبغي أن يكون بلا شك هو القول الأخير
نفسه، ويبدو أن أبا بكر الخوارزمي كان قد استعمل البيت المذكور بين أشعاره
الخاصة على سبيل التضمين وإيراد الأبيات المشهورة للقداء ضمن أشعاره الخاصة
بحيث تجيء لطيفة الوقع مناسبة تمامًا، وقد عدد النعالي في يئمة الدهر ج٤
ص١٣٠-١٣٧ في ترجمته عددًا كبيرًا من هذا النوع من تضميناته المستحسنة التي
تعد في الواقع سائغة ورائعة للغاية.

«ولقبه المستعلي بالله»، ما يقوله المؤلف من أن المستنصر لقب ابنه الأكبر نزار بالمصطفى لدين الله، ثم خلعه من ولاية العهد وجعل ابنه الآخر أبا القاسم أحمد ولينا للعهد ولقبه المستعلي بالله إنما هو سهو وخطأ، ويجمع المؤرخون على أنه بعد وفاة المستنصر بالله [٣٦٤] الفاطمي قام وزيره أمير الجيوش شاهنشاه ابن بدر الجمالي المعروف بالأفضل؛ بسبب ما كان بينه وبين نزار ولي عهد المستنصر من سوء تفاهم بخلع نزار من ولاية العهد، ونصب أخاه الأصغر أحمد خليفة، ولقبه المستعلي بالله، وقد فرّ نزار إلى الإسكندرية فباعه أهلها وواليتها ناصر الدولة أفتكين ولقبوه المصطفى لدين الله، ثم إن أمير الجيوش الأفضل المذكور جرّد جيشاً إلى الإسكندرية لقتال نزار وأفتكين وأسرها ثم قتلها، وشرح هذه الوقائع مشهور للغاية ومذكور بالتفصيل في كتب التواريخ وليست بنا حاجة هنا إلى مزيد من التوضيح في هذا الصدد^(١)، ولكن العجيب في الواقع هو أنه على الرغم من شهرة هذه المعلومات ووفرة المصادر المتعلقة بها فقد ظهر للمؤلف في كل قدم في هذا الفصل الكثير من أمثال هذه الأخطاء في تلك المواضع.

«وهرب نزار مع ولديه من المستعلي»، لم أعثر في أي كتاب من كتب التاريخ المتداولة التي في متناول يدي مثل ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي وابن

(١) انظر تاريخ ابن القلانسي طبع بيروت ص ١٢٨، وابن الأثير في حوادث سنة ٤٨٧ ج ١ ص ٩٨، وابن خلكان ج ١ ص ٢٣٩ في ترجمة أحوال الأفضل «شاهنشاه»، وتاريخ ابن ميسر ص ٣٥-٣٥، والخطط للمقريزي ج ٢ ص ٢٧٦-٢٧٧، والنجوم الزاهرة طبع ليدن ج ٢ ص ٢٩٩-٣٠٠.

الأثير وتاريخ ابن ميسر وأخبار ملوك بني عبيد لابن حماد وابن خلّكان ونهاية الأرب للنويري^(١) وتاريخ أبي الفدا والخطط للمقريزي والنجوم الزاهرة لابن تغري على أن نزاراً فرّ من مصر إلى الإسكندرية حاملاً معه ابنيه^(٢)، ولكن الواضح أن عدم الوجدان لا يدل على [٣٦٥] عدم الوجود، وهناك احتمال قوي بأن الجويني كان قد نقل هذه الفقرة من مصادر الإسماعيلية النزارية أنفسهم التي حصل عليها بعد فتح قلاعهم، خاصة وأن نزاراً كان له فعلاً ولدان بتصريح دستور المنجمين^(٣) أحدهما معروف بالأمير أبي عبد الله حسين والآخر الأمير أبو حسن، فلا يستبعد إذن على الإطلاق أن يكون قد أخذ ابنيه أيضاً في رفقته أثناء فراره إلى الإسكندرية.

ص ١٧٠ س ١-٢:

«ولما لم يكن [يعني الأمر بأحكام الله] قد أعقب ولذا فقد جعل ابن عمه أبا الميمون عبد المجيد بن محمد [الملقب بالحافظ لدين الله] ولياً للعهد»، هذه الفقرة سهو من المؤلف لأن الأمر بأحكام الله لم يجعل الحافظ ولياً لعهد، بل إن الأمر لما قتل لم يكن له أولاد ذكور، فأذيع بين الناس أن إحدى زوجاته حملت منه وكان الأمر قد نصّ على الحمل، لهذا بايع الناس الحافظ، بعد وفاة الأمر بصفة مؤقتة، بولاية

(١) النسخة الخطية بالمكتبة الأهلية بباريس (عربي ١٥٧٧)، ص ٦١-٦٢.

(٢) غير أن جامع التواريخ الجزء المتعلق بالإسماعيلية (نسخة باريس *Suppl pers* 1364 ورقة 53b المعادلة (ص ٦١ نسخة براون) تعرض لذكر هذه الفقرة، ولكن لما كان جامع التواريخ قد نقل أغلب هذه الفصول فيما يبدو من جهانگشا فلا يمكن اعتباره سنداً مستقلاً بذاته.

(٣) ابن خلّكان ج ١ ص ٢٢٦ في ترجمة حال الحافظ.

العهد وبالنيابة عن الحمل المنتظر في السلطنة لا بالإمامة مستقلة، ثم عرف بعد ذلك بأن الحمل كان بنتاً^(١) فاستقلّ الحافظ بالخلافة^(٢).

[٣٦٦] ص ١٧٠ س ٤:

«الظافر» اللقب الكامل لهذا الخليفة هو الظافر بأمر الله^(٣) والظافر بالله التي تشهد في بعض المواضع سهو أو تخفيف واختصار، وهو أبو منصور إسماعيل ابن الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد^(٤).

ص ١٧٠ س ٥:

«عباس بن تميم»، نسبة إلى جده، وهو أبو الفضل عباس بن أبي الفتوح ابن يحيى بن تميم بن المعز بن بارس الصنهاجي وزير الظافر بأمر الله، وما يقوله المؤلف من أن العباس المذكور قتل الظافر يقصد به بلا شك أنه كان المحرّض على قتله وليس هو قاتله مباشرة، لأن الحقيقة أن ولد العباس المسمى نصرًا قام بتحريض

(١) انظر تاريخ ابن القلانسي ص ٢٢٨-٢٢٩، وابن الأثير في حوادث سنة ٥٢٥ ج ١٠ ص ٢٨٣، وابن خلّكان في ترجمة حياة الحافظ «عبد المجيد» ج ١ ص ٣٣٥-٣٣٦، ومختصر الدول ص ٣٥٣، وابن ميسر ص ٧٤، وأبا الفدا ج ٣ ص ٤، والخطط للمقرئ ج ٢ ص ١٧٢-١٧٣، والنجوم الزاهرة طبع ليدن ج ٣ ص ١-٥، وما قلناه من أن الأمر لم يكن له أولاد ذكر مطابق لأقوال جمهور المؤرخين ولكن ابن ميسر ص ٧٢-٧٤ خلافاً لجميع المؤرخين الآخرين يقول: إن الأمر ولد له ولد قيل وفاته بتسعة أشهر فجعله ولياً للعهد ولكن الحافظ أخفى هذه المسألة عن عامة الناس بعد قتل الأمر.

(٢) انظر ابن القلانسي ص ٣٠٨، ٣٠٩، وابن الأثير ١١: ٦٤، وابن ميسر ص ٨٩-٩٣، وابن خلّكان ج ١ ص ٨٢ في ترجمة الظافر «إسماعيل»، ومختصر الدول ص ٣٦٠، وأبا الفدا ج ٣: ٢١، وصبح الأعشى ١٣: ٢٣٧، والخطط للمقرئ ج ٢: ١٧٣ و ٣: ٨٩، والنجوم الزاهرة طبع ليدن ج ٣: ٥٣.

(٣) ابن ميسر ص ٩٣، والنجوم الزاهرة طبع ليدن ج ٣: ٩.

(٤) النجوم الزاهرة، أيضاً.

كل من أبيه وأسامة بن منقذ المعروف صاحب كتاب الاعتبار بقتل الخليفة الظافر مكرًا وغيلة في الخفاء في منتصف أو في سلخ المحرم سنة تسع وأربعين وخمسمائة، وفي صبيحة ذلك اليوم قتل عباس المذكور الأخوين الآخرين للظافر، وهو أبو الأمانة^(١) جبريل وأبو الحجاج^(٢) يوسف درًا للشبهة عن نفسه، بتهمة قتلها أخاهما، ثم إنه اضطر بعد ذلك، على التفصيل الوارد في كتب التواريخ، إلى الفرار من القاهرة إلى الشام مع ابنه نصر وأسامة بن منقذ الذي سبق ذكره، وفي عرض الطريق كمن جنود الفرنج، وكانت أسرة الظافر قد استدعتهم، وقبضوا على العباس ومرافقيه وقتلوه وأسرُوا ابنه نصرًا وأرسلوه في قفص من الحديد إلى القاهرة، فقتله بها أهل مصر بأشد أنواع العذاب، ولقد سلم أسامة بن منقذ من هذا المأرق ونجا بنفسه وهرب إلى الشام، وتفصيل هذه الوقائع [٣٦٧] المحزنة مذكور في كتب التواريخ المتداولة كافة مثل ابن الأثير وابن خلّكان وابن ميسر وغيرها^(٣)، وأكثرها تفصيلًا أسامة بن منقذ نفسه في كتاب الاعتبار^(٤) من تأليفاته (طبع ليدن ص ١٣-٢٢) [طبع فيليب حتى

(١) ابن ميسر ٩٣، والنجوم الزاهرة طبع ليدن ٣: ٦.

(٢) النجوم الزاهرة أيضًا.

(٣) انظر ابن الأثير في حوادث سنة ٥٤٩ ج ١١ ص ٨٦-٨٧، وتاريخ ابن ميسر ص ٩٢-٩٥، وابن خلّكان في ترجمة الظافر «إسماعيل»، والفائز «عيسى» ج ١ ص ٨٢ و٤٣-٤٣٢، وتاريخ أبي الفدا ٣: ٢٨ [ص ٢٩-٣٠ طبع القسطنطينية]، والخطط للمقريزي ٣: ٤٦-٤٨، ص ٨٩-٩٠، والنجوم الزاهرة طبع ليدن ٣: ٤٦-٥٣.

(٤) كتاب الاعتبار عبارة عن تفصيل أحوال وسيرة الوقائع الشخصية لأسامة بن منقذ من أمراء الشام المعروفين وصاحب قلعة شيزرة. (انظر في ترجمة حياته معجم الأدباء ج ٢ ص ١٧٣-١٩٧، وابن خلّكان ج ١ ص ٦٦-٦٨) وقد صاغها وضمنها إشارته إلى كثير من الحوادث التاريخية المعاصرة له مثل الحروب الصليبية وبعض الوقائع المتعلقة بأواخر دورة الخلفاء الفاطميين في مصر وغيرها فتكوّن من هذه الملاحظات كتاب قيم جدًا وممتع. وقد طبع المتن العربي للكتاب المذكور مع ترجمة فرنسية باهتمام هرتويج درونبورج *Hartwig Derenbourg* المستشرق الفرنسي في سنتي ١٨٨٤-١٨٨٩ في ليدن وباريس، وكانت وفاة أسامة بن منقذ المذكور في سنة ٥٨٤ (القرويني). وعلى أثر ظهور ترجمة درونبورج الفرنسية ظهرت ترجمة ألمانية بقلم شومان (نيربروكر ١٩٠٥) *Gerg Schumann, Usama ibn munqidh mamorien* وترجم فيليب حتى الكتاب إلى الإنجليزية في سنة ١٩٢٩ بعنوان *An Arab - Syrian Gentleman and Warrior in the period of the Crusades* طبع نيويورك، كما قام في السنة التالية مباشرة (١٩٣٠) بنشر المتن العربي مرة أخرى عن مخطوطة الإسكوريال مع مقدمة ضافية (المترجم).

ص ١٨-٢٩] فقد أورد بالتفصيل القضايا التي كان هو نفسه شاهد عيان لها بل وطرفاً فيها، ولكن الواضح أنه لم يتقوّه بحرف عن أنه تدخل أدنى تدخل في هذه الأمور أو أنه كان هو نفسه المهيج الأساسي لهذه الفتن^(١)، وببدو الشرح الذي ينقله أسامة بن منقذ عن قتل يوسف وجبريل أخوي الظافر الفاطمي على يد عباس بن تميم المذكور في حضوره وتحت بصره مؤثراً للغاية^(٢).

[٢٦٨] ص ١٧٠ س ٨:

العاضد لدين الله، هو لقب هذا الخليفة طبقاً لسائر كتب التواريخ المتعلقة بهذا الاسم والمذكورة في المتن، و«العاضد بالله» المذكور عدة مرات في النجوم الزاهرة (طبع ليدن ج ٣ ص ٨٣ وما بعدها) سهو من مؤلفه، وهو أبو محمد عبد الله ابن أبي الحجاج يوسف بن الحافظ لدين الله عبد المجيد آخر الخلفاء الفاطميين بمصر، وأبوه يوسف هو أخو الخليفة الظافر، ولكنه لم يتول الخلافة، ويوسف هذا هو الذي قام عباس بن تميم الصنهاجي وزير الظافر -على التفصيل السابق ذكره- بقتله هو وأخاه أبا الأمانة جبريل بعد أن قتل الظافر، وتاريخ أحوال العاضد، الذي كانت فترة خلافته

(١) انظر ابن ميسر ص ٩٣، وابن الأثير في حوادث سنة ٥٤٩ ج ١١ ص ٨٦، وابن خلّكان ١: ٤٣١ في ترجمة حال الفائز «عيسى»، والنجوم الزاهرة طبع ليدن ٣: ٤٩-٥٠، والخطط للمقريزي ٣: ٤٧.

(٢) للمزيد من المعلومات عن شرح حال عباس بن تميم صاحب الترجمة -بالإضافة إلى المصادر المذكورة في المتن - انظر تاريخ ابن الأثير في حوادث سنة ٥٤٤ و ٥٤٨ ج ١١ ص ٦٤، ٨٣، وابن خلّكان ج ١ ص ٤٠٧، ج ٢ ص ٣٨٦ في تراجم أحوال علي بن السلار المعروف بالملك العادل زوج أم عباس المذكور وجده يحيى بن تميم الصنهاجي، وكتاب المقفى للمقريزي في باب العين والباء الموحدة (نسخة المكتبة الأهلية بباريس بخط المقريزي نفسه *Arabe 2144*). وقد ورد اسم صاحب الترجمة محرفاً عيَّاش بياء مثناة تحتانية وشين في صبح الأعشى ج ١٣ ص ٢٤٢، ٢٤٣.

تموج بالفتن والاضطرابات والذي في عهده لاحت ملامح الانقراض على أحوال تلك الطبقة من كل ناحية، مذكور بالتفصيل في سائر كتب التواريخ سواء في تاريخ الفاطميين أو في تاريخ صلاح الدين الأيوبي مؤسس دولة الأكراد الأيوبية التي استقرت في مصر بدلاً من الفاطميين، وليست بنا حاجة هنا لاستقصاء المصادر في هذا الموضوع، إلا أننا على الرغم من ذلك نشير فيما يلي إلى عدد من المصادر المشهورة: انظر من بينها ابن الأثير في مواضع متفرقة في حوادث ٥٥٥-٥٦٧، وكتاب الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة المقدسي طبع مصر في حوادث السنتين المذكورتين ج ١ ص ١٢٤-٢٠٣ (أكثر شرحاً وتفصيلاً). وابن خلكان في تراجم أحوال العاضد «عبد الله» وصلاح الدين الأيوبي «يوسف» (أكثر شرحاً وتفصيلاً)، و«شاور» و«شيركوه»، وتاريخ أبي الفرج ج ٣ ص ٣٧ [ص ٣٩ طبع القسطنطينية]، ومختصر الدول ص ٣٦٨، والخطط للمقريزي ج ٢ ص ١٤١، ١٧٣، والنجوم الزاهرة طبع ليدن ٨٣/٣-١٣٠.

[٣٦٩] ص ١٧١ س ٣:

«في أوائل سنة أربع وخمسين وخمسمائة»، كُتب هذا التاريخ في هذا الموضع هكذا في كل نسخ جهانگشا كما قلنا في حواشي ذيل الصفحات، وذلك بلا شك خطأ فاحش من الناسخ، أو طغيان قلم من المؤلف نفسه. والصواب «سنة أربع وستين وخمسمائة» كما صححناه في المتن بين قوسين؛ أولاً: بدليل تصريح جميع المؤرخين بلا استثناء، وبلا أدنى خلاف، بأن هذه الوقائع المشار إليها في المتن، أي قدوم عساكر الفرنج إلى مصر ومحاصرة القاهرة واستعانة المصريين بنور الدين محمود بن زنكي سلطان بلاد الشام وإرساله أسد الدين شيركوه بعساكر الشام إلى

مصر (في المرة الثالثة) لإعانة المصريين، قد وقعت كلها في سنة ٥٦٤. انظر بين هذه المصادر ابن الأثير ج ١١ ص ١٥٠، وكتاب الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة المقدسي ج ١ ص ١٥٤، فقد حدد كلاهما تاريخ شروع عساكر الفرنج في محاصرة مصر في العاشر من صفر من السنة المذكورة بمعنى أنهما حددا حتى الشهر واليوم أيضًا، انظر أيضًا ابن خلكان في شرح حال صلاح الدين الأيوبي «يوسف» ج ٢ ص ٥٥٨-٥٥٩، والخطط للمقريزي ج ٢ ص ١٤١-١٤٤، ١٧٤-١٧٦، وغير ذلك من كتب التواريخ.

ثانيًا: بدليل تصريح المؤلف نفسه^(١) في ص ١٨٤ بأن شيركوه وصل إلى القاهرة في السابع من ربيع الآخر سنة أربع وستين وخمسمائة، وواضح أنه لو كان قدوم عساكر الشام إلى مصر طبقًا لنسخ جهانگشا قد حدث في سنة ٥٥٤، إذن لأصبح من اللازم أن يكون الفرق بين قدوم عساكر الفرنج إلى مصر ومحاصرة القاهرة وقدوم عساكر الشام إليها لمدد المصريين هو عشر سنوات بتمامها! والواقع أن المؤرخين يتفقون على أن قدوم عساكر الشام إلى مصر حدث بعد قدوم عساكر الفرنج إليها بشهرين؛ لأن [٣٧٠] الفرنج شرعوا في محاصرة القاهرة في العاشر من صفر سنة أربع وستين وخمسمائة، وكان وصول أسد الدين شيركوه بعساكر الشام إلى الديار المصرية في أواخر ربيع الأول^(٢) من السنة نفسها، وكان وصوله إلى القاهرة،

(١) وأيضًا تصريح أبي شامة في كتاب الروضتين ج ١ ص ١٥٦، وابن خلكان ج ٢ ص ٥٥٩ في ترجمة حال صلاح الدين الأيوبي.

(٢) لأن قتل شاور حدث بتصريح أبي شامة ١: ١٥٨ بعد ثمانية عشر يومًا من قدوم عساكر الشام إلى مصر، وكان قتل شاور كما سيأتي ذكره في ١٧ ربيع الآخر؛ فمن الواضح إذن أن قدوم عساكر الشام إلى مصر حدث في ٢٩ أو ٣٠ ربيع الأول.

كما قلنا، في ٧ من ربيع الآخر، إذن فخطأ المتن من أوضح الواضحات، ولا جدوى من إطالة الكلام أكثر من هذا في ذلك الصدد.

ولا يغيب عن البال أن عساكر الشام من قبل نور الدين محمود بن زنكي قدمت إلى مصر ثلاث مرات بقيادة أسد الدين شيركوه: المرة الأولى في شهر رجب سنة تسع وخمسين وخمسمائة، والثانية في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وستين وخمسمائة، والمرة الثالثة (وهي موضع بحثنا) في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين وخمسمائة كما ذكرنا، وفي كل مرة من هذه المرات الثلاث كان عساكر الفرنج أيضًا يقدمون إلى مصر بعد قدوم هؤلاء أو قبله بفترة قليلة، ولم يحاصر الفرنج مصر في المرة الأولى والثانية؛ لأن عساكر الفرنج لم تأت في هاتين المراتين بغية محاربة المصريين، بل قدمت بناءً على استدعائهم وطلبهم لدفع عساكر الشام ولمحاربة أسد الدين شيركوه كما هو مشروح في كتب التواريخ، ولكن جيش الفرنج قدم إلى مصر في المرة الثالثة قاصدًا محاربة المصريين ومحاصرة القاهرة، فاستعان المصريون في هذه المرة بنور الدين ابن زنكي سلطان الشام لدفع الفرنج، حتى إن العاضد الخليفة أرسل شعر نسانه في جوف مكاتباته لنور الدين وأقسم على أن: «هذا شعر نسائي اللاتي يستغثن بك في قصري حتى تحضر وتخلصهن من مقلب الفرنج»، فأرسل نور الدين محمود أيضًا، كما هو معلوم، جيشًا جرازًا إلى مصر بقيادة أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين الأيوبي [٣٧١] المعروف الذي كان حاضرًا في صحبة عمه كذلك في ذلك الجيش، فقدموا إلى مصر وأضعفوا قوة الفرنج في تلك البلاد وأخرجوهم من ديار مصر، إلا أنهم حلوا محلهم وقضوا كلية على الخلافة الفاطمية التي استمرت في تلك الديار طيلة مائتين وسبعين سنة.

«وكان شاپور وزير العاضد» اسم وزير العاضد هذا، كما قلنا في حواشي ذيل الصفحات، مذكور في جميع نسخ جهانگشاي في جميع المواضع في هذا الفصل باطراد وبلا استثناء: شاپور (أو سابور بسين مهملة)، واتفاق جميع النسخ الخطية الاثنتا عشرة في جميع المواضع على هذا الإملاء يدل دلالة قطعية على أن كتابة هذه الكلمة بهذه الصورة في الموضع الذي نحن بصدده لم تكن من آثار تصحيف النساخ أو سهوهم، بل إن المؤلف نفسه كان يكتب الكلمة ويقرؤها عالماً عامداً على هذا النحو، وكان يخيل إليه قطعاً أن الكلمة تعريب لشاپور الفارسية، فضلاً عن جهانگشاي، يكتب اسم هذا الوزير العربي القح المصري الخالص من قبيلة بني سعد في أغلب كتب التواريخ المتأخرة مثل تاريخ كزیده، وروضة الصفا وحبيب السير ولب التواريخ وجهان أرا بوضوح كامل في جميع المواضع «شاپور» بباء فارسية! ولكن نظراً لأنه لا مجال للشك تقريباً في أن المصدر الذي اعتمدت عليه جميع الكتب المذكورة في هذا الإملاء هو الكتاب الحاضر، يعني جهانگشاي الجويني، فواضح إذن أننا لا يمكن أن نعد هذه الكتب إسناداً منفصلاً مستقلاً.

لكننا إذا تركنا الكتب الفارسية المذكورة ونظرنا في سائر كتب التواريخ التي ألفت باللغة العربية، أو بمعنى آخر مؤلفات أهالي مصر والشام عموماً التي تعد بالطبع أكثر معرفة بأوضاع وأحوال صاحب الترجمة من حيث كونه مصرياً، مثل معجم الأدباء لياقوت، والكامل لابن الأثير، وتاريخ مصر لابن ميسر، والوفيات لابن خلكان، ومختصر الدول لابن العبري، وتاريخ أبي الفداء، ودول الإسلام للذهبي [٣٧٢]، وصبح الأعشى للقلقشندي، والخطط للمقريزي، والنجوم الزاهرة لابن تغري

بردي، وحسن المحاضرة للسيوطي، وتاريخ مصر لابن إياس^(١) وأفضلها جميعاً كتاب
 النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية تأليف عمارة اليميني الشاعر المعروف،
 ومن أخص أصدقاء صاحب الترجمة، وكذلك في أشعار الشعراء المعاصرين له مثل
 عمارة اليميني المذكور، والعماد الكاتب الإصفهاني^(٢) وعرقلة الدمشقي^(٣) والقاضي
 المهذب الأسواني^(٤)، خلاصة القول: إن اسم وزير العاضد هذا يرد في جميع
 المصادر المذكورة^(٥) في جميع المواضع مضطرباً وبصفة عامة «شاور» بشين
 معجمة بعدها ألف وواو واحدة^(٦)، وفي الآخر راء مهملة، فضلاً عن ضرورة نطق
 هذه الكلمة في أشعار معاصريه على مقتضى الوزن العروضي بواو واحدة متحركة
 (وليس بواوين مثل داود وطاوس وأمثالهما) على منوال البيت التالي لعمارة اليميني:
 ضَجِرَ الحَديدُ من الحَديدِ وشَاوِرُ من نُصِرِ دينِ مُحَمَّدٍ لَمْ يَضْجِرِ
 حَلَفَ الرِّمَانُ لِيَأْتِيَنَّ بِمِثْلِهِ حَنِثْتُ يَمِينِكَ يا زَمَانُ فَكَفَّرِ

-
- (١) سوف تكون الإحالة إلى أرقام صفحات سائر هذه المصادر موجودة في آخر هذا الفصل في
 ثبت المصادر، فليكن الرجوع إليها.
 (٢) كتاب الروضتين ج ١ ص ١٥٩.
 (٣) أيضاً ١: ١٥٧، وتاريخ أبي الفدا ج ٣ ص ٤٦ [ص ٤٧ طبع القسطنطينية].
 (٤) معجم الأدباء ج ٣ ص ١٦١.
 (٥) الاستثناء الوحيد من هؤلاء جميعاً يبدو في تاريخ ابن حماد على الشرح الوارد فيما بعد.
 (٦) اسم هذا الوزير الذي نحن بصدد ذكره في جامع التواريخ، الجزء الخاص بالإسماعيلية،
 نسخة المكتبة الأهلية بباريس (Supple Pers, 1364) ورقة 62a وما بعدها في جميع المواضع
 (شاوور) بواوين ولكن نسخة المرحوم براون من الكتاب نفسه ص ٧٠-٧١ (شاور) طبقاً لسائر
 المصادر العربية. [«شاور» أيضاً في طبعة طهران لهذا الجزء من جامع التواريخ].

ونشاهد كثيرًا من القصائد المنظومة في مدح صاحب الترجمة وإخوته [٣٧٣] وأبنائه في ديوان عمارة اليميني^(١)، وكلمة «شاور» مكررة بكثرة بالطبع في أشعاره، ويجوز أن تكون هذه الكلمة قد ذكرت أكثر من خمسين مرة في ديوانه وهي مذكورة في كل المواضع على النمط المشاهد في البيت السابق بواو واحدة متحركة على وزن فاعل ليس بواوين على وزن فاعول مثل داود وطاوس، ونطق اسمه يرد على المنوال نفسه في جميع أشعار سائر المعاصرين وسوف نقدم نموذجًا من تلك الأشعار فيما بعد.

وعلى الرغم من أنني لم أستطع العثور في أي موضع على كيفية ضبط حركة الواو في هذه الكلمة، فيما يتعلق بصاحب الترجمة^(٢)، هل هي فتحة أو ضمة أو كسرة، فإن كثيرًا من المصادر التي سبق ذكرها مثل النكت العصرية لعمارة اليميني، وديوان أشعاره وكلاهما طبع بباريس، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي النسخة الخطية القديمة بالمكتبة الأهلية بباريس^(٣)، حركت هذه الكلمة غالبًا بضبط القلم شاور بفتح الواو، وقد وردت كذلك تمامًا في صبح الأعشى المطبوع طبعة مصححة مضبوطة بدار الكتب

(١) طبعت مختارات من ديوان عمارة اليميني مع كتاب «النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية» للمؤلف نفسه، وهو الذي سبق أن أشرنا إليه، باهتمام المستشرق الفرنسي هرتويج درونبورج في سنتي ١٨٩٧-١٩٠٢م في باريس في مجلدين بالعنوان الآتي:

Oumara du yamen, sa vie et son par Hartwig Derenbourg, Paris, 1897-1902, 2 tomes.

(٢) أما فيما يختص بغير صاحب الترجمة فقد ضبط بنو شاور على أنه اسم قبيلة من قبائل همدان في تاج العروس في مادة (ش و ر). ولا يغيب عن البال أن اسم شاور من الأعلام النادرة للغاية ولم يشاهد راقم السطور مثل هذا الاسم على الإطلاق في أي كتاب من كتب التواريخ المتداولة ومعاجم الرجال والطبقات وغيرها التي في متناول يدي. على الرغم من القحص الشديد إلا في الموضوعين المذكورين.

(٣) تحت رقم 1780 Arube.

المصرية ج ١٠ ص ٣١٠، ٣١٨، كما ورد اسم شاور مسجوعاً في عبارة في كتاب الروضتين ج ١ ص ١٥٨ نقلاً عن ابن عساكر المعروف صاحب تاريخ دمشق والمعاصر لصاحب الترجمة مع شاور فعل ماض من المشاورة هكذا «فوثب جرديك وبزغش»^(١) مؤلفاً نور الدين فقتلاً شاوراً^(٢) وأراحا العباد من شره وما شاوراً»، بحيث يتبين من هذا السجع بصراحة تقريباً أن شاور كانت تنطق بفتح الواو بلسان المعاصرين لصاحب [٣٧٤] هذا الاسم، وفي كل مناسبة ذكر فيها أغلب المستشرقين الأوروبيين مثل وايت^(٣) المستشرق الفرنسي المتخصص في تاريخ مصر في ترجمة حال شاور وشيركوه في دائرة المعارف الإسلامية (ج ٤ ص ٣٥١-٣٥٢ و ٣٩٦-٣٩٧)، وسوبرنهايم^(٤) وبيكر^(٥) وجرقه^(٦) المستشرقين الألمان في شرح حال صلاح الدين الأيوبي (أيضاً ج ٤ ص ٨٧-٩٢) والعاظم (ج ١ ص ١٣٩-١٤٠)، وضرغام الوزير الآخر للعاظم (ج ١ ص ١٠٠٥) - صاحب الترجمة، ذكروه جميعاً بالإملاء نفسه وكتبوا هذه الكلمة في سائر المواضع في المقالات المذكورة شاور بفتح الواو^(٧)، من

(١) كذا في الأصل لكنه في ابن خلكان ١: ٢٣٨ برغش (براء مهملة).

(٢) شاور - كما سنذكر فيما بعد - ليس منصرفاً، إذن لا بد أن يكون إلحاق الفاء به هنا بمناسبة

السجع مع «شاوراً» في الفقرة التالية مثل «قواريرا» في الآية الشريفة.

(3) G. Wiet.

(4) Sobrenheim.

(5) C. H. Becker.

(6) E. Graefe.

(٧) أي *Shawar* بالحروف اللاتينية، ولكن ووستفك المستشرق الألماني المعروف في كتاب «تاريخ الفاطميين» من تأليفاته ص ٣٢٧-٣٤٣ يكتب هذه الكلمة في كل المواضع شاور بضم الواو *Shawur*، وقد حركت هذه الكلمة بضبط القلم في مختصر الدول أيضاً لابن العبري ص ٣٦٨ شاور بضم الواو، ونكرت في مجاني الأندلس لشيخو ٦: ٣١٨ والأعلام لخبر الدين الزركلي ص ٤٠٧ بضبط القلم شاور بكسر الواو، وهكذا يلاحظ أن كل حركة من الحركات الثلاث اشتركت في هذه الكلمة في المصادر المختلفة لكن اختيار أكثر المؤلفين هو الفتح على التفصيل المذكور أعلاه.

مجموع القرائن السابقة إذن يحصل الظن القريب من اليقين أن الإملاء الحقيقي لهذه الكلمة كان على أظهر وجوه هذا القسم، يعني شاور، بواو متحركة مفتوحة على وزن عالم وخاتم، فإذا كان الأمر كذلك، فلا يمكن إذن والحالة هذه أن يكون هناك، فيما يبدو، صلة أو علاقة على الإطلاق بينها وبين كلمة شابور الفارسية ولا الصور المعربة لها شابور وسابور (وشاور؟) ولا بد أن يكون منشأ كتابتها بإحدى هذه الصور، كما تشهد في جهانگشاي للجويني وسائر المصادر التي اقتبست منه مثل تاريخ كزیده وروضة وغيرهما تصحيفاً واشتباهاً نشأ لدى الإيرانيين من جراء التشابه الصوري الظاهر بين كلمتي شاور وشابور بعضهما وبعض وعدم أنس طباعهم بالرسم الغريب لكلمة شاور، على العكس من اسم شابور المتداول بينهم ذي الشهرة المفرطة، ولكن مما يدعو إلى العجب [٣٧٥] أن هذا الخطأ والتصحيف بعينه صدر أيضاً عن أحد المؤلفين ذوي اللسان العربي وكان معاصراً لصاحب الترجمة ومن أعقاب عمال الفاطميين أنفسهم وهو أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد الصنهاجي^(١) المتوفى سنة ٦٢٨ صاحب كتاب «أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم»، فقد كتب في الكتاب المذكور في تاريخ الخليفة العاضد (طبع الجزائر ص ٦٣) اسم صاحب الترجمة مرتين «سابور»

(١) المؤلف من أعقاب بني حماد الولاة والعمال المعروفين للفاطميين في إفريقية، وله في حدود سنة ٥٤٨ أي قبل قتل شاور بست عشرة سنة حول قلعة بني حماد، كانت قلعة بني حماد مدينة من بلاد قسطنطينة إحدى مقاطعات الجزائر الحالية في جنوب بجاية وهي الآن مفقودة الأثر. (انظر دائرة المعارف الإسلامية في عنوان «قلعة بني حماد» ج ٢١ ص ٧٢٠-٧٢١). وكانت وفاته كما ذكرنا في المتن سنة ٦٢٨ وهو في الثمانين من عمره. ألف الكتاب المذكور يعني «أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم» وهو تاريخ مختصر للغاية عن الخلفاء الفاطميين في سنة ٦١٧. وطبع في سنة ١٣٤٦ في الجزائر.

بسین مهملة وباء موحدة وواو وراء مهملة، وهذا نصه: «وكان وزيره [يعني وزير العاضد] يسمى سابور واتفق لهم أن استدعوا الغُرَّ ليتخذوهم [ظ: لينجدوهم] ويستظفروا بهم فواصلوا ورئيسهم أسد الدين ومعه ابن أخيه يوسف بن أيوب المعروف بصلاح الدين ووقعت فتنة وتنافروا [ظ: وتتافروا] في الوزارة التي هي كالإمارة وقتل فيها الوزير سابور وجلس أسد الدين مكانه وولي خطته»، فإذا لم تكن هذه الفقرة سهواً من النساخ وكانت صادرة عن قلم المؤلف نفسه، وظاهر الأمر يشير بالفعل إلى ذلك، فإن الخطأ المذكور إذن يعني تصحيف شاور بشابور فيما يختص بصاحب الترجمة ليس بالشيء الجديد، وليس مقصوراً فقط على المؤلفين الإيرانيين البعيدين عن مصر وأوضاعها وأخبارها، بل من ذات عصر صاحب العنوان، وحتى بالنسبة إلى المؤلفين ذوي اللسان العربي. فإن هذا السيو وارد أيضاً فصحت الكلمة الأولى على غرابتها وندرة استعمالها بسهولة إلى الكلمة الثانية على كثرة دورانها على الألسنة.

[٣٧٦] بقي إشكال واحد، وهو أن اسم صاحب الترجمة ورد مستعملاً في جميع مواضع استعماله نظماً ونثراً في جميع عبارات المؤلفين وفي أشعار الشعراء المعاصرين غير منصرف كلية^(١)، أما في الشعر فواضح أنه استعمل غير منون في الوزن العروضي للكلمة (في غير المواضع التي تقتضي التثنية) مثل هذا البيت لعمارة اليميني من إحدى قصائده^(٢):

أَحِبُّ شَاوَرَ إِخْلَاصًا وَعِثْرَتَهُ وَهَلْ عِمَارَةٌ فِيكُمْ غَيْرُ عَمَّارٍ

وأيضاً^(٣):

(١) باستثناء كتاب الروضتين فهذه الكلمة تستعمل منصرفة غالباً في ثانياً ذلك الكتاب ولكن لما كان طبع هذا الكتاب سقيماً نسبياً وبه أخطاء واشتباهات كثيرة فإنه يغلب على الظن أن هذه الفقرة أيضاً ينبغي أن تكون نتيجة «إصلاح» الطابع وليست من التحرير الأصلي للمؤلف. (المحقق).

(٢) ديوان عمارة اليميني ج ١ ص ٢٥٧.

(٣) أيضاً ص ٢٥٦.

ما غاب شاور عن دُستِ خلَّت به
والشبل يحمي عرين الضيغم الضاري

وأيضاً^(١):

منها الجميل الذي أبقيت سيرته
في آل شاور حتى سار

وأيضاً^(٢):

وهل بعد عبّادان نعلم قرية
كما قيل أو مثل ابن شاور يُعلم

وأيضاً^(٣):

أصبح الكامل بن شاور دُخراً
لأبي الفتح سيّد الوزراء

ومثل هذا البيت للعماد الكاتب الإصفهاني من جملة قصيدة في مدح أسد
الدين شيركوه^(٤):

من شرّ شاور أنقذت العباد فكّم
وكّم قضيت لحزب الله من أرب

وهناك أيضاً بيتان آخران من قصيدة له في مدح نور الدين محمد بن زنكي^(٥):

أوردت مصر خيول النصر عادمة

تنى الأعنة إقداماً على اللجم

أعانها الله في إطفاء جمر أذى

من شرّ شاور في الإسلام مضطرب

(١) أيضاً ص ١٣٢.

(٢) ديوان عمارة اليمني، أيضاً ص ١٣٣.

(٣) أيضاً ص ١٥٩.

(٤) كتاب الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة المقدسي طبع مصر سنة ١٢٨٧ - ١٢٨٨ ج ١ ص ١٥٩.

(٥) أيضاً ج ١ ص ١٧٥.

وهذا بيت للملك الصالح طلائع بن رزيك وزير الفائز والعاقد في توصية ابنه رزيك وتحذيره من شاور^(١):

فإذا تبدد شَمْلُ عَقْدِكما لا تأمنا من شَاوَرِ السَّعْدِي
وهذه أبيات لعرقلة الدمشقي في هجاء شاور بعد قتله^(٢):

لقد فَازَ بِالْمُلْكِ الْعَقِيمِ خَلِيفَةً لَهُ شِيرْكُوهُ الْعَاصِدِيُّ وَزِيرُ
هُوَ الْأَسَدُ الصَّارِي الَّذِي جَلَّ خَطْبُهُ وَشَاوَرُ كَلَبٌ فِي الرِّجَالِ عَقُورُ

أما في النثر فالدليل على ذلك أننا نرى هذه الكلمة مكتوبة في عبارات المؤلفين في جميع المواضع في حالة النصب «شاور» دون ألف لا «شاورًا» بالألف يعني بعلامة تنوين النصب مثلاً في العبارات التالية: «وتقدم نور الدين إلى شيركوه أن يعيد شاور إلى منصبه» (ابن الأثير ج ١١ ص ١٣٤) - «وكان سبب إرسال هذا الجيش أن شاور وزير العاقد لدين الله العلوي صاحب مصر نازعه في الوزارة ضرغام وغلب عليها» (أيضاً ص ١٣٣) - «فاتفق أن شاور قصد عسكر أسد الدين على عادته» (أيضاً ص ١٥٢) - «وذكر الحافظ ابن عساكر أن شاور وصل إلى نور الدين مستجيزاً» (ابن خلّكان في شرح حال شاور)، - «فوثب جرديك وبزغش موليا نور الدين فقتلا شاور» (أيضاً) - «وجمع ضرغام جموعاً كثيرة وغلب شاور على الوزارة» (خطط مقرئ ج ٢ ص ١٤٢) - «فبلغ شاور أن [٣٧٨] شيركوه قد ملك بلاد الصعيد» (أيضاً ص ١٤٣) - «وخذل أهل القاهرة شاور لبغضهم له» (النجوم الزاهرة طبع لبيد ج ٣ ص ٩٥) - وعلى هذا النحو بعينه يأتي استعمال هذه الكلمة في حالة النصب في جميع المواضع في كل المصادر السابق ذكرها بلا استثناء، وطالما أنه وضح من الأمثلة السابقة وضوحاً كاملاً أن شاور غير منصرف،

(١) أيضاً ج ١ ص ١٦٥.

(٢) أيضاً ج ١ ص ١٥٧، وتاريخ أبو الفدا ٤٦/٢.

فإننا نتساءل عن علة عدم انصراف هذه الكلمة هل من الممكن أن نتصور علة أخرى من العلل التسع غير علميتها؟ إن احتمال وزن الفعل أن مشاركة الوزن مع شاور ماضي المشاورة مُنتفٍ في الموضع الذي نحن بصدده، لأن وزن فاعل بفتح العين مثل خاتم وعالم لا يعتبر باتفاق النحاة علماء (باستثناء يونس وعيسى بن عمر) مانعاً للصرف^(١) لأن هذا الوزن ليس من الأوزان المختصة بالفعل وليس في أوله إحدى الزوائد الأربع، إذن إما أن نقول في تعليل منع صرف شاور، بعلّة أخرى غير العلمية وهي وزن الفعل على المذهب الشاذّ ليونس وعيسى بن عمر، وإما أن نفترض أنه يجوز في الواقع -على الرغم من وجود كل هذا التباعد بينهما- أن تكون شاور هيئة أخرى من كلمة شابور الفارسية كما ظن الجويني وسائر المؤرخين الإيرانيين، وبناء على هذه العلة الأخيرة منعت تلك العجمة [الاسم] من الصرف، والله أعلم بحقيقة الحال.

تُثبت بالمصادر المتعلّقة بأحوال شاور:

النكت العصرية في أحوال الوزراء المصرية تأليف عمارة اليميني، وديوان أشعاره، كلاهما طبع درنبورج^(٢) (انظر فهرست الرجال في كلا الكتابين في عناوين «شاور» و«طَيّ بن شاور» والكامل «شجاع بن شاور» والمعظم «سليمان ابن شاور» وركن الإسلام زكي الدين «النجم أخو شاور» والأوحد «الصباح أخو شاور»)، معجم الأدباء ياقوت [٣٧٩] ج ١ ص ٤١٩، ٤٢٠ وج ٣ ص ١٦١ و ١٦٢ وج ٦ ص ١٢٤، أخبار ملوك بني عبيد لابن حماد الصنهاجي ص ٦٣، تاريخ ابن الأثير وأبي الفدا في مواضع متفرقة في حوادث سنوات ٥٥٨-٥٦٤، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة المقدسي ج ١ ص ١٣٠-١٣٢، ١٤٣-١٤٧، ١٥٤-١٥٩، ١٦٤-١٧٢، ١٨٠، ١٩٩، ٢٢٦-٢٢٧ (بتفصيل كبير)، أخبار مصر لابن

(١) انظر شرح الرضي على كافية ابن الحاجب طبع تيريز ص ٢٥-٢٦، وجمع الهوامع للسيوطي طبع مصر ج ١ ص ٣٠.

(٢) انظر فيما سبق ص ٣٢٥، هامش رقم (٢)

ميسر ص ٦٥، وفيات الأعيان لابن خلكان في تراجم أحوال «شاور»، وصلاح الدين الأيوبي «يوسف»، وأسد الدين «شيركوه»، مختصر الدول لابن العبري ص ٣٦٨-٣٦٩، دول الإسلام للذهبي طبع حيدر آباد الدكن ٤٥-٥٥، صبح الأعشى للقلقشندي ج ٣، ص ٤٣٢، وج ١٠ ص ٣١٠-٣٢٥، الخطط للمقريزي ج ٢ ص ١٤١-١٤٢، ١٧٣-١٧٤، وج ٣ ص ١٨-٢٠، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي طبع ليدن ج ٣ ص ٦٧-٦٨، ٨٧-٨٨، ٩٤-١٠٠، حسن المحاضرة للسيوطي ج ٢ ص ١٣٧-١٣٨، تاريخ مصر لابن إياس ج ١ ص ٦٧-٦٨.

ومن المصادر الفارسية: تاريخ جهانگشاي جويني ج ٣ ص ١٨٣-١٨٤، جامع التواريخ وتاريخ كزیده وروضة الصفا وحبیب السیر ولُبّ التواريخ وجهان آري للفاضي أحمد غفاري، كلها في تاريخ العاضد إلا المصدر الأخير الذي ذكر اسم شاور في أوائل تاريخ الأيوبية.

ومن المصادر الأوروبية: تاريخ الخلفاء الفاطميين^(١) لـ «وستفالد» ص ٣٢٧-٣٤٣، دائرة المعارف الإسلامية في عناوين شاور ج ٤ ص ٣٥١-٣٥٢، وشيركوه ج ٤ ص ٣٩٦-٣٩٧، وصلاح الدين الأيوبي ج ٤ ص ٨٧-٨٨، والعاضد ج ١ ص ١٣٩-١٤٠، وضرغام ج ١ ص ١٠٠٥.

[٣٨٠] ص ١٧٢ س ٨-٩:

«وتوجه شيركوه إلى القاهرة فوصلها في السابع من ربيع الآخر سنة أربع وستين وخمسمائة»، هذه أصح الروايات في تاريخ قنوم شيركوه إلى القاهرة، وهي مطابقة لرواية أبي شامة المقدسي في كتاب الروضتين ج ٢ ص ١٥٦، ورواية ابن خلكان في ترجمة حال صلاح الدين الأيوبي ج ٢ ص ٥٥٩، وفي قول آخر كان قنومه إلى القاهرة في ربيع الأول أو

(١) الكتاب بالألمانية وعنوانه:

F. Wustenfeld: Geschichte der Fatimiden - Chalifen nach arabischen Quellen, Guttingen, 1881.

في السابع من جمادى الآخرة من السنة المذكورة (ابن خلكان في الموضع نفسه وأيضاً في ترجمة حال «شيركوه» وابن الأثير في حوادث سنة ٥٦٤)، ويبدو أن هذه الكلمة «جمادى الآخرة» في هذه الرواية الأخرى سهو من النساخ أو طغيان قلم من مؤلفها بدلاً من «ربيع الآخر»؛ لأن قتل شاور كان بتصريح ابن الأثير نفسه في الموضع نفسه في السابع عشر من ربيع الآخر، ومن المسلم به، فيما يبدو، فضلاً عن إجماع المؤرخين على أن قتل شاور حدث بعد قنوم شيركوه إلى القاهرة لا قبله.

ص ١٧٢ س ١٦-١٧:

«وكان ذلك [أي قتل شاور] في السابع عشر من ربيع الآخر سنة أربع وستين وخمسمائة»، كذا في إحدى النسخ الخطية [ح]، وهو الصواب إذ إنه مطابق لأقوال جمهور المؤرخين مثل ابن الأثير في حوادث السنة نفسها ٥٦٤ وابن خلكان في ترجمة حال شاور^(١) ج ١ ص ٢٣٧، وفي ترجمة حال صلاح الدين الأيوبي ٢: ٥٦٠، والخطط للمقريزي ج ٢ ص ١٧٥، ولكن سائر نسخ جهانگشاي تكتبها «سابع ربيع الآخر» وذلك بلا شك خطأ فاحش، فقد سقطت كلمة «عشر» قطعاً. لأن صحة هذا التاريخ فضلاً عن مخالفة أقوال جمهور المؤرخين من وجهة القياس والعادة وظواهر الأمور غير ممكنة؛ ذلك لأن قدوم أسد الدين شيركوه، بتصريح المؤلف نفسه قبل ذلك بعدة أسطر [٣٨١] وأيضاً بتصريح أبي شامة المقدسي في كتاب الروضتين ج ١ ص ١٥٦، كان في سابع ربيع الآخر، وواضح في الظاهر أن أعوان شيركوه لم يقتلوا شاور في اليوم نفسه الذي قدم فيه شيركوه إلى القاهرة، بل مضت مدة أخذ شاور في أثنائها يماطل ويسوف في أداء المال المقرر، وأسف على استدعاء شيركوه، ودير أمر مقتله هو وسائر رؤساء جيش الشام بحجة إقامة حفل استقبال احتفاءً بقدومهم، وفي النهاية ذهب ذات يوم للقاء شيركوه مبيئاً أنه يتفقد أحوال معسكر جيش

(١) نقل ابن خلكان في الموضع نفسه فيما يتعلق بتاريخ قتل شاور رواية أخرى وهي الثامن عشر من ربيع الآخر يعني باختلاف عن الرواية المشهورة في يوم واحد.

الشام فقام صلاح الدين الأيوبي بمعاونة رجل أو رجلين من أصدقائه، وفق اتفاق أجمعوا عليه فيما بينهم باستدراج شاور بعيداً عن الطريق بإحدى الحيل وأنزلوه على الفور من فوق حصانه وقطعوا رأسه. ويديهي أن هذه الأمور والقضايا جميعاً قد استغرقت أكثر من يوم واحد.

ومن ثم يتضح من المقارنة بين تاريخ قدوم شيركوه إلى القاهرة (٧ من ربيع الآخر) وقتل شاور (١٧ من الشهر نفسه) أن قتل شاور حدث بعد عشرة أيام تماماً من قدوم شيركوه إلى القاهرة.

ص ١٧٦ س ١:

عبد الملك بن عطاش. عبد الملك بن عطاش هذا هو أبو أحمد بن عبد الملك ابن عطاش^(١) المعروف صاحب قلعة شاهنر بإصفهان، وهو الذي قُتل هو وأصحابه وأتباعه وأشياعه بأنواع التعذيب في سنة خمسمائة هجرية بأمر السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي بعد فتح القلعة المذكورة على الشرح الوارد في كتب التواريخ، يقول ابن الأثير في حوادث السنة المذكورة ج ١٠ ص ١٨٠ في شأن عبد الملك: «كان أديباً بليغاً حسن الخط سريع البديهة عفيفاً وابتلي بحب هذا المذهب». كما يقول راحة الصدر ص ١٥٦ في شأنه: «وخطه معروف وتوجد بإصفهان كتب كثيرة بخطه».

(١) يعرف أحمد بن عبد الملك بن عطاش لدى الإسماعيلية المحنثين بـ «شيخ الجبل»، غير أننا لا نجد عنه أية إشارة في مؤلفات العقيدة الفاطمية، ربما لأنها لم تكن تعنى العناية الكافية بشئون الدعوة في إيران بصفة عامة. (المترجم).

فَريَم، فريَم بقاء مكسورة وراء مهملة مشددة [٣٨٢] مكسورة وياء مثناة تحثانية ساكنة وفي الآخر ميم^(١) (أو هريم)، ويكثر تكرار ذكرها في كتب التواريخ والمسالك والممالك من قبيل تاريخ الطبري واليميني وابن اسفنديار والمسالك والممالك للإصطخري وابن حوقل وابن الفقيه وغيرها، وكانت قديماً مركز حكومة إحدى سلاسل إصفهيدان طبرستان من الطبقة الأولى من آل باوند^(٢)، وكانت مدينة تقع في المنطقة الجبلية شرقي مازندران في هزار جريب الحالية (أي في القسم الغربي من جبال هزار جريب) في جنوب ساري على ضفة أحد فروع نهر تجن الذي يصب في بحر الخزر بالقرب من ساري، وما زالت هناك منطقة باقية حتى الآن بالاسم نفسه «فريَم» في

(١) انظر شرح اليميني ج ٢ ص ١٠ و ١٩٣.

(٢) يطلق كل من الإصطخري وابن حوقل اسم آل قارن هذه الطائفة ونسبها: «فأما جبال قارن فإنها قرى لا مدينة بها إلا سهامار على مرحلة من سارية ومستقر آل قارن بموضع يسمى فريَم وهو موضع حصنهم ونخائهم ومكان ملكهم ويتوارث صاحب الجبل المملكة بها منذ = زمان الأكاسرة (الإصطخري ص ٢٠٥، وابن حوقل ص ٢٦٨)» ولا شك في أن مراد المؤلفين المذكورين هم أولاد قارن بن شهريار من آل قارن وكان السلطان الثامن من الطبقة الأولى من آل باوند، وهو الذي ذكره الطبري أيضاً بالاسم نفسه «قارن بن شهريار» (نقلنا نص عبارة الطبري في الحاشية التالية)، وهما لا يقصدان آل قارن بالمعنى الأخص أي سلسلة قارن وندان المعروفة ذلك لأن سلسلة قارن وندان انقرضت كلية في سنة ٢٢٥ بقتل مازيار المعروف الذي كان آخر سلاطين هذه الطبقة ولم يكن لهذه السلسلة من الملوك وجود أثناء تأليف كتاب الإصطخري (في حدود سنة ٣٤٠) وابن حوقل (في حدود ٣٦٧) منذ أكثر من مائة سنة، في حين أن المؤلفين المذكورين يتحدثان بصريح العبارة عن معاصريهما من الملوك كما هو واضح.

الموضع نفسه انظر «كتاب مازندران» تأليف رابينو الإنجليزي طبع أوقاف جب ص ٥٧، وانظر أيضًا خريطة مازندران التي يتضمنها الكتاب نفسه، وانظر دائرة المعارف الإسلامية في عنوان «مازندران» ج ٣ ص ٤٨٨-٤٨٩ بقلم [٣٨٣] السيد مينورسكي، انظر أيضًا الحاشية التالية المتعلقة بشهر ياركوه، واسم فريم يطلق على المدينة كما يطلق أيضًا على الإقليم الجبلي الذي تقع فيه^(١).

المصادر:

إلى جانب المصادر التي ذكرناها فيما سبق يرد ذكر فريم في المواضع التالية أيضًا: تاريخ الطبري المجلد الثالث ص ١٥٢٩ في حوادث سنة ٢٥٠، الإصطخري ص ٢٠، ابن حوقل ص ٢٦٨، ابن الفقيه ص ٣٠٦، شرح تاريخ اليميني ج ٢ ص ١٠، ١٩٣، ١٩٦، ويتكرر ذكرها كثيرًا في ترجمة تاريخ ابن إسفنديار (انظر فهرست الكتاب المذكور)^(٢)، معجم البلدان لياقوت ج ٣ ص ٨٩٠، ابن الأثير في حوادث سنة ٤٠٧ ج ٩ ص ١١٠، نزهة القلوب لحمد الله المستوفى ص ١٦٢، تاريخ مازندران لسيد ظهير الدين المرعشي ويتكرر ذكرها فيه (انظر فهرست الكتاب المذكور)، ومن المؤلفات الجديدة: كتاب التدوين في أحوال جبال شروين تأليف الدكتور محمد حسن خان اعتماد السلطنة ص ٤٢، وبلدان الخلافة الإسلامية للوسترنج^(٣) ص ٣٧٢-٣٧٣، ورسالة أصفهيدان فريم لكازانوف^(٤)، يتكرر ذكرها كثيرًا، ويرى المؤلف الأخير أن فريم كانت هي نفسها فيروزكوه الحالية بالقرب من دماوند وهذا سهو.

(١) «وانضم إلى الحسن بن زيد [الداعي الكبير] حوزة جبال طبرستان خلا ما كان من سكان جبل فريم فإن رئيسهم كان يومئذ والمتملك عليهم قارن بن شهریار فإنه كان ممتنعًا بجبله فلم ينقذ للحسن بن زيد ولا من معه حتى مات ميتة نفسه». (الطبري في حوادث سنة ٢٥٠ المجلد الثالث ١٥٢٩ باختصار).

(٢) في عنوان *Parim, Furim*

(3) G. Le Strange.

(4) Paul Casanova

شهرياركوه، شهرياركوه أو جبل شهريار يأتي اسمه بكثرة أيضا في مؤلفات القدماء^(١) في معرض الحديث عن [٣٨٤] جبال طبرستان مثله في ذلك مثل فريم التي سبق ذكرها، ويتضح من المقارنة بين العبارات المختلفة للمؤلفين المذكورين أنها كانت فيما يبدو عبارة عن سلسلة هزارجرب الحالية وعبارة أخرى كانت شهرياركوه اسماً لمنطقة جبلية مدينتها الرئيسة هي فريم المذكورة، يقول ابن اسفنديار في الفصل الخاص بثورة أهالي طبرستان بقيادة ونداد هرمز ضد نواب الخليفة^(٢): «فأرسلوا إلى إصفهيد شروين في شهرياركوه فريم...» (أي سلمه رسالة)، ومن ثم يتضح من إضافة شهرياركوه إلى فريم أن هناك صلة واضحة بين المنطقتين. ولقد قلنا فيما سبق: إن قسبة فريم تقع في هزار جرب دودانگه، الحالية ويقول العقبي أيضا في تاريخ اليميني ج ٢ ص ٩^(٣):

«وعقدت له [أي لرستم بن المرزبان] الإصفهيدية على جبل شهريار، فتلقاه نصر إلى دنباوند وساعده على صعوده وامتلاك حدوده، فأصاب أهل فريم غلاء عم بلاؤه وشمل الكافة داؤه فاضطر نصر إلى الانصراف عن رستم بن المرزبان للقحط الشامل والبلاء النازل»، ومن سياق هذه العبارة يفهم صراحة أن فريم كانت جزءا من جبل شهريار، وأيضاً ياقوت في معجم البلدان يقول في عنوان «سانيز»: «وعزم

(١) انظر من بينها تاريخ اليميني ج ١ ص ٣٩٥ وج ٢ ص ٩ و ١٤، ومعجم البلدان في عنوان «سانيز»، وابن الأثير ج ٨ ص ٢٧٣، وج ٩ ص ٥٨ (في حوادث سنتي ٣٦٦ و ٣٨٨)، وتاريخ ابن اسفنديار ترجمة براون وتاريخ سيد ظهير الدين (انظر فهارس المصدرين الآخرين).

(٢) تاريخ ابن اسفنديار نسخة المكتبة الأهلية ببائرس (ضمن مجموعة فارسية ١٤٣٦) ورقة 87a مطابقة لترجمة براون ص ١٢٦.

(٣) تاريخ اليميني باختصار (شرح المنيني طبع مصر ج ٢ ص ٩-١٠).

[٣٨٥] نصر بن أحمد الساماني على قصد الري فجعل طريقه على جبل شهریار فحصره أبو نصر السانيزي في موضع يقال له هزار گري أربعة أشهر لم يقدر على أن يجوز ولا على أن يتأخر حتى بذل له ثلاثين ألف دينار حتى أفرج عنه الطريق».

وتصرح هذه العبارة بأن هزار گري (وهي هزار جريب بتصريح ابن اسفنديار ص ١٨٥ و ٢٣٨) كانت جزءاً من جبل شهریار، ومن ثم يصير من اللازم بالضرورة أن يكون جبل شهریار (أو سلسلة هزار جريب نفسها) هو نفسه أو بمفهومه الضيق، كان أشد اتساعاً ويشتمل على جزء من الجبال المجاورة أيضاً.

أما جبال قارن التي يُشاهد اسمها كثيراً في عبارات القدماء في ردف جبل شهریار، فقد كانت بأظهر وجوه مفهومها هي بعينها أو قريباً منها جبل شهریار، ومن بين القرائن التي تدل على صحة هذه الدعوى واقعة عبور نصر بن أحمد الساماني من جبل شهریار، وتلك التي نقلنا في شأنها عبارة ياقوت فيما سبق، وذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٣١٤ (ج ٨ ص ٦١) «جبل قارن» في الواقعة ذاتها بدلاً من جبل شهریار، فضلاً عن أن الإصطخري ص ٢٠٥ وابن حوقل ص ٢٦٨ قد ذكرا بصراحة أن فريم جزء من جبال قارن تحت العنوان نفسه^(١)، وكذلك يظهر بوضوح من عبارة ابن اسفنديار^(٢): «ويسمونه أميدكوه ولفور وفريم وهو جبل قارن» أن فريم كانت جزءاً من جبل قارن، وقد سبق أن أثبتنا أن فريم كانت المدينة الرئيسة لجبل شهریار.

وأما جبال شروين فيأتي اسمها هي الأخرى كثيراً في معرض الحديث عن جبال طبرستان في كتب المتقدمين تالية لاسم فريم وجبال قارن وجبل شهریار، ولا

(١) انظر فيما سبق ص ٣٣٩ حيث نقلنا نص عبارة الإصطخري وابن حوقل في الحاشية رقم (١).

(٢) نسخة المكتبة الوطنية بباريس (ضمن مجموعة فارسية ١٤٣٦) ورقة 71a.

شك في أنها كانت عبارة عن سوداكوه الحالية. [٣٨٦] وقد توصل المرحوم اعتماد السلطنة إلى إثبات هذا في كتاب التدوين في أحوال جبال شروين ص ٤٢-٤٣ بالدلائل المتقنة بدرجة كبيرة من الوضوح، وهو يقول: إنه ما زال هناك جبل من جبال سوداكوه معروف عند الأهالي بجبل شلفين وهو بلا شك تحريف لكلمة شروين ذاتها. ص ١٧٨ س ٦:

أندجرو، في حواشي ذيل الصفحات قدّمنا شرحاً مختصراً يتعلّق بأنْدَجُروء وقلنا: إنها إحدى نواحي الموت الأربعة وفقاً للتقسيم الحالي. ونظرًا لما يرد في أثناء سرد تاريخ إسماعيلية الموت في جهانگشاي وجامع التواريخ، وعلى الأخص في المصدر الأخير، من ذكر أسماء عدد كبير من القرى والقصبات والجبال والأنهار في نواحي الموت ورودبار والطاقان بصورة دائمة، ولما كانت معظم الأسماء المذكورة باقية إلى يومنا هذا بعينها أو بتغيير وتبديل طفيف، فقد رأى راقم السطور أن من المناسب أن يُثبت فيما يلي صورًا كاملة نسبيًا عن الأسماء الحالية لجميع قرى وقصبات ومراكز ومزارع ومصايف النواحي الثلاث المذكورة طبقًا لما حصلنا عليه من بيانات من واقع سجلات وزارة المالية في دولة إيران العلية، لعل ذلك يكون مفيدًا في تصحيح أو تحديد موقع جزء من أسماء النقاط المذكورة التي ترد كثيرًا في كتب التواريخ وعلى الأخص جامع التواريخ. ولقد تفضل كل من صديقي الفاضل السيد حاجي ميرزا عبد الحسين خان شيباني وحيد الملك، وصديقي السيد ميرزا عباس خان إقبال آشتياني، دامت أفضالهما، باستخراج الجداول التالية وفقًا لرغبتني من سجلات وزارة المالية الجبلية كما سبق أن ذكرنا، ثم أضافا إليها ما حصلنا عليه من تحقيقات وتصحيحات أبداها بعض المتقنين من أهالي الموضوع نفسه مثل السيد الشيخ محمد علي الألموتي الوكيل السابق لمجلس النواب، والسيد أمير محترم رئيس بعض الولايات والمقيم في حدود رودبار والموت، والسيد ميرزا نصر الله خان رستگار

الطالقاني معاون شعبة الإيرادات المالية بطهران، وأرسلا كل ذلك برمته لمحزّر [٣٨٧] هذه الأوراق. وإني أنتهز هذه الفرصة لأوجه الشكر إلى سائر السادة السابق ذكرهم من صميم قلبي.

وينقسم الفصل التالي إلى ثلاثة مباحث، الموت، رودبار، الطالقان.

أ - أَلْمُوت

ألموت ناحية جبلية من توابع قزوین، تقع في الشمال الشرقي للمدينة، يحدها من الشمال والشرق تَنكَابُنْ، ومن الجنوب والجنوب الشرقي الطالقان، ومن الغرب رودبار قزوین، ويبدو أن كلمة رودبار كانت تطلق قديما على منطقة أَلْمُوت ورودبار الحاليّتين، أما الآن فيسمى القسم الغربي من هذه الناحية رودبار، ويسمى قسمها الشرقي أَلْمُوت. وألْمُوت واقعة بين سلسلتين من شعب جبال البرز إحداهما تقع في جنوبها والأخرى في شمالها. وتعرف السلسلة الشمالية بجبل سيالان^(١). ويجري في وسط ناحية أَلْمُوت أحد فروع نهر شاهرود المشهور وهو الفرع الشمالي من الفرعين الرئيسيين لهذا النهر (والفرع الجنوبي لشاهرود هو آب طالقان وسيأتي شرحه). ونهر أَلْمُوت المعروف لدى الأهالي بـ «رود خانه بزرک» [يعني النهر الكبير] يتألف هو الآخر من عدة فروع تتحد من نواحي أَلْمُوت الأربعة وتلتقي جميعا وسط وادي أَلْمُوت فيتكوّن بذلك مجرى نهر أَلْمُوت. ويلتقي نهر أَلْمُوت بنهر الطالقان في وادي شيركوه^(٢)، ثم يتكون من التقاء النهرين المذكورين نهر شاهرود الذي يشق ناحية رودبار قزوین وناحية عمارلو بين جبل تخت سليمان من الشمال وجبل ميل دار من

(١) بسین ميملة وياء مثناة تحتانية ولام وألف أخرى وفي الآخر نون، انظر ص ٢٠٩ المقتن والحاشية وما يقابلها من الترجمة.

(٢) بشين معجمة وياء مثناة تحتانية وراء ميملة ثم كوه ومعناها جبل.

الجنوب ويصب في [٣٨٨] نهر قزل أوزن^(١) غرب منجیل. وبعدها يجتاز قزل أوزن هذه المنطقة يسمى سفيرود، ويصب سفيرود في بحر الخزر غربي لاهیجان وشرقي إنزلي.

وكانت الموت ملكًا للزعيّة والملّك وفقًا لما قضت به أوامر سلاطين الصفوية والأفشارية والزندية ولم تكن ملكًا للسلطان، فاستخلص ناصر الدين شاه بعض قراها لنفسه وما زال النزاع قائمًا في هذا الصدد بين رعايا الموت والدولة. والعمل الرئيسي لأهالي الموت هو زراعة الأرز على شواطئ النهر مع زراعة قليل من المحاصيل الأخرى، وفلاحة البساتين، ورعي الأغنام. ويحصل الأهالي على ما يحتاجونه من سلع ويضائع من تتكابن، ففي فصل الربيع يتوجه أهالي هذه الناحية للعمل في تتكابن ويزرعون الأرز لأهالي تلك الولاية، ثم يذهبون في الخريف إلى الولاية المذكورة لحصاد الأرز، ويتقاضون مقابل تعبهم بعض الأرز كأجر يعودون به إلى الموت.

وبهذا تنقسم الموت إلى أربع نواح: ناحية فيشان (أو ترکان فيشان)، آندج رود، ناحية آتان (أو الموت بن)، بالا رودبار^(٢).

(١) تركية، معناها النهر الأحمر، أوزن بألف مضمومة وواو ساكنة وزاي معجمة متحركة بحركة بين الفتحة والكسرة وفي الآخر نون معناها بالتركية (مجرى النهر). (انظر ترجمان تركي وعربي طبع هوتسما ص ٦ من المتن و ٤٧ من الحواشي).

(٢) يورد الأستاذ القزويني هنا قائمة بأسماء القرى والمزارع والمصايف في نواحي الموت الأربع لم أر داعيًا لإيرادها هنا، وتقع في الصفحات ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠. (المترجم).

ب - رودبار

رودبار مثلها مثل ألموت من توابع قزوین، والمقصود بهذه الكلمة اليوم ناحية تقع غربي ناحية ألموت وشرقي ناحية عمارلو، وقد قُيّدت رودبار هذه بقزوین غالبًا، تمييزًا لها عن رودبار گیلان التي تقع غربي سفیدرود شمال منجیل، بقید رودبار محمد زمانخانی أو رودبار شاهرود (وذلك في مقابل رودبار گیلان التي يطلقون عليها أيضًا رودبار زیتون أو رودبار سفید رود)، ويمر شاهرود من وسط هذه الناحية وناحية عمارلو - كما قلنا - بعد التقاء فرعيه الرئيسيين وهما نهر ألموت ونهر الطالقان ليصب في قزل أوزون بالقرب من منجیل.

ولرودبار قزوین عدة نواح: ناحية رشکین بره التي تعد قرى [٣٩١] رشکین وأکوجان وأندزه وقسطنین وغيرها جزءًا منها، وناحية کاتویر وتقع بها قرى أزمکین وأکوجان وجوینک وسورین وغيرها. ناحية لإله پشم^(١) العليا وتقع بها قرى باطین وزرشک وزنا سوج وغيرها، ناحية لإله پشم السفلی وبها قرى أسمرد وپیرام آباد

(١) يغلب على الظن أن لإله پشم العليا والسفلی هذه هي الجبل نفسه الذي ذكره القزوینی في آثار البلاد باسم جبل يله پشم في الجزء الخاص بمحال قزوین، ولا بد أن يكون أحد اللفظین (يله ولاله) تحريفًا للآخر، وهذا هو نص عبارة القزوینی:

«جبل يله پشم هذا الجبل بقرب قرية يقال لها يل وهي من ضياع قزوین على ثلاثة فراسخ منها حدثني من صعد هذا الجبل قال عليه صور حيوانات مسخها الله حجزًا منها راع متكئ على عصاه يرفع غنمه وامرأة تحلب بقرة وغير ذلك من صور الإنسان والبهائم وهذا شيء يعرفه أهل قزوین». (آثار البلاد ص ٢٣٢).

وسونكش وغيرها. ناحية ميان ولايت وبها قرى إسطنبولر وأناده وأزريست وغيرها، ناحية نيينه رود التي تعد قرى اشترك وأرسين بوج ودريند وهير وغيرها من توابعها.

وقد اشتهرت هذه الناحية باسم النهر المسمى باسمها، وهو يقرب بحوالي ثلاثين فرسخًا من قزوین التي تبعد عن طهران بمائة وعشرين فرسخًا ويجري فيه الماء طول العام، وتقع إحدى قلاع الحسن بن الصباح التي كان يطلق عليها من قبل قلعة لميشه^(١) في ناحية نيينه رود هذه. وكانت هذه القلعة من عجائب عمائر العالم وما زالت بعض آثارها باقية إلى الآن، وتبلغ المسافة بين بداية القلعة ونهايتها ربع فرسخ وعرضها أقل بقليل من طولها، ولها بوابتان إحداها في الجنوب والأخرى في الشمال، وقد أنشئت زوايا تلك القلعة بالحجر واستخدمت في بنائها أحجار ضخمة تزن عشرة أحمال [٣٩٢] ولا يمكن تحريكها باليد بل لا بد من وجود آلات لجزها، وفي بعض المواضع تزيد المسافة من الأرض التي تقع حول النهر إلى أعلى جدار القلعة على ألف ذراع، وبأطرافها ثمانية أبراج ما زال منها اثنان باقيان ويبلغ ارتفاع كل برج منهما ثمانية أذرع، ويمكن أن يعيش في وسط القلعة ثمانية آلاف مقاتل بين راكب وراجل، وقد أوصلوا الماء أيضًا من جهة البوابة الجنوبية فشقوا طريقًا للماء في الصخر طوله فرسخان حتى النهر الجاري، وما زالت آثار المجرى باقية في الصخر، وأنشئت عدة أحواض من الحجر وسط القلعة لحفظ الماء لمدة شهر أو شهرين إذا ما حوصروا، كما أقيمت عدة أماكن تشبه الغرف يجاور بعضها بعضًا لتكون مخازن للمؤن والمهمات ما زالت كلها باقية حتى الآن^(٢).

(١) ليس هناك شك على الإطلاق في أن المراد بلميشه هي قلعة لمسر الشهيرة ذاتها ولا بد أن «تحرifa للكلمة نفسها وخاصة أن بعض نسخ جهانگشاي تكتب بدلًا من لمسر لمشر» بشين معجمة بحيث يعرف أن هذه كلمة كانت تنطق أيضًا بالشين المعجمة أو أنه ربما كانت الشين المعجمة هي نطقها العامي.

(٢) هذا الوصف لقلعة لميشه منقول بتمامه من خطاب السيد أمير محترم رئيس بعض الولايات وهو يقيم في حدود رودبار شاهرود والموت.

ورودبار المسجلة في سجلات الدولة هي مائة وست وستون قرية وسبع نواح، غير أننا نرى أسماء عدد كبير من القرى والقصبات مكررة في السجلات المذكورة، وربما كان سبب التكرار أن جزءاً من قرى هذه الناحية ملك للدولة وجزءاً منها ملك خاص؛ لذا يبدو أن هذه القرى أثبتت في السجلات الرسمية مرة على أنها أملاك للدولة ومرة أخرى على أنها جزء من الأملاك الخاصة، وذلك فيما يختص بالملاحظات الإدارية من قبيل التعرف على النواحي المالية وغيرها، ولما كان هدفنا الأساسي في هذا الفصل هو تحقيق الفوائد الجغرافية والتاريخية فحسب، ولا شأن لنا بالنواحي الإدارية، فقد حذفنا في الجدول التالي الأسماء المكررة كلية، وأوردنا كشفاً يتضمن أسماء القرى والقصبات والمزارع الموجودة فعلاً بهذه الناحية، وقد نتج عن إسقاط الأسماء المكررة أن أصبح عدد الأسماء في جدولنا - كما يلاحظ - مائة وثلاثين اسماً^(١).

[٣٩٤] ج - الطالقان^(٢)

الطالقان من النواحي المشهورة في أطراف قزوین، وهي منطقة جبلية معتدلة المناخ، وكانت تعد فيما سبق من توابع قزوین، ومن الطبيعي أن تكون كذلك، غير

(١) لم أر داعياً لإثبات هذه الأسماء هنا، ويمكن الرجوع إليها في الأصل ص ٣٩٣. (المترجم)

(٢) يمكن الاستفادة أيضاً في هذا القسم المتعلق بالطالقان، فضلاً عن المصادر المذكورة في أول هذا الفصل، برسالة قيمة من تأليفات المرحوم اعتماد السلطنة تتعلق بجغرافيا وتاريخ ناحية الطالقان وقد طبعت في سنة ١٣٠١ في مجلة «إيران»، وقد تفضل صديقي الفاضل السيد ميرزا عباس خان إقبال دامت أفضاله فاستنسخ لي هذه الرسالة ضمن فصول كثيرة أخرى من الوثائق. وإنني أكرر شكري من صميم قلبي على المساعدات التي أسداها إلي هذا الأستاذ الفاضل.

أنها الآن جزء من التقسيمات المحلية لطهران، يحدّها من الطرف الشرقي جبل عسلك وهضبة أنكران، وهي الحد الفاصل بين الطالقان وآزادبر، ومن الطرف الغربي بجبل إنكه وهضبة كلانك كوه وهما الحد الفاصل بين الطالقان وفشكل دره (بشكل دره) التي تعد أيضا من نواحي قزوین، ومن الشمال والشمال الغربي جبل صاد وجبل بادي سر وهضبة هزار چم التي تفصل بين الطالقان وجبل البرز من الناحية الغربية وتفصل الناحية المذكورة من الشمال عن كلارشت وتكابن، ويحد الطالقان من الجنوب جبل كاهار وهضبة مامشكه در التي تعد الحد الفاصل للطالقان عن ساوجبلاغ، وبين الطالقان وقزوین ستة فراسخ، وبينها وبين ألموت ثلاثة فراسخ، وهي تقع على بعد ثلاثة فراسخ من ساوجبلاغ، وثلاثة فراسخ من كلارشت، وستة فراسخ من تكابن، وفرسخ من آزادبر، وأربعة عشر فرسخا من طهران.

ويعبر الفرع الجنوبي من نهر شاهرود، ذلك الفرع الذي يعرف لدى الأهالي باسم شاهرود، من وسط هذه الناحية، وينبع النهر المذكور من الطالقان العليا ويجتاز في عبوره ناحية الطالقان بطولها حتى يلتقي -كما سبق أن ذكرنا- [٣٩٥] في سهل شيركوه مع نهر ألموت، وهو الفرع الشمالي لشاهرود ويكونان شاهرود الحقيقي^(١).

ولما كانت معظم قرى الطالقان تقع في سفوح الجبال والهضاب فلا يعد هذا النهر كثير الفائدة لهذه الناحية، بل هو مصدر للأذى والضرر أثناء وقوع السيول، غير أنه ما إن يخرج من الطالقان حتى يكون ذا فائدة جمّة لكل نقطة يمر منها. ويتكون شاهرود في ناحية الطالقان من ثمانية أنهار صغيرة: الأول: نهر بادسر (بادي سر) وينبع من قمة بادسر المرتفعة وهي إحدى قمم جبل هزار چم، الثاني: عالي زن وينبع من قلة تسمى شير بشم من قُلل جبل عالي زن وهي إحدى شعب

(١) انظر ص ٣٤١ فيما سبق.

جبل صاد، الثالث: ناربان وينبع أيضا من قتل جبل صاد وقد أطلق عليه اسم أول قرية يمر بمحاذاتها، الرابع: بايزرود^(١) أو بايزن ويتكون هو الآخر من أربعة أنهار فرعية: غدته ده، گراب، ده در، خجيرة^(٢). وينبع من منابع چم كور وگرنيل وأنكران ووركش من الشعب المختلفة لجبال عسلک وصاد وكاهار. الخامس: والسادس: نوز وكهركيود (كركيود) وينبعان من منابع جبل صاد وعقيق، السابع: مامشكه در الذي ينبع من جبل كارها. الثامن: البرز رود وينبع من گدوك مالخاني في الناحية الغربية لجبل صاد الذي يسمى البرز الموت.

وتتقسم الطالقان في وقتنا الحاضر إلى ثلاثة أقسام: بالا طالقان أو الطالقان العليا (وهي عبارة عن بايزرود^(٣) والقرى المجاورة)، ميان طالقان أو الطالقان الوسطى (شهرک وحول وحوش)، پايين طالقان أو الطالقان السفلى (مير وتوابعا) وقد سبق أن ذكرنا أن بالطالقان مائة وثلاثين قرية معمورة ولكن بها الآن ما يقرب من تسعين قرية وسبع عشرة أو ثمانين عشرة مزرعة [٣٩٦] عامرة تموج بالحركة والحياة. وتقع جميع هذه القرى والمزارع -كما سبق أن ذكرنا- على ضفتي شاهرود وفروعه^(٤).

(١) بضبط القلم بكسر الزاي المعجمة.

(٢) بضبط القلم بحاء معجمة مضمومة وجيم فارسية وباء مثناة تحتانية وراء مهملة وهاء.

(٣) بضبط القلم بكسر الزاي المعجمة.

(٤) يورد الأستاذ القزويني هنا قائمة بأسماء قرى الطالقان وقصباتها ومزارعها لم أر ما يدعو لإثباتها هنا، ويمكن الرجوع إليها في ص ٣٩٦-٣٩٨ من الأصل.

طرز، قلنا في حواشي ذيل الصفحات إننا لم نعثر في أي كتاب من كتب المسالك والممالك على موضع بهذا الاسم والرسم يتناسب مع المقام الذي نحن بصددده اللهم إلا في تاريخ ابن الأثير في حوادث سنة ٥٢٠، فيذكر اسم قرية من قرى الإسماعيلية من أعمال بيهق (سبزوار) بالإملاء المذكور نفسه، إذ إنه لما كانت القرية المذكورة بتصريح المؤلف نفسه من القرى الخاصة [٣٩٩] بالإسماعيلية والكلام هنا أيضًا عن أسفار الحسن بن الصباح وتقلاته، فيحتمل إذن أن يكون المراد بذكرهما «طرز» واحدة، وهذا نص عبارة المؤرخ المذكور:

«وفي هذه السنة (٥٢٠) أمر الوزير المختص أبو نصر أحمد بن الفضل وزير السلطان سنجر بغزو الباطنية، وقتلهم أين كانوا وحيثما ظفر بهم ونهب أموالهم وسبي حريمهم وجهاز جيشًا إلى بيهق من أعمال نيسابور وكان في هذه الأعمال قرية مخصوصة بهم اسمها طرز، فقصدوها العسكر، فقتلوا كل من بها وهرب مقدمهم وصعد منارة المسجد وألقى نفسه منها فهلك» انتهى باختصار.

غير أنه من ناحية أخرى إذا نظرنا إلى سياق عبارة الحسن بن الصباح: «وأقيمت ثلاث سنوات في الدامغان، ثم توجهت إلى جرجان وطرز وسرحد وچناشك» لبدا لنا أن المواضع المذكورة وهي طرز وسرحد وچناشك كانت جميعها من حدود جرجان (چناشك الحالية قطعًا، انظر الحاشية التالية).

ولما كانت المسافة بين بيهق وجرجان تزيد عن أن نستطيع أن نعد قرى إحداها وتوابعها جزءًا من قرى الأخرى وتوابعها (ما بين المدينتين، سبزوار وإستراباد، ما يقرب من خمسين فرسخًا) فإنه لا يمكننا في الواقع أن نطمئن إلى أن المراد بطرز التي نحن بصدددها هي طرز ذاتها التي ذكرها ابن الأثير.

جناشك، جناشك التي ما زالت باقية حتى الآن بالاسم نفسه عبارة عن ناحية صغيرة من النواحي^(١) الأربعة لمنطقة كوهسار من توابع إستراباد وهي تقع تقريباً في نهاية شرقي ولاية إستراباد على قرابة عشرين فرسخاً شرقي مدينة إستراباد، وعشرة فراسخ غربي جاجرم في موضع تقاطع طريقين يسير أحدهما من إستراباد إلى بجنورد، ويتبع ناحية جناشك حوالي اثنتي عشرة قرية على التفصيل [٤٠٠] التالي: ايترجلو، چلين، قرية جناشك، دره قدمگاه، دوروك، غرفتك، حسين آباد، كاشي دار، نراب، قشلاق، رودبار، سيب جال، وأمان^(٢) وقلعة جناشك التي كانت من قبل من القلاع المحكمة بهذه الناحية معروفة، ويأتي ذكرها كثيراً في كتب التواريخ وعلى الأخص تاريخ اليميني حيث ورد ذكرها بمناسبة حروب قابوس بن وشمگیر حوالي تلك القلعة من أجل استرداد سلطنته المغتصبة في حدود ٣٨٨، وأيضاً بمناسبة حبس السلطان المذكور فيها وقتله^(٣).

أبو مسلم الرازي، أبو مسلم الرازي هذا هو الذي أمره نظام الملك بالقبض على الحسن بن الصباح، بتصريح ابن الأثير في حوادث سنة ٤٩٤ (ج ١٠ ص ١٣١) وقد

(١) أو من «محلات» باصطلاح الأهالي أنفسهم.

(٢) انظر كتاب السواحل الجنوبية لبحر الخزر لملكونوف الروسي ص ١٠٢، ١١٤، وكتاب «مازندران وإستراباد» لرابينو (طبع أوقاب جب ص ٧٩، ٨٣-٨٤، ١٢٩) وخرائط إيران المفصلة.

(٣) انظر شرح تاريخ اليميني ج ٢ ص ٦، ١٧٤-١٧٧، ومعجم الأدياء لياقوت ج ٦ ص ١٥١، ومعجم البلدان له أيضاً في باب الجيم في عنوان «جناشك» وأيضاً استطراداً في عنوان «سميران»، وقابوس نامة في الباب العشرين طبع طهران ص ٨٧ [ص ٧٠ طبع سعيد نفيسي]، وتاريخ ابن اسفنديار (ترجمة برون) ص ٢٣٢-٢٣٣، وابن الأثير ج ٩ ص ٩٩ في حوادث سنة ٤٠٣، وتاريخ مازندران لسيد ظهير الدين (انظر فهرست الكتاب المذكور)، وتذكرة دولتشاه السمرقندي ص ٥٢٨-٥٢٩.

كان صيّرًا للوزير المذكور وواليًا على الري وورد اسمه أيضًا في راحة الصدور للراوندي ص ١٤٠-١٤١ [تقابل ص ٢١٧ من الترجمة العربية] في أثناء شرح وقائع سلطنة بركيارق (سنة ٤٨٦-٤٩٨)، وفي تاريخ السلجوقية للعماد الكاتب ص ٩٣ [ص ٨٦ طبع مصر] ضمن حوادث سلطنة محمد بن ملكشاه (سنة ٤٩٨-٥١١)، ومن هذا يتضح، بقدر من اليقين، أنه كان يعيش حتى أوائل عهد السلطان الأخير، أي في حدود ٥٠٠ هجرية^(١).

ص ١٨٠ س ٥:

«حتى ليلة الأربعاء... إلخ»، هناك -كما أشرنا في حواشي ذيل الصفحات^(٢)- عدة فقرات من مشتملات هذا الفصل المتعلق بالحسن بن الصباح. وهي تختلف من حيث الإيجاز والإطناب (ومن بينها الموضوع [٤٠٥] الذي نحن بصدده وإلى صفحة أخرى بعده) مدونة تقريبًا بعبارة النسخ المتداولة نفسها من تاريخ ابن اسفنديار، ولما كان زمن تأليف تاريخ ابن اسفنديار سابقًا على تأليف جهانگشاى الجويني (ألف تاريخ ابن اسفنديار في حدود ٦١٣ وجهانگشا في حدود ٦٥٨)، فإنه

(١) نقل الأستاذ القزويني بعد ذلك مباشرة قصيدة مؤلفة من ٣٩ بيتًا في مدح أبي مسلم الرازي للشاعر الفارسي مَعزَى النيسابوري، وذلك عن النسخة الموجودة بالمكتب الهندي بلندن رقم ١٣٢، لم نر داعيًا لترجمتها هنا، وتستغرق هذه القصيدة الصفحات من ٤٠١ إلى ٤٠٤ من الأصل الفارسي. (المترجم)

(٢) للمزيد من التوضيح نكرر أن مجموع الفقرات المشتركة بين جهانگشا وتاريخ ابن اسفنديار هي: جهانگشا ج ٣ ص ١٩٤ س ٤ - ص ١٩٥ س ١٠، وص ١٩٨ س ١٠ - ص ١٩٩ س ٧، وص ٢٠٣ س ٩-١١، وص ٢٠٣ س ٧ - ص ٢٠٤ س ١٢، مطابق لتاريخ ابن اسفنديار نسخة المكتبة الأهلية ببائيس (ضمن مجموعة فارسية ١٤٣٢) ورقة 154b - 155b في الفصل المتعلق بسلطنة حسام الدولة شهريار بن قازن سرخاب مؤسس السلسلة الثانية من آل باوند.

يتبادر إلى الذهن بالطبع أنه لا بد أن يكون الجويني قد نقل هذه الفقرات من ابن اسفنديار أو أن يكون كلاهما قد اعتمد على مصدر مشترك، غير أنه من المحتمل أيضًا أن يكون أحد القراء المتأخرين قد نقل هذه الفقرات من تاريخ جهانگشاي وألحقها بتاريخ ابن اسفنديار لمناسبة المقام، ولو قام أحد بقليل من التتبع في تاريخ ابن اسفنديار وكان عارفاً بوضعه وترتيبه لعلم أن هذه الفقرة ليست جديدة بالنسبة إلى الكتاب المذكور، وأن إلحاقات المتأخرين في ذلك الكتاب كثيرة، وأنها امتدت في بعض المواضع فكوّنت ذيلًا للوقائع حتى سنة ٧٥٠، أي إلى ما يقرب من ١٤٠ سنة بعد عصر المؤلف.

ص ١٨٨ س ٤ :

سحنه، يلاحظ أن سحنه تكتب أيضًا في كتب المسالك والممالك وغيرها على سحنه وصينه، وهو اسم قرية ما زالت باقية بالاسم نفسه حتى الآن، من توابع مدينة كرمانشاه، وهي تقع على بُعد عشرة فراسخ منها في منتصف الطريق تقريبًا بين بيستون من الناحية الغربية وكنكور من الناحية الشرقية، وتقع ناحية دینور في شمال سحنه مباشرة، ويطلق الاسم نفسه أيضًا على الناحية التي تعد قرية سحنه قصبته، ویناحیه سحنه ٢٨ قرية معظم سكانها من طوائف «أهل الحق» أو العلى إلهية، واسم سحنه قديم جدًا وقد ذكر الإصطخري اسم هذه القرية بالرسم نفسه منذ أكثر من ألف عام (٣٤٠) وحدد موضعها^(١).

(١) انظر الإصطخري ص ١٩٦، وابن حوقل ص ٢٥٦، ومعجم البلدان في ذيل «مانران» ج ٤ ص ٢٨١ (وقد خصص ياقوت عنوانًا مستقلًا أيضًا لـ «سحنه» غير أنه لم يعين الموضع الحقيقي لها ولم تكن لديه معلومات عنها)، ونزهة القلوب ص ١٦٥، وستان السباحة ص ٣٢٩، و«بلدان الخلافة الشرقية» للوسترنج ص ١٨٨-١٨٩، ونائرة المعارف الإسلامية، بقلم السيد=

[٤٠٦] ولا يغيب عن البال أن هناك اختلافاً كثيراً بين المؤرخين في موضع قتل نظام الملك، فبعضهم مثل صاحب راحة الصدور ١٣٥، وابن الأثير ١٠: ٨٤ يذكر أن قتله في نهاوند أو في «حدود نهاوند» دون تحديد الموضع الحقيقي. ويذكر البعض الآخر مثل ابن اسفنديار 155a، والجويني في الموضع الحالي، وجامع التواريخ 73a [ص ١١٠ طبع طهران]، وابن خلّكان ١٥٧/١، وتاريخ كزنده ٤٤٨؛ أنه قتل في سحنه، مع قيد آخر ذكره هو أن هذه النقطة تقع بالقرب من نهاوند. ويغلب على الظن، بل نكاد نقطع عن يقين، أنهم يقصدون بسحنه قرية كانت واقعة على بعد عشرة فراسخ شرقي كرمانشاه، إذ لا يذكر في أي كتاب من كتب المسالك والممالك موضع آخر بهذا الاسم والرسم يقع بالقرب من نهاوند.

وعلى الرغم من أن هذه القرية تبعد عن نهاوند التي تقع في جنوبها الشرقي بحوالي خمسة عشر فرسخاً، فإنه يمكن أن يقال على نحو من المسامحة والإجمال إنها «قرب نهاوند»؛ لأن القرب والبعد من الأمور الإضافية، ويحدد ياقوت في معجم البلدان ٣: ٩١٩ مقتل نظام الملك في موضع يقال له فنديسجان من قرى نهاوند وكذلك القزويني في آثار البلاد في ذيل «طوس» ص ٢٧٦، إلا أن فنديسجان «قيد سجان» طبعت بالقاف والياء (بدلاً من الفاء والنون)، وأعجب من ذلك كله قول صاحب تجارب السلف الذي حدد مقتلته في بروجرد التي تبعد عن سحنه التي أجمع

=مينورسكي ج ٤؛ ص ٦٦، والخرائط والكتب الجغرافية الحديثة كافة، ولا يغيب عن البال أن سحنه التي نحن بصدددها ينبغي ألا يحدث بينها وبين (سنه، سنندج) عاصمة كردستان بإيران أي التباس، إذ ليست هناك صلة على الإطلاق بين هاتين النقطتين. انظر أيضاً في سنه التي ذكرناها مؤخراً «بلدان الخلافة الإسلامية» للوسترنج ص ١٨٨، ١٩٠، دائرة المعارف الإسلامية ج ٤ ص ٢٣٢-٢٣٧ في عنوان سنه (Senna) وسائر الكتب الجغرافية الحديثة، ولا يرد أي ذكر لسحنه هذه في مؤلفات القدماء.

عليها جميع المؤرخين بحوالي خمسة وعشرين [٤٠٧] فرسخاً^(١). هذا على الرغم من أن المؤلف المذكور كتب ترجمة أحوال نظام الملك بشكل أكثر تفصيلاً وجمعاً من سائر المصادر الأخرى التي اطلع عليها راقم السطور حتى الآن.

ص ٢١٢ س ٧:

على ذكره السلام، جملة دعائية مثل «عليه السلام» و«عليه الصلاة والسلام» ونحو ذلك، ولا شك في أنهم كانوا يقولون في البداية «حسن على ذكره السلام» أو «مولانا»^(٢) على ذكره السلام» أو نحو ذلك، بمعنى أنهم كانوا يذكرون اسم المدعو له ولقبه قبل الجملة الدعائية^(٣)، ثم حذفوا اسم المدعو له بكثرة الاستعمال واكتفوا بالجملة الدعائية وحدها، وهو ما يشبه تماماً استعمالات صاحب صفوة الصفا الذي يعبر فيه في الغالب عن الشيخ صدر الدين بن الشيخ صفي الدين الأردبيلي وهو شيخ المؤلف ومصدر أغلب رواياته بقوله في كتابه: «أدام الله بركته قال كذا»، أو «أدام الله بركته فعل كذا»، أو «قال فلان كذا أدام الله بركته»، أو «ذهبنا مع أدام الله بركته إلى الموضع الفلاني» دون أن يأتي قبلها بذكر الشيخ صدر الدين، بل يذكر في بداية الكلام في أول كلمة للحكايات الجملة على هذا النحو: «أدام الله بركته» فصار في اصطلاح المؤلف المذكور علماً ينصرف إلى الشيخ صدر الدين. ومن ثم صار معلوماً أن هذا الاصطلاح يطلق في عرف المؤلف المذكور على الشيخ صدر الدين الأردبيلي وحده دون غيره إلا ما شذَّ ونذر.

(١) تجارب السلف، الطبعة الحديثة للسيد إقبال ص ٢٨٠.

(٢) «مولانا» كانت من الألقاب الخاصة بملوك [الإسماعيلية في إيران]. انظر ج ١٠ ص ١٤٠.

(٣) إذا لم يكونوا يذكرون اسم المدعو له فلا بد أنهم كانوا يحفظونه في نيتهم.

ناصر الدين منكلي، كان ناصر الدين منكلي^(١) من [٤٠٨] ممالك الأتابك مظفر الدين أزيك بن محمد بن إيلدكز من أتابكة آذربيجان، وقد خرج منكلي في سنة ٦٠٨ على شمس الدين آيتغمش صاحب بلاد الجبل، وهي الري وإصفهان وهمدان وتوابعا، فانتصر عليه وقتله وصار بدلاً منه حاكماً مطلقاً على العراق العجمي. غير أنه نظرًا لما كان يبيده من خلاف مع ملوك الأطراف، ومنهم مخدومه الأتابك أزيك المذكور وخليفة الوقت الناصر العباسي وجلال الدين حسن نومسلان من ملوك إسماعيلية الموت، فقد اتفقوا جميعًا في النهاية على الوقوف ضده، على التفصيل الوارد في كتب التواريخ، وتوجهوا في شهور سنة ٦١١ (برواية الجويني) أو ٦١٢ (برواية ابن الأثير) بجيش عظيم لقتاله، فاشتبك الفريقان بالقرب من همدان، وهزم منكلي، ثم ما لبث أن وقع في قبضتهم بعد مدة يسيرة وقتل فعُهد بحكومتها إلى سيف الدين إغلمش -الذي سيأتي ذكره- مملوك أخيه الأتابك أبو بكر محمد بن إيلدكز^(٢).

أما شمس الدين آيتغمش المذكور الذي انتصر عليه صاحب الترجمة، فقد كان هو الآخر من ممالك جهان بيلوان^(٣) محمد بن إيلدكز من أتابكة آذربيجان^(٤)، الذي تمرد بدوره في سنة ٦٠٠ على مخدومه كوكجه والي بلاد الجبل، ثم هُزم كوكجه لما اشتبك الفريقان وقُتل، واستولى آيتغمش على الممالك التي تقع تحت تصرفه وهي همدان والري وسائر بلاد الجبل، وحكم تلك البلاد حكمًا مستقلًا طيلة ثماني سنوات

(١) منكلي من الأعلام التركية ويبدو أنها نقلت من الصفة مينكلي، بمعنى صاحب الخال («مينكر» بمعنى خال و«لي» أداة نسبة) مثلًا منكلي بُغا يعني الثور ذو الخال (ترجمان تركي وعربي طبع هوتما ص ٣٢ من الترجمة، وقاموس پاوه دو كورتي ص ٥٠٧).

(٢) انظر ابن الأثير في حوادث سنوات ٦٠٨-٦١٠، ٦١٢ (ج ١٢ ص ١٣٧-١٣٩، ١٤١-١٤٢)، وراحة الصدور ٤٠٢، وتاريخ أبي الفدا في حوادث سنة ٦١٠، ٦١٢.

(٣) ابن الأثير ٩١/١٢ في حوادث سنة ٦٠٠.

(٤) جهان بيلوان فارسية معناها بطل العالم (جهان: عالم، بيلوان: بطل). (المترجم)

إلى أن قتل بيد ناصر الدين منكلي في سنة ٦٠٨ كما ذكرنا، ويكتب اسم آيتغمش هذا في بعض كتب التواريخ أيْدغمش [٤٠٩] بدال بدلًا من التاء^(١)، ومآلهما واحد، ولقد كان أبو الشرف ناصح بن ظفر بن سعد المنشي الجرفادقاني المترجم المعروف لتاريخ اليميني معاصرًا لشمس الدين آيتغمش هذا وذكر اسمه في مقدمة كتابه بين العبارات التالية: «الخان الأعظم السلطان المعظم شمس الدولة والدين نصرة الإسلام والمسلمين ملك ملوك الشرق والغرب غازي بيك أيْدغمش حرس الله جلّاله وضاعف إقباله، هو ناب الدولة الأحَدَ وركنها الأشَدَّ وعماد الملك وعمدته إلخ»^(٢)، وكما هو معروف تمت الترجمة المذكورة بتصريح المترجم نفسه، في سنة ٦٠٣، أي في أواسط عهد آيتغمش (٦٠٠-٦٠٨)^(٣).

وأما نور الدين كوكجه^(٤) سلف آيتغمش فقد كان مثله أيضًا من المماليك الترك للأتابك بهلوان محمد بن إيلدكز، وبعد انقراض سلاجقة العراق في سنة ٥٩١ على يد تكش خوارزمشاه، استولى على الجزء الرئيسي من العراق العجمي (وكان الجزء الآخر يقع تحت يد رجل من ممالك تكش يقال له مياحق) وقد استقل بحكم تلك الولايات

(١) من بينها تاريخ أبي الفدا في حوادث سنة ٦١٠، ومقدمة ترجمة تاريخ اليميني، وآيتغمش أو أيْدغمش من الأعلام التركية بمعنى «بزغ القمر» مركب من أي بمعنى قمر وتغمش أو دغمش بمعنى بزغ (ترجمان تركي وعربي طبع هوتسما ص ٢٩ من المتن و ٥٧ من الترجمة).

(٢) ترجمة تاريخ اليميني طبع طهران ص ١١.

(٣) للمزيد من المعلومات عن أحوال آيتغمش انظر ابن الأثير في حوادث سنوات ٦٠٠، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٨-٣١٠ (ج ١٢ ص ٩١، ١١٠-١١١، ١٢٠، ١٣٧، ١٣٩)، وراحة الصدور ص ٣٩٥ [ص ٥٤٨ من الترجمة العربية] وتاريخ أبي الفدا في حوادث سنة ٦٠٠، ٦١٠ (ج ٢ ص ١٠٥، ١١٥).

(٤) من الأعلام التركية وهو منقول من الألوان بمعنى «أزرق اللون» مصغر كوك بمعنى أزرق، من جنس أفجه = أبيض اللون، وتراجحه = أسود اللون (ترجمان تركي عربي ص ٣١ من الترجمة).

استقلالاً كاملاً طيلة تسع سنوات [٤١٠] حتى قُتل -كما ذكرنا- في سنة ٦٠٠ بيد آيتغمش، ودخلته ممالكه تحت تصرفه^(١).

ونلاحظ -بوجه عام- أنه منذ حوالي سنة ٥٩٠ وما بعدها ولمدة تستغرق نحو خمس وعشرين سنة، أي في الفترة التي تقع بين انقراض سلاجقة العراق وخروج المغول أن هناك سلسلة صغيرة من ممالك الترك -وكان أغلبهم من ممالك أتابكة آذربايجان- استقلت بحكم بلاد الجبل، وهي عبارة عن الري وهمدان وإصفهان ومضافاتها، كما كان من بينهم واحد أو اثنان من غلمان الخوارزمشاهيين، استقلالاً -على تفاوت في درجة الاستقلال- بحكم هذه البلاد، ولكن لما كانت أحوالهم غير مذكورة في أي كتاب من كتب التواريخ على نحو مجمع وفي فصل مخصوص، فإن المرء لا يحصل على معلومات كاملة عن مجريات أمورهم وحتى عن وجود هذه السلسلة وأسامي أفرادها، وليس المراد بـ «السلسلة» هنا أعضاء أسرة واحدة يتوارثون الحكم، مثل السلجوقية والخوارزمية وغيرهم، بل المقصود نظير ما حدث في مصر في عهد المماليك، إذ كان كل غلام تركي يأنس في نفسه القدرة على الخروج على مخدمه ومالك رقبته يبادر بالتمرد على سلطان الوقت، ويستولى بالقوة والغلبة على مملكته ويُسعد قلبه لعدة أيام بالأمر والنهي في البلاد والتحكم في رقاب العباد إلى أن تصل النوبة إلى غلام تركي آخر مغامر فيشرع من جهته باتباع النهج نفسه، والعجيب أن هذه الدول كلها عاجلة، مثلها مثل ظل زائل، وأحلام النائم، قليلة الدوام، سريعة الزوال، وهكذا تولى السلطنة في مدة تبلغ خمسين سنة خمسة أفراد من

(١) للمزيد من المعلومات عن أحوال كوكجه انظر ابن الأثير في حوادث سنتي ٥٩١، ٦٠٠ (ج ١٢ ص ٥٥، ١٩١)، وأبي الفدا أيضاً في حوادث السنتين المذكورتين (ج ٣ ص ٩١، ١٠٥ حيث طبع اسمه خطأ في هذين الموضعين فكتب كلجا بدلاً من ككجا)، ويكتبها راحة الصدور ككجه ص ٣٨٨، ٣٩١-٤٠٢ [ص ٥٣٨، ٥٤٢-٥٥٧ من الترجمة العربية] (وهو أكثر تفصيلاً وبسطاً).

المماليك الأتراك في العراق العجمي، كما قلنا، على قدر من التفاوت في درجة الاستقلال بين كل منهم، وهم على الترتيب التالي:

[٤١١] كوكجه مملوك الأتابك بهلوان محمد بن إيلدكز (سنة ٥٩١-٦٠٠).

مياجق: مملوك تكش خوارزمشاه (سنة ٥٩١-٥٩٥).

آيتغمش: مملوك الأتابك جهان بهلوان المذكور (سنة ٦٠٠-٦٠٨).

منكلي: مملوك الأتابك أزيك بن محمد بن إيلدكز (سنة ٦٠٨-٦١١ أو ٦١٢).

إغلمش^(١) مملوك الأتابك أبي بكر بن محمد بن إيلدكز. ولكنه من خواص السلطان محمد خوارزمشاه المقربين (سنة ٦١١ أو ٦١٢-٦١٤).

ص ٢٢٠ س ٣:

مظفر الدين وجه السبع، كان مظفر الدين سُنقر المعروف بوجه السبع من أكابر ممالك الخليفة الناصر لدين الله العباسي، كما كان أمير الحاج من قبل الخليفة المذكور، ولما كان وزير الخليفة نصير الدين بن مهدي العلوي يناصبه العداء بصفة دائمة فقد فارق مظفر الدين المذكور في سنة ٦٠٣ الحجاج في عرض الطريق في موضع يقال له: مرخوم. وفرّ إلى الشام خوفاً من الوزير، وأقام به إلى أن عاد إلى بغداد سنة ٦٠٨ بعد عزل الوزير، فأكرمه الخليفة وأقطعته الكوفة^(٢)، وفي سنة ٦١٢ (أي في موضوعنا الذي نعرض له الآن) لما تحالف ملوك الأطراف ضد ناصر الدين منكلي صاحب العراق العجمي - كما مرّ - كان [مظفر الدين المذكور] قائد جيوش الخليفة، وفي سنتي ٦١٩ و ٦٢٢ كان حاكماً على خوزستان، بتصريح ابن الأثير

(١) انظر ص ٣٦١ فيما يلي.

(٢) ابن الأثير في حوادث سنة ٦٠٣ (١٢٠/١٢).

والجويني^(١)، ولا نعلم متى تقلد هذا المنصب. وفي السنة الأخيرة عندما قام جلال الدين المنكيرني بمحاصرة شوشتر بعد رجوعه من بلاد الهند، قام مظفر الدين صاحب الترجمة باتخاذ الإجراءات اللازمة لحفظها وبالغ في الحفظ والحيلة والمقاومة دفاعاً عن تلك المدينة، وأظهر الثبات بكل رجولة وشجاعة [٤١٢] ولم يترك المدينة تقع في أيدي الخوارزميين إلى أن رفع السلطان جلال الدين في النهاية الحصار مُرغماً واستأنف سيره^(٢).

ص ٢٢٠ س ٤ :

مظفر الدين كوكبوري، هو الملك المعظم أبو سعيد مظفر الدين كوكبوري^(٣) ابن زين الدين علي كوكج بن بكتكين بن محمد، أصله من التركمان، ملك إربل وشهرزور، وهو من القادة المشهورين لصلاح الدين الأيوبي. كان في أوائل شبابه حاكماً على حرّان من بلاد الجزيرة من قبل أتابكة الموصل من السلسلة الأقسنقرية، ثم التحق في سنة ٥٧٨ بخدمة السلطان صلاح الدين الأيوبي فصار من أخص المقربين إليه. ومنذ هذا التاريخ حتى سنة ٥٨٦ حضر صاحب الترجمة أغلب غزوات صلاح الدين ومعاركه مع الصليبيين من الفرنج، وكان ملازماً لركابه، وأظهر شجاعة فائقة في تلك الحروب وعلى الأخص في موقعة حطين الشهيرة^(٤) في سنة

(١) ابن الأثير في حوادث سنة ٦٢٢ (١٢/١٩٥)، وجهانگشا ٢/٢٠٢.

(٢) للمزيد من المعلومات عن أحوال مظفر الدين وجه السبع انظر ابن الأثير في حوادث سنوات ٦٠٣، ٦٠٤، ٦١٢، ٦٢٢ (ج ١٢ ص ١٢٠، ١٢٨، ١٤١، ١٩٥).

(٣) كوكبوري (وهذا اسم تركي معناه بالعربية نذب أزرق - ابن خلّكان ٢: ٩)، من «كوك» بمعنى أزرق و«بوري» أو «برو» بمعنى نذب. (ترجمان عربي وتركي طبع هوتسما ص ١١ و ٣١ من المتن ٣٣ و ٦١ من الترجمة).

(٤) ابن خلّكان ٢: ٦.

٥٨٣ التي قتل فيها أكثر من ثلاثين ألف جندي من عساكر الفرنج وأسر ثلاثون ألفاً آخرين^(١).

وفي سنة ٥٨١ تزوج السلطان صلاح الدين شقيقته ربيعة خاتون، وفي سنة ٥٨٦ بعد وفاة أخي صاحب الترجمة زين الدين يوسف بن علي كوجك حاكم إربل منحه السلطان صلاح الدين حكومة بلاد إربل وأضاف عليها أيضاً شهرزور، فانفصل عن خدمة صلاح الدين في السنة المذكورة وسار إلى مقر حكومته وبقي في منصبه حتى نهاية عمره، أي لمدة أربع وأربعين سنة، في سنة ٦١٢ لما نهض ملوك [٤١٣] الأطراف مع الخليفة الناصر لدين الله العباسي لمحاربة ناصر الدين منكلي والي بلاد الجبل، على التفصيل المذكور في المتن، كان هو الآخر من بين الحلفاء موجوداً مع جيش إربل في الموقعة كما كان القائد العام لجيوش الحلفاء، ومنذ سنة ٦١٧ وفي الفترة اللاحقة مباشرة بعد خروج المغول وحملاتهم المتكررة على بلاده نهض مرات عديدة مع جيوشه بالاتفاق مع جيوش الموصل وبغداد للدفاع والمقاومة، لكن ذلك لم يُجد شيئاً^(٢)، وفي سنة ٦٢٢ بعد عودة السلطان جلال الدين المنكبني من بلاد الهند وعبره حدود بلاده، قام صاحب الترجمة بعقد صلح مع السلطان المذكور^(٣)، وفي النهاية توفي بإربل في ٢٨ من رمضان سنة ٦٣٠ وهو في الحادية والثمانين من عمره (ولد في ٢٧ من محرم سنة ٥٤٩ بقلعة الموصل). ولما لم يكن قد أعقب ولداً يخلفه فقد سُلِّمَتْ إربل ومضافاتها رفقاً لما أوصى به - إلى الخليفة المستنصر العباسي^(٤).

(١) كتاب الروضتين لأبي شامة المقدسي ٢: ٨٢.

(٢) ابن الأثير ١٢/١٧٤-١٧٥، ٢٣٣، والحوادث الجامعة ص ٢٧-٣٠.

(٣) ابن الأثير ١٢: ١٩٦.

(٤) أبو الفدا ٣: ١٥٣.

كان مظفر الدين كوكبوري من أخيار ملوك العالم، فقد كان معروفاً في الآفاق بأعمال البرّ والإحسان لعباد الله وإشاعة الخيرات وإعطاء الصلوات والصدقات، وقد صرف كل همّه في تحقيق الرفاهية للرعايا، والأخذ بأيدي الفقراء والمستضعفين والعجزة والمرضى وذوي العاهات والأطفال والأرامل وأمثال هؤلاء من الناس، فأسس في البلاد التابعة له مختلف الأنواع من المستشفيات ودور الأيتام ودور العميان ودور العجزة ودور الرضاعة للقطاء، ودور الضيافة وسائر بقاع الخير والبر من المدارس والخانقاهات^(١) والزبائط وغيرها وأوقف على كل مبنى من هذه الأبنية الرفيعة أوقافاً جليلة وأملاكاً صالحة، وكان يتوجه بنفسه يومين كل أسبوع إلى المستشفيات ويدخل غرف المرضى الواحدة تلو الأخرى، ويتفقد كل واحد منهم ويلطفه ويسأله كيف يقضي الليل، وماذا يأكل، وفيم يرغب، وكيف [٤١٤] حاله، ويعطيه قدرًا من الذهب، ثم ينتقل إلى غرفة أخرى، وهكذا حتى يزور سائر الغرف ويحدث الجميع ويضاحكهم ويستأثر بحبهم، وكان يرسل في كل عام مبلغًا عظيمًا من المال بصحبة جماعة من أمنائه إلى البلاد الساحلية وبلاد الشام من أجل استرداد أسرى المسلمين من قيد الفرنج. كما كان يخصص مبلغًا آخر كبيرًا لتوزيعه على فقراء الحرمين الشريفين بمكة والمدينة، وكان يرسل إلى مكة سبيلًا لحجاج بيت الله الحرام ثم تزويده بكل ما يحتاجون إليه، إلى غير ذلك من أعمال البر والخير والصدقات الجارية والزبائط الدارة، التي لا مجال لتفصيلها هنا، وهي مفصلة ومشروحة شرحًا وإفيًا في تاريخ ابن خلّكان في ترجمة أحواله^(٢).

(١) خانقاهات: جمع خانقاه، وهو لفظ فارسي معناه البيت. ثم خصص اللفظ للمكان الذي يقيم فيه الصوفية للعبادة. (السلوك للمقريزي ج ١ ص ١٨٢ حاشية ٤ تحقيق الدكتور مصطفى زيادة) (المترجم).

(٢) للمزيد من المعلومات عن أحوال مظفر الدين كوكبوري - انظر: أولاً ابن خلّكان في باب الكاف ج ٢ ص ٩-٢ وهو يقدم شرحاً وإفيًا جامعاً ومفيداً عن حاله. ثانياً المصادر التالية: ابن الأثير في حوادث سنوات ٥٨٣-٥٨٩، ٦٠٢، ٦٠٦، ٦١٢، ٦١٥-٦١٧، ٦٢١، ٦٢٣، ٦٢٨، وكتاب الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ١٥٢-١٥٣، ج ٢ ص ٣٠، ٣٤، ٦٢، ٦٧، ٦٩، ٧٥، ٨٠، ١٦٤-١٦٥، ومختصر الدول (٣٨٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٣٥)،

سيف الدين إيغلمش، كان إيغلمش^(١) (أو بالإملاء [٤١٥] الأكثر شيوعاً: إيغلمش) من المماليك الأتراك لأتابكة أذربايجان^(٢)، وبعد هزيمة ناصر الدين منكلي من جيوش الحلفاء بالقرب من همدان، على التفصيل المذكور فيما سبق، في سنة ٦١١ أو ٦١٢، وتقسيم ممالكه فيما بينهم، منح الأتابك أزيك حكومة بلاد العراق العجمي، التي وقعت من نصيبه، لإيغلمش صاحب الترجمة، ولما كان إيغلمش، كما قلنا، من ممالك أتابكة أذربايجان فقد عرف من أجل هذا فيما يبدو بـ «إيغلمش الأتابكي»^(٣)، ولكنه لما كان قد قضى شطراً من حياته في ملازمة السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه فقد عدّ نفسه من المقربين والمنسبيين إليه، وكان يقرأ الخطبة في البلاد التي كانت تقع تحت تصرفه باسم السلطان المذكور^(٤)، ثم استقل إيغلمش

والحوادث الجامعة لابن الفوطي ١٩-٢٣، ٢٧، ٢٩، ٤٤-٤٥، ٦٢، ١٠٥، وتاريخ أبي الفدا حوادث سنوات ابن الأثير نفسها تقريباً. [وانظر أيضاً «مظفر الدين كوكبوري أمير إربل» لعبد القادر طليعات، العدد ٣٢ من سلسلة أعلام العرب، التي كانت تصدرها شهرياً وزارة الثقافة بمصر].

(١) لا يعرف راقم السطور ضبط حركات هذا العلم التركي وتفسيره واشتقاقه لكننا نستطيع أن نتيقن تقريباً، استناداً على إملاء «إيغلمش» جامع التواريخ و«ايقلش» آثار البلاد أن حرفها الأول مكسور وليس مضمومًا كما ظنه البعض مثل صاحب حبيب السير المجلد ٢ الجزء ٤ ص ١٧٩: أوغلمش، وهو تسماً في ص ٣٠ من ترجمة ترجمان تركي وعربي: أغلمش (OGLAMIS) ودفمرري في حواشي روضة الصفا الجزء الخاص بالخوارزميين ص ١٢٤ وما بعدها في سائر المواضع (Ougloulmich).

(٢) ابن الأثير ١٢: ١٤١ في حوادث سنة ٦١٢.

(٣) «واتفق عقيب ذلك قتل الإسماعيلية إيغلمش الأتابكي» (سيرة جلال الدين المنكيرني ص ١٣).

(٤) وكان إيغلمش يعد نفسه عبد السلطان [محمد خوارزمشاه] ومن المقربين إليه (جهانگشا ج ٢ ص ١٢)، ومنها أن إيغلمش لما ملك بلاد الجبل خطب له [أي لمحمد خوارزمشاه] فيها = جميعاً. (ابن الأثير ١٢/١٤٥)، وكان [إيغلمش] مقيماً رسمي الخطبة والطاعة للسلطان بالعراق (النسوي ص ١٣).

بعد ثلاث سنوات أو أربع بالعراق العجمي استقلالاً كاملاً. وفي أثناء خروجه في أوائل سنة ٦١٤ لاستقبال الحجاج هاجمه بتحريض الخليفة الناصر - جماعة من الباطنية في زِيّ التجار فأردوه قتيلاً^(١).

. أما ما قلناه من أن قتل إغلمش على يد الباطنية قد حدث في سنة ٦١٤، فتحددنا للسنة راجع إلى أن ابن الأثير والنسوي يعتبران أن قتل إغلمش على يد الباطنية بتحريض الخليفة الناصر كان سبباً من الأسباب التي دعت السلطان محمد خوارزمشاه إلى تسيير الجيش نحو العراق وقصد بغداد، ولما كانت حركة خوارزمشاه إلى العراق في سنة ٦١٤^(٢) بتصريح المؤرخين المذكورين [٤١٦] فلا يمكن إذن أن يكون قتل إغلمش متأخراً عن السنة المذكورة، ومن ناحية أخرى يصرح زكريا القزويني في آثار البلاد ص ٢٥١ في عنوان «الري» أن إغلمش كان لا يزال حياً في سنة ٦١٤، فيستحيل إذن أن يكون قتله مقدماً على السنة المذكورة، كذلك إذن لا بد أن يكون في السنة نفسها، ٦١٤، لا قبلها ولا بعدها. وهذا نص عبارة آثار البلاد:

«والناس يحفرون بها [أي بالري] ويجدون جواهر نفيسة وقطاع الذهب وبها كنوز في كل وقت يظهر منها شيء لأنها ما زالت موضع سرير الملك، وفي سنة أربع عشرة وستمئة في زمن إيلقلمش [صح: إيلغلمش] ظهر بها حباب كان فيها أدنانير عجيبة ولم يعرف أنها ضرب أي ملك»^(٣). انتهى

وليس هناك شك على الإطلاق في أن إيلقلمش في العبارة المذكورة تصحيف إيلغلمش [=إيلغلمش] فأضيفت لام قبل القاف سهواً، إذ أننا لا نجد ملكاً من ملوك العصر

(١) جهانگشا ٢: ١٢١، والنسوي ١٣، وروضة الصفا ٤: ١٣٩، وحبيب السير الجزء الثاني من المجلد الثاني ص ١٧٩.

(٢) ابن الأثير في حوادث السنة المذكورة ج ١٢ ص ١٤٥، والنسوي ص ١١.

(٣) آثار البلاد ص ٢٥١.

ملك الري ونواحيها في حدود ٦١٤ يشبه اسمه شباهة كاملة إيقلمش، ولا وجود في التاريخ على الإطلاق إلا لإيقلمش (إيغلمش) الذي نحن بصدد، وقد طبع اسم إيغلمش هذا في ص ٢٠١ من الكتاب نفسه أي آثار البلاد للقزويني في عنوان «ألموت» بصورة غيقلمس [= إيقلمش] وهي في الواقع أقرب من إيقلمش إلا أن نقط الياء والشين ساقطة منها فحسب، ونصه: «فقتلوا [أي قتل أتباع الحسن بن الصباح] جمعًا من العظماء على يد الفدائية منهم الخليفة المسترشد ونظام الملك ويكثر صاحب أرمن وإيقلمس صاحب العراق فخاف منهم جميع ملوك الأطراف»^(١).

وأما ما قلناه من أن قتل إغلمش حدث في «أوائل» ٦١٤، فالسبب فيه هو أن تجريد جيوش خوارزمشاه إلى العراق (وكانت حادثة قتل إغلمش من أسبابه) وسائر الوقائع المترتبة عليه، من استيلاء خوارزمشاه على الري وسأوه وقزوين وزنجان وأبهر وهمدان [٤١٧] وقم وكاشان وإصفهان، ثم تحركه نحو بغداد ورجوعه من كربوه بأسد آباد نظرًا لهجوم البرد والثلج، وتلف عدد كبير من الناس والدواب، ثم عودته إلى خراسان، هذه الوقائع كلها التي استغرقت بالطبع مدة طويلة قد وقعت بتصريح المؤرخين في سنة ٦١٤^(٢)، إذن فلا بد أن يكون قتل إغلمش قد حدث قبل وقوع سائر هذه الوقائع ولكن في السنة نفسها، وسيكون في أوائل السنة وليس في أواسطها، أو أواخرها، هذا بالإضافة إلى أن قتل صاحب الترجمة كان بتصريح النسوي، عندما خرج لاستقبال الحجاج بعد رجوعهم من مكة المكرمة «وركب يلتقي الحجاج منصرفهم من حج بيت الله الحرام فقفزوا عليه في زي الحاج» (النسوي ص ١٣)،

(١) آثار البلاد، أيضًا، ص ٢٠١.

(٢) وحتى بعد هذه الوقائع جميعها كان قد بقي شهر أو شهران من السنة المذكورة عندما عاد خوارزمشاه إلى نيسابور في شهر ذي القعدة سنة ٦١٤ (ابن الأثير في حوادث السنة نفسها ج ١٢ ص ١٤٦).

والمعروف أن عودة حجاج البلاد التي تشبه العراق ونحوه إلى أوطانهم تقع في شهر أوائل السنة على وجه العموم.

ولا يغيب عن البال أن اسم إغلمش صاحب الترجمة هذا قد ورد في إحدى حكايات «گلستان» المعروفة أيضا على سبيل الاستطراد، وهي عبارة عن الحكاية الخامسة من الباب الأول التي تبدأ على هذا النحو: «حكاية: رأيت ابن حارس على باب قصر إغلمش، وكان ذا عقل وكياسة، وفهم وفراصة فائقة. وكانت تبدو على ناصيته منذ الطفولة، آثار العظمة والمجد، وكانت رأسه من الرفعة والكياسة تضيء النجوم في سمانها العالية»^(١)، ومن هذه الحكاية نعرف أن سعدي كان في العراق العجمي في إحدى السنوات التي تقع بين سنتي ٦١١-٦١٤ وهي مدة حكومة إغلمش. ولما كان مركز حكومة هذه السلسلة من ممالك الترك التي بدأت بكونكة وانتهت بإغلمش هذا هي في الغالب همدان، كما يستفاد من كتب التواريخ، فيحتمل إذن أن يكون مراد الشيخ سعدي [٤١٨] من «قصر إغلمش» هو دار حكومة هذا السلطان في المدينة المذكورة بلا شك^(٢).

(١) انظر الترجمة العربية للمقدمات والأبواب الأربعة الأولى من گلستان للدكتور محمد موسى هنداي، وقد نشرت هذه الترجمة بعنوان «الروضة أو گلستان سعدي الشيرازي» ص ٨١، ٨٢. (المترجم).

(٢) للمزيد من المعلومات عن أحوال إغلمش انظر ابن الأثير في حوادث سنوات ٦١٢-٦١٤ (ج ١٢ ص ١٤١، ١٤٥-١٤٦)، وسيرة جلال الدين منكبرني للنسوي ص ١٣ (مكرر)، وجهانگشاي الجويني ج ٢ ص ١٢١، وج ٣ ص ٢٤٦ وما يقابلها من الترجمة العربية، وأثار البلاد للقرظيني ص ٢٠١ و ٢٥١، وتاريخ أبي الفدا ج ٣ ص ١١٦ [ص ١٢٢ ط/القسطنطينية]، وروضة الصفا وحبيب السير في الفصل المتعلق بتاريخ الخوارزمشاهيين، وحواشي نفرمري Deferémery على الفصل المذكور من روضة الصفا ص ١٢٤-١٣٣.

كُوتَم، كُوتَم بضم كاف وسكون واو وضم تاء مثناة فوقانية وفي الآخر ميم^(١)، وتعرف حاليًا بكهدم، وهو اسم ناحية بولاية گیلان في غربي سفيدرود، ما بين منجیل من الجهة الجنوبية، ودشت من الجهة الشمالية، ويتبعها ست عشرة أو سبع عشرة قرية منها قرية تسمى بالاسم الأصلي للناحية وتعرف بكهدم، وتقع قرية كُوتَم هذه على بعد خمسة فراسخ جنوب شرقي رشت، وهي أول منزل من منازل الطريق الموصل بين رشت وقزوین بالنسبة إلى المتجه من رشت إلى قزوین.

ولا نرى اسم كوتَم في أي كتاب من كتب قدماء الجغرافيين في القرن الرابع، مثل الإصطخري وابن حوقل والمقدسي وغيرهم، اللهم إلا في كتاب حدود العالم المجهول المصنف الذي ألف باللغة الفارسية في خراسان في سنة ٣٧٢، فالكتاب المذكور (ص ٦٠ طبع ليننجراد) بعد تقسيم گیلان إلى ناحيتين ناحية روديان الشرقية، وناحية روديان الغربية وهي المناطق الواقعة في [٤١٩] شرق سفيد رود أو مغربها يعد من بين النواحي الاثنتا عشرة لناحية روديان الغربية كوتَم وسراوان ورشت إلخ، ثم يتكرر ذكر كوتَم بعد ذلك كثيرًا في كتب التواريخ والمسالك والممالك التي ألفت في القرن السابع وما بعده مثل: معجم البلدان لياقوت، وزيج السيد نصير الدين الطوسي في جدول الأطوال والعروض، والكتاب الحالي نفسه أي جهانگشاي الجويني في الموضع الذي نحن بصدده، وفي الفصل المعادل له في جامع التواريخ. وتقويم

(١) هذا هو ضبط أبي الفدا في تقويم البلدان ص ٢٤٨ وهو مطابق لنطقها الحالي كهدم بضم كاف ودال وباء مختلصة مخفية تقريبًا، وهو مطابق أيضًا لضبط القلم كُوتَم بضم التاء في زيج السيد نصير الدين الطوسي نسخة المكتبة الأهلية بياريس وهي بخط ابن المؤلف السيد أصيل الدين الطوسي (Ancien Fonds Pers 163f. 60b)، ولكن ياقوت في معجم البلدان يضبطها على كوتَم بفتح الكاف والتاء.

البلدان لأبي الفدا، ونزهة القلوب لحمد الله المستوفى، وتاريخ كزیده للمؤلف نفسه، ومراصد الاطلاع لصفي الدين عبد المؤمن الحنبلي، ونخبة الدهر لشمس الدين محمد الدمشقي.

غير أن الفصل الذي كتبه أبو القاسم عبد الله بن علي الكاشاني في تاريخ السلطان أولجايتو^(١)، وهو فصل يتعلق بجغرافية بلاد گیلان عمومًا، في أوائل القرن الثامن بمناسبة فتح تلك الولاية على يد السلطان المذكور في سنة ٧٠٦، يعد أكثر شرحًا وتفصيلًا عن سائر المراجع المتقدمة، فقد وصف كوتم وصفًا مفصلًا نسبيًا، ويستفاد من هذا الفصل أن ناحية كوتم كانت جزءًا مستقلًا مثلها في ذلك مثل أغلب نواحي گیلان الأخرى يحكمها ملوك مستقلون بها وحدها. كما يستفاد أيضًا أن مساحة ناحية كوتم كانت في تلك الأوقات أكبر بكثير من مساحة ناحية كهدهم الحالية، ومن الإشارات التي يوردها يظهر أنها كانت عبارة عن الجزء الواقع من منجیل جنوبًا إلى حدود لسته نشاي الحالية شمالًا فقد كانت منبسطة على جانبي سفید رود؛ أي أنها كانت مشتملة، فضلًا عن ناحية كهدهم الحالية، على ناحية رودبار گیلان ورحمت آباد من جهة الجنوب وجزءًا من أراضي حومة رشت من جهة الشمال؛ ولكن قصبتها كانت تقع -كما هي اليوم- على غربي سفید رود، ونورد فيما يلي خلاصة ما كتبه المؤلف المذكور فيما يتعلق بكوتم مجمعًا من مواضع [٤٢٠] الكتاب المختلفة: «ومن نواحي بلاد گیلان تولم وفومزن وكسكر ودولاب وبسر وشت وورشت ويطلقون عليها پس گیلان، ومدن لاهجان وكوتم وكوجسغان وهمام ويسمونها پيش گیلان وقييلة كيكاس بن شاهنشاه وهم حكام كوتم أبناء باوند وهم في الملك ذوو أصل ونسب، وأصحاب شرف ومجد قديم، وهم مقدمو پيش گیلان وقادتها، وأخت كيكاس هي زوج جلال الدين نومسلمان، وأمّ علاء الدين الذي بادر باستقبال هولاكوخان

(١) توجد نسخة خطية من هذا الكتاب في المكتبة الأهلية بباريس برقم *Suppl. Pers 1419* وقد قام المستشرق الفرنسي *Schefer* بطبع الجزء الرئيسي من هذا الفصل الخاص بگیلان في الجزء الثاني من «مختارات فارسية» ص ٩٤-٩٨ من القسم الفرنسي.

وسبق إليه ورجع بالإنعام. ومن الطرف الغربي لسفيدرود تقع ولاية كوتَم أولاً على حافة سبيد رود أعني...، جنوبها جبل، وشرقها سفيد رود، وتحيط بها الولاية من المشرق والمغرب، كوتَم اسم ناحية ويقال لقصبه كوتَم بازار شهرستان وحاكمها سالوك بن سالار بن كيكاموس، وتقع ولاية كوجسغان شمال كوتَم على شاطئ البحر... وتقع رشت شمال غربي كوتَم»^(١).

ويلاحظ أن المؤلف المذكور يقول صراحة: إن «ولاية كوجسغان (أي الولاية التي كانت لشته نشان الحالية جزءاً منها، كانت تقع شمالي كوتَم على شاطئ البحر». فإذا كانت كوجسغان تقع على شاطئ البحر فمن الواضح إذن أن تبعد كوتَم - وكانت تقع جنوب كوجسغان - عن البحر بمسافة كبيرة، ويقول أيضاً: «تقع رشت شمال غربي كوتَم»^(٢). ومن هذه الفقرة يتضح أن كوتَم لم تكن متصلة بالبحر بل كان بينها وبين البحر مسافة ليست قليلة، وكذلك تقويم البلدان الذي ألفه أبو الفدا في أوائل القرن الثامن، أي أن تأليفه معاصر لتأليف تاريخ أولجايتو [٤٢١] المذكور، يقول نقلاً عن رجل كان قد شاهد كوتَم بنفسه: إنها «ناقلة عن البحر مسيرة يوم»^(٣). وبناء على هذه المقدمات المذكورة نرى أن ما نقله حمد الله المستوفى القزويني في نزهة القلوب ص ١٦٣ من أن «كوتَم من الإقليم الرابع وهي تقع على ساحل البحر وهي ميناء للسفن التي تأتيها من كوركان [ظ: گرگان] وطبرستان وشيروان وهي ذات محصول عظيم» إنما هو بلا شك من قبيل المساهلة في التعبير، فهو يريد بـ «ساحل

(١) تاريخ أولجايتو لعبد الله الكاشاني، النسخة المذكورة فيما سبق باريس ورقة 39a-40a، و«منتخبات فارسية» لشفر ص ٩٤-٩٦ (القسم الفرنسي).

(٢) في الخريطة المقابلة لصفحة ١٨٥ من «بلدان الخلافة الشرقية» للوسترنج رسمت كوتَم في شمال شرقي رشت (مكان جنوبها الشرقي) وذلك سهو واضح.

(٣) «كوتَم بضم الكاف وواو ساكنة ثم تاء مثناء فوقية مضمومة ثم ميم في الآخر قال من رآها: وكوتَم مدينة لها بساتين وهي ناقلة عن البحر مسيرة يوم وقال في العزيزي كوتَم مدينة كبيرة للجيل» (تقويم البلدان ص ٣٢٨ - ٣٢٩).

البحر» المنطقة القريبة منه وليس الاتصال الحقيقي المباشر به. وكذلك كان يريد بالميناء المعنى الأعم لهذه الكلمة، يعني المدينة الواقعة بالقرب من البحر فتكون مخزناً للبضائع التجارية المصدرة والمستوردة (كما يقال في عرفنا اليوم إن رشت هي ميناء گیلان) ولا يقصد بها الميناء بالمعنى الأخص أي المدينة التي تقع مباشرة على ساحل البحر.

ومنذ القرن التاسع يبدو أن إملاء «كوتم» هُجر كلية واستعمل بدلاً منه إملاء «كوهدم» أو «كهدم».

وكان اسم هذه الناحية يُكتب على الدوام، إلا ما شذَّ وندر^(١)، في سائر مؤلفات القرون الثلاثة أو الأربعة الأخيرة في أية مناسبة تُذكر فيها بإحدى الصورتين المذكورتين. انظر من بين هذه المصادر تاريخ گیلان لسيد ظهير الدين المرعشي طبع رابينو (ويكثر تكرارها) وكذلك تاريخ عالم آري عباس، وسفر نامه حج للحاج فرهاد ميرزا معتمد الدولة طبع طهران ص ٦ و ٣٢٦ [٤٢٢] و«السواحل الجنوبية لبحر قزوين» لملكونوف الروسي ص ٢٢٨، ٢٦٠، ٢٦٧، وأيضاً في سائر الكتب الجغرافية والخرائط الجديدة، والكتاب الأكثر تفصيلاً وشرحاً عن سائر الكتب التي سبق ذكرها فيما يتعلق بجغرافية ولاية گیلان هو الكتاب القيم «گیلان»^(٢) تأليف لوني رابينو نائب القنصل الإنجليزي السابق في رشت ص ٢١٥، ٢٢٥-٢٢٧، ٣٣٦-٣٣٨.

(١) مثل سفرنامه لمؤلف طرائق الحقائق، فقد طبع نهاية الكتاب ٢٨٣/٣ اسم هذا الموضع على النسق القديم «كوتم».

(٢) طبع هذا الكتاب باللغة الفرنسية في سنة ١٩١٧ في باريس وهذا هو اسمه وعنوانه:
H. I. Rubino, Les parovinces cuspiennes de la perse, le Guilán, forme le vol. XXXII de la Rerve de Monde Musulman 1916 - 1917. 2 vol. Paris, 1917.

ولا مفرّ لنا من الإشارة هنا إلى الخلط العجيب الذي وقع فيه المؤلف الأخير فيما يتعلق بكوتم، لكي لا يظن أحد أننا أغفلنا شيئاً إذا ما قام بإجراء مقارنة بين ما كتبناه هنا وما كتبه رايبينو في كتابه، فرايبينو يرى في ص ٢٢٥-٢٢٧ من الكتاب المذكور أن «كوتم» المذكورة في مؤلفات القدماء هي نفسها «كهدم» الحالية وهذا صواب. وقد جمع كل الوقائع التاريخية التي ذكرها المؤرخون السابقون فيما يتعلق بكوتم وكهدم تحت عنوان كهدم ولا شك في أن الحق معه، ولكن يبدو أنه نسي في ص ٢٣٦-٢٣٧ من الكتاب نفسه كل ما كتبه في الصفحات السابقة وافترض أن كوتم مدينة مغايرة تماماً وتقع في رانكوه الحالية على بعد ستة فراسخ شرقي لاهيجان ويقول: إن كوتم هي ذاتها هوسم وخشم لدى القدماء^(١)، وأن هذه الأسماء المختلفة جميعاً اسم لمسمى واحد، وأن كوتم هي الأصل وما بقي تحريف للكلمة. يقول راقم هذه السطور: إن جميع ما ذكره رايبينو خاطئ تماماً، وقد وقع المؤلف المذكور في خلط عجيب للغاية في هذا الصدد فافترض أن ثلاث مدن تغاير [٤٢٣] بعضها بعضاً مغايرة تامة وتقع في مواضع مختلفة بغيلان وتبلغ المسافة بين الواحدة والأخرى من عشرة إلى عشرين فرسخاً ألا وهي كوتم وهوسم وخشم، جميعها واحدة، أما كوتم -وهي الناحية نفسها التي نتحدث عنها- فتقع كما قلنا على بعد خمسة فراسخ جنوب شرقي رشت على الساحل الغربي لسفيد رود. وأما هوسم بفتح هاء وسكون واو ثم فتح سين مهملة ثم ميم في الآخر، بتصريح سائر أصحاب كتب المسالك والممالك، فهي مدينة كانت تقع في نهاية القسم الشرقي لولاية غيلان على بعد عشرة فراسخ تقريباً من مشرق سفيد رود وعلى خمسة أو ستة فراسخ تقريباً من مشرق لاهيجان، ولقد كانت فيما سبق هي الحد الفاصل بين غيلان ومازندران، ولقد

(١) ولقد ظن السيد مينورسكي المستشرق الروسي المعروف، تبعا لرايبينو بلا شك، في دائرة المعارف الإسلامية ج ٣ ص ٨ في عنوان لاهيجان أن كوتم وهوسم اسمان لمسمى واحد وهذا ما سوف نثبت حالا خطأه وبطلانه.

كان هوسم بتصريح سيد ظهير الدين سواء في تاريخ مازندران أو في تاريخ گیلان بصفة مكررة - هو الاسم القديم لرودسر الحالية، ورودسر قصبة معروفة تقع على ساحل بحر الخزر، وهي جزء من ناحية رانكوه الحالية من نواحي گیلان، وفيما يلي بعض عباراته: «مدينة هوسم المعروفة الآن بفرضة رودسر» (تاريخ مازندران لسيد ظهير الدين ص ١٩)، «رودسر التي كانت معروفة من قبل باسم مدينة هوسم» (أيضاً ص ٤٨٩)، «ففرضة هوسم المشهورة الآن برودسر» (تاريخ گیلان للمؤلف نفسه ص ١٣٩)، إذن فأغلب المؤلفين ربطوا بين المدينتين المذكورتين، أي كوتم وهوسم على السواء وعدوهما، على التوالي، من مدن گیلان، فكيف يمكن إذن أن تكون المدينتان مدينة واحدة. ومن هؤلاء ياقوت في معجم البلدان والسيد نصير الدين الطوسي في زيج إيلخاني، وقد ذكرا اسم هاتين المدينتين كوتم وهوسم من مدن گیلان اتفاقاً فقط، وضبطا طول كوتم على أربع وثمانين درجة وأربعين دقيقة وطول هوسم على خمس وثمانين درجة وعشر دقائق^(١).

ومن هنا أيضاً يتضح أن هوسم كانت تقع على بعد تسع درجات تماماً (أي ما يقرب من عشرة فراسخ) في مشرق كوتم، والحقيقة أن المسافة [٤٢٤] بين رودسر الحالية وكهدم الحالية هي المسافة نفسها تماماً دون زيادة أو نقصان، ومنهم أيضاً عبد الله الكاشاني سابق الذكر في تاريخ أولجايتو وهو يعد هوسم - بصراحة ووضوح - من بين بلاد گیلان، ويعتبرها الحد الشرقي لتلك الولاية وكذلك كوتم، وقد سبق أن نقلنا نص عبارته فيما يتعلق بهذه النقطة الأخيرة.

وأما خشم فقد كانت بتصريح المقدسي مدينة صغيرة تقع على بعد مرحلتين غربي سفيد رود وكان بها دار أمير الناحية كما كانت معروفة بمدينة الداعي، وقد

(١) زيج إيلخاني نسخة المكتبة الوطنية بباريس رقم ١٦٣ *Andien lmds pars* ورقة 160b.

التقطننا عباراته، التي نوردها فيما يلي بنصها، من مواضع مختلفة من كتابه أحسن التقاسيم:

«فقصة الذيلم بروان، ومن مدنها ولامر، وشكيرز، وتارم، وخشم^(١)، وخشم هي مدينة الذاعي لها سوق عامر وعلى طرف الأسواق جامع والنهر منها على جانب عليه جسر هائل وثم دار الأمير وهي صغيرة^(٢)، وتأخذ من سالوس^(٣) إلى إسبيد رود مرحلة [ظ: مرحلتين] ثم إلى قرية الرصد [ظ: الرصد = الرشد = الرشت] مرحلة ثم إلى خشم مرحلة^(٤)».

وهكذا يلاحظ إذن أن رابينو ظن أن هوسم (= رودسر) التي تقع على بعد عشرة فراسخ شرقي سفيد رود، وكوتم التي تقع غربي سفيد رود وهي متصلة به، وخشم التي كانت تقع على بعد مرحلتين غربي سفيد رود، ظن رابينو أن هذه الثلاثة جميعاً مدينة واحدة فجمع كل ما ذكره المؤرخون وأرباب المسالك والممالك فيما يتعلق بهذه المدن الثلاث كلاً منها على حدة، جمعها هو في مكان واحد وتحت عنوان واحد. ورتب من مجموع هذه المعلومات ذات الحقائق المختلفة تليفاً غاية في العجب يعد من نواذر أمثلة الخلط والالتباس.

(١) المقدسي ص ٣٥٥.

(٢) أيضاً ص ٣٦٠.

(٣) يعني جالوس.

(٤) المقدسي ص ٣٧٣، أحال رابينو إلى كتاب «بلدان الخلافة الإسلامية» للوسترنج ص ١٧٤ ليسند ادعائه بأن كوتم وخشم مدينة واحدة، وهذا أيضاً سهو واضح، لأن لوسترنج لم يقل شيئاً كهذا على الإطلاق بل قال ما قاله المقدسي بنصه حيث نقل عنه قوله بأن خشم تقع على مرحلتين من سفيد رود.

شِيرَكُوهُ، شِيرَكُوهُ^(١) (أو شِيرَه كُوهُ) هي فعلاً اسم قرية وواد في القسم الغربي من ناحية الموت، ففي هذا السهل يلتقي الفرعان الرئيسيان لنهر شاهرود، وهما آب الموت من الشمال وآب طالقان من الجنوب، ثم يتكون النهر الحقيقي لشاه رود من بعد ذلك. وشِيرَكُوهُ^(٢) أيضاً -كما يتضح من الكشف الذي سبق أن ذكرناه لقرى الموت وقصباتها- اسم قرية تقع في هذه المنطقة، يطلق عليها الاسم نفسه نظراً لقرب الجوار فيما يبدو^(٣)، ولا شك في أن المراد بشِيرَكُوهُ المذكورة في المتن هو أحد أسماء شِيرَكُوهُ الحالية سواء كان اسم جبل أو واد أو قرية، لا «شِيرَكُوهُ» أخرى مجهولة.

ص ٢٣٤ س ١٠:

سفاق، هذه الكلمة مشكوكة القراءة، ويتضح من المقارنة بين جزء من فقرات جهانگشا وجامع التواريخ على قدر من القطع واليقين أنها كانت اسماً لأحد مراحل الطريق بين خبوشان وبسطام، وهي المرحلة التي وصل إليها سفير ركن الدين خورشاه إلى بلاط هولاكو، وفيما يلي تفصيل هذا الإجمال:

-
- (١) بشين معجمة مكسورة وياء مثناة تحتانية ساكنة وراء مهمل في الآخر ثم كوه ومعناها جبل.
 (٢) انظر ص ٣٨٨ من الأصل الفارسي ضمن القائمة التي أعرضت عن إثباتها والتي تشمل على أسماء قرى الموت وقصباتها (المترجم).
 (٣) انظر أيضاً جامع التواريخ ورقة ١١٩ [ص ١٨٣ طبرستان]، وتاريخ كزنده ص ٥٢٦، وفيما يختص بالوضع الحالي لشِيرَكُوهُ انظر ٣٨٧، ٣٨٨ وما يقابلها من الترجمة والخرائط المفصلة لإيران، ورحلة الأنسة فريا استارك إلى الموت ص ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٣١، ٢٤٢، ٢٥٨، ٢٥٩، وخرائط الكتاب نفسه، وعنوان هذا الكتاب القيم الذي طبع أخيراً ولم أتمكن من الاستفادة به في الفصول السابقة هو: *Freyu Stark, The Valleys of the Assassins and other Persiam*

Traveles, London 1934.

ينبغي أن نضع في اعتبارنا منذ البداية أن حركة هولاكو من بلاد المغول إلى قلاع الموت بصحبة هذا الجيش العظيم الضخم كانت تتقدم في غاية من البطء والتأني، فقد كان يتوقف دائماً في نقاط على طول الطريق أسابيع بل شهوراً، إذ إنه قطع المسافة المذكورة، أي المسافة بين بلاد المغول والموت، في ثلاث [٢٦٤] سنوات وشهرين، بينما قطع المسافة من نهر جيحون إلى الموت فقط في عشرة أشهر ونصف^(١)، ثم نقول: إن قدوم هولاكو في خلال رحلته هذه إلى طوس كان بتصريح الجويني ج ٣ ص ١٠٣ - في شهر ربيع الآخر سنة ٦٥٤. وبعد مرور مدة على إقامته بهذه المدينة توجه إلى مرعى رادكان، ثم توجه بعد أن توقف فيها مدة إلى إستو (وهي ناحية قوچان) حيث توقف شهراً آخر^(٢)، ثم تحرك من إستو حين خلت الجبال والوديان من العلف ووصل في العاشر من شعبان إلى خرقان وبسطام^(٣)، وهكذا يلاحظ أن هولاكو قضى في عرض الطريق بين طوس وبسطام شهور ربيع الآخر والجماديين ورجب ٦٥٤ حتى العاشر من شعبان بين حركة مرة وتوقف، وفي خلال هذه المدة أرسل ركن الدين خورشاه آخر سلاطين إسماعيلية الموت وفدين للسفارة في بلاط هولاكو على دفعتين: فقد أرسل في المرة الأولى أخاه شهنشاه إلى بلاط السلطان المذكور بإستو^(٤)، كما أرسل في المرة الثانية رجلاً من أركان دولته يقال له صدر الدين فقابل هولاكو بموضع يسمى (قيد بحثنا الآن)^(٥)، إذن يتضح أن «سفاق» تقع بعد إستو (= قوچان) لمن يتوجه من قوچان إلى

(١) كانت حركة هولاكو بجيشه الخاص من بلاد المغول إلى قلاع الموت في ٢٤ شعبان سنة ٦٥١ (انظر فيما سبق ص ٨٦)، وعبوره من جيحون في غرة ذي الحجة ٦٥٣ (جامع التواريخ طبع كاتمر ص ١٥٢)، ووصوله أسفل قلعة ميمون دز في ١٧ من شوال ٦٥٤ (انظر فيما سبق ص ٢١٣).

(٢) انظر فيما سبق ص ١٠٥.

(٣) جامع التواريخ طبع كاتمر ص ١٨٢-١٨٤.

(٤) انظر فيما سبق ص ١٠٦ و ١٠٨.

(٥) انظر فيما سبق ص ١٠٨.

الموت، ومن ناحية أخرى كانت عودة الوفد الثاني من بلاط هولوكو إلى الموت - بتصريح الجويني ج ٣ ص ٢٦٢ وما يقابلها من الترجمة- في أوائل شعبان، وكان وصول هولوكو إلى بسطام -كما قلنا فيما سبق- في العاشر من الشهر نفسه، فمن البديهي إذن أن تكون مقابلة السفير المذكور لهولوكو قد حدثت قبل قدومه [٤٢٧] إلى بسطام، وتصبح النتيجة الحتمية لهذا أن، «سفاق» التي كانت موضع اللقاء، لا بد أن تكون منزلاً من منازل عرض الطريق بعد قوجان وبسطام.

ولننظر الآن لنرى أي المنازل الواقعة بين قوجان وبسطام يشبه من قريب أو بعيد «سفاق» أو إحدى نسخها المتعددة^(١): نفاق، شعبان، باسفاق، بنلقان، بمجرد نظرة واحدة إلى خريطة إيران يتضح أن هذا الموضع لا يمكن أن يكون شيئاً آخر سوى «شقان» التي كانت فيما سبق مدينة متوسطة الحجم وأصبحت الآن قرية صغيرة على رأس الطريق الجنوبي من خوجان إلى بسطام بين بجنورد وجاجرم على تسعة فراسخ جنوب غربي بجنورد واثنى عشر فرسخاً شمال شرقي جاجرم، وتكتب هذه القرية الآن شغان بالغين وشوغان بإضافة واو بعد الشين، وبالاسم الأصلي للقرية تسمى أيضاً الناحية التي تعد القرية المذكورة قصبته، وبهذا الاسم أيضاً تسمى الهضبة التي تقع فيها الناحية المذكورة، والنهر الذي يمر بتلك النواحي، فيقال: بلوك شغان [يعني ناحية شغان]، وچلگنه شقان [يعني هضبة شقان]، ورود شقان [يعني نهر شقان]، ويتبع الناحية المذكورة ما يقرب من اثنتي عشرة قرية هي: قسبة شغان، طُور (بفتحيتين)، برازنلو، چاربيد، كوشغان، پُشت بان، باجي، دويرجه، حصار، چيه، جغدِي، دريند، رباط جق الخُرب وكان فيما سبق موضعاً لعبور التركمان^(٢). وقد كانت هذه القرية -كما سبق أن ذكرنا- مدينة متوسطة الحجم، يقول حمد الله

(١) انظر ج ٨ ص ٢٦٢ من الأصل الفارسي.

(٢) انظر رحلتي ناصر الدين شاه إلى خراسان، الأولى في سنة ١٢٨٣ ص ٣٤٩، ٣٥٧-٣٨٣، والأخرى في سنة ١٣٠٠ ص ٩١-٩٣، ومطلع الشمس وبه تفصيل وشرح لرحلته الأخيرة ج ١ ص ١٢٣، ١٢٥، انظر أيضاً سائر خرائط إيران المفصلة.

المستوفى في نزهة القلوب ص ١٥٠ بعد وصف جاجرم وخبوشان مباشرة: «شقان مدينة وسط، ومن تابعها عشرون قرية وهي من الإقليم الرابع وبها شتى أنواع المحاصيل». ويتكرر ذكر شقان في تذكرة دولتشاه أيضًا بمناسبة بعض الوقائع التاريخية التي وقعت في عهد [٤٢٨] السريداريين واليتموريين في هذه الناحية^(١).

ص ٢٣٦ س ١٤:

فسكر، بسكر. يغلب على الظن بل يقرب من القطع واليقين أن فسكر ويسكر اللذين ذكرا في هذين الموضعين وببسكله دز التي ذكرت فيما سبق ص ١١٠ س ٨ وص ١١١ س ١٥، هؤلاء الثلاثة جميعًا واحد، وهي أسماء مختلفة لمكان واحد. فهو على سبيل المثال يقول هنا: إن شيرانشاه (أخي خورشاه) وصل إلى بلاط هولاکو في فسكر. ويفهم بوضوح من سياق العبارة في الموضع السابق [يعني ١١٢ فيما سبق] أن شيرا نشاه قد حظي بمقابلة السلطان المذكور في ببسكله دز، هذا إلى جانب أنه يقول: إن شهنشاه (الأخ الآخر لخورشاه) قد أعيد من فسكر إلى الموت. ويفهم بوضوح من سياق العبارة في الموضع المذكور (١١٢ فيما سبق) أن شهنشاه أعيد من ببسكله دز إلى الموت، غير أن هناك اختلافًا يشاهد بين الموضعين وهو أن حركة هولاکو من فسكر (بسكر) إلى قلاع الموت كتبت - في الموضع الذي نحن فيه - في «منتصف شوال»، وكتبت في الموضع السابق (١١٢ س ١٢ فيما سبق) من ببسكله دز إلى الناحية نفسها [يعني قلاع الموت] في «العاشر من شوال»، ولكن لا شك في أن مراد المؤلف في هذا الموضع من «منتصف شوال» لم يكن النصف الحقيقي للشهر أي اليوم الخامس عشر منه على وجه التحديد، بل كان مقصده «أواسط شوال» من قبيل المسامحة في التعبير، وهو بهذه الصورة لا يتنافى مع

(١) انظر فهرست ذلك الكتاب في عنوان شقان.

العاشر من سؤال الذي كان فيما يبدو هو التاريخ الحقيقي لتحرك هولاء من فسكر إلى قلاع الموت.

نقطة أخرى سبق أن ذكرناها في حواشي ص ١١٠ فقد قلنا: إن النسخة الخطية (ب) قد صححت «بيسكله دز» في جميع المواضع بـ «بشكل دره». وقلنا: إن هذا التصحيح يبدو أقرب جدًا للواقع، والآن نكرر أنه يحتمل احتمالاً قوياً جداً، بل يمكننا أن نقطع عن يقين تقريباً، بأنه لا بد أن يكون المراد بفسكر وبسکر وبيسكله دز جميعاً بشكل دره نفسها المعروفة بالطالقان، ولا شك على الإطلاق في أن هذه الصور المختلفة المتنوعة جميعاً هي اسم لمسمى واحد (باستثناء بيسكله دز بزاي [٢٩٤] معجزة وهي قطعاً تصحيف بيسكله در براء مهملة فهي تبدو وكأنها صورة أخرى لبشكل دره)، وبشكل دره أيضاً بالإملاء نفسه في نزهة القلوب لحمد الله المستوفي^(١)، وما زالت باقية بالاسم نفسه حتى الآن (إلا أنها تكتب أحياناً في السجلات الرسمية بشكل دره بالفاء بدلاً من الباء الفارسية)^(٢) هي ناحية معروفة من توابع قزوین تقع جنوب غربي الطالقان وشرق قزوین، وتعتبر هي وناحية كوهپایه معاً إحدى المناطق التابعة لحكومة قزوین المحلية ويتبع الناحيتين المذكورتين ٥٦ قرية ويعيش بها ٦٠٠٠ نسمة^(٣)، وأما ما عده المؤلف من أن فسكر من مضافات الري، بينما الواقع أن بشكل دره من توابع قزوین^(٤)، فليس هناك تعارض على الإطلاق في ذلك؛ لأن كثيراً من النواحي الواقعة بين الري وقزوین كان تعد في الأزمنة المختلفة وفقاً لاختلاف التقسيمات الحكومية، إما جزءاً من قزوین أو جزءاً من

(١) انظر الكتاب المذكور طبع ليدن ص ٦٧ في عنوان «عراق عجم».

(٢) انظر «جغرافي مفصل إيران» للسيد كيهان ج ٢ ص ٣٦٩، ٣٧٢.

(٣) ينطبق هذا الإحصاء على الفترة التي تمت فيها كتابة هذه الحواشي، في العقد الثالث من القرن العشرين (المترجم).

(٤) انظر ص ٣٤٦ فيما سبق.

الري، مثل ذلك مثل ناحية الطالقان التي كانت منذ مدة وجيزة من توابع قزوين (والمفروض أن تكون كذلك) بينما أصبحت الآن من توابع محافظة طهران.

ص ٢٣٩ س ٨:

شهرک رودبار، کذا أيضاً بنصّه في الفقرة المعادلة لهذه العبارة في جامع التواريخ (الجزء الخاص بالإسماعيلية نسخة باريس^(١) ورقة 124a).

ولا يغيب عن البال أننا نجد الآن بوادي شاهرود في الناحية الشمالية الشرقية لقزوين قريتين معروفتين بشهرک: إحداهما شهرک طالقان^(٢) وهي الأكثر نسبياً من ناحية العمران وتقع في الطالقان الوسطى على يمين شاهرود وهي أكثر قرى الطالقان عمراناً وبها مائتا منزل مزدهم ومسجد وحمام وحسينية وبعض دكاكين للبزازين والعطارين والصباعين والحدادين. كما أن بها بساتين كثيرة وأشجاراً وثماراً عديدة، وثلاث هذه القرية وقف لمدرسة «سپه سالار جديد طهران» وهي مدرسة المرحوم حاجي ميرزا حسين خان القزويني مشير الدولة القائد الأعلى للجيش. والثانية شهرک الموت وهي قرية واقعة على الساحل الشمالي لنهر الموت على بعد فرسخين تقريباً شرقي المكان الذي يلتقي فيه هذا النهر [٤٣١] بالنهر القادم من الطالقان في وادي شيركوه السابق الذكر، وشهرک هذه جزء من ناحية أئذج رود من نواحي الموت الأربعة بالتقسيم الحالي الذي سبق أن وصفناه إجمالاً فيما سبق^(٣). وشهرک هذه أقل عمراناً بمراتب من شهرک طالقان.

(1) *Suppl pers.* 1364.

(٢) انظر فيما سبق ص ٣٤٦، ورحلة الأنسة استارك ٣٤٥ وخريطة كتابها.

(٣) انظر ص ٣٤٢ فيما سبق، ورحلة الأنسة استارك ص ٢١٥، ٢٥٩-٢٦٠ وخريطة كتابها.

بعد التمهيد بهذه المقدمة نقول: إنه يتضح من تعبير «شهرك رودبار» بقيد رودبار (قلنا فيما سبق: إن «رودبار» في اصطلاح العهد القديم كانت تطلق على جموع ناحيتي ألموت ورودبار الحاليتين معاً) أن المراد هنا شهرك ألموت وليس شهرك الطالقان، وذلك طبقاً لما ورد في العبارة التالية لرشيد الدين في جامع التواريخ (النسخة المذكورة ص 67a): «يوم السبت الخامس من شهر المحرم الحرام سنة ست وثمانية وأربعمئة وصلوا إلى شهرك طالقان». ويتضح من قيد طالقان، على العكس مما نحن فيه، كان المقصود به شهرك طالقان وليس شهرك ألموت، والمراد بهذا هو تمييز شهرك الأولى عن شهرك الثانية في مواطن خشية اللبس، (لما بينهما من قرب تام) بوضع قيد رودبار أو ألموت لإحداهما وقيد الطالقان للآخرى، وسياق العبارة واقتضاء المقام هنا يدلان على أن الكلام عن قلاع ألموت، ويقول المؤلف: إن هولكو تحرك بعد فتح ميمون دز إلى قلعة ألموت وفي أثناء سيره في الطريق مر بشهرك رودبار، فوضح صراحة أن المراد بشهرك رودبار هنا إحدى نقاط سهل ألموت ولا يمكن أن يكون هناك بينها وبين شهرك الطالقان رابطة على الإطلاق لأنها كانت خارجة تماماً عن خط سير هولكو.

ص ٢٤٠ س ٩:

المكتبة، المقصود مكتبة قلعة ألموت وليس مكتبة قلعة لمسر كما يمكن أن يتوهم لأول وهلة من ظاهر العبارة، ذلك لأن قلعة لمسر لم تكن قد فُتحت في ذلك التاريخ، أي في ذي القعدة أو ذي الحجة ٦٥٤^(١) وهي السنة التي يقع الحديث عنها، ولكنها فُتحت في السنة التالية مباشرة^(٢). [٤٣٢] وأما ما يقوله المؤلف في بداية هذه

(١) انظر فيما سبق ص ٢٤٢.

(٢) جامع التواريخ طبع كاترمر ص ٢١٢.

الجملة: «ولما كنت عند سفح لمسر عرضت تحت تأثير شغفي بمطالعة المكتبة التي ذاع صيتها في الأقطار... إلخ» ذلك لأن قلعة الموت كانت قد امتنعت عن التسليم في البداية، وقد ترك هولاء الأمير بلغاي لمحاصرتها وتوجه هو بنفسه لمحاصرة لمسر. وفي أثناء محاصرة لمسر دخلت الموت من باب الصلح وسلمت وانشغل المغول بالغارة. وعندئذ رأى الجويني، خشية أن تتلف المكتبة الشهيرة بهذه القلعة تمامًا وأن تصبح عرضة للنهب والغارة أن يطلب الإذن من هولاء لكي يذهب لمعاينة المكتبة، وباقي الحكاية مشهور.

حاشية في شأن آل جستان

ص ٢٤١ س ٦:

«كانوا يطلقون على ملوك الديلم اسم أرجستان»، قلنا في حواشي ذيل الصفحات: إن كلمة «أرجستان» فاسدة ومحرفة تقريباً في شيء من القطع واليقين مع سائر النسخ البديلة مثل أرجستان، أرستان، أرصفان، إحسان، جرجستان، ولا بد أن تكون كلها بلا شك تصحيف «آل جستان» أو «جستان».

ولقد كان آل جستان^(١) فرعاً من فروع ملوك الديلم اتخذوا في النواحي الجبلية لرودبار ألموت والطالقان وسواحل شاهرود وسفيد رود إمارة صغيرة ومقاماً قبل الديالمة الكبار يعني آل بويه في القرن الثاني والثالث حتى أوائل القرن الرابع الهجري، وكانوا أحياناً يتمتعون بشبه استقلال تبعاً [٤٣٢] لضعف الخلفاء وقوتهم، أو وفقاً لدرجة نفوذ الملوك الكبار المعاصرين لهم، وأحياناً يعيشون تحت التبعية الكاملة لمعاصريهم الأقوياء، وفي أواسط القرن الثالث الهجري لما خرجت سلسلة من السادات العلوية المعروفين بالدعاة في طبرستان وغيلان على خلفاء بني العباس

(١) أحمد المنيني شارح تاريخ اليميني في ج ٢ ص ٧ من الكتاب المذكور يضبط هذه الكلمة جستان بفتح جيم وسكون سين مهملة وتاء مثناة فوقية ونون، وذلك بلا شك فضلاً عن الشراح القدماء لليميني مثل صدر الأفاضل ونجاتي والكرماني وغيرهم، ولقد كانت أقوالهم مؤسسة قطعاً على أساس صحيح وهو يقول: إن الكلمة من أعلام الديالمة. وقد ضببطت في فرهنگ انجمن آرا على هذا النحو أيضاً جستان بفتح جيم على وزن دستان. ولكني لست أعلم استناداً إلى أي مصدر تحركت هذه الكلمة بضبط القلم في تاريخ الطبري طبع ليدن في أغلب المواضع فأصبحت جستان بضم الجيم.

وأنشؤوا سلطنة مستقلة في تلك الولايات كانت أسر الجستانيين هذه من بين أبناء دعوتهم ومن أعظم أنصارهم، إذ كانت -ريشكل دائم- تشارك بجميع أتباعها وأشباعها ورعاياها من طوائف الديلم والجيل في أغلب حروب السادات المذكورين ضدّ نواب الخلفاء والسامانيين والطاهريين وغيرهم وتساندهم في سبيل نصرتهم على أعدائهم.

ولا نرى في أي كتاب من كتب التواريخ المتداولة فصلاً قائماً بذاته يتناول تاريخ هذه السلسلة اللهم إلا معلومات مجزأة متفرقة ذكرت من قبيل الاستطراد وبصورة متقطعة في سياق أخبار الخلفاء وسائر الملوك المعاصرين في بعض كتب التواريخ والممالك والممالك مثل تاريخ الطبري ومؤلفات المسعودي والإصطخري وابن حوقل وياقوت وابن الأثير وابن اسفنديار وظهر الدين والصالح، ولم نتمكن من الحصول من أي مصدر على الإطلاق على أية معلومات جامعة مفصلة تتناول أحوال هذه الطائفة ومبدأ أمرهم ومآله وعدد ملوكهم وغير ذلك من التفاصيل المتعلقة بهم. وقد أعد بعض المستشرقين الأوروبيين مثل يوستي الألماني^(١) في كتاب «أعلام الإيرانيين» وفاسمر الروسي^(٢) في مقال في مجلة «إسلاميكا»، وزامباور الألماني^(٣) في كتاب «معجم أنساب الأسرات الحاكمة» عدداً من الجداول المختصرة، وهي ناقصة وخاطئة بالطبع، تتعلق بهذه السلسلة من المصادر المذكورة فيما سبق. [٤٣٤] وفي الأيام الأخيرة نشر السيد سيد أحمد كسروي التبريزي أيضاً فصلاً يتعلق بتاريخ هذه الطائفة في الجزء الأول من كتاب «شهریاران گمنام»^(٤) (طبع طهران ص ٢٣-٣٧) وقد أفاد من كل المصادر التي يمكن الحصول عليها فعلاً. ولما كان

(1) F. Justi, *Iranisches Namenbuch*, p. 440.

(2) R. Vasmer, *Zur Chronologie der Gastaniden und Sallariden*, in *Islamica*, Leipzig, 1927, vol III Fascicule 2, 156-186.

(3) E. de Zambaur, *Manuel de généalogie et de chronologie pour l'histoire de l'Islam*, Hanover, 1927, p.102.

(٤) معنى عنوان الكتاب بالعربية «ملوك مضيون». (المترجم).

مؤلف السيد الكسروي قد نشر حديثاً وهو في متناول أيدي الجميع، فلا نجد داعياً لإطالة الكلام في هذا المبحث، وسنكتفي فيما يلي بإيراد بعض الإشارات المجملّة التي تتعلق بعاصمة هذه الطائفة وعدد ملوكهم، ونحيل القراء الراغبين في الاطلاع على المزيد من التفصيل في هذا الصدد إلى الكتاب المذكور.

أ- عاصمة الجستانيين

تختلف أقوال المؤرخين في شأن عاصمة الجستانيين، فقد عدّ الإصطخري رودبار عاصمتهم ونصه: «أما الديلم فإنها سهل وجبل، أما السهل فهم الجبل وهم مقترشون على شط البحر تحت جبال الديلم، وأما الجبل فللديلم المحض وهي جبال منيعة والمكان الذي يقيم به الملك يسمى رودبار وبه يقيم آل جستان ورياسة الديلم فيهم»^(١). وكذلك أبو سعد الآبي وزير مجد الدولة الديلمي صاحب تاريخ الري، بنقل ياقوت عنه في معجم البلدان^(٢)، يقول: إن عاصمة بلاد الديلم، دونما إشارة إلى اسم الجستانيين حيث لم يعد لهم وجود في عصره، هي رودبار ونصه: «وقال أبو سعد الآبي في تاريخه قصبة بلاد الديلم رودبار»، ويغلب على الظن أن مراد الإصطخري وأبي سعد من رودبار كان رودبار الموت وليس رودبار كيلان^(٣)، بدليل أن الجويني يقول في جهانگشا ج ٣ ص ٢٦٨ وما يقابلها من الترجمة: إن شهرک رودبار كانت العاصمة [٤٣٥] القديمة للديلم (يعني للجستانيين بقرينة ص ٢٧١ وما يقابلها من

(١) المسالك والممالك للإصطخري ص ٢٠٤-٢٠٥.

(٢) معجم البلدان ج ٢ ص ٨٣١ في عنوان «رودبار».

(٣) تصور السيد مينورسكي المستشرق الروسي رسالته المعروفة المسماة «استيلاء الديالمة» (*Les Domination des Dialamites*) ص ٨ و ٢٢ أن رودبار التي يقول الإصطخري إنها كانت عاصمة الجستانيين هي رودبار كيلان وهذا كما يبدو سهو كما سيأتي شرحه.

الترجمة). ويقول المؤلف المذكور بعد أن أفاض في شرح واقعة فتح قلعة ميمون دز على يد هولوكو: «تحرك السلطان بعد يومين أو ثلاثة [من ميمون دز] و مر من «شهرك رودبار» فنصبوا الخيام، وكانت شهرك في أيام الجاهلية قبل الإسلام وفي الإسلام قبل الإلحاد مركزاً لملوك الديلم فأقاموا بها في عهد علاء الدين حديقة وقصرًا وكانت متنزهًا لهم، فاحتفلوا [أي المغول] بالفتح والظفر طيلة تسعة أيام ومن هناك اتجه إلى سفح قلعة الموت». يتضح من سياق العبارة أن الكلام هنا إنما هو عن قلاع الموت وناحية الموت وبقرينة خط سير هولوكو الذي اتبعه بعد فتح ميمون دز متوجهًا منها إلى قلعة الموت وفي أثناء سيره مر بشهرك رودبار حيث توقف عدة أيام لأداء مراسم الاحتفال بالفتح ثم من هناك توجه إلى أسفل قلعة الموت، يتضح من سياق العبارة أن المراد بشهرك رودبار هذه -دون أدنى شك أو شبهة- إحدى النقاط التي كانت تقع في رودبار الموت (أي كما قلنا من قبل إنها بأظهر الوجوه بل بما يقرب من القطع واليقين هي قرية شهرك الحالية نفسها بالموت التي ما زالت باقية بالاسم نفسه)^(١)، وليس هناك أي ربط أو مناسبة بأي وجه من الوجوه برودبار گیلان، ولا يمكن أن تكون هناك رابطة؛ لأنه من غير المعقول كلية أن يكون هولوكو قد عاد أدراجه خمسة عشر فرسخًا إلى گیلان في الفترة ما بين فتح قلعتين من قلاع الموت مرة واحدة دون أي سبب أو داع، ثم رجع مرة ثانية بعد أن مكث هناك عدة أيام فقطع خمسة عشر فرسخًا في العودة من گیلان إلى الموت، ولم يذكر أحد من مؤرخي ذلك العهد مثل الجويني ورشيد الدين وحمد الله المستوفى وأبي القاسم الكاشاني وغيرهم شيئًا غريبًا كهذا [٤٣٦] يقول: إن هولوكو قد لامست قدماه أرض گیلان في أثناء فتح قلاع الملاحدة.

(١) انظر ص ٣٧٦ فيما سبق.

وقرينة أخرى على أن مراد الإصطخري وأبي سعد الآبي برودبار التي ذكرها أنها عاصمة الديلم هي رودبار الموت وليست رودبار گیلان، فهذا الاصطلاح الأخير، يعني إطلاق «رودبار» على رودبار گیلان، أي على ناحية گیلان الحالية الواقعة غربي سفيدرود بالقرب من منجيل، لا نطلع عليه في مؤلفات القدماء ولا نرى على أي حال في أي مؤلف من مؤلفات القدماء مثل الإصطخري وابن حوقل والمقدسي وياقوت وحمد الله المستوفى وأبي الفداء هذا الاستعمال بحيث يراد به بصراحة رودبار گیلان ولا يحتمل انصرافه إلى رودبار أخرى.

ويأتي اصطلاح «رودبار الموت» بصورة لا تعد ولا تحصى في كلام المتقدمين (انظر مثلاً جهانگشا ج ٢ ص ٤٤ وج ٣ ص ١٣٩، ٢٠٢، ٢٦١، ٢٦٥، وأثار البلاد ص ٢٠٠، وجامع التواريخ نسخة باريس رقم ١٣٦٤ ورقة ٧٢، ٧٦، ٨٣، ٨٤، ٨٩، ٩٠، ٩٩، ١٠١، ١٠٢ [انظر فهرست الكتاب طبع طهران] ونزعة القلوب ص ٦٠-٦١، ٢١٧، ٢١٨). إذن بناء على هذه المقدمات نرى أن الاحتمال القائل بأن مراد الإصطخري وأبي سعد الآبي بـ «رودبار» هو رودبار گیلان احتمال ضعيف ومشكوك فيه.

ويعد ابن حوقل (وفقاً لنسخة ليدن المطبوعة ص ٢٦٨) طَرْم (يعني طارم) هي عاصمة الجستانيين ونص عبارته في هذا الصدد يطابق عبارة الإصطخري التي نقلناها فيما سبق ص ٣٤٩ مطابقة النعل بالنعل إلا في كلمة واحدة، يقول الإصطخري: «والمكان الذي يقيم به الملك يسمى رودبار وبه مقام آل جستان ورياسة الديلم فيهم»، وقد أبدل ابن حوقل كلمة رودبار بكلمة «الطرم» هكذا: «والمكان الذي به الملك يسمى الطرم وبه مقام آل جستان ورياسة الديلم فيهم». غير أن العجيب [٤٣٧] أن أبا الفداء ينقل عبارة ابن حوقل بنصها في تقويم البلدان ص ٤٢٨-٤٢٩ إلا أنه يجعل بدلاً من «الطرم» «رودبار» مثله في ذلك مثل الإصطخري. ولم أعرف

إلام يؤدي هذا الاختلاف العجيب. وأعتقد أن نسخة ابن حوقل التي حصل عليها أبو الفدا كانت وحدها الصائبة وما ورد فيها مطابق للواقع أي أن ابن حوقل كان قد نقل عبارة الإصطخري بنصها حرفاً بحرف في هذا الموضع (مثل أغلب مواضع كتابه)، ويبدو أن بعض القراء المتأخرين قد أجرى بعض «الإصلاحات» على نسخة ابن حوقل التي كانت أساس طبعة ليدن فاختلف في ذهن هذا القارئ بلا شك الجستانيون مع السلسلة الأخرى من ملوك الديلم المعروفين بـ «آل مسافر» الذين كانوا خلفاء للجستانيين بعد أن قضوا عليهم وكانت عاصمتهم في الحقيقة طارم لأن طارم (وهي القلعة المعروفة بشميران قصبة بلاد طارم) بتصريح سائر المؤرخين^(١) كانت عاصمة آل مسافر وليست عاصمة آل جستان، ولم نسمع بأن أحداً على الإطلاق -خلاف العبارة المشكوكة المحرفة لابن حوقل طبع ليدن- حدد عاصمة الجستانيين بطارم.

ويطلق صاحب تاريخ الصالحي (ينقل دُرن عنه في سلسلة تواريخ مازندران ج ٤، ص ٤٧٤) اسم شهرستان على عاصمة الجستانيين ونصه: «وقيل: بل أول ملوكهم [أي ملوك الديلم] وهسودان ابن المرزيان وكان مقر ملكه بشهرستان». وعبارة المقدسي في أحسن التقاسيم مطابقة تقريباً لتاريخ الصالحي، إذ على الرغم من أنه قال في البداية إن بروان هي عاصمة بلاد الديلم فإنه يقول بعد ذلك مباشرة إن مستقر السلطان يقع في مكان يقال له شهرستان ونصه (ص ٣٦٠): «بروان هي قصبة الديلم صغيرة لا سرية ولا جليلة، ولا ظرف [كذا] ولا [٤٣٨] شريفة، ولا منارة طيبة لفيفة، ولا بلدانها كبيرة ظريفة، ولا جوامع بل في قرى كثيفة، غير أنهم في جلادة عجبية ومنبع العساكر الأليفة، وحيث مستقر السلطان يعني شهرستان قد حفر ثَمَّ بئر إلى أسفلها فيها أموالهم وآلاتهم». ولقد كان مقصده دون أدنى شك جزءاً من

(١) انظر تجارب الأمم لمسكويه وابن الأثير (فهارسه) ومعجم البلدان في عنوان «شميران» و«شهرياران گمنام» للسيد كسروي ج ١ ص ٣٨ وما بعدها.

بروان من قبيل قصر أو قلعة ونحو ذلك، فقد كان هذا الجزء مقر إقامة حكام الديلم وكان يسمى شهرستان، ومن التشابه الواضح بين كلمة «شهرستان» التي ذكرها الصالحي والمقدسي و«شهرک» التي ذكرها الجويني يحتمل احتمالاً قوياً أن نقول: إن هذين الموضعين كانا في الحقيقة اسمين لمسمى واحد، غاية ما في الأمر أن أحدهما هو الاسم الفصيح والآخر هو الاسم العامي المتداول بين أهل تلك البلدة، وكذلك يحتمل احتمالاً قوياً أن يكون مرادهم، حيث اعتبروا رودبار عاصمة الديلم، هو أصل الناحية المسماة بهذا الاسم، ومراد سائرهم بشهرستان أو شهرک هو قسبة تلك الناحية. وبذا لا يكون هناك اختلاف حقيقي بين المؤرخين فيما يتعلق بعاصمة الديلم القديمة.

ب- تعداد ملوك هذه السلسلة

١- مرزبان بن جستان صاحب الديلم: لا نعرف بأي وجه من الوجوه متى بدأت هذه الأسرة في الظهور ومن كان أول ملوكهم، ولكن القدر المحقق هو أنه في أواخر القرن الثاني الهجري في سنة ١٨٩ في عهد هارون الرشيد ذكر لأول مرة في كتب التواريخ اسم واحد من ملوك هذه الطبقة «مرزبان بن جستان صاحب الديلم»، يقول الطبري في حوادث السنة المذكورة^(١): «وفي هذه السنة (١٨٩) حين صار الرشيد إلى الرّي بعث حسيناً الخادم إلى طبرستان فكتب له ثلاثة كتب من ذلك كتاب فيه أمان لشروين أبي قارن والآخر فيه أمان لوندأ هرمز جد مازيار والثالث فيه أمان لمرزبان بن جستان صاحب الديلم فقدم عليه صاحب الديلم فوهب له وكساه وردّه».

٢- [٤٣٩] وهسوذان بن جستان [بن مرزبان بن جستان] الديلمي: الاسم الثاني من أعضاء هذه الأسرة، الذي يتكرر ذكره بعد مرزبان بن جستان المذكور في

(١) المجلد ٣ ص ٧٠٥.

كتب التواريخ هو «وهسودان بن جستان الديلمي»، وقد يتبادر إلى ذهن اللوثة الأولى عند رؤية اسم أبيه جستان أنه أخو مرزيان بن جستان المذكور قبله، ولكن لما كان وهسودان هذا بتصريح الطبري (٣: ١٨٨٠) يعيش في سنة ٢٥٩ أي بعد سبعين عامًا من مرزيان المذكور (١٨٩) فلا شك أنه ينبغي أن نفترض أنه حفيد مرزيان المذكور، كما ذكرنا في العنوان، وكما فعل سائر الباحثين (وهم يوستي وقاسم وزامباور والسيد كسروي) وهو ليس أخاه بأي حال من الأحوال لأن هذا المقدار الفاصل بين عمر الأخوين في العادة مستبعد جدًا بل إنه محال.

كان صاحب الترجمة من الأنصار المخلصين للحسن بن زيد المعروف بالذاعي الكبير وأول السادات العلوية بطبرستان (٢٥٠-٢٧٠)، كما كان أول من بايعه، ولهذا يتكرر ذكر اسمه ضمن شرح أحوال الذاعي المذكور في كتب التواريخ مثل الطبري وابن الأثير وابن اسفنديار وظهير الدين في حوادث سنوات ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٩^(١).

ونورد فيما يلي نص عبارة الطبري في الموضع الأخير: «وفيها [أي في سنة ٢٥٩] كانت وقعة بين محمد بن الفضل بن سنان القزويني ووهسودان بن جستان الديلمي فهزم محمد بن الفضل وهسودان»^(٢). (الطبري ٣: ١٨٨٠) [٤٤٠] منذ هذا

(١) الطبري ٣: ١٥٢٨، ١٦٨٦ (باسم ابن جستان، ١٨٨٠، وابن الأثير ٧: ١٩) (باسم جستان، وهذا قطعًا سهو بدلاً من ابن جستان) ١٠٥، وترجمة ابن اسفنديار ١٦٩ [ج ١ ص ٢٣٥ طبعة إقبال] وظهير الدين ٢٨٧، ٢٩١.

(٢) هكذا يلاحظ أن وهسودان بتصريح الطبري كان يعيش على نحو من اليقين، حتى سنة ٢٥٩، ولكن ابن اسفنديار وظهير الدين ذكرا وفاته (دون ما تحديد لتاريخها الخاص) في سياق حوادث سنوات ٢٥٢-٢٥٠ ويستفاد من سياق عبارة هذين المؤلفين أنهما كانا «يفترضان وقوع وفاة صاحب الترجمة في إحدى السنوات المذكورة، غير أنه لا شك في أن قول الطبري الذي كان معاصرًا لهذا السلطان وهو من أهالي طبرستان فضلًا عن أنه مؤرخ في غاية الدقة والثوق =

التاريخ، أي منذ سنة ٢٥٩، لا نعرف المدة التي عاشها وهسودان بعد ذلك ولكن يبدو أنه لم يبق على قيد الحياة مدة طويلة، وأنه توفي في حدود السنة المذكورة أو بعدها بقليل؛ لأن وفاة ابنه جستان آتي الذكر، كما سنقول، حدثت فيما يبدو بين سنوات ٣٠١-٣٠٤ وكانت مدة ملكه تقرب من أربعين عاماً عقب جلوسه. ونتيجة لذلك نرى أن وفاة أبيه وهسودان صاحب الترجمة لا بد أن تكون قد وقعت في حدود ٢٦٠ أو قبلها مباشرة أو بعدها بقليل.

٣- جستان بن وهسودان المذكور: كان مثله في ذلك مثل أبيه، من الأنصار المخلصين لدعاة طبرستان وعاصر ثلاثة منهم: أولهم: الداعي الكبير الحسن بن زيد الحسني الداعي الأول (٢٥٠-٢٧٠)، الثاني: أخوه محمد بن زيد الحسني الداعي الثاني (٢٧٠-٢٨٧)، الثالث: الحسن بن علي الحسني المعروف بالناصر الكبير وناصر الحق وأطروش (٣٠١-٣٠٤)، وقد كان صاحب الترجمة يحضر بصفة دائمة- أغلب المعارك التي حارب فيها السادات المذكورون أعداءهم مع جميع أتباعه من طوائف الجيل والديلم كجزء من جيشهم. وبعد قتل الداعي الثاني محمد بن زيد في الحرب مع السامانيين سنة ٢٨٧ خرج الناصر الكبير في ديلمان وغيلان للمطالبة بدمه، على التفصيل المذكور في كتب التواريخ، ووقعت بينه وبين السامانيين حول أمل موقعتين عنيفتين في سنة ٢٨٩ و ٢٩٠ فانهزم الناصر وجستان صاحب الترجمة^(١) بجيش الديالمة هزيمة منكرة في المرتين، وقتل منهم جمع عظيم. [٤٤١] ولقد هرب

والاعتبار لا بد أن يكون مقدماً على قول ابن اسفنديار الذي كان يعيش بعد وقوع هذه الوقائع بثلاثمائة عام، بل من الأولى أن يقدم قول الطبري على قول ظهير الدين الذي كان يعيش بعد وقوع ذلك بستمائة عام وهو تابع ومقلد لابن اسفنديار فيما يتعلق بتاريخ طبرستان القديم وليس سنداً مستقلاً.

(١) انظر الطبري ٣: ٢٢١٦ في حوادث سنة ٢٨٩ (الذي عبر عن صاحب الترجمة في هذا الموضع بلفظ «ابن جستان»)، وتاريخ ابن اسفنديار نسخة السيد إقبال ١: ٢٤٧-٢٤٩.

السيد الناصر إلى ديلمان وغيلان بعد هزيمته الأخيرة هذه وأقام بينهم ثلاث عشرة سنة^(١) منزويًا وكان يجتهد في الاشتغال بالعلوم^(٢)، ثم رفع راية الثورة من جديد في ٣٠١ في غيلان واستولى على طبرستان بأكملها، ومنذ ذلك التاريخ حتى سنة ٣٠٤ استقل بالملك في غيلان طيلة هذه السنين الأربع ومات في السنة الأخيرة ميتة طبيعية، وفي هذه الثورة الأخيرة للسيد الناصر خشي جستان صاحب الترجمة الذي كان قد قضى من عمره أربعين عامًا في نصرة الدعاة وبدأ هذه المرة في مخالفة السيد. وقد جرت بينهما معارك عديدة متتالية ولكنهما اصطلحا في النهاية و«صار مسلمًا مرة ثانية»^(٣) وتوثق ما بينهما، غير أن ذلك لم يستمر طويلًا إذ إنه قتل على يد أخيه علي بن وهسودان أتى الذكر^(٤).

ولسنا نعرف على التحقيق تاريخ قتل جستان، ولكن يبدو أنه حدث في الفترة القصيرة التي قضاها السيد الناصر في السلطنة أي بين سنوات ٣٠١-٣٠٤؛ لأنه لما كان جستان قد أدرك سلطنة الناصر الأخيرة، بتصريح ظهير الدين^(٥)، فلا يمكن إذن أن يكون قتله مقدمًا على سنة ٣٠١، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يقول ابن اسفنديار وظهير الدين: إن الناصر الكبير بعد استقرار سلطنته في طبرستان أرسل الحسن بن قاسم الحسني المعروف بالذاعي الصغير إلى غيلان يسعى في إحضار ملوكها إلى أمل لإظهار الطاعة، فأحضر الحسن بن قاسم جماعة من رؤساء الديلم كان من بينهم خسرو فيروز بن جستان مع قبائلهم إلى أمل إلخ. ولأن المؤرخين

(١) ابن الأثير ٨: ٢١ في حوادث سنة ٣٠١ «أقام بينهم ثلاث عشرة سنة»، وتاريخ ظهير الدين ص ٣٠٢-٣٠٣ «أربع عشرة سنة».

(٢) ظهير الدين أيضًا.

(٣) ظهير الدين ص ٣٠٤، وتاريخ الصالحى بنقل دزن عنه ٤: ٤٧٤.

(٤) تاريخ الصالحى، أيضًا.

(٥) ظهير الدين ص ٣٠٤.

المذكورين يذكران في هذا الحادث من ملوك الديلم اسم خسرو فيروز ابن صاحب الترجمة فقط ولا يوردان له (أي لجستان نفسه) ذكرًا فإنه يصبح من المعلوم أن جستان لم يكن حيًا في أية سنة من السنوات التي تولى فيها الناصر السلطنة، وأن ابنه خسرو فيروز قد تمكّن مكانه.

[٤٤٢] ومن رسالة كان صاحب بن عباد قد كتبها لأحد رجال آل بويه المسمى بأبي علي الحسن بن أحمد -الذي اشتغل من قبله بمحاصرة قلعة شميران عاصمة بلاد طارم^(١)- وهي الرسالة التي نقلها ياقوت بنصّها في معجم البلدان في عنوان «سميران»^(٢) يتبين صراحة أن مدة سلطنة جستان بن وهسودان هنا كانت أربعين عامًا، ونصّها: «ثم سمت بهم [أي بآل كنكر]^(٣) إلى مواصلة حسنات [صح: جستان بن] وهسودان ملك الديلم وقد ملك أربعين سنة فحين رأى أن سميران أخت قلعة الموت استجاب للوصلة... إلخ» ولما كانت وفاة جستان قد حدثت وفقًا للشرح المذكور عاليه، بأغلب الظن في سلطنة الناصر (٣٠١-٣٠٤) إذن لا بد أن يكون جلوسه بناء على هذا في حدود ٢٦٠ أو قبلها مباشرة أو بعدها بقليل.

وكان لجستان صاحب الترجمة ابنة تسمى خراسويه كانت قد تزوجت بمحمد ابن مسافر الديلمي مؤسس الشعبة الأخرى من ملوك الديلم المعروفين بآل مسافر،

(١) لما كان نص هذه الرسالة محرفًا للغاية وخاطئًا، فضلًا عن أن عبارة ياقوت مجملّة، فإننا لا نعرف من كتب الرسالة إلى الآخر؟ هل كتبها صاحب بن عباد للقائد المذكور؟ أم كتبها القائد المذكور للصاحب بن عباد؟ ولكن يبدو من سياق الرسالة أن الاحتمال الأول أرجح.

(٢) ج ٣ ص ١٤٩-١٥٠.

(٣) أو آل كنكر ويعني بهم آل مسافر.

وهي أم ابنه المعروفين مرزيان ووهسودان، ولقد كانت خراسويه المذكورة امرأة تتسم برجاحة العقل والكفاية والتدبير، ويبدو أنها كانت تعيش حتى حدود سنة ٣٤٢^(١).

٤- علي بن وهسودان: أخو جستان الذي ذكرنا طرفاً من سيرته قبله، ويقرر مسكويه في تجارب الأمم (ج ٥ ص ٢٦، ٣٨-٣٩) أن صاحب الترجمة نُصب في سنة ٣٠٠ من قِبَل المقتدر لحكومة إصفهان، ثم غضب عليه في سنة ٣٠٤ وعُزل [٤٤٣] من هذا العمل فرجع إلى بلاد الديلم، ثم عاد الخليفة في حدود سنة ٣٠٧ ورضي عنه بشفاعه مؤنس الخادم، ومنحه حكومة الري وديماوند وقزوین ووزجان وأبهر، ولكن يبدو أن مدة حكومته الأخيرة لم تطل كثيراً حيث وثب عليه خاله محمد بن مسافر الديلمي وقتله غيلة وهو نائم في فراشه وهرب إلى بلده^(٢). ولم أعثر على تاريخ قتله في أي موضع من المواضع ولكن يغلب على الظن أنه قتل في السنة نفسها ٣٠٧ أو بعدها بقليل^(٣)، ويبدو أن صاحب الترجمة كان في خلال هذه المدة

(١) شرح حال خراسويه مذكور بالتفصيل في تجارب الأمم ج ٦ ص ٣٢، ١٥١-١٥٢، ولقد نقل مسكويه قطعاً في إشارته إلى زواج خراسويه هذه بمحمد بن مسافر الفقرة التي نقلناها عليه من رسالة صاحب بن عباد: «ثم سمت بهم همتهم إلى مواصلة جستان بن وهسودان ملك الديلم إلخ».

(٢) تجارب الأمم: ج ٥ ص ٥١.

(٣) يبدو لأول وهلة من سياق مسكويه ٥: ٥١، ويتبعه ابن الأثير ٨: ٣٩، (وكلاهما ذكر قتل علي بن وهسودان في ذيل حوادث سنة ٣٠٤) أن هذه الواقعة قد حدثت في السنة نفسها، ولكن بالرجوع إلى ما سبق العبارة ولحق بها يتضح أن هذه الواقعة ذكرت في ذيل سنة ٣٠٤ لأنها جزء لا يتجزأ من الحوادث السابقة وإلا لاستحال أن نعتبر عن يقين أن قتله قد حدث مقدماً على سنة ٣٠٧، لأنه نُصب حاكماً على بلاد الجبل وهي الري وقزوین وغيرهما بعد هزيمة يوسف بن أبي الساج حاكم أنزباجان وبلاد الجبل المتمردين، فبعد هزيمته منح الخليفة صاحب الترجمة جزءاً من البلاد التي كانت تابعة ليوسف، ولما كانت هزيمة يوسف بن أبي الساج قد حدثت بتصريح المؤرخين المذكورين في المحرم سنة ٣٠٧ (مسكويه ٥: ٤٩، وابن الأثير ٨: ٣٨) فإنه يتضح إذن أنه لا يمكن أن يكون تنصيب علي ابن وهسودان حاكماً على بلاد الجبل وقتله، الذي حدث بداهة بعد هذا التنصيب، مقدماً على سنة ٣٠٧. ومن ناحية أخرى لما كان المؤرخان المذكوران قد ذكرا قتل صاحب الترجمة مباشرة بعد توليه حكومة بلاد الجبل وفي ذيل الواقعة نفسها (مسكويه ٥: ٥١، وابن الأثير ٨: ٣٩) فضلاً عن أنه لم يرد بعد تاريخ

القصيرة التي قضاها في الحكم ببلاد الجبل، خلافاً لما درج عليه أبائوه وأجداده الذين كانوا جميعاً من أنصار السادات العلوية بطبرستان [٤٤٤] قد أخذ الحسن بن القاسم الحسني المعروف بالدّاعي الصغير وحبسه في قلعة الموت، وقد ظل السيد أسيراً في تلك القلعة إلى أن قُتل صاحب الترجمة فأخرج من السجن وتوجه إلى گیلان، يقول ابن اسفنديار في شرح أحوال الدّاعي المذكور: «لجأ الدّاعي إلى الإصفهيد محمد بن شهريار فأخذه الإصفهيد محمد وقيده بقيود ثقيلة وأرسله إلى علي بن وهسودان الذي كان نائب الخليفة المقتدر بالله في الري. وكان طاهر بن محمد الكاتب واقفاً أمام علي بن وهسودان فلم يوافق على إرساله إلى بغداد، وقال المصلحة أن ترسله إلى قلعة أبانك في الموت فحملوه إليها وحبسوه بها. إلى أن فتك محمد بن مسافر بعلي بن وهسودان في قزوین، فخلص خسرو فيروز الدّاعي وأرسله إلى گیلان^(١).

٥- خسرو فيروز بن جستان بن وهسودان: خسرو فيروز هذا كان ابن جستان بن وهسودان، بقول ابن اسفنديار وظهير الدين، وأخاه بقول الصالحی^(٢)، ومهما يكن من أمر فقد قام خسرو فيروز بعد قتل علي بن وهسودان على يد محمد ابن مسافر في حدود سنة ٣٠٧ بمحاربة هذا الأخير طلباً لنثار عمه (أو أخيه) ولكنه هزم في النهاية ثم قتل على يد محمد بن مسافر وجلس مكانه ابنه المهدي^(٣).

=٣٠٧ في أي مصدر آخر نكر أو خبر على الإطلاق عن علي بن وهسودان، فإنه يمكن القول بأن قتله قد حدث بأظهر الوجوه في سنة ٣٠٧ ذاتها أو بعدها بقليل، ولكنه على أي حال لم يتأخر كثيراً عن التاريخ المذكور.

(١) ابن اسفنديار نسخة السيد إقبال ج ١ ص ٢٦٤-٢٦٥، وظهير الدين ٣١٠-٣١١ (ليس المراد بـ«الناصر» في المصدر الأخير ص ٣١١ س ٤ - الذي يقول: إن الدّاعي الصغير توجه، بعد خلاصه من حبس علي بن وهسودان، إلى گیلان واتصل بالناصر - الناصر الكبير الذي توفي في سنة ٣٠٤ فالكلام هنا عن وقائع ٣٠٧ وما بعدها، إذ إن مراده أحد أولاد الناصر الكبير أبا الحسين أحمد أو أبا القاسم جعفر اللذين كانا معروفين أيضاً بالناصر).

(٢) ابن اسفنديار ١: ٢٥٨، وتاريخ الصالحی بنقل عنه ٤: ٤٧٤.

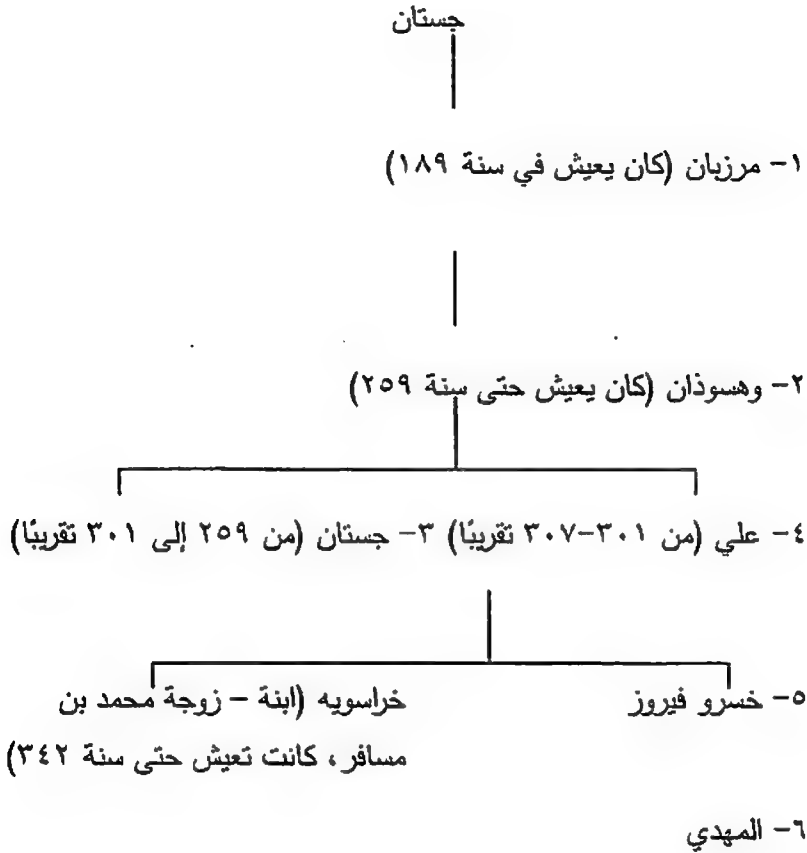
(٣) تاريخ الصالحی، أيضاً.

٦- المهدي بن خسرو فيروز: حاربه محمد بن مسافر أيضا وانتصر عليه واستولى على سائر بلاد الديلم. فالتجأ المهدي إلى أسفار بن [٤٤٥] شيرويه المعروف، فتغير عليه أسفار بعد مدة فخافه وتركه^(١)، ولا نعرف على التحقيق تاريخ هذه الوقائع، ولكن لما كانت هذه القضايا كلها قد وقعت بعد مقتل علي بن وهسودان في حدود ٣٠٧ وقبل قتل أسفار نفسه سنة ٣١٦ فإن تاريخ وقوعها إذن محصور بالطبع بين الحاصرتين المذكورتين، ولا نعثر بعد ذلك على الإطلاق في أن كتابنا من كتب التواريخ، في ظاهر الأمر، على ذكر أو خبر أو أثر عن آل جستان.

ولقد قلنا في أول هذا الفصل: إن أول اسم ورد ذكره في التاريخ من أعضاء هذه الأسرة كان في سنة ١٨٩ في خلافة هارون الرشيد، إذن يمكن أن يقال على سبيل الإجمال: إن ابتداء ظهور هذه الطائفة، وبعبارة أصح ابتداء اطلاعنا على أحوال هذه الطائفة كان في أواخر القرن الثاني، وانتهاء أمرهم، أي صمت كتب التواريخ عن ذكرهم، كان في حدود ٣١٦.

(١) تاريخ الصالحى، أيضا.

شجرة أنساب هذه الأسرة



السَّلَامِي، هو أبو علي الحسين بن أحمد بن محمد السَّلَامِي النِّهَاقِي صاحب التاريخ المشهور «أخبار ولاية خراسان» الذي كان المصدر الرئيسي لأغلب المؤرخين المتأخرين فيما يتعلق بتاريخ النواحي الشرقية لإيران وما وراء النهر حتى أواسط القرن الرابع الهجري، وقد نقل أكثر المؤلفين مثل الشيخ الصدوق والسَّمْعَانِي وياقوت وابن خَلَّكان ونظامي عروضي والجويني وبعض شُرَاح اليميني القدماء فصولاً عديدة من هذا الكتاب بالنص^(١)، ويغلب على الظن أن هذا الكتاب القيم كان قطعاً المصدر الرئيسي للمعلومات المتصلة المبسطة التي ذكرها الكرديزي في زين الأخبار، وابن الأثير في تاريخ الكامل فيما يتعلق بالنواحي المذكورة أعني خراسان وسيستان وطبرستان وما وراء النهر في عهد الدولة الطاهرية والصفارية والسامانية. ويبدو أنه قد فُقد في الوقت الحاضر كلية.

وشرح حال السَّلَامِي صاحب الترجمة مذكور في تاريخ بيهق تأليف أبي الحسن البيهقي، وفيما يلي نص عبارته^(٢): «الشيخ أبو علي الحسين بن أحمد بن

(١) انظر عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق طبع طهران ص ٢٩٧-٢٩٨، والأنساب للسَّمْعَانِي في نسبة «يفتلي» ورقة 601a، ومعجم الأدباء ٦: ٢٩٣، وابن خَلَّكان ١: ٢٥٧، و٢: ٢٧٦، ٤٨٢-٤٨٨؛ في شرح أحوال طاهر ذي اليمينين، والمهلب ابن أبي صفرة ويعقوب بن الليث، وجهار مقاله لنظامي عروضي السمرقندي ص ٢٧، وجهانگشا الجويني ٣: ٢٧١، وما يقابلها من الترجمة، وشرح تاريخ اليميني لأحمد المنيني نقلاً عن بعض الشراح القدامى لهذا التاريخ مثل صدر الأفاضل والكرماني ١: ١٧٢، ٢٩٣، ٣٤٨، و٢: ١٧.

(٢) تاريخ بيهق نسخة لندن 3587 or ورقة 89a. وكنا قد نقلنا قبل ذلك في هوامش ص ١٢٥ من جهار مقاله جزءاً من هذا الفصل من تاريخ بيهق يتعلق بترجمة حياة السَّلَامِي وها نحن أولاء الآن نعيد نقله نظراً لأهميته الكاملة للموضوع. (القزويني). وقد طبع كتاب «تاريخ بيهق» في طهران سنة ١٣١٧ هجرية شمسية باهتمام أحمد بهمنيار، وترجمة حياة السَّلَامِي مذكورة في ص ١٥٤ من تلك الطبعة. (المترجم).

محمد^(١) السّلامي البيهقي، ولد ونشأ في خوار بيهق [٤٤٧] وينبغي نطق السّلامي هذه بفتح سين وتشديد لام على وزن علّام وغفّار وهو يوضح هذه الكلمة في كتاب الثّار وهو من تصنيفه، ونسبة الشاعر سلامي بتخفيف لام ألف إلى مدينة السلام يعني بغداد، ولقد توفي أبو علي الحسين السلامي صاحب التاريخ في سنة ثلاثمائة، وذكّر أبي علي السلامي وتقرير حاله مستغن عن الشرح، وكتبه ناطقة بفضله ومن تصانيفه تاريخ ولاية خراسان^(٢)، وكتاب النّنف والطّرف^(٣)، وكتاب المصباح، وكتاب الثّار، ولقد كان تلميذاً لإبراهيم بن محمد البيهقي، وأشعاره مذكورة في كتاب يتيمة الدهر^(٤) وغيره، وكان أبو بكر الخوارزمي تلميذاً له» انتهى.

(١) يرد اسم السلامي ونسبه في عيون أخبار الرضا ص ٢٩٧-٢٩٨، ومعجم الأدباء ١: ١١٨ على النسق المذكور في العنوان الوارد بتاريخ بيهق وقد عبر عنه في يتيمة الدهر ٤/ ٢٩ بـ «أبو علي السلامي» وفي مناقب ابن شهر آشوب ٦/ ٢ بـ «أبو علي الحسن [الحسين] البيهقي السلامي» فينتضح من مجموع القرائن أن كنية صاحب الترجمة برواية أغلب المؤرخين كانت أبا علي واسمه الحسين، ولكن ابن خلّكان ٢: ٢٧٦، ٤٨٢ في شرح حال المهلب بن أبي صفرة ويعقوب بن الليث والسمعاني في الأنساب 219a يطلقان عليه «أبو الحسين علي بن أحمد سلامي»، ولا شك في أن المؤلفين الأخيرين قد خلطوا بين اسم صاحب الترجمة وكنيته فكتبوا «أبو الحسين علي» بدلاً من «أبو علي الحسين» ويبدو أن السمعاني على الأخص لم يكن لديه معلومات عن أحوال السلامي وعن كتبه بطريق مباشر؛ لأنه لم يذكر على الإطلاق اسم صاحب الترجمة في كتاب الأنساب في نسب «سلامي» ورقة ٣٠٢. وكل ما نقله عن السلامي في كتابه المشار إليه (حيث ينقل عنه مثلاً في نسب «سجزي» 291a وفي نسب «يفتلي» 601a) لم ينقله مباشرة عنه بل نقله عن ابن مأكولا الذي نقل بدوره عن السلامي.

(٢) أو «أخبار ولاية خراسان» على حسب اختلاف تعبير المؤرخين.

(٣) أو «ننف الطرف» على حسب اختلاف تعبير المؤرخين، ينسب هذا الكتاب باسمه ورسمه إلى صاحب الترجمة، فضلاً عن صاحب تاريخ بيهق، وكذلك الثعالبي في يتيمة الدهر ٤: ٢٩، وياقوت في معجم البلدان ١: ١١٨ و ٦: ٤٩٠، وفي معجم الأدباء ٤: ٢٠٣ وقد نقل ياقوت فقرات عديدة من هذا الكتاب. ولكن السمعاني في كتاب الأنساب في نسب «سلامي» ورقة 302b ينسب هذا الكتاب إلى السلامي الشاعر المعروف «أبو الحسن محمد بن عبد الله السلامي» على شك منه في ذلك. وهذه أيضاً قرينة أخرى تدل على أن السمعاني - كما ذكرنا - لم تكن لديه معلومات كثيرة منقحة عن أحوال صاحب الترجمة وعن مؤلفاته.

(٤) ج ٤ ص ٢٩.

[٤٤٨] وهكذا يلاحظ أن تاريخ بيهق يجعل وفاة السلامي بصراحة ووضوح في سنة ثلاثمائة. على الرغم من أن المؤلف نفسه يقول في الموضع نفسه: إن أبا بكر الخوارزمي كان تلميذاً له، وبين هذين الرأيين تناقض شديد الوضوح لأن أبا بكر الخوارزمي ولد في سنة ٣٢٣ بتصريح معاصره وصديقه الثعلبي في يتيمة الدهر ٤: ١٢٧ ويدهي أن أستاذه، أعني السلامي صاحب الترجمة، لا يمكن أن يكون قد توفي في سنة ٣٠٠ أي قبل ولادة تلميذه بثلاثة وعشرين عاماً، فليس ثمة شك على الإطلاق في أن كلمة ثلاثمائة في عبارة تاريخ بيهق خطأ فاحش؛ بمعنى أنه لا بد أن تكون قد سقطت مراتب من الأحاد والعشرات من هذا التاريخ. ويبدو أن المؤلف ترك مكان الأحاد والعشرات - وهو الأمر الذي تشاهد نظائره بكثرة - بياضاً إلى أن يتحقق من التاريخ ثم يضبطه، غير أنه لم يوفق إلى معرفته على وجه التحقيق أو وفق ونسي أن يجري الإضافة اللازمة، ثم إن النساخ المتأخرين لم يلتفتوا إلى هذا البياض فحذفوا الفاصلة المتروكة بياضاً عند الكتابة^(١)، وعلى أي تقدير فلا محل للشك والتردد في أن وفاة السلامي لا يمكن أن تكون قد وقعت في تاريخ مبكر عن حوالي سنة ٣٤٠؛ لأنه لو كان سن تلميذه أبي بكر الخوارزمي المذكور حين وفاة أستاذه عشرين عاماً أو حتى خمسة عشر عاماً لافترضنا أن النتيجة الحتمية لهذا هو أن السلامي كان يعيش على وجه اليقين حتى حدود سنة ٣٤٠.

وفضلاً عن هذا الاستدلال المبني على الحساب نجد بين أيدينا أيضاً بعض القرائن والدلائل الخارجية الأخرى تشير بأن وفاة السلامي لم تحدث بعد سنة ٣٤٤ على أظهر الوجوه، غير أنه لما كان أصل المبحث (وهو تخطئة سنة ثلاثمائة

(١) ومن العجيب أن هذا السقط موجود بنصه في النسختين اللتين حصلت عليهما من تاريخ بيهق وهما نسخة لندن Or. 3587 ورقة 89a، ونسخة برلين Sprenger 207 ورقة ٨٧، وعبارة تاريخ وفاة السلامي مذكورة بنصها على النحو المذكور في المتن يعني «توفي سنة ثلاثمائة» (القرويني)، كذلك وردت هذه العبارة بنصها في طبعة طهران لكتاب تاريخ بيهق سنة ١٣١٧ هجرية شمسية. (المترجم)

[٤٤٩] كتاب تاريخ لوفاة السلامي) واضحاً كل الوضوح، فقد صرفنا النظر - احترازاً من تطويل الكلام بلا طائل - عن الخوض في تفصيل هذه القرائن والدلائل، ونحيل القراء الذين يطلبون مزيداً من المعلومات عن هذا الموضوع إلى الكتاب الذي ألفه بارتولد بعنوان «تركستان» (الترجمة الإنجليزية ص ١٠) ^(١)، وإلى رسالة أخرى للمؤلف نفسه تتعلق بتاريخ الأسرة الصفارية موجودة في العدد التذكاري الذي نشر بمناسبة العيد السبعين لميلاد تولدكه ج ١ ص ١٧٤، وانظر أيضاً مقالة السيد بدیع الزمان الخراساني من الفضلاء المعاصرين بعنوان «انتقادات بر حواش چهار مقالة» [أي نقد حواشي چهار مقالة (المقالات الأربع)] ^(٢) منشورة في مجلة «ارمان» المطبوعة بطهران سنة ١٣١٠ العدد ٥-٦، وهناك مقالة أخرى لصديقي الفاضل ميرزا عباس خان إقبال آشتياني في الرد على هذه الانتقادات منشورة في مجلة «شرق» المطبوعة أيضاً في سنة ١٣١٠ العدد ٦-٧. وقد سبق لي أن كتبت في حواشي چهار مقالة ص ١٢٥، نقلاً عن عبارة تاريخ بيهق دون تصرف، أن السلامي توفي في سنة ثلاثمائة دون أن التفت إلى استحالة هذا التاريخ، وإنني مدين الآن بتصحيح هذه الغفلة للأبحاث القيمة للفاضلين المشار إليهما، أعني السيد بدیع الزمان الخراساني والسيد إقبال آشتياني، فقد لفتا نظري إلى هذه النقطة في مقالتهما السابق ذكرهما، متعنا الله بطول بقائهما.

تمت الترجمة بحمد الله وتوفيقه

(١) ص ٧٢ - ٧٣ من الترجمة العربية للكتاب، وقد نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم،

ونشره المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت سنة ١٩٨١ م. (المترجم).

(٢) وهي الحواشي التي كتبها الأستاذ القزويني على كتاب «چهار مقالة» للنظامي العروضي

السمرقندي طبع ليدن سنة ١٩٠٩ م. (المترجم).

فهرست الأعلام

يقتصر هذا الفهرست على النص الأصلي لكتاب جهانگشاي والذي انتهى بصفحة ٢٤٦، ولا يشمل الفهرست الحواشي والتعليقات الواردة في آخر هذا الجزء.

- (ح) يعني حاشية، (ظ) يعني ظاهراً.

أباجي، ٧٢

إبراهيم (عليه السلام)، ١٤٢، ١٤٣، ٢٠٨، ٢٠٩ (متن وحاشية)

إبراهيم أمين الشواربي، ١٨٦ ح، ١٨٧ ح

أبقا (أباقا)، ٩٨

إبليس، ٦٨، ١٢٧، ١٨٢

ابن أبي الحديد، ١٢٧ ح

ابن إسفنديار، ١٧٨، ١٨١، ١٨٥، ١٨٦، ٢٣٣ (ح في المواضع)

ابن الأثير (صاحب التاريخ). مكرر في الهوامش

ابن الأثير (صاحب المثل السائر)، ٦١ ح

ابن الصابي (هلال بن المحسن)، ١٥٦ ح

ابن العبري، مؤلف مختصر الدول، ٩٦، ١٥٢، ١٥٩، ٢٣٧ (ح في المواضع)

ابن العديم، ١٥٥ ح

ابن القلانسي، ١٥٥، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٥، ١٦٦ (ح في المواضع)

ابن المعتز، ٥٨ ح، ٦٥ ح

ابن تغري بردي، مؤلف النجوم الزاهرة والمنهل الصافي.. مكرر في الهوامش

ابن جبير، ١٤٥ ح

ابن حوشب، ١٤٦
 ابن خلدون، ١٦٤ ح، ٢٣٩ ح
 ابن خلكان. (مكرر في الهوامش)
 ابن دؤاس، ١٥٨ (متن وحاشية)، ١٥٩
 ابن شاکر الکتبی، ٢٣٨ ح
 ابن عدي، ٦٦ ح
 ابن غياث الدين مسعود، ١٩٦
 ابن ميثم البحراني، ٢٢٠ ح
 ابن ميسر، ١٦٦ ح، ١٧٥ ح
 أبو الحسن الصعيدي، ٢٠٦ (متن وحاشية)
 أبو الحسين (صح: أبو الحسن) القدوري، ١٦٤
 أبو الخطاب، محمد، ١٤٤ (متن وحاشية)
 أبو العتاهية، ٤١ ح
 أبو العلاء المعري، ١١٠ (متن وحاشية)
 أبو الغنائم بن حمدان، ٤٦ ح
 أبو الفتح البستي، ٨٠ ح، ١٦٠ ح
 أبو الفدا، صاحب التاريخ وكتاب تقويم البلدان،. مكرر في الهوامش
 أبو الفضل أحمد بن محمد الرشيدى اللوكري، ١٢٦ ح
 أبو الفضل، الرئيس، ١٨٧
 أبو القاسم الدرکزيني، ١٩٢ ح
 أبو النشاش، ٧٧ ح
 أبو تمام، ٧٣ ح
 أبو حامد الإسفرايني، ١٦٤
 أبو زيد (اللغوي)، ٢٠٤ ح
 أبو سهل الزوزني، ١٠٠ ح
 أبو سهل منشا (اليهودي). انظر: منشا بن إبراهيم اليهودي

أبو عبد الله البضاوي، محمد، ١٦٤ (متن وحاشية)
 أبو عبد الله الشيعي. انظر حسين بن أحمد
 أبو فراس الحمداني، ١٢٠ ح
 أبو محمد بن الأكفاني، ١٦٤
 أبو مسلم الخراساني، ١٢٧ ح، ١٣٦ ح
 أبو مسلم الرازي، ١٧٧
 أبو منصور إسماعيل، ١٦٨
 أبو منصور الدرواني، ١٥٢
 أبو نجم سراج، ١٧٤
 أبو نواس، ٦١ ح
 أبو يزيد الخارجي، مخلد، ١٤٩ ح، ١٥٠
 الأبيوردي، ٨٥ ح
 الاتحادية، ١٤٤
 أحمد الدباوندي، ١٩٠
 أحمد بن نظام الملك، ١٨٨ (متن وحاشية)، ١٩١
 أحمد بيتكجي، ١٢ ح، ١٠١
 آدم، ١٤١
 أرجستان (آل جستأن ظ)، ٢٣٩
 أرسلانتاش، ١٨٣، ١٨٤
 أرغاسون بن إيلچيكتاي، ٧١
 أرغون (الأمير)، ١١، ١٢ (متن وحاشية)، ١٦، ٨١، ٨٢، ١٠٠، ١٠١،
 ١٠٣، ١٠٤
 أرينغ بوكا، ٢٧، ٣٧، ٥٣
 الأزرق، ١٤٥ ح
 أسفار بن شيرويه، ١٣٧ ح
 الإسكندر الأكبر، ١٢٥ ح
 إسماعيل (عليه السلام)، ٢٠٨، ٢٠٩

إسماعيل بن جعفر الصادق، ١٣٦ (متن وحاشية)، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠،

١٤٢، ١٤٣، ١٤٧، ١٤٩

الإسماعيلية، ٩، ١٢، ١٣، ١٤، ١٦، ١٧، ١٠٧، ١٣١، ١٣٢ (متن)

وحاشية)، ١٣٤، ١٣٨، ١٤٠ (متن وحاشية)، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣،

١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٦٦، ١٧٥، ١٨١، ١٨٦، ١٨٩، ١٩١، ٢٠٩،

٢١٧، ٢١٨، ٢٣٤، ٢٣٩، ٢٤٠

الأصمعي، ٢٠٤ ح

أغول غايمش، ٤٦، ٦٩، ٧١

إقبال، عباس إقبال، ٢٧ ح، ٢٣١ ح

التون تاش، ١٨٢ ح

ألف نوين، ٢٥، ٣٠

أم عمرو، ١٩٤

أم فروة، بنت جعفر الصادق، ١٣٦ ح

أمير الجيوش، بدر الجمالي، ١٦٦ ح، ١٧٥ (متن وحاشية)

أمير داد حبشي بن التونتاق، ١٧٩ (متن وحاشية)، ١٨٩ ح

أميره ضراب، ١٧٤

الأمين، ١٥٥ ح

الأنوري، ٥٣ ح، ١٠٣، ١٣١ ح

أوتاكوچينا، ٢٤٤

أوتكين، ٤٩

أورقينه خاتون، ٩٩ (متن وحاشية)

أوكتاي قا آن، ١٥، ٢٦، انظر أيضا قا آن

أونك خان، ٢٧ (متن وحاشية)

أوهتاي، ٣٧

الأويرات (قبائل)، ٩٥

أيدي قوت، ٧٢، ٧٣

إيرانشاه، ٢٣٥
 أيغلمش (سيف الدين)، ٢١٨
 إيفانوف، ١٤٣، ١٧٥، ٢٠٣ (ح في المواضع)
 إيلچيتاي الكبير، ٤٩
 إيلچيتاي نوين، ٦٣، ٦٦
 إيلچيكتاي، ٧١، ٧٣، ٧٤ (متن وحاشية)
 إيلخان (يعني هولاكو)، ١٢٣، ١٢٧، انظر أيضًا هولاكو
 الأيوبيون (آل أيوب)، ١٦٨
 باتو بن توشي، ٣١، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٧٢ (متن وحاشية)،
 ٧٣، ٧٨، ٧٩، ٩٤
 الباطنية، ١٣١ ح، ١٣٢ ح، ١٣٤، ١٣٥، ١٧٤، ١٧٧ ح، ١٨٦، ١٨٨
 ١٩٧ ح، ٢١٨ ح
 بالا يارغوجي، ٧٤
 البتكين (الفتكين) المعزي، ١٥١ (متن وحاشية)
 بجمن، ٣١، ٣٢
 براون، إدوارد، ١٨٦، ١٨٧، ٢٣٣ (ح في المواضع)
 برکه بن توشي، ٤٢، ٤٩، ٥٦ (متن وحاشية)، ٧٨
 برکیارغ (برکیارق) بن ملکشاه، ١٨٩
 برنکوتاي، ٦٨، ٧١ ح
 بزرگ أمید، کیا، ١٩٠، ١٩٤، ١٩٥ (متن وحاشية)، ١٩٨
 بشامة بن حزن النهشلي، ٣٧ ح
 بقاتيّمور، ٩٥، ١٠٦، ١١٠، ١١٦، ٢٣٥
 بلغان، ٢٤٣
 بلغاي، ٥٥، ٩١، ٩٢، ٩٤، ٩٨، ١٠٦، ١١٦، ١٢٨، ٢٣٧ (متن وحاشية)،
 ٢٤٣ ح
 بلوشيه، ادگار (محقق جزء من كتاب جامع التواريخ، مكرر في الهوامش)

بهاء الدين ابن عضد الدولة، ١٦١
 بهرامشاه الغزنوي، ٨٦ (متن وحاشية)
 بوجراي، ٢٤٢، ٢٤٣
 بوچك بن تولي، ٣٢، ٥٣
 بوري بن ماتيكان، ٧٠ (متن وحاشية)، ٧١، ٧٢
 بوطاهر الأزراني (أبو)، ١٨٦
 بويل، جون أندرو، ١٨، ١٩، ٤١، ٤٣، ٤٦، ٥٢، ٥٣، ٦٣،
 ٦٨، ٦٩، ٧١، ٧٢، ٧٦، ٨٠، ٨٢، ٨٣، ٨٦، ٩٥،
 ٩٦، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١١٨،
 ١٢١، ١٢٩، ١٣٢، ١٦٦ ح
 بويه، آل، ١٢٩، ١٩٥، ٢١٢، ٢١٣، ٢٣٩ ح
 بيكي، ٢٥، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٤١، ٤٣، ٧١، ٩٥
 تاج الدين مردانشاه، ٢٣٤
 تايجو (ظ / بايجو)، ٩٦
 التبريزي، ٣٧، ٤٧، ٥٨، ٦٧، ٧٥ (ح في المواضع)
 تنش بن ألب أرسلان، ١٨٨ ح
 تركمان بيتكجي، ٧٠، ٧١ ح
 ثقاتيمور بن توشي، ٤٢، ٤٩، ٧٨
 نقاشي (خاتون)، ٧٠، ٧١ (متن وحاشية)، ٧٢
 النقي، ١٤٩
 تكشي أغول، ٧٠ (متن وحاشية)
 تكودار أغول، ٣٧، ٩٥، ١٠٦
 تمغا، ١١٤، ٢٣٧
 التهامي (الشاعر)، ٧٥ ح
 توتار أغول، ٩٤، ٩٨، ١٠٦، ١١٦
 توراكيينا خاتون، ١٥

توكل (تصحيح تولاك آتي الذكر)، ٢٣٢ ح
تولاك بهادر، ٢٣٢
تولى، ٢٥ ح، ٢٦ (متن وحاشية)، ٥٣ ح، انظر أيضا ألف نوين
تونال الصغير، ٦٣
تونال، ٦٣، ٦٦
تيمور نوين، ٣٦
الثعالبي، ١٦٠ ح
جذيمة الأبرش، ٤٨ ح
جرير، ٦٢ ح
جستان آل، ٢٣٩ ح
جعفر الصادق، ١٣٦، ١٣٧ ح، ١٣٨ (متن وحاشية)، ١٣٩، ١٤٤، ١٤٩
جعفر الطيار، ١٣٥
جغانوين، ٧٦ (متن وحاشية)
جغتاي بن جنكيزخان، ٣٧، ٦٦، ٩٥، ٢٤٣ ح
جغتاي قورجي، ٢٤٣
جلال الدين حسن، نو مسلمان، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩،
٢٢٠
جلال الدين منكبرتي، ١٥
جمال الدين الشيال، ١٤٥، ١٤٦، ٢٧٧ (ح في المواضع)
جمال الدين محمود الخجندي، ٨٥
جمال زكريا قاسم، ١٤٥ ح
جمشيد، ٦١
جنكي، ٦٣
جنكيزخان، ١١، ١٢، ١٥، ١٦، ٢٥ (متن وحاشية)، ٢٦ (متن وحاشية)،
٢٧ ح، ٣٧ (متن وحاشية)، ٣٩، ٤٣ (متن وحاشية)، ٤٧، ٤٩، ٥٥ ح، ٥٦،
٥٨، ٧٨، ٨٣، ١٣٠، ٢١٩، ٢٤٣

جورماغون نوين، ٩٦
 جومغار أغول، ٩٨ (متن وحاشية)
 جواهر، أبو الحسن، ١٥٠ ح، ١٥١
 الجويني. انظر عطا ملك
 جينقاي، ٧١
 حاتم الطائي، ٨٩ ح
 حاجي خليفة، ٣٥ ح
 الحافظ لدين الله أبو الميمون، ١٦٨ (متن وحاشية)
 الحاكم بأمر الله، ١٤٩، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١،
 ١٦٢، ١٦٣
 الحسن بن أحمد القرمطي، ١٥١
 الحسن بن آدم القصراني، ١٩٤
 الحسن بن الصباح، ١٣، ١٧، ١١٥، ١١٨، ١٢٩، ١٦٧، ١٧٢، ١٧٣ ح،
 ١٧٥ ح، ١٧٨ ح، ١٧٩، ١٨٠ ح، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦ (متن
 وحاشية)، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠ (متن وحاشية)، ١٩١، ١٩٣، ١٩٤،
 ١٩٥، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٦، ٢٣٩، ٢٤١ ح
 الحسن بن المهدي بن الهادي بن نزار، ٢١٠
 الحسن بن بشر الدمشقي، ١٥٢
 الحسن بن علي بن أبي طالب، ١٤١
 الحسن بن محمد بن بزرگ أميد، المعروف بعلي نكره السلام، ١٣٢ ح، ٢٠٠،
 ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢ ح
 حسن بن ناصر الغزنوي، السيد، ٥٢ ح
 الحسن بن نامور، ٢١٢، ٢١٣
 حسين الدنباوندي، ١٩٠
 حسين القايني، ١٨٣، ١٩٠ (متن وحاشية)
 حسين بن أحمد، المعروف بأبي عبد الله الشيعي وأبي عبد الله الصوفي

المحتسب، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨ (ح في المواضع)
 الحسين بن علي، ١٤١
 الحلولية، ١٤٤
 الخازن، أبو محمد، ٥٤ ح
 خسرو پرويز، ٤٤، ٥٣، ٥٩، ٦٠ ح
 الخضر، ١٤٢
 خواجه (خوجة) (خواجه أغول)، ٤٦، ٤٧، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٦
 الخوارج، ١١٤ ح
 الخوارزمي (مؤلف مفاتيح العلوم)، ١٦
 الخوارزميون، ١١
 دانشمند (الحاجب)، ٧١ (متن وحاشية)
 الدجال، ١٥٠
 دهخدا (الحسن بن الصباح)، ١٧٨
 دهخدا (صاحب المعجم)، ٢٩، ٣٦، ٦٢، ١٢٩ (ح في المواضع)
 دهدار بو علي أردستاني، ١٨٤، ١٩٤، ٢٠٩
 دوزي (المستشرق الهولندي، مؤلف ذيل القواميس العربية). مكرّر في الهوامش
 دي خويه (المستشرق الهولندي)، ١٤٥ ح
 الديباجية (?)، ١٣٩ ح
 ديسان بن سعيد، ١٦٢
 الديصانية، ١٦٢
 نبيح الله. انظر إسماعيل
 الراشد بالله، ١٩٨
 رستم بن الحسين. انظر ابن حوشب
 رستم، ٦٠ (متن وحاشية)، ٧٧ ح، ١٣٣
 رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ١٢٩، ١٤٨، ١٦٧، ١٧٩، ١٨١، ٢٠٧،
 ٢١٣

رشيد الدين فضل الله، مؤلف جامع التواريخ، مكرر في الهوامش
رشيد الوطواط، ٥٥ ح

الرّضَيّ (الرّضَيّ، السّيد)، ١٤٨ ح
الرّضَيّ السّيد، ١٤٨، ١٦٤

ركن الدين خورشاه، ١٧، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١١، ١١٣،
١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧،
١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١،
٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣،
٢٤٤

زال، ٧٧ (متن وحاشية)، ١٩١ ح

الزّياء، ٤٨ ح، ٦٦ ح

زبارجي (ابن زبارج)، ١٥٤

الزمخشري، ٢٠٠ ح

زيد الحسنّي، ١٩٠

زيد بن علي، ١٣٥ (متن وحاشية)

ست الملك، ١٥٨، ١٥٩

سراج الدين شجاعى، ٨٢ ح

سرغان، ٦٣

سرقويتى بيكى. انظر بيكى

السلاجقة، ١١، ١٨٢ ح، ١٨٩ ح، ١٩٢ ح

سليمان بن عبد الملك، ٧٩ ح

السمعانى، ١٣٧ ح

سنجر (السلطان)، ١٢٥ ح، ١٨٨ ح، ١٨٩ ح، ١٩٢ (متن وحاشية)، ١٩٣،

١٩٥، ١٩٦، ١٩٧ (متن وحاشية)

سهراب، ١٠٦ (متن وحاشية)

سوبيتاي (سبتاي)، ٥٣، ٩٤، ٩٩

سوجيتو، ٥٣
 سوغونجاك (سقنجاك)، ١١٤
 سومان قورچني، ٧٢
 سياه چشم، ٢٣٩
 سيرامون (شيرامون)، ٣٦، ٤٧، ٥٦، ٥٨ ح، ٦٦، ٦٧، ٧١، ٧٦ (متن)
 وحاشية)
 سيف الدولة (الحمداني)، ٢٩ ح، ١٢٠ ح، ١٥٨ ح
 سيف الدين آقا، ١٠٤، ١١٠
 سيف الدين الباخرزي، ٣٠
 سيف الدين سلطان ملك، ٢٣٢
 سيكر بن تولي، ٥٣ ح
 السيوطي، ٢٧، ٦٢، ٧٥، ٢١٣ (ح في المواضع)
 شابور (تصحيف شاور)، ١٦٩ (متن وحاشية)، ١٧٠
 شاور، الوزير، ١٦٩ ح، ١٧٠ ح
 شرف الدين اسماعيل المعري، ٢٠٠ ح
 الشريشي، شارح مقامات الحريري، ١٩٤ ح
 شمس الدين گيلكي، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤
 شمس الدين محمد كرت، ٩٩ ح
 الشميطية (فرقة)، ١٣٩ ح
 الشهرستاني، صاحب الملل والنحل، ١٣٥، ١٣٧، ١٣٩، ١٤١ (ح في
 المواضع)
 شهنشاه، ١٠٥، ١٠٨، ١٠٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٤
 شيبقان (شيبان) بن توشي، ٩٤، ٢٣٧ ح
 سيرامون. انظر سيرامون
 شيرانشاه، ١٠٩، ٢٣٤
 شيركوه، أسد الدين، ١٦٩ ح، ١٧٠، ١٧١ (متن وحاشية)

- شبرگیر. انظر نوشتکین
شیرین، ٦٠ ح
الشیعة، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤١، ١٧٤
شیلامون بیتکچی، ٤٦، ٦٩
الصابی، إبراهیم بن هلال، ١٩٤ ح
الصاحب بن عبّاد، ٥٤ ح
صاحب دیوان الممالک (یعنی بهاء الدین محمد الجوینی أبا المؤلف)، ١١، ٤٦
صالح (علیه السلام)، ٥٦
صدر الدین، السفير، ٢٣٢
صلاح الدین الأیوبی، یوسف، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢
ضرّاب، أمیره، ١٧٤
ضیاء الملك. انظر: أحمد بن نظام الملك
طائر بوقا، يبدو أنه هو نفسه (طائر من أمراء هولاکو)، ٢٤١
الطائع لله، ١٥١
طائر، من أمراء هولاکو، ١١٠
الطبري، صاحب التاريخ المشهور، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٦، ١٤٩ ح) في
المواضع
طغان، ٦٣
الطوسي، الشيخ، ١٣٨ ح
الظافر بأمر الله، ١٦٨، وانظر: أبو منصور إسماعيل
الظاهر لإعزاز دين الله، ١٥٩ (متن وحاشية)، ١٦٠، ١٦٥
ظهیر الفاریابی، ٨٤، ٨٧ ح
العاضد لدين الله، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢
عبّاس بن تمیم، الوزير، ١٦٨ (متن وحاشية)
عبد الحميد بن يحيى الكاتب، ١٢٧ ح
عبد الرازق خان المهندس، ميرزا، ١٨٥ ح، ٢٣١ ح

عبد القادر البغدادي، ٢٧ ح
 عبد الكريم بن أبي العوجاء، ١٣٦ ح
 عبد الله (أو عبيد الله) المهدي، ١٤٧ (متن وحاشية)، ١٤٨، ١٤٩ (متن وحاشية)، ١٦١، ١٦٢ (متن وحاشية)، ١٦٣ ح، ١٨٦ ح
 عبد الله الأفطح، ١٣٧ (متن وحاشية)، ١٣٩ (متن وحاشية)
 عبد الله بن الحسين القيرواني، ١٥٢ ح
 عبد الله بن الزبيري، ١٩٤ ح
 عبد الله بن سالم البصري، ١٤٩ (متن وحاشية)
 عبد الله بن معاوية بن عبد الله، ١٣٦ (متن وحاشية)
 عبد الله بن ميمون القذّاح، ١٤٣، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٩
 عبد الملك بن عطاش، ١٧٤
 عبدان الكاتب، ١٤٣
 عريب، ١٤٩ ح
 عز الدين طاهر، ١٠٤
 العزيز بالله، نزار، ١٥١، ١٥٤، ١٥٥، ١٦٣، ١٦٦ (متن وحاشية)، ١٦٧، ١٧٥ ح، ٢٠٦ ح، ٢٠٧، ٢٠٩ (متن وحاشية)
 عطا ملك الجويني، علاء الدين، ٩، ١٠ (متن وحاشية)، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١١٣، ١٢٢ ح، ١٣٦ ح، ١٤١ ح، ١٤٧ ح، ١٥٦ ح، ١٧٣ ح، ١٨٠ ح، ١٨٨ ح، ١٩٥ ح
 علاء الدين محمد بن الحسن، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٣٦، ٢٣٧
 علم دار بيتكجي، ٤٦
 علوي مهدي، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩
 علي بن أبي طالب، ١١٧ ح، ١٣٥ ح، ٢٢٠، ٢٣٩ ح
 علي بن إسماعيل، ١٤١
 علي بن موسى الرضا، ١٤٠، ١٤٣

علي عبد الواحد وافي، ٢٣٩ ح
 العماد الكاتب الإصفهاني، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٧، ١٩٩ (ح في المواضع)
 عماد الملك، كاتب، ٩٢
 عمر الخيام، ١٨٦ ح
 عمرو القنا، ١١٤ ح
 عمرو بن عدي، ٦٦
 عوف القوافي، ٤٧ ح
 عيسى بن نسطورس، ١٥٥
 غايمش (خاتون)، ٧١
 غدقان قورچي، ٧٣
 غزل سارغ، ١٨٤
 فؤاد الصياد، ١٩١ ح
 الفائز بنصر الله، ١٦٨ (متن وحاشية)
 فاطمة بنت الحسين الأثرم، ١٣٦ ح
 الفاطميون (الخلفاء)، ١٤٨، ١٧١ ح
 فخر الدولة علي بن الحسن البويه، ٢٣٩ (متن وحاشية)
 الفخر الرازي، ١٣٥ ح، ١٧٩ ح
 فخر الملك بن نظام الملك، ١٨٨ ح
 فخر الملك، الأمير، ٩٢، ١٨٨ ح
 الفدائية (الفداوية)، ١٣١ (متن وحاشية)، ١٨٦، ١٨٩، ١٩٧، ١٩٩،
 ٢٤٣ (متن وحاشية)
 الفرار السلمي، ٦٧ ح
 فرايتاغ، المستشرق الألماني، ٢٢١ ح
 الفردوسي، ٦٥ ح، ٨٧ ح
 الفرزدق، ٧٩ ح
 فرعون، ١١٧

فريا ستارك، ١٩٠ ح، ٢٤٠ ح
 الفقاعي، ١٥٨ ح
 فيفن دي سن مارتن، ٢٣١ ح
 قا آن (يعني أوكتاي قا آن)، ١٥، ٢٥، ٢٦ (متن وحاشية)، ٢٨، ٢٩، ٣١ ح،
 ٣٤، ٣٧، ٣٩، ٤٢، ٥٥ ح، ٧٩، ٨٣، ٩٢ (متن وحاشية)
 القائم بأمر الله، ١٤٧، ١٤٩ (متن وحاشية)، ١٥٠، ١٦٢ ح، ١٦٣ ح
 قاتا كورين، ٦٣ (متن وحاشية)
 القادر بالله العباسي، ١٤٩، ١٦١
 القاهر بقوة الله، لقب الحسن بن محمد بن بزرگ أميد، ٢٠٩ ح
 قبلا (قبلاي أغول)، ٢٧، ٥٣، ٧٦ ح، ٨٠، ٩٤
 قداق نوين، الوزير، ٤٧، ٦٧
 قداقاج، ٧١
 قدغان أغول، ٣٧، ٤٢، ٥٦
 قرا هولاکو، ٣٧ ح، ٤٢، ٤٧، ٥٦، ٧٠ ح، ٧٢، ٧٩، ٩٩ ح
 قرا، قرا أغول. انظر قرا هولاکو
 قراقى بيتکجي، ٢٤٣
 القرامطة، ١٤٣ ح، ١٤٤ (متن وحاشية)، ١٤٥ ح، ١٤٦، ١٤٨
 قرمط (حمدان)، ١٤٣ ح، ١٤٤ (متن وحاشية)
 قرواش بن المقلد أبو المنيع معتمد الدولة، ١٦١
 القزويني، محمد بن عبد الوهاب القزويني محقق الكتاب.. مكرر في الهوامش
 القضاء، ١٥٨ ح
 قلچقاي، ٦٣
 قنقور بقاي نوين، ٣٦
 قوريقای قورچي، ٧١ (متن وحاشية)
 قولى، ٩٤، ١٨٨
 قونغوران أغول، ٦٩
 كاترمر، المستشرق الفرنسي محقق جزء من جامع التواريخ.. مكرر في

الهوامش

- كازانوف، المستشرق الفرنسي، ١٤٢ ح
الكاشغري. انظر محمود الكاشغري
كافور الإخشيدي، ١٥٠
كراي ملك، ١٢ ح، ١٠١
كرت، ملوك، ٩٩ ح
كسرى أنو شيروان، ٨٩ ح
كشك، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٨٠
كعب بن معدان الأشقري، ١١٠ ح
كليب بن ربيعة التغلبي، ٥٠ ح
كمال الدين إسماعيل، ٤٠ ح
كوتان (كوتين)، ٤٩
كوشكي القايي، ١٧٣ ح
كوكا إيلكاي، ١٠٢، ١٠٦، ١١٦، ٢٣٥
كولجين، ٤٩
كيا باجعفر، ١٩٤
كيدبوقا باورجي، ٨٠، ٩٧، ١٠٢، ١٠٦، ١٠٧، ١١٠، ١١٦
الكيسانية، فرقة، ١٣٥ (متن وحاشية)، ١٣٨
كيقباد، الوزير، ١٠٧
كيكاوس، حاكم كوتم، ٢١٩
كيوك خان، ١٥، ٢٥، ٢٩، ٣٠، ٣٦، ٤٢، ٤٧، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٨ (متن
وحاشية)، ٩٢
لجيم بن صعب، ٢٠٨ ح
لوسترنج، المستشرق الإنجليزي، الجغرافي، ١٠٥، ١٨٥، ٢٣٠ (ح في
المواضع)
لوكهارت، ١٨٧ ح

- مؤمن، الداعي الباطني، ١٧٤
 ماركوبولو، ١٨٦ ح
 مالك بن نويرة، ٢٧ ح
 المأمون، ١٤٠، ١٥٥ ح
 المبرد، ٢٧ ح، ٣٧ ح
 متمم بن نويرة، ٢٧ ح
 المتنبي، ٢٩، ٣٤، ٤٣، ٦٤، ٨٦، ٢٠٤، (ح في المواضع)
 محمد الباقر، ١٣٥ (متن وحاشية)
 محمد البستي، ٢٠٣ ح
 محمد الديباج، ١٣٧ (متن وحاشية)، ١٣٩ (متن وحاشية)
 محمد بن أحمد، ١٤٨ (متن وحاشية)
 محمد بن إسماعيل، ١٤٠ ح، ١٤٢ (متن وحاشية)، ١٤٣ (متن وحاشية)، ١٤٨
 محمد بن الحسن بن محمد بن بزرك أميد، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥
 محمد بن الحنفية، ١٣٥ (متن وحاشية)
 محمد بن المستنصر، ١٦٨ ح
 محمد بن بزرك أميد، ١٩٨، ١٩٩ ح، ٢٠١، ٢٠٥ (متن وحاشية)، ٢٠٧،
 ٢٠٨، ٢٠٩ (متن وحاشية)
 محمد بن خاقان، ٢٠٥
 محمد بن زيد الحسني (الداعي)، ١٣٧
 محمد بن عبد الوهاب القزويني. انظر القزويني
 محمد بن ملكشاه، ١٢٩، ١٨٩، ١٩١ (متن وحاشية)، ١٩٢
 محمد بن منداب (مقدات)، ٩٩
 محمد خوارزمشاه، ١٥، ٢١٥
 محمود الكاشغري، صاحب ديوان لغات الترك، ١٨٢ ح
 محمود بن محمد بن ملكشاه، ١٩٢ ح، ١٩٣ ح
 محمود يلواج، ٨١

المختار الثقفي، ١٣٥ ح
المرتضى، السيد، ١٦٤
مروان بن الحكم، ١٢٧ ح
المسترشد بالله العباسي، ١٨٨ ح، ١٩٥، ١٩٧ ح، ١٩٨
المستضيء بالله، ١٧١ ح
المستعلوية، (فرقة)، ١٦٦، ١٦٧
المستعلي بالله أحمد، ١٦٦، ١٦٧، ١٧٥
المستنصر بالله أبو تميم معد، ١٦٥، ١٦٦ (متن وحاشية)، ١٦٧، ١٧٤ ح،
١٧٥ (متن وحاشية)، ١٨٣، ٢٠٥، ٢٠٦
مسعود الغزنوي، السلطان، ١٠٠ ح، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨
مسعود بك، ٨١، ٩٩
المصطفى لدين الله، نزار. انظر نزار
مظفر الدين سنقر، وجه السبع، ٢١٨
مظفر الدين كوكبوري، ٢١٨
المظفر المستوفي، الرئيس، ١٧٨
مظفر خمج، ١٢٥ ح
المظفر، الرئيس، ١٧٥ ح، ١٧٨ (متن وحاشية)، ١٧٩، ١٨٩، ١٩١، ٢٠٥
مظهر الدين أوزبك، ٢١٧، ٢١٨
المعتصم بالله، ٧٣ ح
المعتمد، الخليفة العباسي، ١٤٤
معز الدولة أحمد بن بويه، ١٥١ ح
المعز لدين الله، ١٥٠، ١٥١، ١٦٢ ح، ١٦٣ ح
مقدم (أو مقدم الدين)، ٢٣٧ (متن وحاشية)، ٢٣٨
المقنع الكندي، ٧٥ ح
ملخ شوليم، ١٤٢
ملخيزداق، ١٤٢، ٢٠٨، ٢٠٩ ح

ملك أغول، ٥٦
 ملك السلام، ١٤٢
 ملك الصدق، ١٤٢
 الملك المنصور، ١٧١، وانظر أيضًا شيركوه
 ملكشاه السلطان، ١٧٧، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٨، ١٨٩
 منشأ بن إبراهيم اليهودي، ١٥٥ (متن وحاشية)
 منشأ بن لثام، ١٥٥
 المنصور، الخليفة العباسي، ١٣٨ ح
 المنصور، الخليفة الفاطمي، ١٥٠، ١٦٢ (متن وحاشية)، ١٦٣ ح
 منكسار (منغسر) نوبن، ٥٥، ٦٠، ٦٤، ٧١، ٩١
 منكلي. انظر ناصر لدين الله منكلي
 منكوقا آن، ١٢، ١٦، ٢٥، ٢٧، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٦، ٣٧، ٣٩، ٤٠،
 ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٧، ٤٩، ٥٦، ٦٣، ٦٤، ٦٦، ٦٧، ٦٩، ٧٣، ٧٦ ح،
 ٧٨، ٨٨ (متن وحاشية)، ٨٩، ٩٢ ح، ٩٤، ١٠١، ١٠٣، ١١٢، ١٣٠،
 ١٩٢، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤
 منوچهري، ٦٨ ح
 مهدي علوي، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩
 المهدي. انظر عبد الله المهدي
 المهدي، الخليفة العباسي، ٤١ ح
 موجي (موجي) أغول، ٣٧، ٧٠ ح، ٩٥
 موراقا، ٢٣٠
 موسى (عليه السلام)، ١٤٢
 موسى الكاظم، ١٣٧، ١٣٩ (متن وحاشية)، ١٤٠ (متن وحاشية)، ١٤٣ (متن
 وحاشية)
 موکا أغول، ٣٧، ٤٠، ٤١، ٥٣
 الميداني، ٤٣، ٦٦، ١٩٤، ٢٠٠ (ح في المواضع)

ميران بيتكجي، ٧٢

ميمون القداح، ١٤٣ (متن وحاشية)

مينورسكي، فيلاديمير، المستشرق الروسي، ١٨، ١٩، ٣١، ح، ١٠٠، ح، ١٢٩، ح، ١٣٠

ناصر الدين منكلي، ٢١٧، ٢١٨ ح

الناصر لدين الله، ١٧١ (متن وحاشية)، ٢١٩

ناقو (ناقو أغول)، ٤٦، ٤٧، ٥٦، ٦٦، ٦٧، ٧٦ ح

النبي - صلى الله عليه وسلم، ١٧٩، ٢١٣

النديم، صاحب الفهرست، ١٤٣ ح، ١٤٩ ح

نزار بن المستصر، ٢٠٥، وانظر أيضًا المصطفى لدين الله

النزارية، (فرقة)، ١٤٣ ح، ١٦٦، ١٦٧

النسوي، مؤلف سيرة جلال الدين منكبرني، ٢١٧ ح، ٢١٨ ح

نسيم الخادم، ١٥٩

النصاري، ٨٣، ٩٣، ١٥٥، ١٥٨

نصرة الدين كبود جامه، ٦٧ ح

نصيب بن رباح، ٧٩ ح

نصير الدين الطوسي، خواجه محمد، ٢٣٣ ح، ٢٣٨ ح

نظام الملك الطوسي، حسن، ١٧٧، ١٨٥ ح، ١٨٦، ١٨٨

نظامي، ٦٠ ح، ١٨٧ ح

نور الدين محمود بن زنگي، ١٧٠، ١٧١

نوشتكين شيرگير، الأتابك، ١٩٢ (متن وحاشية)

نوقا (نوقو)، ٥٨ ح

هشام بن عبد الملك، ١٣٥ ح

الهنود، ١٢٥ ح

هولاكو بن تولى بن جنكيزخان، مكرر في الهوامش

وثيمة الوشاء، ٢٧ ح

وسيم بن طارق، ٢٠٨ ح
الوفي، ١٤٨
ياجوج ومأجوج، ١١٤
ياقوت الحموي، ١٣٩ ح، ١٤٠ ح
يرنقش قرآن خوان، ١٩٧ ح
يزيد (بن معاوية)، ١٣٤ ح، ١٣٦ ح
اليزيد بن مهلب، ١١٠ ح
يسنتوقا (يسنبوقا) أغول، ٧٦ (متن وحاشية)
يسور، ٦٣
يسورنوين، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢
يشمت (يشموت)، ٩٨
يعقوب بن كلس، أبو الفرج، ١٥٢ (متن وحاشية)، ١٥٤ (متن وحاشية)
يكة نوين، ٦٩
اليهود، ٨٣، ١٣٣، ١٥٥، ١٥٨ ح
يورنتاش، ١٨٢ (متن وحاشية)
يوسف، أخو أبي عبد الله الشيعي، ١٤٨
يونس (عليه السلام)، ٢٤٠
بيسومنكو، ٤٧، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٤
بيسون بوقا (توقا)، ٣٧، ٤٧، ٦٦

فهرست الأماكن والقبائل

يقتصر هذا الفهرست على النص الأصلي لكتاب جهانگشاي والذي ينتهي بصفحة ٢٤٦ ولا يشمل الفهرست الحواشي والتعليقات الواردة في آخر هذا الجزء.

- أبهر، ٢١٥
آتان ناحية، ١٧٤ ح
أترار، ٦٨، ٨٠
آذربيجان (آذربايجان)، ٨١، ١٧٢ (متن وحاشية)، ١٩٣، ٢١٤، ٢١٦
آران، ٨١، ٢١٤، ٢١٦
إربل، ٢١٥
أردستان، ١٨١
أرزيز (جدول ماء)، ١١٦
أرمينيا (أرمستان)، ١٠٨
آس، ٣١ ح
أستاوند، ١٨٩
إستراياد، ١٠٤ ح، ١٧٤ ح
أستو، ١٠٤، ٢٢٨
أستوندار (أسيپدار)، ١١٥، ٢٣٢
الإسكندرية، ١٦٥
إشكور، ١٢٨، ١٧٥ (متن وحاشية)
إصفهان، ١٣٥ ح، ١٣٩ ح، ١٧٢، ١٧٣، ١٨٤، ١٨٥ ح، ١٩٠، ١٩٦
إفريقية، ١٤٧، ١٤٨ ح
أفغانستان، ٩٩ ح، ١٣٩ ح

آلا فماف، ٣٦
 آلان، ٣١ (مفن وفاففة)
 ألتاف، ٧٨
 ألغ إفف، ٧٠ (مفن وفاففة)، ٩٨ (مفن وفاففة)
 ألغ طاف، ٦٨
 ألمالفف، ٩٨
 ألموت (قلعة). مكرر فف المفن والهوامش
 أَلْمُوت (نهر)، ١٨٨، ١٨٩ (مفن وفاففة)
 آله نشفف، ١١٤
 أنان كلران (انان وكلران)، ٤١
 أنان، ٤١
 الأنبار، ١٥٩ ح
 أندج (أنففج) نهر، ١٨٩ (مفن وفاففة)
 أندج رود، ناففة، ١٧٤ (مفن وفاففة)، ١٨٩ ح
 أندوس، ١٣٩ ح
 أولوغ - طاف، ٦٨
 أوفراف من قبائل المغول، ٩٤
 أوففور، ٨٠
 إفففل (نهر)، ٣٢، ٣١
 إفران، ٩، ١١، ١٢، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ٣٧ ح، ١٢٨ ح، ١٣٠ ح، ١٣١ ح،
 ١٨٢ ح، ١٨٣ ح، ١٨٩ ح، ٢٣٢، ٢٣٤ ح
 ففمفل، ٧٠
 فافففس، ٧٣، ١٠٩ ح
 فالا رودبار، ١٧٤ ح
 فاهرو؟ نهر، ٢٣٧
 فافلاغ، مراعي، ٩٨

البحرين، ١٤٤
 بخارى، ٣٠، ١٣٦ ح، ٢٤٠
 بره، ١٨١ ح، وانظر أيضًا كوه بره
 بسكر، ٢٣١، ٢٣٢ (متن وحاشية)
 البصرة، ٦٧، ١٣٩
 بغداد، ١٠، ١٢، ١٤، ٨٦، ١٣٨ (متن وحاشية)، ١٤٨، ١٦٢، ١٧٣،
 ١٨٦ (متن وحاشية)، ١٩٣، ١٩٦، ٢١٢، ٢١٤ (متن وحاشية)، ٢١٦،
 انظر أيضًا دار السلام ودار الخلافة ومدينة السلام
 البقيع، ١٣٧
 بلخ، ٩٩ ح
 البلغار، ٣١، ٣٦
 بنو تميم، ٧٧ ح
 بيرجند، ١٨٢ ح
 بيروت، ٨٤ ح
 بيش باليغ، ٦٨، ٧٢، ٩٤
 بيشكيل (بيسكله) دره، ١٠٧ (متن وحاشية)، ١٠٨
 بيلغان (بيلقان)، ٢١٥
 بيهق، ١٧٤ ح
 تازيك (تاجيك)، ١٠١، ١٢٩، ٢٢٨، ٢٣٨
 تبريز، ١٣٠ ح
 تخت سليمان، كوه، ٢٢٨ ح
 ترك، أتراك، ٤٥، ٥٥، ٦٠، ٦٨، ١٠١، ١١٣، ١٢٩، ١٨٧
 تركستان، ١٥، ٨٠، ٩٤، ١١٦ ح، ٢١٦
 تنكوت، ٧٩، ٩٣
 تون، ١٠١
 تيعاب (قنخاي)، ٩٤ ح

جاجرم، ١٧٤ ح
 جامعة مانشستر، ١٨
 الجبل (بلاد)، ١٠٩، ١١٣، ١١٦، ١٣٦ ح، ١٣٩، ٢٢٨، ٢٣٢، ٢٣٦
 جبل شهريار شهريار كوه، ١٧٤ (متن وحاشية)
 جرجان (گرجان)، ١٠٩، ١٣٦ (متن وحاشية)، ١٧٤ (متن وحاشية)
 الجزيرة (= بين النهرين)، ٤٦ ح، ٤٧ ح
 جلنبد، ١٢٤
 جمالاباد (قزوين)، ١٠٨
 جند، ٨٠
 جورجيا، ٨١، ٩٤
 جيحون، ٨٠، ٩٩ (متن وحاشية)، ٢١٦
 جيلان، ١٢٨ ح، ١٧١، ٢١٦ (متن وحاشية)، وانظر أيضًا گيلان
 چناشك، ١٧٤ (متن وحاشية)
 الحجاز، ١٥٠
 حلب، ١٩، ٨١، ١٥٣ ح، ١٧٣
 حلوان (مصر)، ١٥٦ ح
 حمص، ١٦٨
 حمير، ١٧١
 خبوشان، ١٠٣
 ختاي (الخطا)، ٧٣، ٧٩، ٨٠، ٨٣، ٩٣، ٩٤
 ختن، ٨٠
 خراسان، ١١، ٨١، ٨٣، ٩٤، ٩٩، ١٠٠، ١٣٩، ١٦٤، ١٧٦ ح، ١٨٢،
 ١٨٧ ح، ٢٠٩، ٢١٢، ٢٤١
 خرقان، ١٠٤ (متن وحاشية)، ١٠٥
 خَزْكَام، ١٢٨
 خلخال، ٢٢٧

خوار الري، ١٠٥، ١٧٥
 خوارزم، ٢٥، ٨٠
 خواف، ١٠١
 خوزستان، ١٧٣
 خيبر، ١٢٩
 دار الخلافة (بغداد)، ١٥٩، ١٩٥، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٦
 دار السلام (بغداد)، ٨٦، ١٩٤
 دامغان، ١٧٤، ١٧٦، ١٨٦
 دره، قلعة، ١٠٧ (متن وحاشية)، ١٨٢ (متن وحاشية)
 دماوند (دنباوند)، ١٣٩ ح، ١٧٥، ٢٣٠
 دهستان، ١٠٣
 دوشن، ١١٩ ح
 ديلم، ديلمان (الديالمة)، ١٢٨ (متن وحاشية)، ١٣٦ ح، ١٦٥، ١٧٥، ٢٠٤
 ٢٠٩، ٢٣٤، ٢٣٦
 رادكان (مرج)، ١٠٣
 گردكوه، ١٢٨
 رستم، ١٣٢ ح
 رودبار (قزوین)، ١٣٠، ١٨٢، ١٨٧، ١٨٩، ٢٢٢، ٢٢٨، ٢٣١
 الروس (روسيا)، ٣١، ٩٩ ح
 الروم، ٨٠، ٩٣، ٩٤، ١٣٢
 الري، ١٤، ١٠٦ ح، ١٠٧، ١٣٩ (متن وحاشية)، ١٧١، ١٧٢، ١٧٥ (متن وحاشية)، ١٨١، ٢٣٠، ٢٣١
 زاوه، ١٠١
 زمزم، ١٤٤
 زنجان، ٢١٥
 زواره، ١٨١

ساري (سارية)، ١٧٥
سجلماسة، ١٤٦، ١٤٧
سحنة (سنة، سنج)، ١٨٤
سرحد، ١٧٤ (متن وحاشية)
سقسين، ٣٦
سلمه، ١٣٩
سلنكاي، ٧٩
سمرقند، ٩٨
سمنان، ١٠٥
السند، ١٣٩
سودا كوه، ١٧٤ ح
سولنكاي، ٧٥
سيالان كوه، ٢٢٨
سيستان، ١٨٢ ح
سينجير، ٦٨
شال رود، ٢٢٧
شيام (شامات)، ٤٦ ح، ٨٦، ١١٢، ١٤٠، ١٤٣، ١٥٠، ١٥٣، ١٦٤، ١٦٨،
١٦٩، ١٧٢، ١٧٣، ٢١٥، ٢٢٢، ٢٣٨
شاهنز (ري)، ١٠٦
شاهرود (شال رود)، (في ناحية خلخال)، ٢٢٧ (متن وحاشية)
شاهرود، نهر في قزوین، ١٨٩ ح
شغان (سفاق)، ٢٢٩
شفورقان، ٩٩ (متن وحاشية)
شلمبه، ١٣٩ ح
شهر ياركوه. انظر جبل شهریار
شهرک رودبار، ٢٣٤

شيركوه، ٢٢٣
 صقلية، ١٤٧
 صنعاء، ١٠٢، ١٤٥ ح
 الصين، ٢٧ ح، ٣٦ ح، ٧٥ ح، ٨٠، ٩٣، ١٢٤ ح
 طارم، ١٢٨
 الطالقان (نهر)، ١٨٩ ح
 الطالقان، ١٠٧ ح، ١١٤ (متن وحاشية)، ١٨١، ١٨٢، ٢٣٢
 طيس مسينان، ١٨٢ ح
 طرز، ١٧٤ (متن وحاشية)
 طهران، ١٠، ٦٠، ٩٩، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٣، ١٥٦،
 ١٥٧، ١٦٧، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧،
 ١٨٨، ١٩٢، ٢٠١، ٢١٥، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٤٠، (ح في المواضع)
 طوس، ٥٢ ح، ١٠١، ١٠٢، ١٣٩
 عبّادان، ٣٩ ح
 عباس آباد (الريّ)، ١٠٧
 العجم، ٣٥، ٧٩
 العراق، ١٠، ١٤، ٧٣، ٨١، ١٠٠، ١٠٥، ١٢٨ ح، ١٣٩ (متن وحاشية)،
 ١٤٣، ١٤٥، ١٤٨، ١٦٤، ١٧٢، ١٩٣، ٢١٢، ٢١٤، ٢١٥ (متن)
 وحاشية)، ٢١٦، ٢٢٤، ٢٣٦
 العرب، ٩ ح، ٣٥، ٥٠ ح، ٧٩، ١٣٣ ح، ١٦٧ ح، ١٧١ ح
 غريض، ١٣٧
 عمورية، ٧٢ ح
 الغزي (الشاعر)، ٥٥ ح
 فارس، ٨١، ١٣٥ ح، ١٥٩
 فايهند، ١٣٩ ح
 فردوس، ١٠١ ح

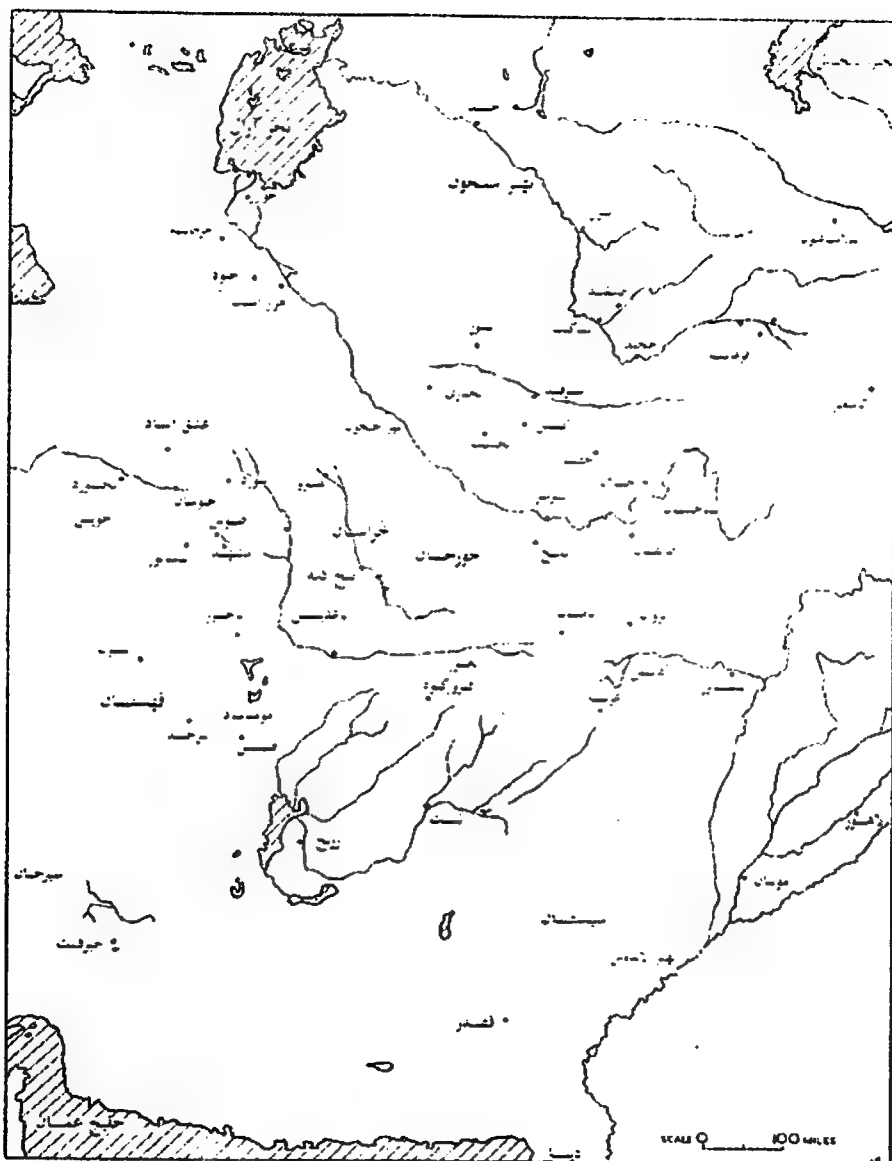
الفُرس، ١١، ٩٣، ١٣٢ ح
 فرغانه، ٨٠
 الفرنج، ٨٦، ١٣٢، ١٦٧ (متن وحاشية)، ١٦٨، ١٧٣
 فريم، ١٧٤ (متن وحاشية)
 الفسطاط، ١٥٠
 فسكر، ٢٣١، ٢٣٢ ح، انظر أيضًا بسكر
 فيروزكوه، ١٠٦
 فيشان ناحية، ١٧٤ ح
 قانغاي، ٦٨
 القاهرة، ٩ ح، ١٠، ١٣، ١٥٠، ١٥٤، ١٥٦، ١٦٥، ١٦٧ (متن وحاشية)،
 ١٦٨، ١٧٢ ح
 قاين، ١٧١
 قراقورم، ١١، ١٢، ٣٦، ٦٨، ٧٥، ٨١ ح، ٩٤، ٩٦، ١٠٠، ٢٤١
 قرقيز (قرغيز)، ٦٨ (متن وحاشية)
 قزوين، ١٠٧ ح، ١٠٨، ١٢٩، ١٧٥، ١٨١، ٢١٣، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٣٨،
 ٢٤٠
 قصران (ري)، ١٠٦ (متن وحاشية)
 قفجاق، ٣١
 قم، ١٧١
 قندهار، ١٣٩ (متن وحاشية)
 قنغاي (تيعاب)، ٩٤
 قهستان، ١٠٦، ١٢٨، ١٧١ ح، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٨، ١٩٠، ٢٠٢، ٢٠٨،
 ٢٢٩، ٢٤١
 قومش، ١٦٤ (متن وحاشية)، ١٩١
 قيالينغ، ٣٦، ٦٨، ٧٠
 القيروان، ١٤٦، ١٤٨ ح

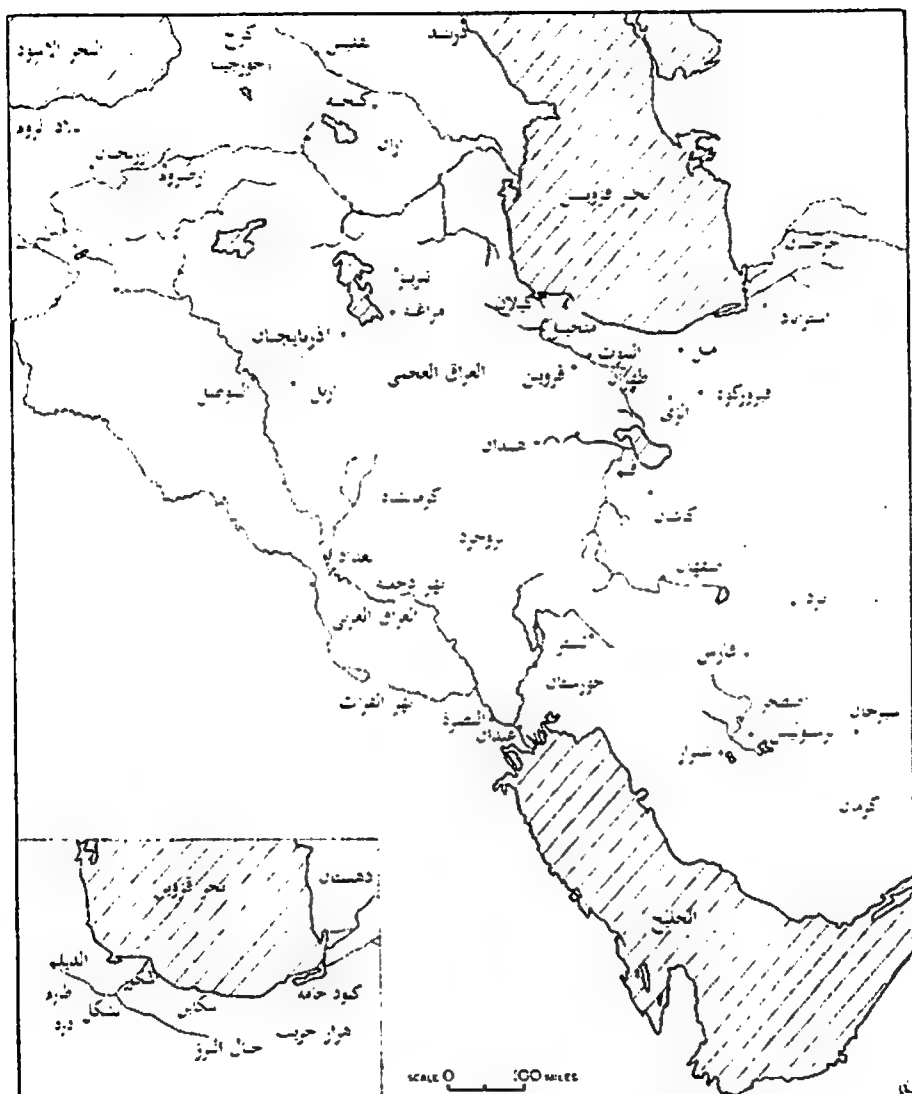
كابل (نهر)، ١٣٩ ح
 كاشغر، ٨٠، ١٨٥
 كان گل، مرج، ٩٨
 كتامة، قبيلة، ١٤٥، ١٥٦ ح
 كرجستان (كرج، جورجيا)، ٨١، ٩٤
 الكرد (الأكراد)، قبيلة، ولاية، ١٠٨
 كرمان، ٨١، ١١٤، ١٣٥ ح، ١٧٤، ١٨٥
 کرمانشاه، ١٨٤ ح
 کش، ٩٩
 کلاردشت، ١١٤ ح
 کلران، ٤٦، انظر أيضًا انان کلران
 کم جهود (کیمیتشهود)، ٦٨ (متن وحاشية)
 کندهارا، ١٣٩ ح
 کوجور، ١١٤ ح
 کوشکک، ١٧١
 الکوفة، ١٤٣، ١٤٤ ح، ١٤٥ (متن وحاشية)، ١٥٩ (متن وحاشية)، ١٧١
 کوه بره، ١٨١ (متن وحاشية)
 گردکوه، ١٠٦، ١٧٦، ١٨٧، ١٨٩، ١٩١، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٤٠
 گرگان. انظر: جرجان
 گیلان (انظر جیلان)، ٢٢٧
 اللار، ٢٣٠
 لال، قلعة، ١٠٦
 لُر. انظر اللور
 لمسر، قلعة، ١٠٦، ١٨٧ (متن وحاشية)، ١٩٠، ١٩١، ٢٠٩، ٢٢٩، ٢٣٤،
 ٢٣٥، ٢٣٧ ح، ٢٣٨، ٢٤١
 اللور (انظر لُر)، ٨١

مؤمناباد، ١٨٢ (متن وحاشية)، ٢٠٢، ٢٠٣
 ما وراء النهر، ١٥، ٨٠، ٨٣، ٩٨
 مازندران، ١١، ٨١، ١٠٥، ١٢٨، ١٧٤، ٢٢٤
 الماجين، ٩٣
 المجوس، ١٣٣
 محمد آباد، ١٣٩
 المدائن، ١٥٩ ح
 مدينة السلام. انظر بغداد
 المدينة، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٦ ح
 مراغة، ١٩٣، ١٩٥ (متن وحاشية)
 مرو، ١٠٣
 مصر، ١٣، ١٧، ٤٣ ح، ٥٠ ح، ٥٧ ح، ٦٠ ح، ٦٢ ح، ٨١ ح، ٩٣، ١٣٠ ح،
 ١٣١ ح، ١٤١ ح، ١٤٤ ح، ١٤٧ ح، ١٤٨ ح، ١٤٩ (متن وحاشية)، ١٥٠،
 ١٥١ ح، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٩ (متن وحاشية)، ١٦٠ ح، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦،
 ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩ (متن وحاشية)، ١٧١، ١٧٢ (متن وحاشية)، ١٨٠ ح،
 ١٨٣ ح، ١٨٤، ١٨٥ ح، ١٩٢ ح، ١٩٤ ح، ١٩٥ ح، ١٩٦ ح، ٢٠٣ (متن
 وحاشية)، ٢٠٤، ٢٣٦
 مغاربة، ١٤٦
 المغرب، بلاد، ١٧، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٣، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠،
 ١٦٠، ١٧٣
 مغولستان، ٩١ ح
 مقابر قریش (بغداد)، ١٣٨ ح
 المقطم، جبل، ١٥٦ (متن وحاشية)
 مكة المكرمة، ١٤٤، ٢١٤ ح
 منزى، الصين الجنوبية، ٧٥ (متن وحاشية)، ٧٩
 المنصورية، حديقة، ٥٢، ١٠٢

المنصورية، قلعة، ١١٤
 منغوليا، ٤١ ح
 المهديّة، ١٤٦ (متن وحاشية)، ١٤٩
 الموصل، ٤٦ ح، ٨١، ١٥٩ (متن وحاشية)، ١٨٢ ح
 مونغاي، انظر قانغاي، ٦٨ ح
 ميمون دز، ١٦، ١٠٩، ١١٣، ١١٥ ح، ١١٦، ١٢٦، ٢٢٢، ٢٢٩، ٢٣٠،
 ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤ ح
 نيزك (قلعة)، ١٠٩ ح
 نيسابور (نیشابور)، ١٨٦ (متن وحاشية)
 هراة، ٩٨ ح، ١٠٩ ح
 هزارچم، ١١٤
 همدان، ١٣٩ ح، ١٩٣، ٢٢٧، ٢٣٨
 الهند (هندوستان)، ٨١
 يازر، ١٠٣
 يزد، ١٠٨، ١١٤، ١٧٤
 اليمن، ١٤٥ (متن وحاشية)، ١٧١
 اليهود، ٨٣، ١٣٢، ١٥٣، ١٥٦
 اليونان، ١٣٣

الخزائن





المؤلف في سطور

علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد الجويني

ولد في سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م، وينتمي إلى أسرة عريقة كان لها إسهام بارز في إدارة الشؤون المالية والإدارية في إيران وغيرها من البلاد التي وقعت تحت حكم دول السلاجقة والخورازميين والمغول، ومن أجل ذلك سُميت هذه الأسرة بأسرة "صاحب الديوان".

بدأ عطا ملك وهو في السابعة عشرة من عمره (سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م) في العمل بديوان الحاكم المغولي (الأمير أرغون) الذي تولى حكم إيران والبلاد التي اجتاحتها جنكيز خان بجحافلهم، وظل عطا ملك يرافق هذا الأمير في أسفاره الدورية إلى عاصمة أباطرة المغول (قراقورم) طيلة أربعة عشر عامًا، وفي إحدى المرات مكث في تلك العاصمة نحو سنة ونصف، فعاش القوم واتصل بعدد من أمراء المغول وأشرفهم، وشاهد بنفسه العديد من الأحداث المهمة، وتيسرت له سبل جمع المعلومات عن نشأة المغول وتاريخهم قبل جنكيزخان وعن شخصيته والغزوات الكبرى التي قام بها ومن تولى وحكم الإمبراطورية من بعده، فرأى عطا ملك أنه يجدر به أن يؤلف بلغته الفارسية كتابًا يتناول ذلك كله هو كتاب "تاريخ جهانگشای" (أي تاريخ فاتح العالم) نسبة إلى جنكيز خان فبدأ في تأليفه في سنة ٦٥٠هـ/١٢٥٢م وانتهى منه في سنة ٦٥٨هـ/١٢٥٩م.

وحين قدم "هولاكو" -على رأس الحملة المغولية الثانية- إلى إيران (سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م) اختار عطا ملك لكي يكون واحدًا من أقرب المستشارين إليه، فرافقه طيلة حملته الموسعة للقضاء على الإسماعيلية، ودون وقائع هذه الحملة في كتابه، وحين استسلمت عاصمتهم "ألموت" لقوات هولاكو أشار عليه عطا ملك بالإبقاء على

بعض مقتنيات مكتبتها الكبرى من كتب نادرة وترك ما لا قيمة له منها (في نظره) لكي يُحرق عن آخره.

وكان من بين الكتب التي استخرجها عطا ملك من المكتبة المذكورة كتاب "سرگدشت سیدنا" (أي سيرة سيدنا) وهو سيرة كاملة للحسن بن الصباح مؤسس دولة الإسماعيلية في إيران، وقد نقل عطا ملك ذلك الكتاب مختصراً في الجزء الثالث من كتاب "جهانگشای"، الذي هو بين أيدينا الآن.

في سنة ١٢٥٧هـ/١٢٥٨م، وعقب قضائه على الخلافة العباسية في بغداد عهد هولاكو بحكومة بغداد والعراق إلى عطا ملك الجويني، فاستمر في حكمها نائباً عن سلاطين المغول - حتى توفي بعد نحو أربع وعشرين سنة، ١٢٨٢هـ/١٢٨١م.

المترجم فى سطور:

محمد السعيد جمال الدين

- أستاذ اللغة الفارسية وأدائها في كلية الآداب - جامعة عين شمس، وكان قد تولى رئاسة قسم اللغات الشرقية بالكلية نفسها في سنوات ١٩٨٦-١٩٨٨، ١٩٩٤-٢٠٠٠.
- عضو مجلس إدارة مركز بحوث الشرق الأوسط - جامعة عين شمس، ورئيس وحدة الدراسات الإيرانية بالمركز وعضو مجلس إدارة مركز الدراسات الشرقية - جامعة القاهرة.
- يتمتع بعضوية العديد من الجمعيات العلمية الدولية والإقليمية والمحلية، وكذلك عضوية هيئات تحرير مجلات علمية مصرية وأجنبية.
- أشرف على العديد من رسائل الدكتوراه والماجستير في ميادين الأدب الفارسي - الأدب الأردني - الأدب المقارن - تاريخ المشرق الإسلامي وحضارته - الفكر الإسلامي - المذاهب والفرق الإسلامية.
- ناقش أكثر من مائة رسالة علمية في الجامعات المصرية والعربية، وهو محكم علمي للمجلات وأبحاث المؤتمرات.
- قام بمهمات علمية في كل من: إيران (١٩٧٣، ١٩٧٥، ١٩٧٧، ٢٠٠١، ٢٠٠٣، ٢٠٠٧)، ألمانيا (١٩٧٧)، تاتارستان - روسيا الاتحادية (١٩٩٧)، أمريكا (١٩٩٨ - ٢٠٠٠)، ماليزيا (٢٠٠٢)، الإمارات العربية المتحدة (٢٠٠٣)، وأعير للعمل في بعض الجامعات العربية: السعودية (١٩٧٨ - ١٩٨٣)، وقطر (١٩٨٨ - ١٩٩٣).

- شارك في أكثر من عشرين مؤتمراً وندوة دولية في كل من: إيران (١٩٩١، ١٩٩٩، ٢٠٠٠، ٢٠٠١، ٢٠٠٢، ٢٠٠٣، ٢٠٠٧)، باكستان (١٩٩٧، ٢٠٠٤)، اليونسكو - باريس (٢٠٠٥)، السعودية (١٩٨٠، ١٩٨٥، ٢٠٠٠)، تركيا (١٩٩٨، ٢٠٠٠)، أنديجان (٢٠١٠)، فضلاً عن المشاركة في عشرات المؤتمرات والندوات التي أقامتها الجامعات والمراكز العلمية والثقافية في مصر.
- حاصل على وسام "تاج" من شاه إيران محمد رضا بهلوي (١٩٧٧). كما حصل أيضاً على وسام الاستحقاق (امتياز) من جمهورية باكستان الإسلامية (١٩٩٩)

الإنتاج العلمي

أولاً: بعض المؤلفات:

١. دولة الإسماعيلية في إيران، سجل العرب مصر ١٩٧٥، الطبعة الثانية: الدار الثقافية مصر ١٩٨٨.
٢. مناهج البحث في الدراسات الإسلامية والعربية، عدة طبعات، مصر ١٩٧٩ - ٢٠٠٣.
٣. علاء الدين عطا ملك الجويني، حاكم العراق بعد انقضاء الخلافة العباسية، مصر ١٩٨٢.
٤. صفحات مطوية من الثقافة الإسلامية، دار الصحة، مصر ١٩٨٦.
٥. دراسات في تاريخ المغول والعالم الإسلامي، مصر ١٩٨٧.
٦. الأدب المقارن (دراسات في الأدبين العربي والفارسي) - دار ثابت - مصر ١٩٨٩، الطبعة الخامسة دار القلم ٢٠٠٣.
٧. الفكر الإسلامي في المشرق، مصر ١٩٨٤.
٨. من أعلام الشعر الفارسي في عصور الازدهار، دار الهداية مصر ١٩٩٨.
٩. نقوش فارسية على لوحة عربية - الدار الثقافية - مصر ١٩٩٩.

١٠. الشبهات الواردة في دائرتي المعارف الإسلامية والبريطانية حول القرآن الكريم، المدينة المنورة ٢٠٠٢.
١١. أفغانستان بين نوازع السيطرة وإرادة الكفاح، مركز زايد للأبحاث، أبو ظبي ٢٠٠٣.
١٢. جمع ما تفرّق، مقالات عن العالم الإسلامي، الدار الثقافية، مصر ٢٠٠٦.
١٣. مقالات فارسي، مقالات باللغة الفارسية، دار الهداية، مصر ٢٠٠٩. وقد تُرجم له كتابان إلى الفارسية وتم نشرهما في إيران مؤخرًا وهما "الأدب المقارن" و"نقوش فارسية" (رقم ٦، ٩ فيما سبق).

ثانيًا: الترجمات:

١. القسم الخاص بالإسماعيلية في كتاب "جهانگشای" لعطا ملك الجويني، ضمن كتاب دولة الإسماعيلية في إيران (رقم ١ من المؤلفات).
٢. رسالة الخلود (أو جاويد نامه) محمد إقبال، عن الفارسية، طبع سجل العرب ١٩٧٤، مكتبة الشروق الدولية ٢٠٠٩.
٣. تطور الفكر الفلسفي في إيران، محمد إقبال، ترجمة عن الإنجليزية بالاشتراك مع الدكتور حسن الشافعي، مصر ١٩٨٣.
٤. أخبار سلاجقة الروم، لابن البيبي، عن الفارسية، جامعة قطر ١٩٩٥، المشروع القومي للترجمة، مصر ٢٠٠٧.
٥. قصائد مختارة من ديوان شمس تيريز لجلال الدين الرومي عن الفارسية، مكتبة الشروق الدولية - مصر ٢٠٠٥، مكتبة الأسرة ٢٠٠٧.

التصحيح اللغوي: نعيمة عاشور

الإشراف الفني: حسن كامل